

إسماعيل صبري



ديوان
إسماعيل صبري



مكتبة علي بن صالح الرقمية

إسماعيل صبري



ديوان
إسماعيل صبري

ش-ع-ر

1938



كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الجزء الأول

الكوّنيات

النونية الكبرى

فاتحة

رَبِّ هَبْ لِي هُدًى وَأَطْلِقْ لِسَانِي
مُلْهِمَ النَّفْسِ بِالتَّقَى خَيْرَ مَسْرَى
كُنْ مُعِينِي إِنْ أَعَجَزْتَنِي الْقَوَافِي
أَنْتَ قَصْدِي وَغَايَتِي وَرَجَائِي
يَا جَلالًا عَمَّ الوجودَ بِلُطْفِ
وَاقْتِدَارًا أَحاطَ بِالكونِ عِلْمًا
وَجَمالًا فِي كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى

وَأَنْرِ خَاطِرِي وَثَبِّتْ جَنانِي
لِمَقارِباتِ نورِكَ الرَّبَّانِي
وَنصِيرِي فِي سامِياتِ المَعانِي
مَالِكِ المُلْكِ مُبَدِعِ الأَكوانِ
وَسِلامٍ وَرَحْمَةٍ وَحَنانٍ
نَظَمْتَ عِقْدَهُ يَدُ الإِيتقانِ
سَبَّحَ الحَسَنَ فِيهِ لِلرَّحْمَنِ

أسماء الله الحسنى

جَلَّ شَأْنُ الإِلهِ رَبِّ البرايا
واحِدٌ قاهرٌ سَمِيعٌ بصيرٌ
حَكَمٌ عادِلٌ لَطِيفٌ خَبيرٌ
قابِضٌ باسِطٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
واجِدٌ ماجِدٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي الصُّدورِ وَأَخْفَى
ظاهِرٌ باطِنٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ
واعِدٌ المُنْتَقِينَ جَناتِ عَدْنٍ
مُنْعِمٌ وارِثٌ عَلِيٌّ عَظِيمٌ
كُلُّ مَنْ فِي الوجودِ اللهُ عَبْدٌ
إِنَّ يَوْمًا تُطَوَّى السَّمواتُ فِيهِ
يَوْمَ تَهْوِي الأَفلاكُ مِنْ كُلِّ بُرْجٍ
وتَدُكُ الأَرْضُ انْهيارًا وَيُقَضَى

خالِقِ الخَلْقِ دائِمِ الإِحسانِ
عالمِ الغَيْبِ صاحِبِ السُّلطانِ
نافِذُ الأَمْرِ واسِعُ العُفْرانِ
مُرْسِلُ الغَيْبِ مُقْسِطُ المِيزانِ
تَرَقَّبُ الخَلْقِ عَينُهُ كُلَّ آنٍ
وَإِليه سَيُحْشَرُ النُّقْلانِ
نِعَمَ مَنْ فازَ مِنْهُ بِالرِّضوانِ
وَلِمَنْ خافَ رَبَّهُ جَنَّتانِ
باعِثُ الخَلْقِ بَينَ إنسٍ وَجانِ
وَإِلى اللهُ مَرْجِعُ الإنسانِ
كُلُّ حَيٍّ إِلا المَهيمَنَ فانِ
أَفْانِ وَيُجمَعُ النُّيرانِ
كُلُّ أَمْرٍ وَيَسجُدُ الخافِقانِ

البعث والحساب

تَنْسِفُ الْأَرْضَ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانٍ
ضَمَّهُ التُّرْبُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ
بَعَثَتْهُ الرِّيحُ فِي الْوُدْيَانِ
قَادِرٌ غَيْرُ فَاطِرِ الْإِنْسَانِ؟
لَمْ يَفَكِّرْ فِي الرَّمْسِ وَالْأَكْفَانِ
زِينَتِهَا وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
أُنْكَرْتُهُ حِمَاقَةَ الطُّغْيَانِ
بَيْنَ لُجٍّ وَقَسْطَلٍ مِنْ دَخَانِ
وَيُنَادِي الْحَسَابُ: أَنْ أُوَانِي!
لِنَعِيمِ تُسَاقُ أُمَّ لَهْوَانِ
قَدْ أَحَاطَتْهُ أَلْسُنُ النَّيْرَانِ
وَالْمَسَاوِي تَمُرُّ بِالْأَذْهَانِ
وَافَتْ الْأَرْضَ مِنْ رِيَاضِ الْجِنَانِ
ضَمَّهُ الرُّوحُ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ
يَا ابْنَ حَوَاءَ آيَةَ الرَّحْمَنِ
جَاءَ لِلنَّاسِ بِالْهَدَى وَالْبَيَانِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَاسِعِ الْغُفْرَانِ

صِيحَّةٌ تَجْعَلُ الرُّوَاسِيَّ عَهْنًا
وَتُدَوِّيَ أُخْرَى فَيَحْيَا رُفَاتًا
نَخَرْتُهُ يَدُ الْبَلَى وَهَشِيمَا
مَنْ عَلَى رَجْعِهِ كَأَوْلِ خَلْقِ
كَانَ غُصْنَا غُصًّا فَتِيًّا رَطِيبًا
هَيْمَنْتُهُ عَلَى الثَّرَى خِيَلًا
سَوْفَ يُدْعَى إِلَى قِيَامٍ رَهِيْبٍ
يَوْمَ تَجْرِي الْأَجْسَادُ لِلْحَشْرِ حَيْرَى
يَوْمَ يَدْعُو كُلُّ امْرِئٍ: رَبِّ نَفْسِي!
فِي ذُهُولِ الْمَأْخُودِ لَمْ تَدْرِ نَفْسُ
مَوْقِفٌ حَاشِدٌ وَحَشْرٌ مَهِيْبٌ
يَقْذِفُ الرَّعْبَ فِي الْقُلُوبِ ارْتِجَافًا
يَجْمَعُ الْخَلْقَ مِنْذُ أَوَّلِ نَفْسٍ
لَمْ يُعَيَّبْ عَنْ عَرَضِهِ أَيُّ فَرْدٍ
هَذِهِ السَّاعَةُ الرَّهِيْبَةُ فَانظُرْ
قَدْ تَجَلَّتْ مِصْدَاقَ ذِكْرِ حَكِيمٍ
أَرْسَلْتَهُ لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا

حكمة البعث

آيَةُ الْبَعْثِ أَصْدَقُ النَّبْرَانِ
جَنَّةُ الْخُلْدِ أَوْ لَطَى النَّيْرَانِ
وَسَلَامٌ وَرَحْمَةٌ وَتَهَانِي
وَعُلُوهَا هَوَى مَعَ الشَّيْطَانِ
وَيُعَانِي عَوَاقِبَ الطُّغْيَانِ

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ وَهَذِي
كُلُّ فَرْدٍ فِي الْحَشْرِ لَا بُدَّ يَلْقَى
إِنْ يَكُنْ صَدَقَ الْكِتَابَ فَأَمَّنْ
وَالَّذِي أَنْكَرَ الْقِيَامَةَ كَبْرًا
سَوْفَ يَلْقَى الْعَذَابَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ

أهوال القيامة

كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ فِي الْكُتُبَانِ
قَذَفَتْهَا الْأَحْدَاثُ كَالطُّوفَانِ
حَمَلَهَا الْأَرْضُ وَأَخْتَفَى النَّيْرَانِ

ظُلُمَاتٌ تَعَثَّرَ الْخَلْقُ فِيهَا
أَوْ كَسَيْلٍ مِنَ الْجَرَادِ خِصْمٌ
رَجْفَةٌ دَكَّتِ الْجِبَالَ فَأَلْقَتْ

آيَةُ الْبَعثِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
بَيْنَ غَنَاءِ رَوْضَةٍ وَأَغْنِي
فَأَطَاعَتْ غَوَايَةَ الشَّيْطَانِ
وَرَمَاهَا فِي كَاذِبَاتِ الْأَمَانِي
بَيْنَ كَأْسِ الطَّلَا وَدَلِّ الْغَوَانِي
وَارْتَكَبْتُمْ مَا لَيْسَ فِي الْحُسْبَانِ
وَسَبَبْتُمْ بِحَسَنِيهَا الْفَتَانَ
وَأَنْصَرَفْتُمْ إِلَى الْمَتَاعِ الْفَانِي
فِي مَهَاوِي الْفُجُورِ وَالْعِصْيَانِ
نَبَذْتُمْ مَرَاحِمَ الْغُفْرَانِ
قَدْ بُعِثْتُمْ إِلَى الْمَصِيرِ الثَّانِي
كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَ الْأَصْغَرَانِ
وَسَلَامٌ وَرَحْمَةٌ فِي حَنَانِ
مَنْ عَذَابٍ وَنَقْمَةٍ وَهَوَانِ
عَنْ سِوَاهَا وَأَيْنَ يَهْرُبُ جَانٌ؟
وَلَهُ الْأَمْرُ وَحَدَهُ كُلُّ أَنْ
سَجَلَتْ فِيهِ صَادِقَاتُ الْبَيَانِ
طَوَّعَ شَيْطَانُهَا يَدَ الْإِنْسَانِ
قَدْرَةٌ نُزَّهَتْ عَنِ النِّسْيَانِ

صَدَقَ الْوَعْدُ فَانظُرُوا كَيْفَ تَمَّتْ
بَاغْتَنَكُمُ وَالنَّفْسُ تَمْرَحُ سَكْرَى
سَاقَهَا الطَّيِّسُ لَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي
حَبَبَ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ إِلَيْهَا
أَفْسَحَ الْمَالُ لِلْفَسَادِ مَجَالًا
فَتَنَّتْكُمْ أَمْوَالِكُمْ فَكَفَرْتُمْ
خَدَعْتُمْ بِسِحْرِهَا أُمَّ دِفْرٍ
فَشُغِلْتُمْ عَنِ الْحَقِيقَةِ جَهْلًا
وَعَمِيتُمْ عَنِ الْهُدَى وَانْطَلَقْتُمْ
وَكَفَرْتُمْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ حَتَّى
فَالَى الْمَوْقِفِ الرَّهِيْبِ هَلَمُوا
هَا هِيَ الْأَرْضُ أَخْرَجْتُمْ لَتُجْرَى
إِنْ تَكُونُوا مُصَدِّقِينَ فَأَمَّنْ
أَوْ تَكُونُوا مَكْذِبِينَ فَوَيْلَ
كُلِّ نَفْسٍ يُغْنِي لَهَا فِيهِ سَأْنٌ
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ النَّفُوسُ انْتِصَارًا
كُلُّ فَرْدٍ لَهُ كِتَابٌ شَهِيدٌ
قَوْلُهَا الْحَقُّ بِالَّذِي قَدَّمَتُهُ
لَمْ يُعَادِرْ صَغِيرَةً مَا حَوَاهَا

الجنة

وَهُوَ نَوْرُ الْأَفَاقِ وَالْأَكْوَانِ
وَاعْتَلَى الْعَدْلُ كِفَّةَ الْمِيزَانِ
بَارَكْتُهُمْ مَرَاحِمَ الْغُفْرَانِ
أَدْخَلُوهَا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ
بِخُلُودٍ فِي عَالِيَاتِ الْجِنَانِ
كُلُّ مَنْ فِي النِّعَمِ يُهْدَى التَّهَانِي
وَمَعَ الْحَقِّ لَا تَضِيْعُ الْأَمَانِي
وَجَلَالًا مِنَ الرَّضَى الرَّبَّانِي
عَبْقَرِيَّ النَّهْيِ عَظِيمِ الْجِنَانِ

كُلُّ شَيْءٍ غَيْرُ الْبَدِيعِ ظَلَامٌ
حَلَقَتْ هَيْبَةً فَأَشْرَقَ نَوْرٌ
وَتَلَا الذِّكْرَ خَلْفَهُمْ شُهَدَاءُ
تَلَكُمُ الْجَنَّةُ الَّتِي قَدْ وُعدْتُمْ
قَدْ صَبَرْتُمْ مُصَدِّقِينَ فَفُزْتُمْ
فَسَلَامٌ أَهْلَ الْيَمِينِ عَلَيْكُمْ
جَنَّةُ الْخُلْدِ زِينَتْ فَأَقِيمُوا
سَيِّدُ الْخَلْقِ بَيْنَكُمْ فَاصْ نَوْرًا
أَشْرَفُ الْمُرْسَلِينَ قَدْرًا وَجَاهًا

وحنانًا على بني الإنسان
يا نبيَّ الإسلام والإيمان

خَصَّهُ اللهُ بالشفاعةِ عَطْفًا
صلوات الإله تحبوك دومًا

قدرة الله

خَفَقَ القَلْبُ خَفَقَةً الحَيْرَانِ
زائغاتٍ في رَجْفَةِ الوَلْهَانِ
إذ تَجَلَّتْ مهابة الرحمن
نافذِ الأَمْرِ قاهرِ السُّلْطَانِ
وعليمٍ بما جَنَى التَّقْلَانِ
خالق الكون لم يَغِبْ عن مكانِ
سَرْمَدِيّ الجَلالِ والسُّلْطَانِ
مطلق الحُكْمِ لم يُشَارِكُهُ ثانٍ
منذ أَوْفَى على الثَّرَى الوالدانِ
جَلَّ وهابُها عن النسيانِ
في جلالٍ من دِقَّةِ الإِنْتِقَانِ
في جميع الآفاقِ والأَكْوَانِ
ويُدِيرُ الأفلاكَ في الدورانِ
وهو أَدْرَى بالخيرِ لِلإنسانِ
فيردُ الحياةَ لِلوَدِيانِ
ثم تبدو في سُنْدُسِ فِتانِ
في عقيقٍ ولؤلؤٍ وُجْمَانِ
من أريجِ الزهورِ والرَّيْحَانِ
كي يُوَدِّى فرائضَ الشُّكرانِ
س فحمدًا لِلْمُنْعَمِ المَنَّانِ
باسطُ الرزقِ دائِمُ الإحسانِ
صاحبُ الطولِ في عُلُوِّ الشَّانِ
يملاً الكونَ فَيَبِضُهُ الرِّبَّانِي
مُطَلِّقُ الحُكْمِ لم يشارِكُهُ ثانٍ
جَلَّ تشبيهه عن الحدَّانِ
دعوة الوامقِ الحزينِ العاني

بين رَهَبٍ وذِلَّةٍ وخشوعِ
وبدا الهَوْلُ والنواظرُ حَسْرَى
وجنَّ الناسُ كُلُّهم في خضوعِ
وَقَفَّ العَبْدُ في رِحابِ إلهِ
لم يَغِبْ عنه في السمواتِ شَيْءٌ
ملاً الأَرْضِ والسماءِ وجودًا
أبدِيّ يدبِّرُ الأَمْرَ فردًا
بين حرفين كلما شاء يقضي
قدرةً أَحْصَتِ الخلائقَ عَدًّا
رحمةً عَمَّ رزقها كُلَّ حَيٍّ
خبرةً أَبْدَعَتْ محاسنَ خُلُقِ
فيضُ عِلْمٍ ما دَرَّةٌ عنه غابَتْ
مَلِكٌ يَرُقُبُ الخلائقَ جمعاً
يَبْسُطُ الرزقَ للذي ساءَ جودًا
يرسلُ الماءَ فوقَ جرداءِ مَيِّتِ
فتموجُ الأَرْضُ اهتزازًا وتربو
تُخْرِجُ الحَبَّ والثمارَ وترهو
رَوَحاتِ النسيمِ تحملُ عبقًا
كُلُّ شَيْءٍ يَسْبُحُ اللهُ حَمْدًا
نِعَمٌ ساقها المهيمنُ لنا
أعجزَ الخَلْقَ عُدُّها فتعالَى
فاطرُ الأَرْضِ والسمواتِ فَرْدٌ
عالمُ الغيبِ والشهادةِ نُورٌ
نافذُ الأَمْرِ في جميعِ البرايا
غافرُ الدُّنْبِ قابلُ النَّوْبِ مَلِكٌ
كاشِفُ الضُّرِّ والبلاءِ مجيبٌ

أمطرتُهُ قهراً صرُوفَ الزمانِ
دَبَّرَتْهُ مظالمُ الإنسانِ
ويسوقُ الظُّلومَ لِلنَّيرانِ
أرحمُ الرَّاحِمِينَ رَحْبُ الحنانِ
ولمن خافَ مُنعمٌ بالأمانِ
خَيْرُ أَهْلِ اللِّغوِ والغُفرانِ
شاءَ ذاقوا عواقبَ الطُّغيانِ
في طريقِ الأعمالِ لِلإنسانِ

في دياجي الظلامِ يَرَحِمُ دمعاً
ويجيرِ الملهوفَ مِنْ هَوْلِ كَرْبِ
ويمدُّ المظلومَ مِنْهُ بِنَصْرِ
أحكَمِ الحاكِمِينَ كَنْزُ العطايا
واهْبُ العِزِّ لِلضعيفِ لِيَقْوَى
واسعُ الحِلْمِ لا يَعْجَلُ بِطُشَا
يُمهلُ الظالمينَ حتى إذا ما
لم يَدَعْ ذرَّةً تَمُرُّ هَبَاءً

الجحيم

أعْظَمَ الأجرِ في عِلا الرِّضوانِ
سَوفَ تُجْزى بما جَنَنْتَهُ اليَدانِ
يَوْمَ لم تُجِدِ رَفرَةً النَّدْمانِ
وزفيرُ الجَحيمِ في ثورانِ
في زفيرِ يروحُ بالأذانِ
حين تبدو ذاتُ الشَّوى للعيانِ
في جحيمٍ وظُلْمَةٍ من دُخانِ
أطلقَتْها زوايِعُ النيرانِ
وكفرتم بالواحدِ الدِّيانِ
وأطعتم غوايَةَ الشَّيطانِ

كل نفسٍ سيقَتْ إلى الخَيرِ تَلْقَى
والتي قادها إلى الشَّرِّ طَيْشٌ
جامعُ الناسِ والموازينِ قَسْطٌ
أَيُّ وَيْلٍ إذا الموازينُ خَفَّتْ
واستشاطت غضباءً وهي تُدوي
فَرَعٌ يملأُ الفؤادَ ارتجافاً
من حميمٍ تتسابُ فيها سيولٌ
وهوى المُجرِّمونَ بين رعودِ
فَهَلُمُّوا يا مَنْ ظلمتم وجرُّتم
إن هذا تصديقٌ ما قد كذَّبْتُم

المؤمنون في النعيم

للذي نال رُجْحَةَ الميزانِ
والتَّعاضِي عن المَتاعِ الفاني
ومَضاءٍ وعِفَّةٍ وَأمانِ
قَرَّبَتْهُ مَنوبَةُ الشُّكرانِ
عالياتٌ في خالِداتِ الجَنانِ
كاللَّالي ما بين حورِ حسانِ
من كريمِ الياقوتِ والمَرجانِ

كُلُّ حَظٍّ وكُلُّ فوزٍ عظيمٍ
باتِّباعِ الهُدَى وتَرْكِ المعاصي
خالِفِ النَّفْسَ بينَ عِزِّمِ وصَبْرِ
وأطاعِ الإلهَ طاعةً عبدِ
للذين اتقوا أَعَدَّتْ قِصورٌ
والفراديسُ زُيِّنَتْ ببُودِ
وبدارِ النعيمِ صُفَّتْ بيوتُ

غُرْفٌ تَحْتَ زَهْرِهَا الْمَاءُ يَجْرِي
 تَتَجَلَّى عَلَى الْأَرَائِكِ فِيهَا
 وَعَلَيْهِنَّ طَافَ وَلِدَانُ خُلْدٍ
 فِي أَبَارِيقَ مِنْ لُجَيْنٍ شَذَاهَا
 وَعَلَى الْجَانِبِينَ صُقَّتْ عَرُوشٌ
 رَصَعَتْهَا يَدُ الْعَطَاءِ بِدُرٍّ
 إِنَّ فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مَنَاعًا
 أَرْضُهَا سُندُسٌ يُعْطِيهِ زَهْرٌ
 رِيحُهَا عَاطِرٌ يَفِيضُ عَبِيرًا
 فَوْقَ فَيْحَائِهَا وَتَحْتَ الدَّوَالِي
 دَقَّقَتْ أَنْهَرٌ وَفَاضَتْ عُيُونٌ
 مِنْ سُلَافٍ وَمِنْ مَعِينِ فُرَاتٍ
 ثُمَّ تَجْرِي أُخْرَى بِدُرٍّ طَهُورٍ
 بَيْنَ طَيْبِ الزُّهُورِ تَجْرِي الْهُوَيْتَى
 لَمْ يُشَبَّهْ نَعِيمُهَا بِنَعِيمٍ
 نُورُهَا دَائِمٌ فَلَا لَيْلَ فِيهَا
 إِنَّ فِيهَا مَا تَشْتَهِي كُلُّ نَفْسٍ
 كُلُّ شَيْءٍ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ غَضٌّ
 كَيْفَ تَدْنُو يَدُ الْبَلْبَى مِنْ جَنَاهَا
 كُلُّ وَصْفٍ مَهْمَا تَسَامَى خَيَالًا
 رَحْمَةُ اللَّهِ قَدْ أَفَاضَتْ عَلَيْهَا
 وَأَعَدَّتْ هَذَا النَّعِيمَ جَزَاءً
 يَا نَعِيمَ الْجَنَاتِ رَحَّبْ وَبَارِكْ
 وَابْتَسِمْ يَا جَمَالَ وَاهْتَفْ سَلَامًا
 هَاهُمْ الْأَتْقِيَاءُ حَلُّوا كِرَامًا
 يَا عِبَادَ الرَّحْمَنِ هَا قَدْ بَلَّغْتُمْ
 مَالِكَ الْمُلْكِ إِنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ
 كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ حَمْدًا
 خَالِقُ الْخَلْقِ مِنْ ضِيَاءٍ وَنَارٍ
 عَرْشُهُ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ قَرِيبٌ

مِنْ نُضَارٍ وَمِنْ نَعِيمِ الْجُمَانِ
 حُورٌ عَيْنٍ مِنْ كَاعِبَاتِ قِيَانٍ
 بَشْرَابِ الْأَعْنَابِ وَالرَّمَانِ
 عَرَفَ مِسْكَ وَنَفْحَةَ الرَّيْحَانِ
 سُرُرٌ حَوْلَهَا الْقَطُوفُ الدَّوَانِي
 فَوْقَ وَشْيٍ مِنْ نَادِرِ الْعَقِيَانِ
 جَعَلَ الْمُتَّقِينَ فِي مَهْرَجَانِ
 يَنْشُرُ الطَّيِّبَ فِي رِيَاضِ الْجِنَانِ
 حَيْثُ مَالِ النَّسِيمِ بِالْأَغْصَانِ
 فِي مَرْوَجِ الْكَافُورِ وَالْأَقْحَوَانِ
 بَارَكْتَ نَبْعَهَا يَدُ الرَّحْمَنِ
 تَنْتَهَادِي الْأَنْهَارُ كَالْخَيْرَانِ
 لَمْ يُلَوِّثْ بِفَاسِدِ الْأَذْرَانِ
 أَنْهَرُ الشُّهُدِ فِي فَسِيحِ الْجِنَانِ
 كَانَ أَشْهَى أُمْنِيَّةِ الْإِنْسَانِ
 يَنْعَاثُ الْمَرْوَجُ وَالْأَفْنَانِ
 وَجَنَاهَا أَيَّانَ تَدْعُونَ دَانٍ
 وَرَطِيبٌ وَيَنْعُ كُلُّ آنٍ
 وَالَّذِي فِي الْخُلُودِ لَيْسَ بِقَانٍ
 فِي نَعِيمِ الْفَرْدُوسِ غَيْرُ الْعِيَانِ
 سَابِغَاتٍ مِنْ أَنْعَمِ الرِّضْوَانِ
 لَسَعِيدٍ قَدْ فَازَ بِالْغَفْرَانِ
 وَتَقَدَّمَ بِعَاطِرَاتِ التَّهَانِي
 وَتَأَلَّقَ فِي الْحُورِ وَالْوَلْدَانِ
 بَيْنَ فَيْضٍ مِنَ الرِّضَى وَالْأَمَانِي
 فَاشْكُرُوا مَنْ هَدَى إِلَى الْإِيمَانِ
 مَنْ لَهُ الْحَمْدُ غَيْرُهُ كُلُّ آنٍ
 أَبَدَ الدَّهْرِ خَيْفَةَ الرَّحْمَنِ
 وَتَرَابٍ فِي رَأْفَةِ وَحْنَانِ
 لَمْ يَغِبْ فَيْضُ نُورِهِ عَنْ مَكَانِ

صانعُ مُبدِعُ عليّمْ خبيرٌ
كلُّ حَيٍّ إلى علاه مَدِينٌ
خَلَقَ الشَّمْسَ فِي السَّمَاءِ سَرِاجًا
تَمَلُّ الأَرْضَ كُلَّ يَوْمٍ ضِيَاءً
تَحْمِلُ العَيْثُ من أَجَاجِ خِصْمٍ
فَوْقَ مَنَنِ الهَوَاءِ يعلو جليدًا
شَاءَ للأَرْضِ أَنْ تَموتَ وَتَحيا
كلما أَجَدِبْتَ سَفَاها سحابٌ
هكذا تَمَّ للحياةِ نِظامٌ
إنَّ للشمسِ في العنصرِ سرًّا
لو خبا نورها عن الأرضِ صارتُ
قدرةٌ حَبِرتْ عقولَ البرايا
أبدعتها يدُ المَهيمِنِ رِفْقًا
مُلهِمُ النفسِ والتدابيرُ تجري
فاز من بالتَّقَى أطاع ووفَّى
أنزلَ النُّورَ رحمةً وسلامًا
جاء بالحقِّ هاديًا وبشيرًا
فاض علمًا بالوحيِ صَدْرُ نَبِيٍّ
حَيْرُ نفسٍ حَلَّتْ بأشرفِ جسمٍ
أحمدُ المَجتَبى شفيعُ البرايا
جاهدَ المشركينَ بالسَّيفِ حتى

بالعُ صنْعُهُ ذُرَى الإِيتقانِ
بالغوالي من أنْعَمِ الإِحسانِ
وحياةً للعالمِ الحيواني
ووهيجًا كلْفَحَةَ النَّيرانِ
ثم تعلو بِذَرِّهِ كالدخانِ
طَوَدَ ماسٍ في صفحةٍ من جُمانِ
حكمةً جَدَدَتْ قُوَى العُمَرانِ
بمعينٍ من عَيْثِهِ الهَتَّانِ
يجعلُ الجِسمَ يانعَ الرِيعانِ
فَهَيَّ رُوحَ الحياةِ للأبدانِ
بَلَقَعًا قد خَلَا من السكانِ
غاب إدراكُها عن الأذهانِ
وحنانًا على بني الإنسانِ
محكماتٍ في عالمِ الأكوانِ
والذي صَلَّ باءَ بالخُسْرانِ
وشفاءً في مُحْكَمِ القرآنِ
ونذيرًا للشارِدِ الغفلانِ
عبقريِ النهى فصيحِ اللسانِ
خاتمِ المرسلينَ فَحَرُّ الزَّمانِ
هادمُ الكفرِ شائدُ الإيمانِ
دَمَرَ الحَقُّ دَوْلَةَ الأوثانِ

سبيل الإيمان

أَيُّها الناسُ آمِنوا وأطِيعوا
سَبِّحُوهُ مستغفرينَ وتوبوا
طَهَّرُوا النفسَ باجتتابِ المعاصي
واتقوا اللهَ رهبةً واشكروه
واستقيموا فَهُوَ الرِّقِيبُ عليكم

واذكروا اللهَ خيفةً كلِّ آنٍ
واستعيذوا به من الشيطانِ
واستزيدوا هُدْيًا من القرآنِ
أَنَّ هَدَاكُم لِنِعْمَةِ الإِيمانِ
وَمُحَالَ أَنْ يَخْتَفِيَ عنه جاني

وتفانوا في طاعة الرحمن
واحفظوه بالبرِّ والإحسانِ
واذكروا بطشَ صاحبِ السُّلطانِ
واستعينوا بالصبرِ والإيمانِ

وأسلكوا للهُدَى أعفَّ سبيلِ
واطلبوا الرِّزْقَ طيِّبًا وحلالًا
واجعلوا العَدْلَ إن حكمتُمُ شِعَارًا
وتواصوا بالحقِّ واسعوا كِرَامًا

ضعف ابن حواء

وحليفًا للسَّهْوِ والنَّسيانِ
طائرَ اللَّبِّ غارقًا في الأمانِ
وتزودتَ بالمتاعِ الفاني
كنتَ فيها فريسةَ الشيطانِ
كيف تنسى عُقْبَى المصيرِ الثاني؟
يا أبنَ حواءِ وقفةَ النَّدمانِ
بين كأسِ الطَّلا ودلِّ الغواني!
أمنًا من تَقَلُّبِ الأزمانِ
بين حالِ الوسنانِ واليقظانِ
في دياجِي القبورِ والأكفانِ
في جحيمِ من زَفْرَةَ الندمانِ
سَكَنَ اللَّهْوُ منكِ غَدَرَ الزمانِ
هكذا فاجرعي كَوْوسَ الهوانِ
فيه يُجْزَى المطيعُ بالإحسانِ
في نعيمِ أو في لَطَى النيرانِ
إذ ينادي الجمامُ أن أواني
فالبرايا جمعًا به سيَّانِ
وإذا حُمَّ فالمقدَّرُ دانِ
— أن فيها، ويسكنُ الخافقانِ
وهو كأسٌ لا بدَّ للظمانِ

يا أبنَ حواءِ قد خُلِقْتَ ضعيفًا
خَدَعَتْكَ الدنيا فأقبلتَ تلهو
قادكُ الجهلُ فارنكبتَ الخطايا
وتخبَّطتَ في دياجِي حياةٍ
يا أبنَ حواءِ كيف تتقادُ أعمى
كيف تصبو إلى الملاهي وترضى
قد فقدتَ النهى طروبًا تُعْنِي
لم تفكر في غيرِ دنياك يومًا
ينقضي العمرُ والشبابُ يُولِي
سِنَّةٌ كُلُّهَا الحياةُ وصحُو
يوقط النفسَ بين حربٍ وكَرْبٍ
إيه يا نفسُ قد تغافلتي حتَّى
لا اعتذارٌ ولا شفيعٌ يُرَجَى
فترة الأرض في الحياة اختبارٌ
وبدارِ البقاءِ تَحُلُدُ نفسُ
تُنْقَلُ النفسُ من حياةٍ لأخرى
إنه الموتُ لم يدعُ أيَّ حيٍّ
فإذا جاء أمرُه لم يُؤَخَّرُ
ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يُفقدُ الإنسانُ—
فهو بابٌ يجتازه كلُّ حيٍّ

غرور ابن حواء

أن من عَفَّ عاش في اطمئنانِ

يا أبنَ حواءِ دع غروركِ واعلمِ

وتباعد عن حمأة العدوان
وتسابق في البر والإحسان
للذي رام خالد البنيان
واجعل الحلم زائد الوجدان
واذكر الموت بين أن وأن
بضعاف العقول والإيمان
وانطلاق في كاذبات الأمان
شر نفس شقت عصا العصيان
لا تنزل عليكما لعنتان!

خالف النفس واجتنب كل شر
وافعل الخير ما استطعت وأصلح
واتق الله إنه خير زاد
وتواضع واصفح وسامح كريماً
وتوكل على المهيمن واصبر
إن كيد الشيطان يفتك فتكا
فتنة تملأ العيون جمالاً
خادع ماكر عدو لدود
لا تطع كيدته وخالفه حتى

مصير ابن حواء

زيئته مظاهر الهديان
سوف يبلى على يد الحدثان
حيث يغدو فريسة الديدان
وإلى التراب مرجع الإنسان
هي تراب وهو الوليد الفاني
فهي أم لكن بغير قران
وتجنب مصارع الأزمان
بجمال مبرج فتان
واستمالته مغريات الجسان
كيف ينجو من وثبة الثعبان؟
غرض للهموم والأحزان
منعنها الدنيا بأقصى الأمان
ومن العز للأسى والهوان
يا ابن حواء من صروف الزمان

يا ابن حواء باطل كل شيء
جسمك الغض هيكل من تراب
يتوارى تحت التراب بعد حين
وهشيما عظامه تتداعى
كل جسم مشى على الأرض فيها
أخرجته يسقى وخجلى طوته
إن هذي دنياك فاحذر أذاها
هي أفعى في ثوب حسناء تسعى
تنسب الناب في الذي نال منها
والذي كان لهوه بالأفاعي
هكذا الدهر صفوه مستحيل
ما صفا الدهر نصف يوم لنفس
من هناء إلى شقاء ودل
إن هذا كيد الليالي فحسبي

مطامع ابن حواء

زيئته مطامع الهديان
والأمانى خدعة الشيطان

يا ابن حواء باطل كل شيء
فالجمل الذي سبأك خيال

وَتَمَسَّكَ بِشِرْعَةِ الْقُرْآنِ
لَكَ نُورٌ مِنْ فَيْضِهِ الرَّبَّانِيِّ
فَهُوَ أَزْكَى مَا يَكْتُبُ الْمَلَكَانِ
وَقَرِيبٌ لِلْقَلْبِ وَالشَّرِيانِ
فَمَعَ اللَّهُ أَنْتَ فِي كُلِّ آنٍ
أَيُّ حَيٍّ فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
وَاقْتِدَارٍ وَرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
فِي طَرِيقِ الْهُدَى وَالْإِطْمِنَانِ
وَأَطِيعِي أَوْامِرَ الرَّحْمَنِ

هَدَّبَ النَّفْسَ لَا تَطْعَ مَا تَمَنَّتْ
وَتَفَكَّرَ فِي صُنْعِ رَبِّكَ بِيَدِي
وَإِذْكَرَ اللَّهُ مَا خَلَقْتَ كَثِيرًا
وَأَخْشَهُ إِنْ لَهَوْتَ فَهُوَ رَقِيبٌ
لَا تَقُلْ إِنْ خَلَوْتَ إِنِّي وَحِيدٌ
إِنَّ عَيْنَ الْإِلَهِ مَا غَابَ عَنْهَا
تَرْقُبُ الْخَلْقَ فِي جَلَالِ وَحَلْمٍ
أَيْنَ مِنْهَا الْمَفْرُ؟ يَا نَفْسُ سِيرِي
قَدِّمِي الْخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتِ وَتُوبِي

ضلال ابن حواء

وَعَلَى الْعَبْدِ وَاجِبُ الشُّكْرِانِ
مَطْمَئِنًا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانٍ؟
يَا ضَعِيفَ النَّهْيِ إِلَى الْخَسْرَانِ
فِي ضَلَالِ الْغُرُورِ وَالْعِصْيَانِ
مُسْتَحَقًّا لِنِقْمَةِ النُّكْرَانِ
فِي زَفِيرِ الْجَحِيمِ وَالنَّيْرَانِ
أَوْ تُعَاقَبُ بِالطَّرْدِ وَالْحَرْمَانِ

يَا أَيْنَ حَوَاءَ أَنْتَ اللَّهُ عَبْدٌ
كَيْفَ تَنْسَى فَضْلَ الْإِلَهِ وَتَمْشِي
لَمْ تَفَكَّرِ فِي غَيْرِ لَهْوٍ يُوَدِّي
قَدْ دَعَاكَ الشَّيْطَانُ فَانْقَدْتَ تَهْوَى
تُتَكَبَّرُ الْحَقَّ وَالْهُدَى كَبْرِيَاءَ
إِنْ مَثْوَى الْمُسْتَكْبِرِينَ خَلُودٌ
أَيُّهَا الْأَحْمَقُ الْجَهْلُ تَدْبُرُ

السماء والأرض

وَاحِدٍ فِي الْعُلَا وَفِي السُّلْطَانِ؟
مَطْلُقُ الْحُكْمِ مَبْدَعُ الْأَكْوَانِ
غَايَةِ فِي الْجَلَالِ وَالْإِتْقَانِ
لِلنَّظَامِ الْعَجِيبِ بِالْأَدْوَانِ
بَيْنَ مَهْوَى الشَّرَى إِلَى كِيَوَانِ
فِي مَدَارِ الْجُوزَاءِ وَالْمِيزَانِ
زُودَتْهَا بِنُورِهَا الرَّبَّانِيِّ
سَبَّحَتْ فِي الْعُلَا عَظِيمَ الشَّانِ
لَا حَظَّهَا عِنَايَةَ الرَّحْمَنِ

هَلْ لِهَذَا الْوُجُودِ غَيْرُ إِلَهٍ
أَمْرُهُ الْأَمْرُ لَمْ يُشَبَّهْ بِشَيْءٍ
دَبَّرَ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ بِصُنْعِ
رَتَّبَ النَّجْمَ وَالْبُرُوجَ وَأَوْحَى
سَابِحَاتِ تَشَقُّ جَوْفَ فِضَاءِ
خَاطِفَاتِ الْأَبْصَارِ كَالْبَرْقِ تَسْرِي
قَدْرَةُ اللَّهِ سَيَّرَتْهَا وَحَفْظًا
مِنْ بَدُورِ كَوَاكِبِ وَشَمُوسِ
تَقْطَعُ الْأَفْقَ فِي سَلَامٍ وَأَمْنِ

واجب الحمد ما بدا الملوان
إذ بناها قوياً البنيان
لارتباط الأفلاك بالأكوان
وهب الأرض سرعة الدوران

سَبَّحَ النَّجْمُ فِي السَّمَاءِ يُوَدِّي
تَمَّ أَمْرُ السَّمَاءِ سُبْحَانَ رَبِّي
خَلَقَ الْأَرْضَ جِذْوَةً مِنْ شَهَابٍ
وَدَحَاهَا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ دَحِيًّا

القمر

حول سيّارها وسرّ في أمان
—هـ عليها للّسارِبِ الوجلان
تتجلى في وجهه كلّ أن
وعلى الأرض يشرف الكوكبان
وحياة لعالم الحيوان
من دياجي الظلام كالطّيْلَسَانِ
صفحة النور من سيول الجمان
ويمدّ النبات بالألوان
مالك الملك واحد منان
لبقاء الحياة في عنفوان
غيوثاً من خيرها الهتان
ما يُنمّي جواهر الأبدان
بحنان لم يؤتّه الوالدان
وعلياً فوق الثرى يجريان
ومعاشاً كلاهما آيتان
تتجلى في إمرة السلطان
مشرقاً في الدجى على الأكوان
ألّبس الأرض حلة العمران
سخرتها رُحماً للإنسان
وذكاءً عن سائر الحيوان
وحباه مَوَاهِبَ العرْفانِ

ثم أوحى للبدر أن خذ مداراً
ومن الشمس خذ ضياءك فاعكس—
إن للبدر في خطاه بروجاً
هو يجري وكوكب الشمس يجري
آية الشمس في النهار ضياءً
وإذا الليل ألّبس الأرض سنراً
ظَهَرَ الْبَدْرُ فِي السَّمَاءِ فَأَلْقَى
نوره يملأ القلوب أنشراحاً
إن هذا النظام صنع إله
خلق الشمس رحمةً وحناناً
وأفاضت يد العطاء على الأرض
بعد تقدير قوتها أودعتها
نعمة الخالق الحكيم فأكرم
سخر الماء والهواء فراتاً
جعل الليل والنهار لباساً
جعل الشمس في النهار عروساً
وأحلّ البدر المنير مليكاً
إن للنيرين أكبر فضل
كلّ هذا آلاء ربّ قدير
ذلك الهيكل المفضل عقلاً
كرم الله خلقه واصطفاه

يا بَنِي الأَرْضِ إِنَّ لِلَّهِ مُلْكًا
 تَعْلَمُ الأَرْضُ والسَّمَاءُ مَدَاهُ
 قَبْضَةُ اللهِ تَجْمَعُ الأَرْضَ فِي يَمَنِ—
 هي ذات البروج سبْعُ طباقٍ
 رفعت سمكها بغيرِ عماد
 عِزَّةٌ تَجْعَلُ القُلُوبَ سُجُودًا
 حكمةٌ دَبَّرَ المَهِيمُنُ فيها
 تتراءى غيرَ الذي أبرمته
 شاءها الخالقُ الحَكِيمُ فَتَمَّتْ
 إنما اليُسْرُ ما أراد، وَقَدَمًا
 خِبرَةٌ أَتَقَنَ المَصوِّرُ فيها
 أَبَدَعَتْ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَوْحَتْ
 آيَةُ الصانعِ العَليمِ أَمَدَتْ
 لم تَدَّعِ كائِنًا بغيرِ حنانٍ
 هيبَةٌ خَرَّتِ الجِبَالُ لَدَيْهَا
 وَتَجَلَّتْ على الوجودِ جَمالًا
 حضرةٌ تَجْمَعُ العوالمُ طُرًّا
 كُلُّ مَنْ فِي الوجودِ بَيَّنَ يَدَيْهَا
 نَظْرَةٌ مَلؤها الحُنُوقُ وَحُلْمٌ
 رَافَةٌ عَمَتِ البرايا وَلَطفٌ
 سَجَدَ الكونُ للمَهِيمِنِ شُكْرًا
 يُخْرِجُ المَيِّتَ من سِلالَةِ حَيٍّ
 يبعثُ الخَلْقَ من دِياجِي قُبُورٍ
 بعثت ما بها العوادي وَقَدَمًا
 يأمرُ الشمسَ بالطوافِ مع البدرِ
 يجعلُ الماءَ من أَجاجِ مَعِينًا
 يُرْسِلُ الغَيْثَ هاطِلًا في الروابي
 عاصفاتُ الرِياحِ بالأمرِ تَجري
 تنتثي مَلقحاتٍ فَجَلَّتْ
 من بطونِ الثرى يَبَارِكُ ماءً

واسعَ الأفقِ بينِ قاصِ ودانٍ
 في سُمُوِّ الجَلالِ والسُلطانِ
 —اه تُطوي مسارِخَ الدورانِ
 كُلُّ يومٍ بديعها في شانٍ
 قوَّةُ القاهرِ العَزيزِ الباني
 في خُشوعٍ من هَيبَةِ الدَيانِ
 ما خبا نورُهُ عن الإنسانِ
 وَتُتَافِي ما قد بَدَأَ لِلعَيانِ
 طَبَقُ ما في صِحائفِ الأكوانِ
 خُطٌّ في اللُّوحِ ما انطوى في الجَنانِ
 ما توارى عن عبقريِّ البَيانِ
 فيه سرًّا من غَيبِها الرَبَّاني
 كُلُّ حَيٍّ ما بينِ إنسٍ وِجانِ
 من لَدُنْها أَكْرَمُ بهِ مِنْ حنانِ
 ساجداتٍ وَكَبَّرَ المَشْرِقانِ
 كُلُّ شَيْءٍ مُسَبِّحٌ بِلِسانِ
 تحتِ نِبراسِ نورِها الرَبَّاني
 يَطْلُبُ العَفْوَ والرِضى كُلُّ أَنْ
 في اِقْتِدارٍ وَهَيْبَةٍ في أمانِ
 قَدَسَتْهُ لِلحمدِ سَبْعُ مِثانِ
 وَجِلالًا وَكَبَّرَ الخافِقانِ
 وكذا الحَيِّ من رَميمِ فانٍ
 هَسَمَتْها تَقَلُّباتُ الزمانِ
 أورتها البلى يَدُ الجَدَثانِ
 جَميعًا في دورَةٍ يسبحانِ
 رَحمةً بالنباتِ والحيوانِ
 فَتَعَجُّ الأَنهارُ بالفيضانِ
 فَتَمِيدُ الأَغصانُ بالأغصانِ
 قَدْرَةُ الخالِقِ العَليِّ الشانِ
 يَحْمَلُ الطيباتِ لِلعُبدانِ

زَوَّدَتْهُ النُّعْمَىٰ عَنَّا صَرَ شَتَىٰ
مِنَ عَبِيرٍ وَمِنَ أَرِيحٍ زَكِي
سَكَرٌ مِّنْعَشٍّ وَشَهْدٌ شَهِي
نِعَمٌ أَبَدَعِ الْمَصَوِّرُ فِيهَا

وَأَمَدَتْ بِهِ جَنَىٰ النُّعْمَانِ
يَعْبِقُ الزَّهْرُ مُشْرِقَ الْأَلْوَانِ
وَسُلَافٌ مِّنَ طَاهِرَاتِ الدُّنَانِ
مَا تَنَاءَىٰ عَنِ فِطْنَةِ الْإِنْسَانِ

عالم الحيوان

ثُمَّ أَوْحَىٰ رَبُّ الْوُجُودِ إِلَيْهَا
نَسَجَ الْعَنْكَبُوتُ أَوْهَنَ بَيْتِ
وَإِلَى النَّحْلِ أَنْ أَعِدِّي بِيوتًا
وَاطْلُبِي الْقَوْتَ بَيْنَ مَاءٍ وَزَهْرٍ
وَاقْتَفِي بِلَسَمِ الدَّوَاءِ وَرُدِّ
وَإِلَى النَّمْلِ عَالِمِ الْفِطْنَةِ الْجَدِّ
أَمَهْرُ الْبَاحِثِينَ فِي الْأَرْضِ شَعْبًا
يَعْمَلُ النَّمْلُ دَائِبًا وَصَبُورًا
مَلْهَمَاتٌ قَدْ حَيَّرَ الْعَقْلَ فِيهَا
فِي بَطُونِ الثَّرَى يُعَدُّ بِيوتًا
حَوْلَ جُدْرَانِهَا بَنَى حُجْرَاتِ
صَالِحَاتٍ لِحَفِظِ مَا ادَّخَرَتْهُ
جَامِعَاتِ الْأَقْوَاتِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
عُرْفٌ أَبَدَعِ الْمَهْنَدُسُ فِيهَا
قَاهِرَاتٌ يَدَ الْبَلَى وَمَحَالٌ
إِنْ لِلنَّمْلِ فِي الْحَيَاةِ خِلَالًا
عَامِلٌ مَاهِرٌ مُطِيعٌ صَبُورٌ
أُمَّمٌ مَثَلَتْ أَدَقَّ نِظَامِ
يَنْتَقِي الْبَرْدَ فِي الشِّتَاءِ فَيَبْقَى
وَإِذَا مَا الرَّبِيعُ أَذَّنَ يَسْعَى
إِنْ وَحَى الْإِلَهَامَ أَفْضَى إِلَى النَّمِ—
يَعْرِفُ الْجَوَّ وَالْأَعَاصِيرُ فِيهِ
مِنْ رِيَّاحٍ وَمِنْ سَيُولٍ وَنَارِ
عَالَمِ النَّمْلِ آيَةَ الْجَدِّ فِي الْأَرْضِ

مَلْهَمَاتٌ أُعِيَتْ عُلُومَ الْبَيَانِ
شَادَهُ فِي الْوُجُودِ أَيْرُغُ بَانَ!
فِي أَعَالِي الرَّبَا وَفِي الْأَفْنَانِ
مِنْ ثَمَارِ بَدِيعَةِ الْأَلْوَانِ
بِهِ شِفَاءٌ شَهْدًا إِلَى الْأَبْدَانِ
وَرَمَزِ النِّشَاطِ وَالْإِتْقَانِ
وَحَلِيفِ النِّظَامِ وَالْعُمْرَانِ
فَوْقَ إِدْرَاكِ فِطْنَةِ الْحَيَوَانِ
أَكْسَبَتْ فَهْمَهُ قُوَى الْعِرْفَانِ
مَحْكَمَاتِ السَّاحَاتِ وَالْجُدْرَانِ
شَاهِدَاتِ بَخْبِرَةِ الْفَنَانِ
جَاهِدَاتِ بَحَاثَةِ الْوُدْيَانِ
مَا تَنَاهَا عَنْ عَزْمِهَا مَا تُعَانِي
أَحْكَمَ الْوَضْعِ كِي تَدُومَ الْمَبَانِي
أَنْ يَكِيلَ الْأَدَى لَهَا الْعَابِثَانِ
مَيَّرَتْهُ عَنِ عَالَمِ الْحَيَوَانِ
صَادِقُ الْعَزْمِ مَخْلَصُ الْإِيمَانِ
لِحَيَاةِ الشُّعُوبِ فِي الْعُمْرَانِ
بَيْنَ دِفْءٍ وَمَطْعَمٍ فِي أَمَانِ
طَالِبِ الرِّزْقِ جَاهِدًا غَيْرَ وَانِ
لِـ بِسْرٍ مِنْ نَفْحَةِ الْكَيْتَمَانِ
سَارِيَّاتٍ مَا بَيْنَ أَنْ وَانِ
لِاتِّقَاءِ الْأَدَى قُبَيْلِ الْأَوَانِ
فَسَبْحَانَ مُلْهِمِ الْحَيَوَانِ

عالم البحر

أودع البحر رحمةً منه رزقاً
سابحاتُ الأسماك تُكثِرُ نِكْرَ
أكل طيب طري شهِي
وحلي تألقت لامعات
لؤلؤ نادرٌ ودُرٌّ يتيّم
نعَم ساقها الخضم إلى النا
بارك الله مرّتع الحيّان
الله فيه ما سبّح الجاريان
فيه شتى الأنواع والألوان
بين أصدافها كلّمح الحسان
وعقود من فاتن المرجان
سِ بامرٍ من مُبدع الأكوان

عالم الطير

أمم الطير أكثرُ الخلقِ حمداً
ما تبدى نورٌ وغشى ظلام
إذ تهادى النسيم يحملُ شدوا
سبّح الطيرُ فيه ربّاً رحيماً
واحدٌ منعّم حليمٌ كريم
يرزقُ الطيرَ أينما حلّتِ الطيرُ
عالمُ الطيرِ في الوجودِ عجاب
ولكلُّ في علمِ الأرضِ نفع
من رسولٍ قد جاء بلقيسَ يدعو
أمن الجنِّ أم من الإنس؟ لا بل
هدهدٌ قد أحاطَ علماً بما لم
ملكٌ يأمرُ الرياحَ فتجري
خصّه اللهُ منطلقَ الطيرِ لَمّا
إنَّ يوماً تفقّدَ الطيرُ فيه
تاجُ بلقيسَ تاجِ قامعةِ الجنِّ
وسليمانُ ربُّ أكبرِ مُلكٍ
وقفَ الطائرُ الضعيفُ ذليلاً
يرتجي العفوَ والمليكُ غضوبٌ
لم تبرئهُ غيرُ أنباءِ قومٍ
عبَدوا الشمسَ عاكفينَ عليها

ما سهت لحظةً عن الشكران
ومع الكون كبر المشرقان
رجعته الآفاق بالأحان
قد تجلى باللطف والإحسان
غامر الخلق بالندى والحنان
بأقصى القفار والوديان
فهو رمزٌ للشاكرِ اليقظان
تلك آلاءُ قدرةِ الرحمن
ربة التاج ربة الصولجان
كان هذا من عالم الطيران
يعلم العاهل العظيم الشأن
ونبيّ دانت له التقلان
نال ملكاً غنى به النيران
فجرُّ ملكٍ قد ساسه تاجان
وذات الجلال والسلطان
جمَع الخلق بين إنسٍ وجان
في انكسارٍ ورجفةٍ وهوان
ويدُّ البطشِ سُخطها منه دان
قد تمادوا في الكفرِ والعصيان
واستجابوا لدعوة الشيطان

قبل أن تهتدي إلى الإيمان
رأت الحق ساطع البرهان
من تغنى بملكه الماضيان
أينما حلَّ حلق الفرقدان
أيقظت أهلها من الهديان
آية النور في جبين الزمان
ضارعات بالحمد والشكران
وأعالي الربا وفي الأفنان
سريان الأرواح في الأبدان
شكرات للواحد الديان

حكمتهم بلقيس في جبروت
وأتاها نور الهداية لما
واستقرت وعرشها بين أيدي
ملك المشرقين برا وبحرا
رحلة الهدد الأمين إليها
أنقذتهم من الهلاك فكانت
أمم الطير تذكر الله دوما
بين أوكارها وبين الدوالي
عاطرات التسبيح في الكون تسري
تملا الأرض والسماوات حمدا

عالم الهوام والحشرات

وتعالى مدبر الأكوان
لمدين بالشكر للديان
زاحفات ملآن كل مكان
دقة أعجزت فوى الإمكان
باقتدار المحيط بالأكوان
ن فيبدو من سبحها عالمان
ومقام مداه ليس بفان!
خادع حسنها كدوب الأمان
أبدى الحياة ليس بفان!
كل نفس في عزة أو هوان
منه صيغت هياكل الأبدان
ثم يئلى على ممر الزمان
بعثرت ذرها يد الحدان
في بطون الوهاد والوديان
في ظلام عنه اختفى النيران
من قديم الآباد والأزمان
من رفات تربا كدر الدخان
غير رب الصراط والميزان

جل من أمطر الخلائق رزقا
كل حي يمشي على الأرض هونا
في بطون الثرى وغاب الفيافي
أعجب الخلق صنعه وحياء
عالم الذر والبعوض شهود
كل هذي الأحياء تسبح في الكو
عالم زائل مداه قصير
تلك الدنيا الفناء دار اختيار
ما تقصت حتى تلاها خلود
تلك دار البقاء سيقت إليها
كل شيء فوق البسيطة تراب
ولكل عمر إذا تم يدوي
من هشيم ومن رفات عظام
طبقات تكدست فوق بعض
ودفين على بقايا دفين
وقبور ضاقت بأشلاء خلق
كل جسم يد البلى حوائه
من على عد ذرها ذو اقتدار

والسماواتِ وَرَدَّةً كالدَّهَانِ!
سِرَاعًا لم تَخْتَلِطْ ذَرَّتَانِ!
ما تَنَاءَى عِلْمًا عن الأذْهَانِ
قبل خَلْقِ الأرواحِ والجسْمَانِ
يَبْدُ لِلنُّورِ هَيْكُلَ الْإِنْسَانِ
قدرته إِرَادَةُ الرَّحْمَنِ
في إِمَامِ مُفْصَلِ النَّبِيَّانِ

بَاعِثِ الخَلْقِ في قِيَامِ رَهِيْبِ
سَتَقُوْمُ الأَجْسَادُ من عَالَمِ الذَّرِّ
فُدْرَةٌ أُوْدَعِ المُهَيْمُنُ فِيهَا
عِلْمُهُ قد أَحَاطَ بِالْكَوْنِ قَدَمًا
خَطَّ في اللُّوْحِ ما أَرَادَ وَلَمَّا
من سَعِيدٍ ومن شَقِيٍّ قَضَاءً
كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَاهُ عِلْمًا وَعَدًّا

عالم الوحش

من كَثِيْفِ الظَّلَالِ والأَغْصَانِ
من شِبَاكِ الجذوعِ والسِّيْقَانِ
أَمْنَاتٍ من وَطْأَةِ الْإِنْسَانِ
لأَحْظَنُهَا عَنَاءُ الرَّحْمَنِ
ضَارِيَاتُ السَّبَاعِ في اطمئنانِ!
في قِيَافِيهِ صَاحِبُ السُّلْطَانِ
مَلِكٌ قَادَ دَوْلَةَ الحَيَوَانِ
خُلِقَ الفَيْصَلُ الجَرِيءُ الجَنَانِ
وذئَابٍ وَأَرْقَمِ أفعوانِ
واقْتِنَاصًا في فَجَعَةِ النَّهْمَانِ

في مُرُوجِ الغَابَاتِ تحتِ شَعَارِ
وَبَجَوفِ الأَحْرَاشِ بَيْنِ سُدُولِ
يَسْكُنُ الوَحْشُ هَادِنًا في كُهُوفِ
لم تَتَلَّهَا يَدُ الأَدَى وَبِرْفَقِ
بَيْنَ أَجَامِهَا تَرُوحُ وتغْدُو
في عَرَبِينَ الأَسْوَدِ كُلِّ هَزْبِ
ضَيْغَمٌ بِاسِلٌ رَهِيْبٌ مَهِيْبٌ
قُوَّةٌ زَانِهَا حَنَانًا وَعِلْمًا
عَالَمُ الوَحْشِ من نَمُورٍ وَفُهْدِ
تلكَ أَكَالَةُ اللّٰحْمِ أَفْتِرَاسًا

عالم الأنعام

من بهيمِ الأَرَامِ والغُزْلَانِ
سَارِيَاتٍ في العُشْبِ والغُدْرَانِ
وَيُنَمِّي عِظَامَهَا بِالدَّهَانِ
تُغْذِي الضَّعِيفَ غَدْوَ السَّمَانِ
فَأُبَيِّدَتْ على مَرُورِ الزَّمَانِ
وسلامًا من ثُورَةِ العُدْوَانِ
يَحْفَظُ الأَمْنُ دَوْلَةَ العُمْرَانِ
يَصْبُغُ الأَرْضَ بِالنَّجِيعِ القَانِي

يَمَلَأُ الأُبَيْدَ حَوْلَهَا رَاتِعَاتِ
أَمْنَاتٍ شَرَّ انْقِضَاضِ الضُّوَارِي
تَأْكُلُ العُشْبَ وهو يَنْسُجُ لَحْمًا
إِنَّ أَجْسَامَهَا مِصَانِعُ لِلْحَمِ
مَرَّقَتْهَا شَرَاهَةُ الوَحْشِ ظُلْمًا
حَفَظَتْهَا وَقَايَةُ اللهِ لُطْفًا
لأَحْظَنُهَا عَيْنُ العَنَاءِ حَتَّى
في بِقَاعِ يَدُومٍ فِيهَا صِرَاعِ

أَرْضَ قِيَعَانَهَا مِنَ السُّكَّانِ
أَوْ يَحْسُ الْجَبْرُوتَ غَيْرُ الْجَبَانِ
سَرُّ نَفْسٍ تَمِيلُ لِلْعَدْوَانِ
بِاغْتِيَالٍ مُسْتَضَعَفَ الْحَيَوَانِ

لَوْ تَبَارَتْ فِيهَا الضَّوَارِي لِأَخْلَتْ
هَلْ يَجْبِرُ الضَّعِيفَ غَيْرُ قَوِيٍّ
يَمْلَأُ الْوَحْشُ رَهْبَةَ الْغَابِ دُعْرًا
شَرَسٌ يَسْفُكُ الدَّمَاءَ وَيُرْدِي

الأسد ملك الحيوان

حَارِسًا بَاسِلًا جَرِيءَ الْجَنَانِ
لَا يُبَالِي بِمُرْهَفٍ أَوْ يَمَانِي
أَسَدَ الْغَابِ هَيَبَةَ السُّلْطَانِ
خَيْرَ مَلِكٍ فِي دَوْلَةِ الْحَيَوَانِ
لِ مَهِيْبًا جَوَارُهُ فِي أَمَانِ
وَمَحَالٌ يَفْرُ مِنْ مَيْدَانِ
يَتَهَادَى فِي خِفَّةٍ وَاتِّزَانِ
وَقَلْبٌ يَحْبُوهُ فَيُنِضُ الْحَنَانِ
جَنَبَاتِ الْأَجَامِ وَالْوَدِيَانِ
لِيُتَوَلَّى عَنْ سَاكِنِ الْقِيَعَانِ
وَسَلَامًا فِي صَالِحِ الْعُمَرَانِ
مَلِكُ الْوَحْشِ حَامِلُ الصَّوْلَجَانِ

خَلَقَ اللَّهُ رَحْمَةً بِالضَّحَايَا
فَقِيصَلًا يَقْهَرُ الْوَحْشَ جَمِيعًا
قُوَّةً أَكْسَبَتْ مَلِيكَ الضَّوَارِي
ضَيَعَمًا قَاهِرًا وَلَيْثًا هَصُورًا
خَصَّهُ اللَّهُ بِالْبَسَالَةِ وَالنُّبْـ
لَا يُجَارِيهِ فِي الْمَبَارَاةِ خَصْمٌ
ثَابِتُ الْعِزْمِ فِي خُطَاهُ وَقُورًا
نَظْرَةً مَلُؤَهَا الرِّزَانَةُ وَالْجَلْمُ
وَرَزِيئِرٌ كَالرَّعْدِ قَدْ رَجَعْتَهُ
يَقْدِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الضَّوَارِي
جَعَلَ اللَّهُ سَطْوَةَ اللَّيْثِ أَمْنًا
حَارِسٌ سَاهِرٌ قَوِيٌّ أَمِينٌ

غفلة ابن حواء

أَكَّ عَنْ الْحَقِّ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ
وَبَصِيرٍ يِرَاكُ فِي كُلِّ أَنْ
فِي ظَلَامٍ مِنْ غَفْلَةِ النَّسِيَانِ
مُسْتَجِيبًا لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ
فَتَخَبَّطَتْ فِي دِيَاغِي الْأَمَانِي
لِلرَّقِيبِ الْمُهَيِّمِ الرَّحْمَنِ
وَعُرُورًا جَاهَرَتْ بِالْعِصْيَانِ
يَتَجَلَّى وَلَسْتَ بِالْوَسْنَانِ
قَدْرَةَ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ الشَّانِ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ كَيْفَ تُلْهِيكِ دُنْيَا
كَيْفَ تَنْسَى أَنْ الْإِلَهَ سَمِيعٌ
كَيْفَ تَنْسَى ذَكَرَ الرَّقِيبِ وَتَمْشِي
تُنْفِقُ الْعُمَرَ فِي الضَّلَالَةِ تَلْهُو
زَيَّنَتْ جَنْدُهُ إِلَيْكَ الْمَعَاصِي
أَنْكَرْتَ نَفْسَكَ الضَّعِيفَةَ فَضْلًا
وَضَلَلْتَ الْهُدَى فَأَعْمَاكَ طَيْشٌ
لَمْ تَرَ النُّورَ وَهُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ
أَيُّهَا الْغَافِلُ الْأَثِيمُ تَذَكَّرْ

تَكُ شَيْئًا فِي ذِكْرِيَاتِ الزَّمَانِ
أَبْدَعْتُهُ بِرَاعَةِ الْإِنْتِقَانِ
وَحَبَّتْكَ الْآلَاءُ بِالْإِحْسَانِ
ثُمَّ طِفْلًا مُطَهَّرَ الْأُرْدَانِ
مِنْ رَبِيعِ الْحَيَاةِ فِي رَيْعَانِ
مِنْ نَشَاطِ وَقْوَةٍ وَمِرَانِ
فِي مَسْبِيبِ مُهَدَّمِ الْأَرْكَانِ
سَابِحَ الذُّهْنِ فِي دُجَى الْأَحْزَانِ
كَانَ حُلْمًا فِي خَادَعَاتِ الْأَمَانِ
حَاسِرَ الْقَلْبِ مِنْ فَوَاتِ الْأَوَانِ
رَوْعَهُ الْبَيْنِ وَانْتِقَامِ الزَّمَانِ
فِي انْحِنَاءِ عَيْنَاهُ غَائِرَتَانِ
أَيُّهَا الْهَيْكَلُ الرَّمِيمُ الْفَانِي
كَيْفَ تُطَوِّى صَحِيفَةَ الْإِنْسَانِ
صَحْوَةَ النَّاسِ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي
الْجِسْمُ فِيهَا عَنْ أَعْيُنِ الْحَدَثَانِ

كَيْفَ سَوَّتْ مِنْكَ الْبَنَانَ وَلَمَّا
فَأَفَاضْتَ يَدَ الْمُصَوِّرِ حُسْنًا
أَلْبَسْتَنَّاكَ النُّعْمَى بِأَحْسَنِ خَلْقِ
نُطْفَةٍ كُنْتَ فِي الظَّلَامِ جَنِينًا
فَعُلَّمَا غَضَّ الشَّبَابِ فِتْنًا
يَصْعَدُ الْعَمَرَ سَلْمًا فِي سِرَاجِ
ثُمَّ يَخْبُو سِرَاجُهُ حِينَ يُمْسِي
دَبَّ شَيْخًا عَلَى الْعَصَا فِي اِكْتِنَابِ
طَارَدْتَهُ الْهَمُومُ بِيكِي شَبَابًا
يَتَمَنَّى لَوْ كَانَ يَرْجِعُ يَوْمًا
أَنْهَكَ الضَّعْفُ هَيْكَلًا هَسَمْتُهُ
شَبَّحَ أَشْمَطُ تَقْوَسَ ظَهْرًا
يَسْمَعُ الْأَرْضَ وَهِيَ تَدْعُوهُ: هَيَّا
أَنْ لِلتُّرْبِ أَنْ يَضُمَّكَ فَاَنْظُرْ
هَا هُوَ الْقَبْرُ مُسْتَقْرُّكَ حَتَّى
ضَجَعَةَ الْمَوْتِ رَقْدَةً يَتَوَارَى

دعوة الإيمان

لَمْ تُؤَيِّدْهُ دَعْوَةَ الْإِيمَانِ
وَشَفَاءَ فِي مُحْكَمَاتِ الْبَيَانِ
مِنْ كَلَامِ الْمُهَيِّمِينَ الرَّحْمَنِ
لِلدَّبْرَايَا شَرَائِعِ الْقُرْآنِ
جَاءَ حَقًّا بِمُعْجَزَاتِ الْبَيَانِ
لَمْ تُبَدِّلْ حَرْفًا يَدُ الْإِنْسَانِ
حُجَّةَ الْمُهْتَدِينَ طُولَ الزَّمَانِ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ بَاطِلٌ كُلُّ شَيْءٍ
أَنْزَلَ الْحَقُّ دَعْوَةَ الْحَقِّ نَوْرًا
فَصَلَّتْهُ آيَاتُ ذِكْرِ حَكِيمٍ
خَيْرِ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى بَيِّنْتُهُ
إِنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ
حَصَّنَتْهُ عَيْنُ الْعِنَايَةِ حَتَّى
أَبَدَ الدَّهْرِ سَوْفَ يَبْقَى كَرِيمًا

موسى عليه السلام

وَتَمَادَوْا فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
حَيْثُ بَاؤُوا بِالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ

بَدَّلَ الْعَابِثُونَ تَوْرَةَ مُوسَى
غَضِبَ اللَّهُ وَالْكَلِيمُ عَلَيْهِمُ

المسيح عليه السلام

حَرَّفَ الْمُفْتَرُونَ آيَ الْبَيَانِ
وَتَعَدَّى جَهْلًا عَلَى الْأَدْيَانِ
إِذْ أَحَسَّ الْمَسِيحُ بِالْعُدْوَانِ

وَبَسِطَ الْمَسِيحُ إِنْجِيلَ عَيْسَى
غَيَّرَ الْإِفْكَ حُجَّةَ الْحَقِّ مَكْرًا
وَيَحْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَهْدَ النَّصَارَى

وَهُوَ يَدْعُو لِلرُّشْدِ وَالْإِيمَانِ
أَحْبَطَ اللَّهُ فِتْنَةَ الشَّيْطَانِ
لَيْسَ إِلَّا ضَرْبًا مِنَ الْهَدْيَانِ
آيَةُ الْحَقِّ ظُلْمَةٌ الْبُهْتَانِ
حِينَ قَامُوا بِعَرْضِهِ لِلْعِيَانِ
وَبِهَذَا تَمَّتْ لَهُ آيَاتَانِ
فَهُوَ سِرٌّ مِنَ الْعُلَا الرَّبَّانِي
جَسَدًا فِيهِ سَبَحَ الْأَطْهَرَانِ
قَبَسَ النُّورِ فِي عِيُونِ الزَّمَانِ
كُلُّ حِزْبٍ بَدَأَ لَهُمْ فِي بَيَانِ
فِتْنَتُهُ الْعَابَثِينَ بِالْأَدْيَانِ
مَنْ سَنَا الرُّشْدَ وَالْهُدَى كَوَكْبَانِ
فِي سَعِيرٍ مُوجَّحِ النَّيِّرَانِ
بَيْنَ حَالِ الْوَسْوَانِ وَالْيَقْظَانِ
وَهُوَ يَدْعُو لِلشَّرِّ وَالْعِصْيَانِ
فِي شِبَاكِكَ مِنْ مُغْرِيَاتِ الْأَمَانِي
وَالْمَلْدَاتِ طُعْمَةُ النَّيِّرَانِ

يَوْمَ قَالَ الْمَسِيحُ: مَنْ أَنْصَارِي؟
دَبَّرَ الْآثَمُونَ كَيْدًا وَلَكِنْ
كَانَ صَلْبُ الْمَسِيحِ مِنْ قَوْمِ مُوسَى
ضَلَّ كَيْدُ الْيَهُودِ إِذْ سَوْفَ تَمَحَوُ
صَوَرَ اللَّهِ لِلْمَسِيحِ شَبِيهَا
هَكَذَا يُضَهِّرُ النَّضَارُ لِيَصْفُو
أَرْضُ كُونِي عَلَى الْمَسِيحِ حَرَامًا
سَوْفَ يَرْقَى إِلَى السَّمَوَاتِ حَيًّا
رَفَعَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْهُ عَيْسَى
بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ ضَلَّتْ يَهُودُ
وَتَفَشَّتْ فَوْضَى أَدَارَتْ رَحَاهَا
حَيَّمَتْ ظُلْمَةً تَحَجَّبَ فِيهَا
ظَلَّ دِيجُورُهَا الْمُضَلَّلُ حِينًا
حَبِطَ عَشْوَاءٌ يَضْرِبُ النَّاسَ فِيهِ
إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا
يُوقِعُ النَّاسَ خَادِعًا وَكَذُوبًا
يُدْفَعُ النَّفْسَ لِلْفُجُورِ فَتَشْقَى

محمد عليه السلام

أَعْلَنَ الصُّبْحُ دَعْوَةَ الْإِيمَانِ
صَدَعَتْهُ زَلَازِلُ الْهَدْيَانِ
أَرْسَلَتْهَا مَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ
مُحْكَمَاتُ الْآيَاتِ فِي الْفُرْقَانِ
مَا تَدَاعَى مِنْ طَاهِرِ الْبُنْيَانِ
سَيِّدِ الْخَلْقِ صَفْوَةِ الْإِنْسَانِ
حَصْنَتِهِ الْآلَاءُ بِالْقُرْآنِ
طَاهِرِ النَّفْسِ صَادِقِ الْإِيمَانِ
دَعْوَةُ الْحَقِّ عَقْلَةُ الْبُطْلَانِ
كَانَ مَجْدَ الْأَجْيَالِ وَالْأَزْمَانِ

مَا انْقَضَتْ فِتْرَةُ النَّحْبُطِ حَتَّى
وَتَبَدَّى نُورُ الْيَقِينِ بِأَفْقِ
وَتَجَلَّتْ شَمْسُ الْهُدَايَةِ لَمَّا
بَيَّنَّاتٍ مِنَ الْهُدَى فَصَلَّتْهَا
سَاقَهَا الرُّوحُ لِلْأَمِينِ لِيَبْنِي
فَاضَ بِالذِّكْرِ صَدْرُ أَحْمَدَ نُورًا
خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ خَيْرِ بَشِيرِ
كَانَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى فِي خُشُوعِ
أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي الْجِهَادِ لَتَعْلُو
فَأَحَلَّ الدِّينَ الْحَنِيفَ مَقَامًا

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ دُخْرٌ سِيَّيْقِي
 أَنْزَلْتُهُ السَّمَاءَ لِلنَّاسِ نُورًا
 يُرْشِدُ النَّفْسَ أَيْنَ تَبْنِي لِيَبْقَى
 أَبَدَ الدَّهْرِ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ
 قَدْ قَضَيْتُهُ إِرَادَةَ الدِّيَانِ
 مَا أَقَامْتُهُ خَالِدَ الْبُنْيَانِ

دَعْوَةُ الْحَقِّ فِي كِتَابِ كَرِيمٍ
 سَيَّرَتْ آيَةَ الْجِبَالِ وَأَحْيَتْ
 لَفْظَهُ مُحْكَمٌ عَنِّي فَصِيحٌ
 فَاضٌ مَجْدًا بِلَاغَةً وَتَسَامَى
 إِنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ
 لَمْ يُبَدَّلْ مِنْ آيَةٍ أَيْ حَرْفٍ
 رَاقِبْتُهُ عَيْنُ الْعَنَاءِ حِفْظًا
 هُوَ بَاقٍ كَمَا تَنْزَلُ حَتَّى
 لَمْ يُغَادِرْ مِنَ الشَّرَائِعِ شَيْئًا
 جَاءَ نُورًا لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
 نَاسِخًا قَبْلَهُ لِتُورَاةِ مُوسَى
 مُعْلِنًا لِلضِّيَاءِ دَعْوَةَ صُبْحٍ
 كَانَ نَبْرَاسُهُ عَلَى الْأُفُقِ طَهْ
 خَيْرَ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى أَرْسَلْتُهُ
 أُعْجَزَ الْخَلْقُ مَا حَوَى مِنْ بَيَانٍ
 سَمِعَ مَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ
 عَرَبِيٌّ الْمَبْنَى جَزِيلُ الْمَعَانِي
 فِي جَلَالٍ لَهُ أَنْحَنَى التَّقْلَانِ
 مَعْجَزُ الرَّأْيِ حِجَّةٌ فِي الْبَيَانِ
 هَكَذَا شَاءَ فَاطِرُ الْإِنْسَانِ
 وَأَنَارَتْ بِهِ فُؤَادَ الزَّمَانِ
 يُبْعَثُ الْخَلْقُ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي
 وَهُوَ سِرُّ الرُّقِيِّ وَالْعُمْرَانِ
 مُنْقِذًا مِنْ حَمَاقَةِ الطُّغْيَانِ
 وَلِيسْفِرَ الْمَسِيحِ بَعْدَ زَمَانٍ
 أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ عَلَى الْأَكْوَانِ
 مُرْسِلًا نُورَ دَعْوَةِ الْإِيمَانِ
 رَحْمَةُ الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ الْحَنَانِ

صَفْوَةُ الْأَنْبِيَاءِ بَدْرُ قُرَيْشٍ
 وَعَلَيْهِ صَلَّى الْإِلَهَ فَأَكْرَمُ
 هَاشِمِيٌّ أَسْرَى بِهِ الْحَقُّ لَيْلًا
 بَيْنَ حَقْلِ مِنَ الْمَلَائِكِ صَلَّى
 سِدْرَةُ الْمُنتَهَى وَقَدْ كَانَ مِنْهَا
 حُطْوَةٌ نَالَهَا شَفِيعُ الْبِرَايَا
 أَعْرَقَ الْخَلْقَ رُبَّةً وَمُقَامًا
 أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى رَفِيعُ الشَّانِ
 بِحَبِيبِ الْعُلَا وَحَيِّدِ الزَّمَانِ
 وَبِمَرْأَةِ كَبَّرَ الْمَسْجِدَانِ
 فِي جَلَالٍ مِنْ نِعْمَةِ الرِّضْوَانِ
 قَابَ قَوْسَيْنِ سَارِعَتْ لِاحْتِضَانِ
 لَمْ يَنْلَهَا مِنَ النَّبِيِّينَ تَانِ
 خَيْرُ نَفْسٍ مَا شَاعَلَتْهَا الْأَمَانِي

فاض لَأَلَاؤُهُ عَلَى الْأَكْوَانِ
قَبْلَ خَلْقِ الْمَرِيخِ وَالْمِيزَانِ
أَيَّدَتْهُ السَّمَاءُ بِالْقُرْآنِ
أَكْبَرَتْهُ مَدَارِكُ الْعِرْفَانِ
وَحَبَّأَهُ فَصَاحَةَ النَّبِيَّانِ
كَانَ هَوْلًا لَوْ حَلَّ بِالْأَبْدَانِ

جَوْهَرٌ خَالِصٌ بِنَيْمٍ نَقِيٍّ
خُلِقَتْ رُوحُهُ الشَّرِيفَةُ نُورًا
مَنْ كَطَهُ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِرَايَا
عَنْ شَدِيدِ الْفُؤَى تَلَقَّنَ عِلْمًا
خَصَّهُ اللَّهُ بِالرِّضَى وَاجْتِنَابَهُ
جَاءَ لِلنَّاسِ مِنْ عَذَابٍ

جهاد الرسول عليه السلام

وَيُعَانِي مِنَ الْأَدَى مَا يُعَانِي
وَأَبِيدَتْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ
فِي ثَبَاتِ دَعَائِمِ الْإِيمَانِ
جَاهَدُوا مَخْلُصِينَ لِلرَّحْمَنِ
طَهَّرُوا الْأَرْضَ مِنْ أَدَى الْكُفَّانِ
شَمْسُهُ الْأَرْضَ فَازْدَهَى الْمَشْرِقَانِ
وَخُضُوعٍ وَكَبَّرَ النَّيِّرَانِ
صَلَوَاتٍ تَزْكُو بِكُلِّ لِسَانٍ
لَمْ يُكْرَمْ بِهِ رَسُولٌ ثَانٍ
وَأَبْعَثِي النُّورَ مُشْرِقًا بِالْأَمَانِي
فَنَزَّوَدَ مِنْ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ

ظَلَّ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ
جَاهِدَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى هَدَاهُمْ
فَوْقَ أَنْقَاضِ جَهْلِهِمْ كَانَ بَيْنِي
بَيْنَ صَحْبٍ مُصَدِّقِينَ كِرَامٍ
حَارَبُوا الْكُفْرَ وَالضَّلَالََةَ حَتَّى
وَتَجَلَّى الدِّينَ الْحَنِيفُ وَعَمَّتْ
سَبَّحَ الْكُورُ رَبَّهُ فِي خُشُوعٍ
وَتَسَامَتِ كَنْفَحَةُ الْمِسْكِ تَسْرِي
حَامَلَاتٍ إِلَى النَّبِيِّ سَلَامًا
كَبَّرِي يَا بُدُورُ مِنْ كُلِّ بُرْجٍ
نِعْمَةُ اللَّهِ بِابْنِ حَوَاءَ تَمَّتْ

ظلم ابن حواء

وَجَمَالُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ فَإِنْ
لَمْ تُفَكَّرْ فِي وَاجِبِ الْإِنْسَانِ
مُسْتَفْزِرًا سَرَاهَةَ الْحَيَوَانِ
بِعَوَادِي تَقَلُّبَاتِ الزَّمَانِ
فِي دَيَاجِي الْفُسَادِ وَالْعِصْيَانِ
بَيْنَ عَيْنَيْكَ خَلَّةَ النَّسْيَانِ
فِيهِ قَادَتُكَ لُدَّةُ النَّشْوَانِ
عَنْ مَخَازِيكَ مُغْمَضِ الْأَجْفَانِ

يَا ابْنَ حَوَاءَ أَنْتَ غِرٌّ خَصِيمٌ
سَاقَكَ الطَّيْسُ فَاَنْطَلَقْتَ جَهُولًا
فَنَهَالَكْتَ فِي أَفْتِنَاصِ الْمَلَاهِي
تَسْتَحِلُّ الْحَرَامَ غَيْرَ مُبَالٍ
وَتُبِيحُ الْفُجُورَ نَشْوَانَ تَهْوَى
وَكَأَنَّ الشَّيْطَانَ غَاوِيكَ أَلْقَى
فَاسْتَبَقْتَ الْخُطَى تَجُوبُ ظِلَامًا
طَائِرَ اللَّبِّ سَابِحًا فِي خِيَالِ

أَحْمَقُ أَرَعَنْ شَقِيَّ ظُلُومٍ
لم تُفَكِّرْ في غير لَهْوِكَ يَوْمًا
وَلَيَالٍ سَبَبَتْكَ فِيهَا عَيُونُ
قد أَعَدَّ الشَّيْطَانُ فِيهَا شِبَاكًا
سَلَبَتْكَ النِّهْيَ فَقَادَكَ أَعْمَى
رَبَّيْنَتُهُ لِلْغَافِلِينَ الْمَلَاهِي
مُغْرِيَاتُ الْأَهْوَاءِ تَلْعَبُ دَوْرًا

دُنْيَوِيُّ الْهَوَى كَذُوبُ الْأَمَانِي
بين خمرٍ وبين غِيْدِ حَسَانِ
خَادَعَاتُ بِسِحْرِهَا الْفَتَانَ
مُحْكَمَاتٍ مِنْ كَيْدِهِ الْخَوَانَ
في طَرِيقِ مُهَدَّمِ الْبُنْيَانِ
وَأَحَاطَتْهُ خَادَعَاتُ الْأَمَانِي
كَأَدِّ فِيهِ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ

قصر الحياة والأمل

أَيُّهَا الْغَافِلُ الْجَهُولُ تَتَبَّهْ
سِنَةٌ كُلُّهَا حَيَاتُكَ مَهْمَا
أَيُّهَا الْأَحْمَقُ الظُّلُومُ تَدَبَّرْ
كُلُّ شَيْءٍ تَصُبُّو إِلَيْهِ خِيَالُ
أَيُّهَا الْجَا حِذْ الْكِنُودُ تَذَكَّرْ
دَعْ مَلَاهِيكَ سَاعَةً وَتَفَكَّرْ
أَيَّنْ مِنْهُ الْمَفْرُ وَهُوَ مُحِيطٌ
حَاضِرٌ شَاهِدٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

وَتَبَقَّظْ مِنْ غَفْلَةِ الْوَسْنَانِ
طَالَ عَهْدُ اتِّصَالِهَا بِالزَّمَانِ
وَأَكْبَحِ النَّفْسَ عَنْ هَوَى الْعِصْيَانِ
وَسِنِي الْأَفْرَاحِ فِيهِ تَوَانِ
كَيْفَ سَوَّاكَ خَالِقُ الْأَكْوَانِ
فِي جَلَالِ الْمُهَيِّمِينَ الرَّحْمَنِ
بِالْبِرَايَا جَمْعَاءَ فِي كُلِّ أَنْ
مَا نَأَى فَيَبُضُّ نَوْرَهُ عَنْ مَكَانِ

يقظة القلب

أَيُّمَا كُنْتَ فَالْإِلَهِ قَرِيبٌ
كُلُّ جِسْمٍ يَنَامُ إِلَّا شَهِيدًا
إِنَّهُ الْقَلْبُ يَا أَبْنَ آدَمَ فَاعْجَبْ
صِلَةُ النُّورِ بَيْنَ عَبْدٍ وَرَبِّ
لَمْ تَغِبْ لِحِظَةٍ عَنِ الذِّكْرِ نَجْوَى

عَالِمٌ سِرًّا مَا أَنْطَوَى فِي الْجَنَانِ
يَذْكُرُ اللَّهَ خَافِقًا بِلِسَانِ
لِمَلَائِكِهِ قَدْ حَلَّ فِي شَيْطَانِ
نِعْمَةٌ سَاقَهَا عَظِيمُ الْحَنَانِ
أَصْغَرَ يَهُ، فَوَادِهِ وَاللِّسَانِ

تسبيح الخلائق

كُلُّ شَيْءٍ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ حَيًّا
أُمَّمٌ أَوْدَعَ الْمُهَيِّمِينَ فِيهَا
شَاكِرَاتٍ لِأَنْعُمِ اللَّهِ دَوْمًا

أَوْ نَمًا فِي مَرَاتِبِ الْحَيَوَانِ
مُلْهَمَاتٍ مِنْ فَيْضِهِ الرَّبَّانِي
ذَاكِرَاتٍ لِآلَاءِهِ كُلِّ أَنْ

خالقِ رازقِ عظيمِ الحنانِ
عالمِ الظلمِ عالمِ الإنسانِ
بين كأسِ الطلأِ ودلِّ الغواني
أبعدَ الرُّشدِ عن مدَى العِرفانِ
كلَّ كَيْدٍ يدعو إلى العِصيانِ
فاستباحَتْ رذيلةَ العُدوانِ
في الحياتينِ زفرةَ النَّدمانِ
بين حالِ الوسنانِ واليقظانِ
ومَتاعِ مهما تَفَاخَرَ فانِ
من جمالِ طلاؤه من دُخانِ
في فُرُونٍ مرَّتْ كَمَرُّ الثَّواني
طال يُقْضَى في غَفْوَةِ الوسنانِ
لم نُغَيِّبْ عن وِرْدِهَا شَفْتَانِ
قد قَضَاهُ المحيطُ بالأكوانِ
من قديمِ الآبادِ والأزمانِ
وبِأَمِّ الكتابِ أصلُ البيانِ
قد تَجَلَّى في الجَدِّي والسرطانِ
أَلَمَعَ النابِهينِ في العِرفانِ
عن شِيبِهِ وعن حُدُودِ المكانِ
ما به دَرَّةٌ بَغَيْرِ لِسَانِ
شاكِرَاتٍ لِأَنْعَمِ الرَّحْمَنِ
في قلوبِ تَفِيضِ بالإيمانِ
وَسِيحْطَى المُطِيعِ بِالْغُفْرَانِ
مُطْمَئِنًّا في عَزْلَةٍ وَأَمَانِ
حافظًا وافيًا عظيمِ الحنانِ
قد تَجَلَّى في نَضْرَةِ الرَّبِّيعَانِ
تَنَوَّالِي بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
أَوْهَنْتُ عَظْمَهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ
ضَمَّهُ الرُّوحُ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانِ

أَلْسُنٌ سَبَّحَتْ بِذِكْرِ إِلِهِ
تلك شَتَى عَوَالِمِ الأَرْضِ إِلا
نَسِي اللهُ وَهُوَ نَشْوَانُ يَلْهُو
فَتَنَّتْهُ الدُّنْيَا وَالْهَاهُ غَاوِ
زَيْنَ الفِسْقِ وَالْفجورِ وَأَمَلِي
هَيَّأَ النَّفْسَ لارتكابِ المعاصي
مَنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ لَأَ بُدَّ يَلْقَى
تَنَقَّصَى دُنْيَاهُ يَوْمًا فَيَوْمًا
زُخْرُفٌ خَادِعٌ وَصَفْوٌ كَذُوبِ
مُشْرِقَاتٍ أَعَارَهَا الوَهْمُ ثُوبًا
مَرَّ طِينًا كَلْمَحَةَ البُرْقِ يَسْرِي
إنه العَمْرُ يا أَبْنَ آدمِ مهما
يُخْتَمُ العَمْرُ بالردى وهو كَأْسِ
فإِذَا حُمَّ لا مَرَدًّا لِأَمْرِ
خَطَّ في اللُّوحِ ما قَضَى للبرايا
يُنْبِئُ اللهُ ما يَشَاءُ وَيَمْحُو
هكذا كُنْتَ يا أَبْنَ آدمِ نورًا
قُدْرَةٌ أَعَجَزَ التَّفَكُّرُ فِيهَا
قُدْرَةٌ الواحِدِ المُنَزَّهِ حَقًّا
صاحبُ الأَمْرِ وَحَدَهُ في وُجُودِ
تملأُ الأَرْضُ وَالسَّمَوَاتِ حَمْدًا
إِنَّ ذِكْرَ الإِلهِ يُرْسِلُ نورًا
أَكْثَرَتْ ذِكْرَ رَبِّهَا فَاطْمَأَنَّتْ
يا أَبْنَ حِوَاءَ مَنْ رَعَاكَ جَنِينًا
وَتَوَلَّكَ بِالعِنايةِ طِفْلًا
وَأَمَدَّ الشَّبَابَ مِنْكَ بِعِزِّمْ
وَإِذَا ما ضَعُفْتَ أَوْلَاكَ نُعْمِي
تلك آلاؤه وقد صِرْتَ شَيْخًا
عَمَّ فَيَاضَ رِزْقِهِ كُلَّ حَيٍّ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ مَنْ أَمَاتَ وَأَحْيَا
 يَبْعَثُ الْأَرْضَ كُلَّ عَامٍ فَتَحْيَا
 تُنْبِتُ الْحَبَّ وَالنَّمَارَ وَتَرْهُو
 يَمْزِجُ الْمَاءَ وَهُوَ يَجْرِي حَثِيثًا
 كُلُّ شَرِبٍ لَهُ مِذَاقٌ وَطَعْمٌ
 فَيُنِضُ عِلْمَ الْحَكِيمِ رَبِّ الْبَرَايَا
 لَمْ يَدْعُ ذَرَّةً عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
 مَالِكُ الْمُلْكِ نَافِذُ الْأَمْرِ فَرْدٌ
 خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِتُجْزَى
 وَيُنَالُ الْقِصَاصَ كُلُّ أَثِيمٍ
 كُلُّ شَيْءٍ خَلَا مِنَ الْمَاءِ مَيِّتٌ
 أَطْلَقَ الرِّيحَ زَعَزَعًا وَرُخَاءً
 مُنْعَشَاتٍ لَوَافِحًا تَنْتَهَادِي
 وَهَبَ الشَّمْسَ قُوَّةً فَأَضَاءَتْ
 تُرْسِلُ الثُّورَ مِنْ بَعِيدِ مَدَاهَا
 يَمَلَأُ الْأَرْضَ بِهَجَّةٍ وَحَيَاةٍ
 تِلْكَ أُمُّ الْقُوَى وَمَا الْأَرْضُ إِلَّا
 هِيَ أُمُّ وَالْأَرْضُ لِلشَّمْسِ بِنْتُ
 جَذَبَتْهَا يَدُ الْأُمُومَةِ حَتَّى
 وَهِيَ تَهْوِي كَالْبَرْقِ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ
 وَاسْتَوَتْ فِي مَدَارِهَا وَهِيَ تَجْرِي
 أَطْفًا اللَّهُ سَطَحَهَا وَدَحَاهَا
 دَارَتِ الْأَرْضُ فِي اتِّزَانٍ وَأَمْنٍ
 تَمَّ لِلشَّمْسِ فِي السَّمَاءِ نِظَامٌ
 يَجْمَعُ الْأَرْضَ فِيهِ وَالْبَدْرَ يَجْرِي
 عَالَمُ الشَّمْسِ أَبْدَعُ الْخَلْقِ صُنْعًا
 وَلَدَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَأَجْرَى الْمَاءَ
 وَأَمَدَّ النَّبْتَ الْبَهِيحَ بِرُوحٍ
 وَأَطَارَ الرِّيَّاحَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

وَأَقْتَدَارًا أَحَاطَ بِالْأَكْوَانِ
 بَعْدَ مَوْتِ بَهِيجَةِ الْأَغْصَانِ
 فِي بَسَاطِ مَرْصَعِ الْأَلْوَانِ
 فِي جُذُوعِ النَّبَاتِ بِالْأُدْهَانِ
 قُدْرَةٌ أَعْجَزَتْ قُوَى التَّنْبِيَانِ
 مَا بَدَا نُورُ سِرِّهِ فِي جَنَانِ
 ضَمَّهَا عِلْمُهُ بِأَجْلَى بَيَانِ
 كُلُّ يَوْمٍ سُلْطَانُهُ فِي شَانِ
 طَيِّبَاتِ الْأَعْمَالِ بِالْإِحْسَانِ
 لَمْ يُصَدِّقْ بِدَعْوَةِ الْإِيمَانِ
 فَهُوَ سِرُّ الْحَيَاةِ لِلْأَبْدَانِ
 وَجَنُوبًا وَشَمَالًا تَجْرِيَانِ
 حَيْثُ مَالِ النِّسِيمِ بِالْأَغْصَانِ
 فِي فَجَاجَاتِ عَالَمِ الدَّوَرَانِ
 بِشِعَاعٍ يَفِيضُ فِي الْأَكْوَانِ
 وَيُنْمِي عَنَاصِرَ الْأَبْدَانِ
 جَمْعُ ذَرٍّ مِنْ جُرْمِهَا النَّيِّرَانِ
 وَبِسِرِّ التَّكْوِينِ تَتَّصِلَانِ
 لَمْ تَهْتَدِ بِطَارِيءِ الْحَدَثَانِ
 فِي نِظَامِ الْجُذْيِ وَالسَّرَطَانِ
 وَعَلَيْهَا قَدْ أَشْرَقَ النَّيِّرَانِ
 وَحَبَاهَا الْأَوْتَادُ مِنْ صَفْوَانِ
 وَجَمَالٍ يَحْفُهَا الْقَمْرَانِ
 أَبْدَعَتْ سَيْرَهُ يَدُ الْإِتْقَانِ
 يَمَلَأُ اللَّيْلَ لَأَلًا مِنْ جُمَانِ
 سَخَّرَتْهُ الْآلَاءُ لِلْإِنْسَانِ
 غَيْثًا مِنْ هَاطِلِ هَتَّانِ
 أَكْسَبَتْهُ الْحَيَاةَ فِي عُفْوَانِ
 كِي يَعْمَ الْهَوَاءُ كُلَّ مَكَانِ

وَأَبَادَ الْوَهِيْجُ كُلَّ كَرِيْهِ
طَهَّرَ الْأَرْضَ وَالَّذِي دَبَّ فِيهَا
لَوْ تَوَارَتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ يَوْمًا
يَا أَبْنَ حَوَاءَ كوكبِ الشَّمْسِ عَيْدُ
هُوَ يَرْبُو عَنْ كوكبِ الْأَرْضِ جِرْمًا
شَقَّ جَوْفَ السَّمَاءِ كَالْبَرْقِ يَجْرِي

في قبضة الله

مِنْ حَبِيْثِ الْأَدْرَانِ وَالذِّيْدَانِ
وَأَمَدَّ الْحَيَاةَ بِالرِّيْعَانِ
كُلُّ شَيْءٍ نَمَا عَلَى الْأَرْضِ فَإِنْ
سَيَّرْتَهُ إِرَادَةَ الرَّحْمَنِ
فَوْقَ عَدِّ الْمَلِيُونِ فِي الْحُسْبَانِ
فِي مَدَارٍ يَحُدُّهُ الْأَبْعَدَانِ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ أُمُّكَ الْأَرْضُ أَدَّتْ
جَاءَتْ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ طَوْعًا
سَابَحَاتِ الْأَفْلَاكِ فِي كُلِّ بُرْجٍ
سَيَّرْتَهَا يَدُ الْعِنَايَةِ لَطْفًا
بِاسْمِ رَبِّ السَّمَاءِ كَالْبَرْقِ تَجْرِي
فُذْرَةُ الْخَالِقِ الْعَلِيمِ تَعَالَى
فَلَكَّ دَائِرٌ بِأَبْهَى نِظَامٍ
شَاكَرَاتُ أَجْرَامِهِ فَضَلَ رَبُّ
صَانِعُ مُبْدِعُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
حَاضِرٌ شَاهِدٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
لَمْ يُكَيِّفْ وَلَمْ يُشَبِّهْ بِمِثْلٍ
كَانَ فَرْدًا وَلَمْ يَكُنْ تَمَّ شَيْءٌ
بَدَأَ الْخَلْقَ وَالْعَوَالِمَ دَرًّا
رَافِعًا سَمَكَهَا بِغَيْرِ عِمَادٍ
رَيَيْنَتْهَا كَوَاكِبُ لَامِعَاتٍ
كَالدَّرَارِيِّ تَطَوَّفُ فِي كُلِّ بُرْجٍ
سَارِيَّاتٍ ثَوَابِتٍ مَشْرِقَاتٍ
تَلْكَ سَبْعَ مُحَلَّقَاتٍ طِبَاقٍ
وَالِى الْأَرْضِ وَهِيَ جَرْدَاءُ قَحْلٌ
مِنْ أُجَاجٍ أُجْرَى فُرَاتًا مَعِينًا
أَنْزَلْتَهُ مِنَ السَّمَاءِ سُيُولٌ
صَيَّرَ التُّرْبَ وَهُوَ يَنْسَابُ طِينًا

طَاعَةَ الْعَبْدِ لِلنَّدَا الرَّبَّانِي
حِينَ نَادَى مُسَيِّرُ الْأَكْوَانِ
تَذَكَّرُ اللَّهُ خَيْفَةً كُلَّ أَنْ
وَحَبَّتْهَا بِفَيْضِهَا النُّورَانِي
كُلُّ نَجْمٍ يَدُورُ فِي حُسْبَانِ
كُلُّ يَوْمٍ تَدْبِيرُهُ فِي شَانِ
رَبَّتَتْ عَقْدَةً يَدُ الرَّحْمَنِ
قَدْ حَبَّأَهَا بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ
مُعْجِزٌ وَصَفُهُ قُوَى الْعِرْفَانِ
وَمُحَالٌ إِدْرَاكُهُ بِالْعَيَانِ
أَبْدِيٌّ لَمَّا يَغْبُ عَنْ مَكَانِ
تَمَّ خَلْقًا فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
وَالسَّمَوَاتِ شَادَهَا مِنْ دُخَانِ
جَلَّ شَأْنًا وَعِزَّةً خَيْرٌ بَانَ
مِنْ شُمُوسٍ وَمِنْ بُدُورٍ حِسَانِ
فِي اتِّزَانٍ مِنْ شِرْعَةِ الدُّورَانِ
سَابِحَاتٍ فِي الْحُوتِ وَالسَّرَطَانِ
قَدْ تَقَضَّى فِي صُنْعِهَا يَوْمَانِ
أَرْسَلَ الْمَاءَ فَالتَقَى الْبَحْرَانِ
مِنْ أَعَالِي الرَّبِّيِّ إِلَى الْوِدْيَانِ
مَاطِرَاتٌ مِنْ سَلْسَلٍ هَنَّانِ
كِي تُسَوَّى عُنَاصِرُ الْحَيَوَانِ

وبمر الهواءِ دَبَّتْ حياةٌ
وَأَكْسَبَتْهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ دِفْئًا

حَرَكَتْ فِيهِ دَوْلَةَ الدَّيْدَانِ
وَتُمُومًا وَنَفْحَةً مِنْ دِهَانِ

الله القادر

أَيَّةُ الشَّمْسِ فِي الْوُجُودِ حَيَاةٌ
دَبَّ فَوْقَ النَّثْرِ عَوَالِمُ شَتَى
وَبِطْنِ النَّثْرِ أُعِدَّتْ كُنُوزٌ
مِنْ فُحُومٍ وَمَعْدِنٍ وَعُيُونٍ
وَعَقَاقِيرٍ مِنْ جَوَاهِرٍ أَعْيَا
حَضَرَتْهَا يَدُ الْحَكِيمِ لِتَحْيَا
خَبْرَهُ الْوَاحِدِ الْمَحِيطِ جَلَالًا
أُودِعَ الْأَرْضَ رَحْمَةً مِنْهُ رِزْقًا
كُلُّ جِسْمٍ نَمَا عَلَى الْأَرْضِ يَحْيَا
وَأَدِيمُ الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ مِنْهَا
لَمْ يَغِبْ عَنَّا عَنْ الْأَرْضِ مَهْمَا
تَمَّ لِلْأَرْضِ أَمْرٌهَا حَيْثُ بَاتَتْ
بَارَكَ اللَّهُ مَا بَهَا وَعَلَيْهَا
مَنْ كَرَبَ الْعُلَا تَقَرَّدَ حُكْمًا
بَيْنَ حَرْفَيْنِ كَلِمَا شَاءَ يَقْضِي
كُلَّ حَيٍّ قَدْ ضَمَّهُ الرُّوحُ عِنْدُ
صَاحِبِ الطَّوْلِ فِي جَلَالٍ وَمُلْكٍ
لَمْ يُشَبَّهْ وَلَمْ يُمَاتَلْهُ شَيْءٌ
مُطْلَقُ الْحُكْمِ لَا مَرَدَّ لِأَمْرِ
أَمْرُهُ الْأَمْرُ بَيْنَ كَافٍ وَنُونٍ
إِنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ
وَإِهْبُ النُّورِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ
قَاهِرٌ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
كُلُّ هَذَا فِي اللَّوْحِ بَادِيءٌ بَدَأَ
سَجَّلْنَاهُ يَدَ الْقَضَاءِ نَفَادًا
لَمْ يَغَادِرْ نَفْسًا عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا

وَعَلَى الْأَرْضِ آيَةُ الْعُمَرَانِ
وَنَمَا النَّبْتُ وَارِفَ الْأَغْصَانِ
أُودِعَتْ مَا بِهَا يَدُ الْحَنَّانِ
مُفَعَّمَاتٍ بِالزَّيْتِ وَالْأُدْهَانِ
فَهُمْ إِدْرَاكُهَا قُوَى الْأُدْهَانِ
سَالِمَاتٍ عَوَالِمِ الْحَيَوَانِ
بِجَمِيعِ الْأَفْلاكِ وَالْأَكْوَانِ
وَحَبَابِهَا الْأَقْوَاتِ بِيضَ الْأَمَانِ
لَوْ تَوَلَّاهُ نُضْرَةٌ الرَّيِّعَانِ
فِيهِ تَسْرِي عَنَاصِرُ الْأَبْدَانِ
عَرَّ بُعْدًا عَنْ عَالَمِ الْإِمْكَانِ
خَيْرَ مَهْدٍ لِدَوْلَةِ الْإِنْسَانِ
بَاسِطُ الرِّزْقِ مُقْسِطُ الْمِيزَانِ
لَمْ يَغِبْ نُورَ ذَاتِهِ عَنْ مَكَانِ
وَلَهُ النَّجْمُ وَالنَّثْرُ يَسْجُدَانِ
فِي نِظَامِ الْمَلَكُوتِ لِلرَّحْمَنِ
أَزَلِّيٌّ مَهْيَمِينَ صَمَدَانِي
مَالِكُ الْمُلْكِ لَمْ يَشَارِكْهُ ثَانٍ
مَنْ لَدُنْهُ جَرَى بِهِ حَرْفَانِ
قَدْرٌ نَافِذٌ بِغَيْرِ تَوَانٍ
وَإِحْدُ الطَّوْلِ فِي قُوَى السُّلْطَانِ
وَمُحِيطٌ بِالْجَهْرِ وَالْكِتْمَانِ
وَإِسْعُ الْعَفْوِ لَمْ يُعَجَّلْ بِجَانِ
قَبْلَ ضَمِّ الْأَرْوَاحِ لِلْجُسْمَانِ
لَمْ يُؤَخَّرْ عَنِ الْمَدَى وَالْمَكَانِ
ضَمَّ أَطْوَارَهَا دَقِيقُ الْبَيَانِ

كَلَّ يَوْمَ أَقْدَارُهُ فِي شَانٍ
وَأَمَدَّ الْبَحَارَ سَبْعَ دَوَانٍ
كَلِمَاتُ الْمَحِيطِ رَبِّ الْبَيَانِ
سَابِغَاتٍ مِنْ غَيْثِهِ الْهَتَّانِ
أَنْ تَنَالَ الْإِحْصَاءَ فِي الْحُسْبَانِ
طَبِيبَاتِ الْحَيَاةِ لِلْعُمُرَانِ
كُلُّ شَيْءٍ لَدَيْهِ طَوْعَ الْبِنَانِ
يَتَّبَارَى فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرَانِ

سُنَّةُ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ تَجَلَّتْ
لَوْ أَجَاجُ الْبَحَارِ صَارَ مِدَادًا
نَفَذَ الْمَاءَ قَبْلَ أَنْ تَنْقُضَى
فَيَضُ بِرٌّ عَلَى الْخَلَائِقِ أَسَدَى
نِعْمَةٌ اللَّهُ لَا تَعُدُّ وَحَاشَا
مُنْعَمٌ يَمْنَحُ الْبِرَايَا جَمِيعًا
رَازِقٌ مُحْسِنٌ رُوُوفٌ رَحِيمٌ
كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ مِنْ كَائِنَاتٍ

يوم البعث والوعيد

وَتَغِيضُ الْجَنِينِ قَبْلَ الْأَوَانِ
وَبَرِيْقُ الْأَبْصَارِ فِي لَمَعَانِ
مَلَأَ الرَّعْبُ فِيهِ كُلَّ مَكَانٍ
وَسَيُولُ الرُّحْضَاءُ كَالطُّوفَانِ
أَوْ مُجِيرٌ مِنَ أَلْسِنِ النَّيِّرَانِ
يَذْرَأُ الْوَيْلَ وَهُوَ رَأْيُ الْعِيَانِ
وَمَشَى الْخَوْفُ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ
كُلُّ فَرْدٍ فِي حَضْرَةِ السُّلْطَانِ
نَافِذُ الْأَمْرِ وَاهِبُ الْغُفْرَانِ
وَجَلَالٌ أَحَاطَ بِالْأَكْوَانِ
وَنَفُودٌ يَقْضِي بِغَيْرِ تَوَانٍ
سَجَلْتُهُ مَهْمَا نَأَى الشَّفَتَانِ
وَصَدَاهُ يَجُوبُ كُلَّ مَكَانٍ
لِيَزْكِيَ مَا سَطَّرَ الْكَاتِبَانِ
سَوْفَ يُدْلِي بِمَا جَنَنْتُهُ الْيَدَانِ
وَاسْتَطَارَتْ بَوَاعِثُ النَّسِيَانِ
بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجْفَةٍ وَهَوَانٍ
سَاعَةٌ الْفَصْلِ أَيْهَا الثَّقَلَانِ
جَاءَ حَقًّا فِي مُحْكَمَاتِ الْبَيَانِ
وَجُحُودًا هَوَى إِلَى النَّيِّرَانِ

صَيْحَةُ الْقَهْرِ تَجْعَلُ الْوُلْدَ شَيْبَا
وَتَهْدُ الْقُلُوبَ دُعْرًا وَهَوْلًا
مَوْقِفٌ يُورِثُ الذُّهُولَ عَسِيرٌ
زَائِعَاتٌ فِيهِ النَّوَاطِرُ حَيْرَى
لَيْسَ لِلظَّالِمِينَ فِيهِ نَصِيرٌ
لَا فِدَاءَ مِنْ كَرْبِهِ أَوْ شَفِيعٌ
خَشَعَ الصَّوْتُ غُصَّةً فَهُوَ هَمْسٌ
وَانْكَسَارًا فِي ذِلَّةِ الْعَبْدِ أَضْحَى
مَلِكٌ قَادِرٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
هَيْبَةٌ تَرْجِفُ الْعَوَالِمَ مِنْهَا
وَاقْتِدَارٌ أَطَاعَهُ كُلُّ حَيٍّ
حُكْمُهُ الْحُكْمُ لَا يُبَدِّلُ لَفْظٌ
ذَرُّهُ يَمَلَأُ الْهَوَاءَ وَجُودًا
أَبَدَ الدَّهْرِ لَفْظُهُ سَوْفَ يَحْيَا
أَيِّنَ مِنْهُ الْمَفْرُوقُ وَهُوَ شَهِيدٌ
حَاقَتْ رَهْبَةً وَسَادَ خُشُوعٌ
وَتَلَقَّتْ أَعْمَالَهَا كُلُّ نَفْسٍ
إِنْ هَذَا يَوْمُ الْوَعِيدِ وَهَذِي
بَاعْتَنُكُمْ مِصْدَاقَ قَوْلِ حَكِيمٍ
كُلُّ مَنْ أَنْكَرَ الْقِيَامَةَ كِبْرًا

سوف يُلْقَى عواقب الكُفْرانِ
أثْقَلَتْهَا الأَغْلالُ للأَذْقانِ
من جحيم وَهَاجَةِ الأَرْكانِ
وَسيُولُ الحَمِيمِ في غَلِيانِ
: رَبِّ زِدْنِي من طُعْمَةِ الإنسانِ!
يَشْمَلُ الكَوْنَ بين قاصِّ وَدانِ
رَقِيبٌ عَلَى الوَرَى كُلِّ أَنْ
هم جُنُودُ المُهَيِّمِنِ الرحمنِ
كُلُّ سِرْبٍ مُسَبِّحٌ بِلسانِ
أزَلِّي مُطْمَئِنٌّ لِلجَنانِ
في دوامِ فريضةِ الشُّكرانِ
خير هَادٍ لِنِعْمَةِ الإيْمانِ
يوم نَادَى القِضاءُ أَنْ أواني
ولمن خاف نِقْمَتِي جَنَّتَانِ
يا مُجِيبًا لدعوةِ الشَّيطانِ
بِاتِّبَاعِ الهَوَى وَخَدَعِ الأَماني
ما تَبَدَّى من زُخْرَفِ فَتانِ
فَتَدَّهَوْرَتْ في مهاوي الهَوانِ
ساقَكَ الطَّيْسُ لِلطُّلا وَالغواني
خالِي البِبالِ من صُرُوفِ الزمانِ
بين كأسٍ وَقِينَةٍ وَأغاني
أشْعَلَتْ نارها وَعُودُ الأَماني
فَتَمادَتِ في اللُّهُو وَالعِصيانِ
وهي تهوي في ظُلْمَةِ الطُّغْيانِ
كيف باتت فريسةَ الشَّيطانِ
سيرٌ إِعراضها عن الإيْمانِ
كُلُّ شَيْءٍ يَبْدو لعينيك فَانَ
فَتَيَقِّظُ من غَفْلَةِ الوَسْطانِ
ليس يَخْفَى عليه سيرٌ لِجانِي
أَنَّ رَبَّ الوُجُودِ نُورُ المِكانِ

بُنْسَ مَتَواهُ في الجحيمِ وَعَدَلًا
وَسيَصَلَى السَّعِيرَ في أَصْفادِ
دَرَكانِ سَبْعُ طَباقُ عذابِ
سارِياتُ الشُّمُومِ تَنسَابُ فيها
يوم يُدْعَى: هل امْتَأَتِ؟ وتَدعو
مَنْ كَرَبَ العُلَا يُدِيرُ نظامًا
مَلِكُ عَرشُهُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ
حَوْلَ أَرْجائِهِ المَلائِكُ صَفَتْ
رُكَّعًا سَجْدًا قِيامًا فُعودًا
ذِكْرُهُ يَمَلأُ الوِجودَ جاللاً
سَبَّحَ اللهُ كُلُّ شَيْءٍ لِنَبْقَى
جَلَّ شَأْنُ القَدِيرِ رَبِّ البرايا
وَأرثِ الأَرْضِ وَالسَّماءِ جَميعًا
قَوْلُهُ الحَقُّ إِذ يَقولُ أَحْسونِي
يا أَبْنَ حَواءَ يا صَرِيعَ المَلْاهِي
يا جَهولًا حَمَلْتَ نَفْسَكَ إِثمًا
وَسَبَبْتَكَ الدنْيا وَعَرَكَ منها
قَادَكَ الحُمُقُ لِلضلالَةِ أَعْمَى
وَتَفانَيْتَ في المَلَداتِ حَتَّى
فَتهاكَّتِ في ارتكابِ المعاصي
تَسَهَّرُ اللَّيلَ في سرورٍ وَأُنسِ
مُشْبِعًا يا ظَلومُ مَطْمَعِ نَفْسِ
زَيِّنِ الشَّرَّ حَوْلَها كُلَّ شَيْءٍ
لا تَرى النُّورَ إِذ تَحَجَّبَ عَنها
إِنها النَفْسُ يا أَبْنَ آدمَ فَانظُرْ
ما دَعاهَا إلى الغَوايَةِ إِلا
يا أَبْنَ حَواءَ إِنما العِيشُ نَوْمٌ
وَتَمادِيكَ في غُرُورِكَ جَهْلٌ
واخْشَ عَيْنَ الرَّقِيبِ فَهُوَ شَهِيدٌ
أينما كُنْتَ يا أَبْنَ آدمَ فاعْلَمْ

لو حَوَّتْكَ الْجَوَزَاءُ أَوْ أَعْمَاقُ
أَوْ تَسْتَرَّتْ تَحْتَ لُجِّ خِصَمِّ
يَا سَلِيلَ النَّرَابِ أَنْتَ ضَعِيفٌ

مَنْ بَطُونِ النَّرَى أَوْ الْفُطْبَانِ
فِي كُهُوفِ الْأَصْدَافِ وَالْحِجَتَانِ
كُنْ مَعَ اللَّهِ تَحْتَظُّ بِالْغُفْرَانِ

عظة

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا بَيَانٌ
أَرْسَلْتُهُ لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
فِي كِتَابِ آيَاتِهِ مُحْكَمَاتٌ
جَاءَ هَدِيًّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
يَجْعَلُ الْعُرْفَ لِلْعِبَادِ شِعَارًا
وَعَنِ الْبَغْيِ وَالْفَوَاحِشِ يَنْهَى
وَبِنَارِ الْجَحِيمِ جَاءَ نَذِيرًا
إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ عَلِيمٍ حَكِيمٍ
كَانَتْ عِلْمَ آيَاتِهِ بَيِّنَاتٌ
رَاحِخٌ بِالْهُدَى كِتَابٌ مُنِيرٌ
أَنْزَلْتُهُ السَّمَاءَ لِلنَّاسِ بُشْرَى
أَنْ يَبِيدَ الدِّينَ الْحَنِيفَ ضَلَالًا
لَقَدْ الْوَحْيِ آيَةٌ لِنَبِيِّ
خَيْرُ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَشْرَفِ جِسْمٍ
هَلَّلَ الْكَوْنُ إِذْ تَلَأًا فِيهِ
خَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ خَيْرُ حَنِيفٍ
أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ يُصَلِّي
جَاءَهُ الْوَحْيُ بِالرِّسَالَةِ لَمَّا
وَعَلَى النَّاسِ نِعْمَةٌ اللَّهُ تَمَّتْ
إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ خَيْرُ صِرَاطٍ
أَيُّهَا النَّاسُ خَالِفُوا غِيَّ نَفْسٍ
طَهَّرُوهَا مِنَ الرَّذِيلَةِ حَتَّى
حَارِبُوهَا بِالطَّيِّبَاتِ عَسَاهَا
حَدَّرُوهَا عَيْنَ الرَّقِيبِ لَكِي مَا
عَوَّدُوهَا عَلَى الْفَضِيلَةِ حَتَّى

فَصَلَّتُهُ شَرَائِعَ الْإِيمَانِ
رَحْمَةً الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ الْحَنَانِ
مِنْ كَلَامِ الْمُهَيَّمِينَ الرَّحْمَنِ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَاصِحَ التَّنْبِيَانِ
وَيُوصِي بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
كِي تَقْوَى دَعَائِمُ الْعُمْرَانِ
وَبَشِيرًا بِخَالِدَاتِ الْجَنَانِ
قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ بِالْقُرْآنِ
فَاضٌ نُورًا بِسَامِيَاتِ الْبَيَانِ
عَرَبِيٌّ الْمَبْنَى جَزِيلُ الْمَعَانِي
حِينَ شَاعَتْ إِرَادَةُ الرَّحْمَنِ
وَلَدَتْهُ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ
عَزَّ قَدْرًا عَنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
عَبَقْرِيٌّ النَّهْيُ عَظِيمُ الْجَنَانِ
نُورُ طَهٍّ وَكَبِيرُ الْمَشْرِقَانِ
رَفَعَ الدِّينَ فَوْقَ هَامِ الزَّمَانِ
كُلُّ حَيٍّ فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
حَرَفَ الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَدْيَانِ
حِينَ وَافَى الْأَمِينَ بِالْفُرْقَانِ
يُرْشِدُ النَّفْسَ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي
شَاغَلَتْهَا وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ
تُنْقِذُوهَا مِنْ ثُورَةِ الْعِصْيَانِ
تَنْوَارِي عَنْ مُفْرَعَاتِ الْأَمَانِي
تَذَكَّرُ اللَّهُ خَيْفَةً كُلَّ أَنْ
تَنْحَلِّي بِالسَّابِقَاتِ الْحَسَانِ

فِيهِ تَبَقَى سَعِيدَةً فِي أَمَانٍ
خَيْرٌ زَادٍ لِلْمَهْلِ النَّفْسَانِي
لَوْ تَمَادَّتْ فِي اللَّهْوِ وَالْعُضْيَانِ
يَتَلَأَسَى مَهْمَا بَدَا كَالدُّخَانِ
كَمَنَامٍ يَمُرُّ مَرَّ الثَّوَانِي
لَمْ يُفَكِّرْ فِي يَقْظَةِ النَّدْمَانِ
مَا صَفَا الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ لِهَانِي
كَانَ حُلْمًا فِي جَوْلَةِ الْوَسْنَانِ
مَلَكُ الْمَوْتِ فِي حُلُولِ الْأَوَانِي
وَهِيَ تَهْوِي فِي ظُلْمَةِ الطُّغْيَانِ
وَطَوَاهُ فِي وَحْشَةِ الْأَكْفَانِ
فِيهِ أَمْسَى فَرِيَسَةَ الدَّيْدَانِ
حَوَّلَتْهَا دَرًّا يَدُ الْحَدَنَانِ
كُلُّ جِسْمٍ يَضُمُّهُ عَالَمَانِ
وَخَلُودٌ فِي الْعَالَمِ النُّورَانِي
وَمَقَامِ الْخُلُودِ لَيْسَ بِفَانِ
يَوْمَ عَرْضِ الصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ
بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجْفَةٍ وَأَمَانِ
وَالْمَخَازِي تَمَثَّلَتْ لِلْعِيَانِ
مُرْسَلَاتٌ لَوَامِعِ النَّيِّرَانِ
فِي دَوِيٍّ يَرُوعُ كُلَّ جَنَانِ
وَأَزِيرٍ يَجُوبُ كُلَّ مَكَانِ
كَالْفَرَاشِ الْمَبْنُوثِ فِي الْقِيَعَانِ
كَحَمِيمِ السَّعِيرِ فِي غَلِيَانِ
مَرَّ بِالْقَلْبِ وَالنُّهَى وَاللِّسَانِ
صَدَقَ الْوَعْدُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
لَمْ يُعَيِّبْ عَنْ حَشْدِهِ أَصْغَرَانَ
وَاعَدَ الْمُؤْمِنِينَ خُلْدَ الْجِنَانِ
وَحَبَاكُمُ بِالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ
شَمَلَتْكُمْ فِي رَحْمَةٍ وَحَنَانِ

أَلْبَسُوهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ نُورًا
رَوْدُوهَا النَّفْوَى فَإِنَّ جَنَاهَا
ذَكَرُوهَا أَنَّ الْحِسَابَ عَسِيرٌ
وَجَمَالَ الدُّنْيَا الَّذِي يَسْتَبِيهَا
سِنَوَاتُ الْأَعْمَارِ تَجْرِي سِرَاعًا
سَاخِرَاتُ أَيَامِهَا مِنْ ظُلُومِ
ضَاخِكَاتٍ وَالْمُغْرِيَاتُ تُنَادِي
كُلُّ عُمْرٍ مَهْمَا تَرَأَى طَوِيلًا
صَحْوَةٌ أَيْقَظُ الْحَقِيقَةَ مِنْهَا
دَهَمَ النَّفْسَ حِينَ حَمَّ قَضَاءُ
خَلَّفَ الْجِسْمَ فِي سُكُونٍ وَرَهْبٍ
وَالِي الرَّمْسِ حَيْثُ وَارَاهُ تُرْبُ
نَاخِرَاتِ يَدِ الْبَلَى فِي عِظَامِ
حِكْمَةُ الْمَوْتِ فِي الْوَجُودِ انْتِقَالُ
عَالَمِ الظُّلْمَةِ الْقَصِيرُ مَدَاهُ
أَيُّهَا النَّاسُ لِلْبِقَاءِ خُلِقْتُمْ
كُلُّ جِسْمٍ بَعْدَ الْبَلَى سَوْفَ يَحْيَا
وَتُوقَى مَا قَدَّمَتْ كُلُّ نَفْسٍ
حَصَّصَ الْحَقُّ وَالْمَوَازِينُ قِسْطُ
وَعُيُونُ الْجَحِيمِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
فِي زَفِيرٍ كَقَاصِفِ الرَّعْدِ يَجْرِي
لَهَبٌ يَخْطِفُ النَّوَاطِرَ رُعبًا
حَوْلَ حَشْدٍ تَكْدَسُ الْخُلُقُ فِيهِ
وَسُيُولُ الرُّحْضَاءِ تَنْسَابُ مُهَلًا
وَفِدَّةُ الْحَشْرِ ضَاعَفَتْ كُلَّ كَرْبٍ
هَذِهِ السَّاعَةُ الَّتِي قَدْ وَعِدْتُمْ
مَوْقِفٌ لِلْحِسَابِ لَأَ رَيْبٌ فِيهِ
كَمْ أَفَاضَ التَّنْزِيلُ عَنْهُ بَيَانًا
أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ رَعَاكُمْ حَلِيمًا
وَأَفَاضَتْ أَيْدِيهِ أَكْبَرَ نُعْمَى

غيرُ نُورِ الوجودِ رَبِّ البرايا
 باعِثِ العالمين في ملكوتِ
 من رُفَاتِ تَكَدَّسَتْ في قبورِ
 ناشِطَاتِ تقومُ بَعْدَ رُقُودِ
 كَجَرَادٍ يَفِرُّ من أَجْدَانِ
 ضاقتِ الأَرْضُ عن جموعِ سُيُولِ
 كَشَفَ الموقفُ الرهيبُ غِطَاءَ
 أُسَدَلَتْهُ حَمَاقَةُ الجَهْلِ كِبْرًا
 إنه الحُمُقُ فانظروا كيف تَهْوِي
 أيُّهَا النَّاسُ قد بُعِثْتُمْ وَعَدَلًا
 وَعَمِيئُكُمْ عن الهدايةِ حتى
 فَقَصَّيْتُمْ دُنْيَاكُمْ في ضلالِ
 فُضِي الأَمْرُ وانتهى كُلُّ شَيْءٍ
 فَهَلُمُّوا إلى الحسابِ وَحَاشَا
 إنْ تكونوا مُصَدِّقِينَ فَاْمُنْ
 أو تكونوا مُكذِّبِينَ فَاَنْتُمْ
 أيُّهَا النَّاسُ ما خَلَقْتُمْ لِتُخَيَّبُوا
 بل حَبَبْتُكُمْ مواهبَ وعقولُ
 نِعْمَةُ الله حِينَ تَمَّتْ عَلَيْكُمْ
 كَرَّمَ اللهُ خَلْقَكُمْ وَرَعَاكُمْ
 كُلُّ نَفْسٍ تَخْشَى الإلهَ سَتَمَشِي
 لَقَبَيْتُهَا الدُّنْيَا قَرِيرَةً عَيْنِ
 خَلَقَ الرَّعْبُ وَالْمَلِيكَ يُنَادِي:
 يَا عَصَاةَ الرَّحْمَنِ حَلِّ بَلَائِي
 ما جنودَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ غَوَاةٌ
 لا فِداءً ولا شَفِيعَ يُرَجِّي
 واقْتِدَارِي وَعِزَّتِي وَجَلَالِي
 إِنَّ عَفْوِي يَنَالُهُ كُلُّ عَبْدٍ
 أيُّهَا المُحْسِنُونَ هذا نعيمي
 فَهَلُمُّوا إلى فراديسِ خُلْدِ

خالِقِ الخَلْقِ فاطِرِ الأَكْوَانِ
 وحده فيه صاحبُ السُّلْطَانِ
 أَوْرَثْتَهَا البَلِيَّ يَدُ الحَدَثَانِ
 كان يَطْوِي الأَحْقَابَ في الأَكْفَانِ
 يملأُ البَيْدَ بين قاصِ ودَانِ
 سابِحَاتِ في لُجَّةِ التَّدْمَانِ
 كان يَغْشَى مَحَاجِرَ الوَسْطَانِ
 وَعُثُوًّا وَشَدَّةَ الغَاوِيَانِ
 عن رَبِّا الظُّلْمِ رايَةُ العِصْيَانِ
 قد تَلَّاشَتْ سَفَاهَةَ النُّكْرَانِ
 نَبَذْتُمْ مَرَاجِمَ العُفْرَانِ
 مُسْتَجِيبِينَ دعوةَ الشَّيْطَانِ
 وَتَجَلَّى ما أَغْفَلَ النَّاطِرَانِ
 أن يَرَى الظُّلْمَ نَفْسَهُ في مَكَانِ
 وَسَلامٍ وَجَنَّةٍ وَتَهانِي
 والشَّيَاطِينُ طُعْمَةُ النُّيْرَانِ
 كَدَوَابٌّ تَفْنَى بِمَرِّ الزَّمَانِ
 فَصَلَّتْكُمْ عن سائِرِ الحَيَوانِ
 زَوَّدَتْكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
 وَهَدَاكُمْ لِلبِرِّ وَالإِحْسَانِ
 يَوْمَ هَوَلَ الخُرُوجِ في أَطْمِنَّانِ
 وَبِخُلْدِ الأُخْرَى لَهَا جَنَّتَانِ
 ها وَعيْدِي وَالوَيْلُ مِنْ سُلْطَانِي
 كيف ينجو من نِقْمَتِي مَنْ عَصَانِي؟
 أَبْعَدُوكُمْ عن طَاعَتِي وَحَنَانِي
 إِنَّهُ الفِصْلُ أيُّهَا التَّقْلَانِ
 سَوْفَ يُجْزَى المُسِيءُ بِالْجِرْمَانِ
 كان يَخْشَى بَطْشِي وَلا يَنْسَانِي
 قد وُعدْتُمْ به وذا عُفْرَانِي
 في قُصُورِ أَعْدَّها رِضْوَانِي

وَصَبَرْتُمْ عَلَى كُرُوبِ الزَّمَانِ
 وَجَزَاءَ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ!
 يَا عِبَادِي بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِانِ
 يَتَجَلَّى الْيَقِينُ مِلءَ الْعَيَانِ
 عَرَضِيٌّ مَهْمَا تَرَفَّهَ فَإِنْ
 وَازْرَعُوا فِيهِ زَهْرَةَ الْإِيمَانِ!
 فِيهِ يَسْعَى إِلَى الرِّضَا الرَّبَّانِي
 بِجَدِيدٍ وَمَا بَدَأَ النَّيِّرَانِ
 تَأْمَنَ النَّفْسُ زَفْرَةَ النَّذْمَانِ
 أَشْعَلَتْهُ حِمَاقَةَ الْهَدْيَانِ
 تُبْعِدُوهُ عَنِ غِلْظَةِ النَّهْمَانِ
 فَإِذَا ضَاعَ ضَاعَتْهَا الْأَمَانِي
 لِلْحَيَاتِينَ أَنْتَبَتِ الْبُنْيَانِ
 تَأْمَنُوا فِي الْقِيَامِ عَضَّ الْبَنَانِ
 أَسْدَلَتْهُ أَصَابِعُ الشَّيْطَانِ
 شَنَّ حَرْبًا عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ
 مَالِكِ الْمَلِكِ أَمْرُهُ حَرْقَانِ
 لِلْبَدِيعِ الْمُهَيِّمِينَ الرَّحْمَنِ
 وَاسْتَفْرَنْتُهُ حَمَاءُ الْعِضْيَانِ
 أَمَرَ رَبِّ الْعُلَا عَظِيمِ الشَّانِ
 خَالِقٍ مِنْهُ عَالَمِ الْإِنْسَانِ
 وَتَسَامَى التَّقْدِيسُ لِلرَّحْمَنِ
 ضَلَلَتْهُ حِمَاقَةُ الطُّغْيَانِ
 بَاءَ مِنْهَا بِالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ
 يَا رَجِيمًا حَسِنْتَ مِنْ شَيْطَانِ!
 أَيُّ عَبْدٍ يَفِرُّ مِنْ سُلْطَانِي؟
 فِي ضِحَاهُ سَيُحْشَرُ النَّقْلَانِ
 وَاخْتِيَالًا يُطْغِيهِمْ شَيْطَانِي..
 يُلْبِسُ الرُّشْدَ طَلَسَمَ النَّسْيَانِ
 فِي حَضِيضٍ مِنْ مُهْلِكَاتِ التَّقَانِي

وَسَلَامٌ لَكُمْ بِمَا صَدَقْتُمْ
 إِنَّ هَذَا وَعْدِي وَقَدْ تَمَّ وَعْدِي
 فَهَنِيئًا لَكُمْ نِعْمَتُمْ وَفُرْتُمْ
 أَيُّهَا النَّاسُ حَارِبُوا النَّفْسَ زُهْدًا
 وَأَسْتَرُوا الْخُلْدَ بِأَمْتِهَانِ مَتَاعٍ
 طَهَّرُوا الْقَلْبَ مِنْ بُدُورِ الْخَطَايَا
 وَاجْعَلُوا الذِّكْرَ زَادَهُ فَهُوَ نُورٌ
 وَاعْمَلُوا الطَّيِّبَاتِ مَا جَاءَ فَجَرٌ
 وَاسْلُكُوا لِلْهُدَى صِرَاطًا سَوِيًّا
 زَوِّدُوا النَّقَى فَيَخْبُو سِرَاجٌ
 وَآمَنُوا الْقَلْبَ رَحْمَةً وَيَقِينَا
 إِنَّمَا الطُّهْرُ لِلنَّفُوسِ جَمَالٌ
 وَاضْرِبُوا الْأَرْضَ بِالْخُرَافَاتِ وَابْنُوا
 وَأَقْصِرُوا فِي الْخَطَا وَغَنُوا وَتُوبُوا
 وَازِيحُوا عَنِ الْعُيُونِ سِنَارًا
 أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَطِيعُوا عَدُوًّا
 لَمْ يُطْعَ فِي السُّجُودِ أَمْرٌ إِلَيْهِ
 كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَبْدٌ
 أَيُّ مَقْتٍ لِمَنْ تَمَرَّدَ كَبِيرًا
 أَعْضَبَ اللَّهُ إِذْ أَبَى أَنْ يُلْبِّي
 يَا عِبَادِي أَسْجُدُوا لِأَدَمَ إِنِّي
 سَجَدَ الْكُلُّ طَائِعًا فِي خُضُوعٍ
 وَتَأْتَى عَنِ السُّجُودِ شَقِيٌّ
 مَلَأَ الشَّرُّ نَفْسَهُ كِبْرِيَاءَ
 إِيهِ ... إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ حَلَّتْ
 كَيْفَ تَنْجُو مِنْ نِقْمَتِي وَعِقَابِي
 قَالَ: رَبِّي ذَرَنِي لِمِيقَاتِ يَوْمٍ
 سَوْفَ يَغْوِي أَبْنَاءَ آدَمَ مَكْرِي
 وَأَبْتُ الْفَسَادِ فِيهِمْ وَكَيْدِي
 وَأَوْزُ النَّفُوسِ أَرَا فَتَهْوِي

غَارِقَاتٍ فِي لُجَّةِ الْهَدْيَانِ
يَوْمَ فَضَّلِ مَا بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ
لَمْ يُبَدَّلْ مَا أُخْرِجَتْ شَفَقَاتِنِ
مَنْ أَطَاعَتْكَ نَفْسُهُ بِالْأَمَانِي
لِعَذَابِ الْحَرِيقِ مَنْ قَدْ عَصَانِي
تَتَبَّدَى فِي ثَوْرَةِ الْعَضْبَانِ
كَيْفَ تَنْسَى وَفُودَهَا نِيرَانِي؟
هَا جَحِيمِي خُلُوْ مِنْ السُّكَّانِ
لِعُصَاةِ الرَّحْمَنِ يَنْتَظِرَانِ
مَا أَشَدَّ الْعَذَابَ فِي أَحْضَانِي
فِي عَذَابٍ لَمَّا يُهَيَّبُ لِنَّانِ
وَعُدُّ رَبِّي حَقًّا لِأَوَّلِ جَانِي
أَعْلَنْتُهَا حِمَاقَةَ الطُّغْيَانِ
فِي انْتِشَارِ الْفَسَادِ وَالْعِصْيَانِ
تَبَدَّدَتْهُ مَرَاجِمُ الْغُفْرَانِ
كَيْ تُضَلِّلَهُ عَنْ هُدَى الْإِيمَانِ
دَبَّرْتُهُ مَكَائِدَ الشَّيْطَانِ
أَبْعَدَ النُّورَ عَنِ بَنِي الْإِنْسَانِ
صَدَقْتَ فِيهِ آيَةَ الرَّحْمَنِ
كَحَيَاةِ الْأَنْعَامِ وَالْحَيَوَانِ
عَبَقْرِيًّا، أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَكَانِ
أَبْدَعْتَ صُنْعَهُ يَدُ الرَّحْمَنِ
جَعَلَ الْخَارِقَاتِ طَوْعَ الْبَنَانِ
تَنْتَسَمَى دَعَائِمُ الْعُمَرَانِ
عَمَرْتُهُ الْآلَاءُ بِالْإِحْسَانِ
أَيَّدْتُهُ مَوَاهِبُ الْعِرْفَانِ
فِي خَشْوَعِ بِحَمْدِهِ كُلِّ أَنْ
تَنْفَعُ النَّاسَ يَوْمَ عَضِّ الْبَنَانِ
وَتَرْوِدُ مِنْ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ
وَيُخَلِّدُ الْأُخْرَى لَكَ الْجَنَّتَانِ

سَابِحَاتٍ فِي ظُلْمَةٍ مِنْ خِيَالِ
سَوْفَ تَبْقَى كَمَا تَمَنَّيْتَ حَتَّى
يَوْمَ عَرَضِي لِمَنْ خَلَقْتَ وَلَمَّا
وَأَدْعُ إِبْلِيسُ مَا اسْتَطَعْتَ وَعَرَّرُ
هَا سَعِيرِي وَرَمَهْرِيرِي يَدْعُو
يَوْمَ أَدْعُو: هَلِ امْتَلَأْتَ؟ وَغَيْظًا
وَتُنَادِي غَضْبَاءً: هَلِ مِنْ مَزِيدٍ؟
أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمُكَذِّبُ هَيَّا
ذَا سَعِيرِي مُوجَّجٍ وَحَمِيمِي
فَهَلُمُّوا إِلَيَّ يَا مَنْ كَفَرْتُمْ
أَنْ إِبْلِيسُ أَنْ أُذِيقَكَ هَوْلِي
يَا سَجِينِي أَنْ الْقِصَاصُ وَهَذَا
يَا عَدُوَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كُنْتَ حَرْبًا
كُنْتَ تَدْعُو إِلَى الضَّلَالِ وَتَسْعَى
كَمْ تَرَبَّصْتَ بِابْنِ آدَمَ حَتَّى
وَنَصَبْتَ الشَّبَاكَ كَيْدًا وَمَكْرًا
فُضِي الْأَمْرُ وَانْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ
ذُقْ أَشَدَّ الْعَذَابِ يَا شَرَّ غَاوٍ
يَا رَجِيمَ الدَّارَيْنِ بِنَسِّ خُلُودٍ
يَا أَبْنَ حَوَاءَ مَا خُلِقْتَ لِتَحْيَا
أَنْتَ بِالْعَقْلِ قَدْ بَلَغْتَ مَكَانًا
صَوَّرَ اللَّهُ فِيكَ أَحْسَنَ خَلْقٍ
وَأَمَدَ الْفُؤَادِ فِيكَ بِنُورٍ
كُلُّ شَيْءٍ مُسَخَّرٌ لَكَ كَيْمًا
يَا أَبْنَ حَوَاءَ أَنْتِ أَكْثَرُ خَلْقٍ
كَرَّمْتِكَ النُّعْمَى وَأَوْلَتْكَ فَضْلًا
فَأشْكُرِ الْمُنْعِمَ الرَّحِيمَ وَسَبِّحِ
وَادْكُرِ الْمَوْتَ فَهُوَ أَحْسَنُ ذِكْرِي
وَاجْعَلِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَكَ مَوْلَى
تَقْضِ دُنْيَاكَ مَا حَيَّيْتَ سَعِيدًا

إِنَّ هَذَا الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَكَبِّرْ
 حَكْمَ الْعَقْلِ يَا ابْنَ آدَمَ وَأَحْذَرْ
 لَا تُطْعُهُ وَتَتَّخِذَهُ وَلِيًّا
 يَطْبَعُ الشَّرَّ فِي النُّفُوسِ وَيُمْلِي
 إِنَّ هَذَا الطَّاغُوتَ شَرًّا لَعِينٍ
 أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَتَاكُمْ كِتَابٌ
 بَيَّنَّ الرُّشْدَ وَالضَّلَالَ بِشِيرَا
 يَبْعَثُ النُّورَ فِي الْقُلُوبِ فِيَهْدِي
 وَالَّذِي صُمَّ قَلْبُهُ ظَلًّا أَعْمَى
 بَيِّنَاتٌ قَدْ فَصَّلَتْ كُلَّ شَيْءٍ
 وَنَهَتْكُمْ عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْمُنْكَرِ—
 أَيُّ فَوْزٍ لِمَنْ أَطَاعَ وَلَبَّى
 طَاهِرَ النَّفْسِ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي
 يَسْمَعُ الذِّكْرَ وَهُوَ يُتْلَى فَيَجْتَنُّ
 بَيْنَ وَعْدٍ مُبَشِّرٍ بِنَعِيمٍ
 وَوَعِيدٍ مُصَوِّرٍ لِعَذَابٍ
 مَنْ تَوَلَّى وَلَمْ يَخَفْ مِنْ وَعِيدِ
 خَدَعَتْهُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ يَلْهُو
 مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا تَبَوُّاً مِنْهَا
 دَارٌ لَهَا طَاشَتْ بِعَقْلِ جَهُولٍ
 مُلِئَتْ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ شَرًّا
 أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ حَتَّى
 أَوْدَعَتْهُ الدُّنْيَا بَطُونًا تَرَاهَا
 أَيُّهَا النَّاسُ آمِنُوا وَأَطِيعُوا
 مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الَّتِي فَتَنَّاكُمْ
 غَيْرُ يَوْمٍ أَحْلَامُهُ سَابِحَاتٌ
 سَنَوَاتُ الْأَعْمَارِ كَالْبُرْقِ تَجْرِي
 فَتَرَةُ الْعَيْشِ فِي الْحَيَاةِ اخْتِبَارٌ
 فَاعْمَلُوا الطَّيِّبَاتِ تَأْمَنُ نُفُوسٌ
 واطْلُبُوا الرِّزْقَ مَا حَيِيْتُمْ حَلَالًا
 بِاسْمِ رَبِّ هَذَا لِلْإِيمَانِ
 مِنْ أَضَالِيلِ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ
 فَهُوَ يَدْعُو لِلشَّرِّ بِالرَّحْمَنِ
 كُلَّ غَيِّ يَقُودُ لِلْكَفْرَانِ
 مِنْ أَلَدِ الْأَعْدَاءِ لِلْإِنْسَانِ
 نَاطِقٌ بِالْهُدَى فَصِيحُ الْبَيَانِ
 وَنَذِيرًا يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ
 مِنْ يَشَاءُ الْمَحِيطُ بِالْأَكْوَانِ
 لَا يَرَى النُّورَ وَهُوَ مِلءُ الْمَكَانِ
 أَمَرْتُكُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 رِ تَلْكُمْ دَسَائِسُ الشَّيْطَانِ
 دَعْوَةَ الْحَقِّ، ثَابِتَ الْأَرْكَانِ
 مُؤْمِنَ الْقَلْبِ صَادِقَ الْإِيمَانِ
 سَاجِدًا بَاكِئًا مِنَ الْقُرْآنِ
 فِي فَرَادَيْسِ خَالَدَاتِ الْجَنَانِ
 يُفَقِّدُ الرُّشْدَ فِي لَظَى النَّيْرَانِ
 أَيُّ مَفْتٍ يَرَى وَهَوْلٍ يُعَانِي
 فِي نَعِيمٍ مِنَ الْمَتَاعِ الْفَنَائِي
 كُلُّ مَا يَسْتَهَيُّ وَنَالَ الْأَمَانِي
 مِنْهُ مَدَّتْ لِلْمُوبِقَاتِ يَدَانِ
 فَتَمَادَى فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ
 دَهَمَتْهُ لَفَائِفُ الْأَكْفَانِ
 فَتَوَارَى عَنِ أَعْيُنِ الْحَدَنَانِ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ قَبْلَ فُوتِ الْأَوَانِ
 وَسَبِّتْكُمْ بِالْمُغْرِيَاتِ الْحِسَانِ
 بَيْنَ مَوْجِ الشُّرُورِ وَالْأَحْزَانِ
 مُسْرِعَاتٍ كَأَنَّهُنَّ تَوَانِ
 لِلنَّعِيمِ الْمُقِيمِ أَوْ لِلْهُوَانِ
 يَوْمَ عَرَضِ الْأَعْمَالِ عَضَّ النَّبَّانِ
 وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ

منه تَبْدُو مَفَازَةَ الرِّضْوَانِ
صَوَّبَ نورَ اليقينِ في اطمئنانِ
واستزيدوا من خالدِ البُنْيَانِ
مُفْسِدِ الرُّوحِ مُتْلِفِ الأبدانِ
حينَ تَسْرِي في الحسِّ كالأفعوانِ
فَهِيَ أَقْوَى حَبَائِلِ الشيطانِ
واذْكروه في السِّرِّ والإعلانِ
في سُجُودِ ما صَوَّأَ المَشْرِقَانِ
من صفاءِ الإدراكِ والإمعانِ
أَبْدَعَتْ صُنْعُهُ يَدُ الرَّحْمَنِ
لم يشبهه في دِقَّةِ الإِتْقَانِ
خاطفاتُ الأَبْصارِ قاصِّ ودانِ
في فِضَاءِ الآفاقِ والأَكْوانِ
أماناتِ طواريءِ الحَدَثَانِ
ما أَرادَتْ مَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ
أَفْلاَتِ وَيخْتَفِي النَّيِّرَانِ
أَعْلَنَتْهُ على الوَرَى صَيِّحَتَانِ
فيه تَمَّتْ صَحِيفَةُ الإِنْسَانِ
سُجِّلَتْ فيه صادقاتُ البَيَّانِ
وَجُلُودِ وَأَعْيُنِ وَلِسَانِ
من دِياجِي أجداتكم في أمانِ
والسَّمواتِ وردةٌ كالدَّهَانِ!
أو فِرَارًا مما تَرَى وَتُعَانِي!
تَسْأَلُ العَفْوَ بينِ إنسٍ وَجَانِ
الِدَارِ الجَهِيمِ أم لِلجَنَانِ؟
من هَدَاهُ الرَّحْمَنُ لِلإيمانِ
وَعُنُوءًا وَخَادَعَتْهُ الأمانِي
لم يُبَدِّلْ ما سَجَّلَ الحَرَفَانِ
وَكَفَى الآنَ أَيُّها النَّقْلانِ
مَنْ تَفَانَى في طاعةِ الرَّحْمَنِ

واسلُكُوا لِلصَّلاحِ حَيرَ سَبيلِ
واضْرِبُوا الأَرْضَ بِالخَرَافَاتِ وامشوا
وازرعوا اليَوْمَ تَحْصُدُوا بَعْدَ حِينِ
واهْجُرُوا الخَمَرَ فَهِيَ أَكْبَرُ رَجْسِ
تَسْلُبُ الرُّشْدَ مِنْ نُهَى مُحْتَسِبِها
لَقَبُوهَا أُمَّ الخَبائِثِ حَقًّا
وأقيموا الصَّلَاةَ لِلَّهِ شُكْرًا
سَبِّحُوا اللهَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
وأعيرُوا خَلْقَ السَّمواتِ فَيضًا
فَكَّرُوا خاشعينَ في مَلَكُوتِ
فَلَكِ حَيرَ العُقُولِ نِظامًا
سارياتُ فراقِدِّ وشموسُ
سابحاتُ كُلِّ يَشُقُّ مَدَارًا
مَلَكُوتِ فيه العوالمُ تَجْرِي
لاحْظَنَّها عَيْنُ الرَّقِيبِ لِنَبْقِي
فإذا جاءَ وَعَدُهُ تَتَوَارَى
إنَّه الفِصلُ بينَ دُنْيا وَأُخْرَى
إِنَّ عَيْشَ الدُّنْيا وَإِنْ طَالَ يَوْمٌ
طائرٌ ناطقٌ كَتابٌ شَهِيدٌ
عَزَزَتْ صِدْقَهُ شَهادَةُ أَيْدِ
فاخْشُوا اللهَ وَأَنْفُوه نَفُومُوا
يَوْمَ يَهْتَرُ مَنكَبُ الأَرْضِ رُعبًا
يَوْمَ لا تَمْلِكُ النَفوسُ فِداءً
وله الأمرُ وَحَدَهُ في جُمُوعِ
حُكْمِهِ الفِضْلُ في مَصيرِ عبيدِ
فاز بِالخُلْدِ في فِسيحاتِ عَدَنِ
وأضَلَّ السَّبيلَ مَنْ تاهَ كَبْرًا
وَإِذا تَمَّ في المَشِيئَةِ أَمْرٌ
أَيُّهُ النُّورُ بَيَّنَّتْ كُلَّ شَيْءٍ
ما سَعِيدُ الدَّارَيْنِ يا نَفْسُ إِلا

كل غرّ هوى مع الشيطانِ
كلّ حيّ في سائر الأكوانِ

والشقيّ الملعونُ دنيا وأخرى
يا إله الوجودِ نُعماك عمّت

الهمزية الكبرى

فاتحة

أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ
لَا تَعِشُوا فِي الْأَرْضِ ظُلْمًا وَبَغْيًا
وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ
لَا يَغُرَّنَّكُمْ نَعِيمُ حَيَاةٍ
إِنَّمَا الْعُمُرُ لِمَحَّةٍ فَمَمَاتٍ
مَلَكِ الْمَوْتِ يَفْتَقِي كُلَّ حَيٍّ
يَتْرُكُ الْجِسْمَ هَامِدًا، لَيْتَ شِعْرِي
كُلُّ نَجْمٍ مُهَدَّدٌ بِأَقْوَالٍ
كُلُّ شَيْءٍ غَيْرِ الْبَدِيعِ ظَلَامٌ
يَا بَنِي الْأَرْضِ إِنَّ لِلَّهِ مُلْكًا
إِنَّ رَبًّا يُدِيرُ مُلْكًا كَهَذَا
حَارَبَ الْخَلْقُ فِي تَصَوُّرِ دَاتٍ

* * *

مَالِكِ الْمُلْكِ إِنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ
تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَيُقْضَى
وَتَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَيَهْوَى
حَلَقَتْ رَهْبَةً وَسَادَ سُكُونٌ
كُلُّ حَيٍّ إِلَّا الْمُهَيَّمِينَ فَإِنَّ

مَنْ لَهُ الْحَمْدُ غَيْرُهُ وَالنِّثَاءُ
كُلُّ أَمْرٍ وَيَسْتَكِينُ الْهَوَاءُ
كُلُّ نَجْمٍ وَتَفْرَعُ الْأَرْجَاءُ
وَأَنْجَلَتْ قَدْرَهُ وَأَنَّ الْوَفَاءُ
صَاحِ سُبْحَانَ مَنْ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ

الساعة

دَنَّتِ السَّاعَةُ الرَّهْبِيَّةُ لَمَّا
وَعَلَتْ صَيْحَةً تَجْمَعُ مِنْهَا
دَكَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَهَدَّتْ
جَاءَ أَشْرَاطُهَا وَحَقَّ الْجَزَاءُ
بَالِيَاتِ الرُّفَاتِ وَالْأَشْلَاءِ
كُلُّ طَوْدٍ مُرْبِعَةٌ بِطُشَاءِ

صَيَّرَتْ شَامِخَ الرِّوَاكِ عَيْنًا
أَلْقَتْ الْأَرْضُ مَا بِهَا وَتَخَلَّتْ
هَالَهَا الرُّوْعُ فَاسْتَحَالَتْ هَبَاءً
وَأَنْشِقَاقًا ذَاتُ الْبُرُوجِ تَرَامَتْ
ثُمَّ غَابَتْ نُجُومُهَا وَأَكْفَهَرَتْ

وَتَنَحَّتْ عَنْ حَمَلِهَا الْجَرْدَاءُ
وَتَدَاعَتْ عَنْ أَفْقِهَا الصَّمَاءُ
غَيَّرَ الصَّدْعُ حَالَهَا وَالْفَنَاءُ
فَنَوَّارَتْ أَقْمَارُهَا الزُّهْرَاءُ
وَاخْتَفَى نُورُهَا وَزَالَ الْبَهَاءُ

* * *

إِنَّ هَذَا يَوْمُ الْحِسَابِ فَطَاشَتْ
يَوْمٌ لَا تَنْفَعُ أَبْنَ آدَمَ إِلَّا
يَوْمٌ يَدْعُو كُلُّ امْرِئٍ: رَبِّ نَفْسِي!
يَوْمٌ يَلْتَفُّ كُلُّ سَاقٍ بِسَاقِي
يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ الْمُسِيءَ اعْتِدَارٌ
يَوْمٌ حَشَرَ حَوَى الْبِرَايَا جَمِيعًا
يَوْمٌ فَضَّلَ تُبْلَى السَّرَائِرِ فِيهِ
يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ النُّفُوسُ انْتِصَارًا
كُلُّ نَفْسٍ يُغْنِي لَهَا فِيهِ شَأْنٌ
كُلُّ نَفْسٍ لَهَا لِسَانٌ وَعَيْنٌ
ثُمَّ أَيْدٍ وَأَرْجُلٌ وَجُلُودٌ

يَا بَنِي الْأَرْضِ مُقَلَّةَ عَمِيَاءُ
حَسَنَاتٌ تَقَدَّمَتْ وَوَفَاءُ
وَتَقَرُّ الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُ
وَيَسَاقُ الضَّعَافُ وَالْأَقْوِيَاءُ
عَنْ ذُنُوبٍ وَيَذَلُّهُمْ الْبِلَاءُ
شَاخِصَاتٍ أَبْصَارُهَا فَرَعَاءُ
حَائِرَاتٍ مِنْ هَوْلِهِ هَلَعَاءُ
وَلَهُ الْأَمْرُ وَحَدَهُ وَالْقَضَاءُ
عَنْ سِوَاهَا وَلَا يُفِيدُ الْفِدَاءُ
وَفِرَادٌ وَكُلُّهَا رُقَبَاءُ
تَنْطِقُ الْحَقُّ أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ

البعث

يُهْرَعُ النَّاسُ مِنْذُ أَوَّلِ خَلْقِ
بَعَثَرَتْهَا الْقُبُورُ تَجْرِي سِرَاعًا
مَاجَتِ الْأَرْضُ تَحْتَ أَقْدَامِ خَلْقِ
مُدَّتِ الْأَرْضُ كِي تُؤَفِّي جُمُوعًا

وَاجِفَاتٍ قُلُوبُهَا حَيْرَاءُ
أَفْرَعَتْهَا مِنْ نُومِهَا الدَّهْمَاءُ
كَجَرَادٍ يَضِيقُ عَنْهُ الْفَضَاءُ
فَوْقَهُمْ تُمْطِرُ الْعَذَابَ السَّمَاءُ

* * *

يَا بَنِي الْأَرْضِ تِلْكَ وَفَقَّةُ حَشْرِ
كُلُّ فَرْدٍ لَهُ كِتَابٌ قَدِيمٌ
لَمْ يُغَادِرْ صَغِيرَةً مَا حَوَاهَا
كُلُّ مَنْ مَدَّ لِلْكِتَابِ يَمِينًا
وَلَهُ قَالَتْ التَّهَانِي سَلَامٌ

يَا أَبْنَ حَوَاءِ أَنْتَ طَيِّبٌ وَمَاءُ
سُجِّلَتْ فِيهِ رَحْمَةٌ أَوْ بَلَاءُ
قُدْرَةُ اللَّهِ مَنْ لَهَا مَا يَشَاءُ
ضَمَّهُ الْأَمْنُ وَالرِّضَا وَالْهِنَاءُ
وَبَدَا الْعَفْوُ بِأَسِمَا وَالْعَطَاءُ

هَالَهُ الْخِزْيُ خَيْفَةً وَالْعِنَاءُ
: قَدْ تَنَحَّى عَنْ مُقَلَّتَيْكَ الْغِطَاءُ!
وَعِقَابُ الْمُكْذِبِينَ الشُّوَاءُ

وَيَحْ مَنْ كَانَ حَظَّهُ بِشِمَالِ
صَاحٍ فِيهِ صَوْتُ الْعَذَابِ وَعَيْدَا
أُنْظِرِ النَّارَ كَيْفَ تُرْجِي سَعِيرَا

* * *

وَبِيْمُنَى الْبَدِيعِ تُطَوَى السَّمَاءُ
فَتَفَانَتْ فِي كُنْهَهَا الْأَنْبِيَاءُ
فَتَفَانَتْ فِي وَصْفِهَا الْعُلَمَاءُ
فَاسْتَنَارَتْ بِرُوحِهَا الْحُكَمَاءُ
فَتَبَارَتْ فِي مَدْجِهَا الشُّعْرَاءُ
فَتَلَأَسَى فِي عَدَّهَا الْإِحْصَاءُ

قَبِضَةُ اللَّهِ تَجْمَعُ الْأَرْضَ جَمْعًا
قَدْرُهُ اللَّهُ حَيَّرَتْ كُلَّ لُبِّ
قُوَّةُ اللَّهِ أَذْهَلَتْ كُلَّ لُبِّ
حِكْمَةُ اللَّهِ أَحْكَمَتْ كُلَّ أَمْرٍ
خَبْرَةُ اللَّهِ أَتَقَنَّتْ كُلَّ شَيْءٍ
رَحْمَةُ اللَّهِ أَدْرَكَتْ كُلَّ خَلْقٍ

* * *

بِخُلُودٍ لَهُ يَدُومُ الْبِقَاءُ
فَتَسَامَتْ مِنْ حُسْنِهَا الْأَسْمَاءُ
عَالِمُ الْغَيْبِ عَرْشُهُ الْعُلْيَاءُ
وَدَوَامًا إِلَيْهِ يَسْرِي الدُّعَاءُ

إِنَّ عِلْمَ الْإِلَهِ عِلْمٌ قَدِيمٌ
وَصِفَاتٌ تَنْزَّهَتْ عَنْ شَرِيكِ
نَافِذُ الْأَمْرِ فِي جَمِيعِ الْبَرَائِيَا
كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ لِلَّهِ عَبْدٌ

* * *

أَبَدَ الدَّهْرِ كَيْ يَدُومَ الثَّنَاءُ
ضُ وَجَاءَ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ
وَبَوَّعِدِ الْإِلَهِ تَمَّ الرِّضَاءُ
فَادْخُلُوهَا وَكَبِّرِي يَا سَمَاءُ
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّكُمْ أَمَنَاءُ
تِلْكَ عُقْبَى الْجِهَادِ يَا أَنْبِيَاءُ
بِجَبِينِ يَفِيضُ مِنْهُ الضِّيَاءُ
خَيْرٌ بَدْرٌ قَدْ أَنْجَبَتْ حَوَاءُ
أَدِنَ الْحَقُّ وَأَسْتُجِيبُ النَّدَاءُ
وَحَكِيمًا عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءُ

كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ حَمْدًا
وَبِنُورِ الْإِلَهِ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ
وَقَضَى الْحَقُّ بَيْنَهُمْ حُكْمَ عَدْلِ
يَا نَبِيِّونَ تِلْكَ جَنَّتُ عَدْنِ
هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي قَدْ وَعَدْتُمْ
دَارَ خُلْدٍ جِزَاءَ مَا قَدْ صَبَرْتُمْ
سَيِّدُ الْخَلْقِ بَيْنَكُمْ يَبْتَهَادِي
أَشْرَفُ الْمُرْسَلِينَ قَدْرًا وَجَاهَا
حَصَّهُ اللَّهُ بِالشَّفَاعَةِ لَمَّا
وَبِنُورِ الْقُرْآنِ كَانَ إِمَامًا

* * *

لَكَ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ شَمَاءُ
يَا أَبْنَ عَدْنَانَ بَارَكْتَكَ السَّمَاءُ

أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ جَنَّتِ عَدْنِ
صَلَوَاتُ الْإِلَهِ تَرْعَاكَ دَوْمًا

سِيقَ أَهْلِ التَّقَى لِدارِ نَعِيمٍ
تَتَلَقَّاهُمْ الْمَلَائِكُ بَشْرَى
زَانَ أَبْوَابَهَا وَمِيضُ الدَّرَارِي
تِلْكَ دَارُ الَّذِينَ نَالُوا بِحَقِّ
أَمَنُوا بِالْكِتَابِ لَمَّا آتَاهُمْ
صَدَقَ الْوَعْدُ فَادْخُلُوا بِسَلَامٍ
إِنَّ فِيهَا مَا تَشْتَهِي كُلُّ نَفْسٍ
حُورٌ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ اللَّالِي
يَتَسَابَقْنَ حَوْلَ رَهْرِ وَمَاءٍ
رَاتِعَاتٌ عَلَى بَسَاطِ بَدِيْعٍ
تَتَوَارَى خَلْفَ الدَّوَالِي دَلَالًا
ثُمَّ يُهْرَعْنَ لِلْقُصُورِ حُصَاةً
حَيْثُ يَلْقَيْنَ أَهْلَهَا فِي نَعِيمٍ
تَتَجَلَّى عَلَى الْأَرَائِكِ بِشْرًا
وَعَلَيْهِمْ تَطُوفُ وَلِدَانُ خُلْدٍ
وَأَبَارِيْقٍ مِنْ لُجَيْنِ نَقِيٍّ
إِنَّ لِلْجَنَّةِ الْبَهِيْجَةِ وَصْفًا
ظِلُّهَا دَائِمٌ فَلَا لَيْلَ فِيهَا
فَوْقَ أَغْصَانِهَا الْعِنَادِلُ تَشْدُو
وَتَقِيضُ الْأَنْهَارُ شَهْدًا مُصَفَّى
ثُمَّ تَجْرِي أُخْرَى بِدَرٍّ شَهِيٍّ
وَيَخْمُرُ كَالْأُرَى تَنْسَابُ أُخْرَى
إِنَّ دَارَ الْفِرْدَوْسِ كَانَتْ مَابًا
أَدْخُلُوهَا قَدْ بَارَكَ اللهُ فِيهَا
فَانْعَمُوا وَأَهْنَأُوا وَطَيَّبُوا نُفُوسًا
رَحْمَةُ اللهِ قَدْ تَجَلَّتْ عَلَيْكُمْ

يَتَهَادُونَ حَيْثُ حَلَّ الْهِنَاءُ
بِاسْمَاتٍ وَجُوهَهَا سَمْحَاءُ
تَنْسَامِي أَنْوَارُهَا الزَّهْرَاءُ
أَجْرَ إِيمَانِهِمْ فَنِعْمَ الْجَزَاءُ
وَاطَاعُوا الرَّسُولَ نِعْمَ الْوَفَاءُ
دَارَ خُلْدٍ يَطِيْبُ فِيهَا الْبِقَاءُ
قَدَّرَ اللهُ أَنْ لَهَا مَا تَشَاءُ
كَاعْبَاتٍ فُودُوهِنَّ الضِّيَاءُ
لَاعِبَاتٍ يَزِيْنُهُنَّ الْبِهَاءُ
تَتَرَامِي أَطْرَافُهُ الْخَضْرَاءُ
تَنْتَنِي أَعْطَافُهَا الْحَسَنَاءُ
مَنْ رَجِيْقٍ مَزَاجُهُ السَّرَّاءُ!
وَسُرُورٍ بِهِمْ أَحَاطَ الْهِنَاءُ
وَأَبْتَهَاجًا عُيُونُهَا حَوْرَاءُ
بِكُؤُوسٍ سَلَفُهَا الصَّهْبَاءُ
صَفَّهَا الْخُورُ كَيْ يَدُومَ الصَّفَاءُ
فَوْقَ مَا قَدْ تَخَيَّلَ الشُّعْرَاءُ!
عَاطِرَاتُ رِيَاضِهَا الْفَيْحَاءُ
وَعَلَيْهَا تُرْفَرِفُ الْوَرْقَاءُ
حَيْثُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا رَغْدَاءُ
لَمْ تُعَيِّرْ مِنْ طَعْمِهِ الْأَجْوَاءُ
رِيْحُهَا الْمَسْكُ رُوْحُهَا نَسْوَاءُ
خَيْرَ دَارٍ يَخْطِي بِهَا الْأَتْقِيَاءُ
فِي خُلُودٍ لَا يَعْتَرِيهِ فَنَاءُ
عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ حُنَفَاءُ
فَاشْكُرُوا مَنْ لَهُ الرِّضَا وَالْبِقَاءُ

يَسْتَعِينُونَ حَيْثُ حَلَّ الْبَلَاءُ
وَأَسْتَشَاطَتْ مِنْ غَيْظِهَا الرِّمَاضُ
تَقْذِفُ الرُّعْبَ وَالْقُلُوبَ هَوَاءَ
هَامَةً الشَّمَّ وَالذُّرَا الشَّمَخَاءَ
رَجَعْتُهُ مِنْ هَوْلِهِ الْأَرْجَاءَ
مِثْلُهُ الْقَصْرُ بِئْسَ ذَلِكَ التَّنَوَاءُ
يُسْحَبُ الْمُجْرِمُونَ وَالْأَشْقِيَاءُ
يَتَفَانُونَ طَاعَةً، أَقْوِيَاءُ
من قلوبٍ لهم براها أَلْقَاءُ
مُرْعِدَاتٍ صِيحَاتُهَا فَرْعَاءُ
فَاعِرَاتٍ أَفْوَاهُهَا غَضْبَاءُ
وَبَرِيحِ السَّمُومِ يَجْرِي الْهَوَاءُ
وَبِمَاءِ كَالْمُهْلِ يَجْرِي السَّقَاءُ
منه تُسَوَى الْوُجُوهُ وَالْأَمْعَاءُ
منه تُكْوَى الْجِبَاهُ وَالْأَحْشَاءُ
لِعَصِيٍّ طَاشَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ
قد أَطْعَمَ أَهْوَاءَهُمْ يَا رِعَاءُ
عن طريقِ الْهُدَى وَعَزَّ الدَّوَاءُ
مَنْذُ وَافَتْ مِنْ خُلْدِهَا حَوَاءُ
وتركتكم ما أَنْزَلَتْهُ السَّمَاءُ
إِنَّ هَذَا جَزَاءُ قَوْمٍ أَسَاءُوا
وَزَلَمْتُمْ فَحَقَّ هَذَا الْبَلَاءُ
حَلَّقَ الْمَوْتَ فَوْقَكُمْ وَالْفَنَاءُ
إِنْ صَبَرْتُمْ أَوْ إِنْ جَزَعْتُمْ سِوَاءُ
لا أَعْتَدَارُ لَكُمْ وَلا سُفْعَاءُ
وعليها الملائكُ الرُّقْبَاءُ
وبأمرِ الْعَزِيزِ يَجْرِي الْقَضَاءُ
لا ظَلِيلٌ بِهَا يُحْبِطُ الْقَضَاءُ
تَ وَهَيْهَاتَ يُسْتَجَابُ النَّدَاءُ
حَيْثُ حَلَّ الْخُلُودُ زَالَ الْفَنَاءُ

ثُمَّ سَبَقَ الْكُفَّارُ نَحْوَ جَحِيمِ
وَوَقُودُ السَّعِيرِ زَادَ اسْتِعَالًا
ثم هَاجَتْ دَارُ الْجَحِيمِ وَمَاجَتْ
في زَفِيرٍ كَالرَّعْدِ تَنْدُكُ مِنْهُ
وَسَهِيْقٍ يَبْقُضُ مِنْ كُلِّ فَجِّ
شَرًّا كَالْجَمَالَةِ الصُّفْرِ تَرْمِي
تلك نَارُ السَّوَى التي في لَطَاها
إِنَّ حُرَّاسَهَا غَلَاظُ شِدَادٍ
ما الْحَدِيدُ الشَّدِيدُ أَعْظَمَ بَأْسًا
حول أَبوابِها الصَّوَاعِقُ دَوَّتْ
أَدْخُلُوهَا تَطَايِرَ الْهَوْلِ فِيهَا
سَارِيَاتُ اللَّهِيْبِ تَنْسَابُ مِنْهَا
من حَمِيمٍ تَفِيضُ فِيهَا عُيُونٌ
إِنَّ هَذَا شَرَابٌ كُلُّ أَثِيمٍ
وِطْعَامٌ ذُو غُصَّةٍ وَعَذَابٌ
إِنَّ دَارَ الْجَحِيمِ شَرٌّ مَكَانًا
ما جنودُ الشَّيْطَانِ إِلَّا غَوَاةٌ
شَاغَلَتْكُمْ بِعِيْهَا فَعَمِيئُكُمْ
إِنَّ هَذَا الشَّيْطَانُ كَانَ عَدُوًّا
قد سَلَكَكُمْ سُبُلَ الضَّلَالَةِ جَهْلًا
أَيُّهَا الظَّالِمُونَ ذُوقُوا نَكَالًا
فَتَنَّتْكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَبَنُوكُمْ
وكفرتكم بِأَنْعَمِ اللَّهِ حَتَّى
إِنَّ هَذَا تَصَدِيقٌ مَا قَدْ كَفَرْتُمْ
فَهَلُّمُوا إِلَى الْجَحِيمِ جَمِيعًا
إِنَّ فِيهَا الْعَذَابَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ
قَدْ أَطَاعُوا الرَّحْمَنَ فِي كُلِّ أَمْرٍ
دَرَكَاتٍ سَبْعَ طَبَاقٍ عَذَابٌ
كُلُّ مَنْ فِي الْعَذَابِ يَسْتَصْرِخُ الْمَوْتُ
وَهَبَاءً يَضِيغُ كُلُّ تَمَنٍّ

أَوْ عَذَابٌ مُخَفَّفٌ أَوْ رِجَاءٌ
بَدَّلَ اللَّهُ غَيْرَهَا مَا يَشَاءُ
وَعَلَى الْعَدْلِ قَامَ هَذَا الْجَزَاءُ

لَا مَمَاتٌ بِهَا يُهَوِّنُ كَرْبًا
كَلِمَا أَنْضَحَ الْحَرِيقُ جُلُودًا
إِنَّ هَذَا جَزَاءٌ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ

* * *

وَبِحُكْمِ عَذْلِ تَجَلَّى الْقَضَاءِ
وَتَوْفَى بِمَثَلِ هَذَا السَّمَاءِ
فَاسْتِضَاعَتِ بِنُورِهِ الْأَرْجَاءِ
أَحْسَنَ الذِّكْرِ كَيْ يَعْزَّزَ الرِّضَاءِ
هُمُ عِبِيدٌ لِرَبِّهِمْ أَوْفِيَاءِ
حَمَلَ الْعَرْشَ مِنْهُمْ الْأَكْفَاءِ
مَظْهَرُ الْبَطْشِ مِنْهُمْ الْأَفْوِيَاءِ
مَنْ تَوَالَى تَسْبِيحَهُمْ سَعْدَاءِ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ قَدْ قَضَى اللَّهُ أَمْرًا
هَا هِيَ الْأَرْضُ وَفِيَتْ مَا أُسْتَحَقَّتْ
قَدْ تَسَامَى عَرْشُ الْقَدِيرِ جَلَالًا
حَوْلَهُ حَفَّتِ الْمَلَائِكُ تَتْلُو
لَا يَمْلُونُ لِحِظَةً مِنْ دُعَاءِ
مَجَّدُوا اللَّهَ بِالثَّنَاءِ دَوَامًا
هُمْ جُنُودُ الْمُهَيَّمِينَ الْمُتَعَالِي
رُكْعًا سَجْدًا قِيَامًا قُعُودًا

* * *

فَتَلَاشَتْ أَمَامَهُ الْأَضْوَاءُ
ضُ جَمِيعًا، وَفَاضَتْ الْآلَاءُ
وَحَبَاهُ الْأَيْمَةُ الْأَمْنَاءُ
يَا قَدِيرًا يَا مَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ

عَمَّ نُورُ الْإِلَهِ سَبْعًا طِبَاقًا
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
حَقَّهُ الْمُؤَلَّعُونَ بِاللَّهِ حُبًّا
وَتَدَلَّى الْوَحْيُ الْأَمِينُ ابْتِهَالًا

* * *

وَتَجَلَّى عَفْوٌ وَعَمَّ رِضَاءُ
مَ خُلُودٌ يَدُومُ فِيهِ الْهِنَاءُ
شَهِدَ اللَّهُ أَنْكُمْ رُحَمَاءُ
قَدْ وَعَدْتُمْ بِهَا وَتَمَّ الْوَفَاءُ
جَاوَبْتُهُ الْأَفَاقُ وَالْأَرْجَاءُ
لِلَّذِي الْمَلِكُ مُلْكُهُ وَالْبِقَاءُ

أَسْفَرَتْ هَيِّبَةٌ فَأَشْرَقَ عَذْلُ
يَا عِبَادَ الرَّحْمَنِ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمِ
وَسَلَامٌ لَكُمْ بِمَا قَدْ أَطَعْتُمْ
فَالِي الْجَنَّةِ الْفَسِيحَةِ سِيرُوا
فَتَعَالَى الْهُتَافُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
فَأَفَاضَ الْعَطَاءَ حَمْدًا وَشُكْرًا

* * *

أَنْزَلَتْهُ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ
فَتَلَاشَتْ مِنْ نُورِهِ الظُّلْمَاءُ
حَارَ فِي فَهْمِ كُنْهَهَا الْبُلْغَاءُ
عَرَبِيٌّ الْبَيَانِ فِيهِ الدَّوَاءُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا بَيَانٌ
جَاءَ بِالْحَقِّ لِلْقُلُوبِ ضِيَاءُ
لَمْ يُغَادِرْ مِنَ الشَّرَائِعِ شَيْئًا
جَاءَكُمْ بِالْهُدَى كِتَابٌ كَرِيمٌ

مُحْكَمَاتُ آيَاتِهِ عَصْمَاءُ
أَعَجَزَ الْخَلْقَ لَفْظُهُ الْوَضَاءُ
أَنَّهُ رَحْمَةٌ قَضَتْهَا السَّمَاءُ
مَنْ قُرَيْشٍ عَزَّتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ
وَبَشِيرٍ دَانَتْ لَهُ الْعُلِيَاءُ
كَتَبَتْ عَلِيمٌ عَلَيْهِ طَابَ الثَّنَاءُ
شَادَ حِصْنَ الْهُدَى وَتَمَّ الْبِنَاءُ
خَافِقَاتٍ أَعْلَامُهُ الْخَضْرَاءُ
وَبُنُورِ الْإِسْلَامِ تَمَّ الْهِنَاءُ

إنه من لُدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ
عَاطِرُ الذِّكْرِ لِلْقُلُوبِ شِفَاءُ
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَكْفِيهِ فَخْرًا
فَاضٌ نُورًا بِالْوَحْيِ صَدْرُ نَبِيِّ
وَرَسُولٍ لِلرُّسُلِ جَاءَ خَتَامًا
جَاءَ بَرْدًا لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
كَافَحَ الْكُفْرَ وَالضَّلَالَهَ حَتَّى
وَأَقَامَ الدِّينَ الْحَنِيفَ وَبَاتَتْ
آيَةُ الْحَقِّ قَدْ تَجَلَّتْ عَلَيْكُمْ

* * *

فُصِّلَتْ فِيهِ رَحْمَةٌ أَوْ بَلَاءُ
أَوْ دَنَا الشَّرُّ فَالصَّبَاحُ الْمَسَاءُ!
كُلُّ نَفْسٍ يَحْلُو لَهَا مَا تَشَاءُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا بِلَاغٌ
إِنَّ دَنَا الْخَيْرُ فَالْمَسَاءُ صَبَاحٌ
إِنَّ هَذَا الْحَدِيثُ أَحْسَنُ ذِكْرِي

* * *

وَعَرَّتْكُمْ بِطَيْشِهَا الْأَهْوَاءُ
شَهَوَاتٍ يَفِرُّ مِنْهَا الْحَيَاءُ
فَأَشْمَزَّتْ نُفُوسُهَا الْعُلِيَاءُ
فَخَبَا النُّورُ وَأَسْتَحَالَ الضِّيَاءُ
أَنْ تَرَى الثُّورَ مُقْلَةً عَمِيَاءُ
وَأَرْتَكِبْتُمْ مَا فَاضَ مِنْهُ الْإِنَاءُ
رَبَّيْنِ الشَّرِّ مَكْرَهُ وَالذَّهَاءُ
وَحَدَثَكُمْ جُنُودُهُ الْأَشْفِيَاءُ
هَائِجَاتٍ أُمُوجُهُ الظُّلْمَاءُ
وَرَمَاهَا أَنَّى أَرَادَ الْهَوَاءُ
تَتَلَأَسَى أَحْلَامُهُ الْحَمَقَاءُ
زَيْنَتُهُ لَدَيْكُمْ الْخِيَلَاءُ
قِيَامًا يَسْتُرُ الْإِنَاءُ الطَّلَاءُ
شَيْدَتُهَا الْمَطَامِعُ الْجَوْفَاءُ
مَا أُبِيحَتْ مِنْ أَجْلِهِ الصَّهْبَاءُ!
وَالغَوَانِي عَقُولُهُنَّ هَوَاءُ

أَيُّهَا الظَّالِمُونَ قَدْ شَاغَلْتَكُمْ
فَأَجِبْتُمْ نِدَاءَهَا
وَضَرَبْتُمْ بِشَرَعَةِ الْحَقِّ عَرْضًا
وَمَلَكْتُمْ سُبُلَ الضَّلَالَةِ جَهْلًا
وَعَمِيئْتُمْ عَنِ الْهُدَى وَمَحَالًا
وَأَنْدَفَعْتُمْ إِلَى الْمَعَاصِي سُكَارَى
وَأَتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَ غَاوٍ مُضِلٍّ
حَبَبَ اللَّهْوِ وَالْفَسَادِ إِلَيْكُمْ
فَرَكَبْتُمْ غِمَارَ بَحْرِ خِصَمٍّ
مَآخِرَاتٍ غُبَابَهُ سُفْنُ اللَّهِ—
حَمَلْتَكُمْ إِلَى ضَلَالٍ بَعِيدٍ
فَمَلَأْتُمْ مِنَ الْحَيَاةِ غُرُورًا
تَتَوَارُونَ فِي النَّزَاهَةِ وَالصِّدْقِ
وَتُقِيمُونَ لِلنَّفَاقِ صُرُوحًا
وَتُبِيحُونَ لِلخُمُورِ مَجَالًا
قَدْ تَنَاهَى فِيهِ الْفُجُورُ وَأَضْحَى

وسلبتم به عُقُولَ الغواني
فَقَضَيْتُمْ عَلَى العَافِ وَوَجْهَهُ
إِنَّمَا الطُّهُرُ لِلنُّفُوسِ جَمَالٌ
سَهْلَ المَالِ كُلِّ غِيٍّ لَدَيْكُمْ
إِنَّمَا المَالُ قُوَّةٌ فَنَنْتَكُمْ
إِنَّهُ لِلنُّفُوسِ خَيْرٌ اخْتِبَارٍ
حِكْمَةُ المَالِ أَنْ يُبَرَّ يَتِيمٌ
وَتُوَدَّى لِلوَالِدِينَ فُرُوضٌ
وَتَعْمَ الخَيْرَاتُ كُلَّ فقِيرٍ
إِنِ لِلْمُحْسِنِينَ أَحْسَنَ ذِكْرِي
خُلِقَ المَالُ لِلْفَضِيلَةِ دُخْرًا
فَأَسَأْتُمْ فِيهِ التَّصَرُّفَ حَتَّى
ذَهَبَ المَالُ حِينَ كُنْتُمْ سَكَارَى
قَدْ رَفَعْتُمْ عَنِ الحَيَاءِ قِنَاعًا
أَيُّهَا الجَاحِدُونَ فَضَّلْ إِلَيْهِ
كَيْفَ يَعْصِي الضَّعِيفُ أَمْرَ قَوِيٍّ
كَمْ أَبَاحَتْ نُفُوسُكُمْ لَكُمْ الشَّ—
أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ المَهْيَمِينَ عَهْدًا
أَمْ جَهَلْتُمْ بِأَنْكُمْ مِنْ نُرَابٍ
خَدَعْتُمْ بِسِحْرِهَا أَمْ دُفِرَ
وَأَسْتَمَالَتْ عَقُولُكُمْ فَجَبْنْتُمْ
إِنَّ فِيهَا مِنَ الفَوَاتِنِ طَيْفًا
فَهِىَ مَجْبُولَةٌ عَلَى العَدْرِ لَا تَحْفَظُ
كُلَّ دَمْعٍ مِنْهَا يَسِيلُ عَلَيْهَا
دَائِمًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهْبُ الدن—
وَعَجِيبٌ أَمْ بِغَيْرِ حَلِيلٍ
وَلَدْنَهُمْ وَمَتَّعْنَهُمْ قَلِيلًا
فَطَوَّئْتُمْ فِي جَوْفِهَا وَأَطْمَأْنَنْتُمْ

مِنْهُ يَبْكِي وَيَسْتَعِيثُ الحَيَاءُ
زَالَ مِنْهُ الحَيَاءُ زَالَ المَاءُ
فَإِذَا ضَاعَ زَالَ عَنْهَا البَهَاءُ
فَلَهَوْتُمْ بِهِ فَحَمَّ القَضَاءُ
فَضَحِكْتُمْ وَرَاحَ يَبْكِي الوَفَاءُ
فَهُوَ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ أَوْ بَلَاءُ
وَنُوفَى حُقُوقِهَا الأَقْرَبَاءُ
وَاجِبَاتُ بِهَا يَدُومُ الوَلَاءُ
دَهَمَتْهُ بِسَرِّهَا النُّكْبَاءُ
يَشْهَدُ الدَّهْرُ أَنَّهُمْ رُحَمَاءُ
وَسَلَاحًا تَسْمُو بِهِ العُلْيَاءُ
نَفِدَ المَالُ ثُمَّ مَاتَ الرَّجَاءُ
وَصَحَوْتُمْ وَقَدْ عَفَا الإِغْوَاءُ
وَغَفَوْتُمْ حَتَّى اخْتَفَى ذَا العِطَاءُ
سَمَلْتُمْ مِنْ جَلْمِهِ النِّعْمَاءُ
قَاهِرٌ عَادِلٌ لَهُ مَا يَشَاءُ؟
رَّ وَكَيْفَ أَسْتُطِيرَ هَذَا البَلَاءُ
أَمْ نَسِيْتُمْ مَنْ عِنْدَهُ السَّرَّاءُ؟
قَاصِرَاتُ أَحْلَامِكُمْ أَغْيَاءُ
جَرَّ عَنكُمْ سُمُومَهَا الرِّقْطَاءُ
خَاتَلْتُمْ مَنْ طَبَعَهَا الإِغْوَاءُ
مَنْذُ جَاءَتْ لِأَدَمِ الأَسْمَاءُ
عَهْدًا وَليْسَ فِيهَا وِفَاءُ
وَتَوَلَّى إِذْ تَصْعَدُ الحَوْبَاءُ
— يَا كَأَنَّ كَانَ خُدْعَةٌ ذَا العَطَاءُ
عَشِيقَتُهَا أَبْنَاؤُهَا التَّعْسَاءُ
ثُمَّ أَرْغَتْ كَأَنَّهُمْ أَعْدَاءُ
خَشِيَةَ العَارِ أَنْ يُقَالَ بِغَاءُ

* * *

زَيْنَتُهُ بِكَيْدِهَا الهَيْفَاءُ!

أَيُّهَا النَّاسُ بَاطِلٌ كُلُّ شَيْءٍ

زائلٌ فوقه يحومُ الفناء
 —رَ مهما تقننُ البنَاء
 ما تقضى حتى تلاءُ العناء
 وملالاً أعى الطبيب الدواء
 ما سهوئتم حت أدلهم البلاء
 بعد هذي الحياة يفنى البقاء
 فارق العين بعهه الإغفاء
 تحسبُ النطق السنُ خرساء
 أبصرت منه أعين عمياء
 عذبته الأمراض والأدواء
 فيه تشقى وتسعُد الأحياء
 تتهادى كما يمرُّ الهواء
 لو عقلمتم لزال هذا الخفاء
 خلوه المرُّ والهناء الشقاء!
 يتساوى سرورُهُ والبكاء
 كيف مرّت وكيف زال الرّواء؟
 في منام أحلامه فرعاء
 لا أبالي مهما أحاط الشقاء
 سئبُ رأسي واللحية البيضاء
 هي عيبي وليكفني ذا العراء

فالجمال الذي سبأكم خيالٌ
 كلُّ بيتٍ يبلى على الدهرِ ما عمّ—
 ونعيمُ الدنيا الذي نال منكم
 تعب الناصحون طوعاً وكرهاً
 لو نظرتم إلى الحقيقة يوماً
 خلق الناس للبقاء وجهلٌ
 سنة كلها الحياة وصحورٌ
 أرجع السمع للأصم وصارت
 وأعاد الضياء للعين حتى
 ثم ردّ المسلوب من كل جسم
 إنما عيشكم منامٌ قصيرٌ
 وكذا العمرُ والسنون خيالٌ
 تتراءى لكم طوالاً ولكن
 ينقضي العمرُ بين عسرٍ ويسرٍ
 كلُّ من أطلق البصيرة بحثاً
 فاسألوا من قضى ثمانين عاماً
 لست أدري كيف أنقضى وكأني
 كنت بالأمس لاهياً بالنصابي
 ففقدت الشباب حين دعاني
 إنما اللحظة التي أنا فيها

* * *

تتقضّى متى توارى الضياء
 سوف ينفضُ بيعها والشراء
 خاسرات من جهلها الأغبياء
 قدر أعمالهم يكونُ الجزاء
 حيث في هذه البلى والتواء
 ضجعةً بعدها يكونُ الثواء
 وهو كأس فيه البرايا سواء
 وعظمت جاءت بها الأنبياء
 فصلته الشرائع السمحاء

ما الحياة الدنيا سوى دارٍ لهوٍ
 أو كسوقٍ قد هددت بانفضاضٍ
 رباحات قوى الفطانة فيها
 ينقلُ الناس من حياةٍ لأخرى
 تلك دارٌ تدوم فيها حياةٌ
 خلق الموت بين دارٍ ودارٍ
 فهو بابٌ يجتازه كلُّ حيٍّ
 أيها الناس إن هذي لذكرى
 أتريدون بعد هذا بلاغاً

أَيْنَ مَنْ عَمَّرُوا وَشَادُوا وَسَادُوا
 أَيْنَ مَنْ زَيَّنُوا العُرُوشَ جَمَالًا
 أَيْنَ مَنْ عَزَّ مُلْكُهُمْ وَتَسَامَى
 أَيْنَ مَنْ كَافَحُوا المَصَاعِبَ حَتَّى
 أَيْنَ مَنْ دَمَّرُوا الحُصُونِ بِبَأسٍ
 أَيْنَ مَنْ سَابَقُوا الرِّيحَ بِخَيْلٍ
 أَيْنَ مَنْ جَالَدُوا الزَّمَانَ بِصَبْرِ
 أَيْنَ مَنْ شَيَّدُوا الهَيَاكِلَ حُبًّا
 أَيْنَ مَنْ هَدَمُوا المَعَابِدَ ظُلْمًا
 أَيْنَ مَنْ خَرَّبُوا المَدَائِنَ جَبًّا
 أَيْنَ مَنْ جَاهَدُوا وَمَاتُوا كِرَامًا
 أَيْنَ مَنْ كَانَ هَمُّهُمْ جَمْعُ مَالٍ
 أَيْنَ مَنْ أَصْلَحُوا فَأَحْيَوْا نَفوسًا
 أَيْنَ مَنْ أوقفوا الحَيَاةَ لِئُصْحَ
 أَيْنَ مَنْ حَارَبُوا النَفوسَ بِزُهْدٍ
 أَيْنَ مَنْ أَرْسَلُوا لِجَمْعِ شُعوبٍ
 لَمْ يَصِرْهُمْ مُرُّ الأَدَى وَبِصْبَرٍ
 رَفَعَ اللهُ تَمَّ إِدْرِيسَ حَيًّا

أَيْنَ عُمَرَانُهُمْ وَأَيْنَ البِنَاءُ
 أَيْنَ تيجَانُهُمْ وَأَيْنَ البِهَاءُ
 أَيْنَ سُلْطَانُهُمْ وَأَيْنَ العِلَاءُ
 ذَلَّلُوهَا وَأَيْنَ ذَاكَ الدَّهَاءُ
 مِنْ حديدٍ وَأَيْنَ تِلْكَ الدِّمَاءُ
 صَافِنَاتٍ تَهَابُهَا الهَيْجَاءُ
 أَيْنَ مَنْ صَاوَلْتُهُمُ النِّكْبَاءُ
 وَأَحْتَرَامًا لَهَا فَعَزَّ البِنَاءُ
 وَعُتُوهَا وَأَيْنَ مَنْ قَدَّ أَسَاءُوهَا
 رِينَ بَلِ أَيْنَ تِلْكَمُ الأَشْلَاءُ
 أَيْنَ إِقْدَامُهُمْ وَأَيْنَ المِضَاءُ
 أَيْنَ أُمُوالِهِمْ وَأَيْنَ النِّثَاءُ
 أَوْشَكَتْ تَسْتَمِيلُهَا الأَهْوَاءُ
 أَيْنَ إِيمَانُهُمْ وَأَيْنَ النِّدَاءُ
 أَيْنَ نَفَوَاهُمْ وَأَيْنَ الوَفَاءُ
 مَرَقَّتْهَا الأَدْيَانُ وَالخُلَطَاءُ
 وَاصْلُوا الهُدَى، نَعَمْتَ الأَنْبِيَاءُ!
 حَيْثُ أَضَحَّتْ مَكَانَهُ العُلَيَاءُ

نوح

أَيْنَ شَيْخُ الطُّوفَانِ مِنْ بَعْدِ يَاسٍ
 أَنْقَذْتَهُ وَأَهْلَهُ وَهِيَ تَجْرِي
 بَرَكَاتُ الإِلهِ يَا نُوحَ حَلَّتْ
 هَذَا الرُّوحُ بَعْدَ أَنْ قِيلَ بُعْدًا
 أَيْنَ هُوْدٌ وَقَدْ دَعَا قَوْمَ عادٍ
 وَثَمُودَ الَّذِينَ قَدْ أَخَذْتَهُمْ
 نَاقَةَ اللهِ أَنْكَرُوهَا وَظَلَمُوا

صَنَعَ الفُلْكَ حِينَ حَلَّ البِنَاءُ
 بَيْنَ مَوْجِ جِبَالِهِ الدَّامَاءُ
 قُضِيَ الأَمْرُ أَقْلِعِي يَا سَمَاءُ
 وَنَجَا الرِّكْبُ حِينَ غِيضَ المَاءُ
 فَعَصَوْهُ فَحَلَّ فِيهِمْ وَبَاءُ
 صَيَحَّةُ القَهْرِ وَفُقَّ مَا قَدَّ أَسَاءُوهَا
 عَقَرُوهَا فَحَقَّتْ النِّكْبَاءُ

إبراهيم

فَارَقَتْهَا أَصْنَامُهَا الصَّمَاءَ
ومحالٌ تَدُوقُهَا الْأَنْبِيَاءُ
وهي لِلْمُشْرِكِينَ بِئْسَ الْجَزَاءُ
وسلامًا وفي السَّلَامِ الْوِقَاءُ
حيثُ شَاءَ الْقَدِيرُ بِالْخَزْيِ بَاءُوا

* * *

وَيَقِينُ وَمِلَّةً وَأَيْتَاءُ
مِ جُدَادًا وَهَمَّ لَدَيْكَ سَوَاءُ
نَ طَعَامًا وَهَلْ يُحِبُّبُ الْفَضَاءُ
هو فِينَا الْمَحَبَّةُ الْبَيْضَاءُ
يَتَمَارُونَ، حِينَ ضَلَّ الْمِرَاءُ
رَا وَلَمْ يَنْتَقِصَاكَ طِينٌ وَمَاءُ
وَرَفَعْتَ التَّوْحِيدَ وَهُوَ اللَّوَاءُ
وَلِلطَّيْرِ فِي الْجَحِيمِ أَنْطَوَاءُ
يا رَسُولًا يِرَادَ مِنْهُ شِوَاءُ
—هَ وَاللَّهِ فِي يَدَيْهِ الْعَطَاءُ
فَلذَاتِ نَعَمَتِ الْأَبْنَاءِ
قُئِمْتَ لِلَّهِ ثُمَّ سَبَقَ الْفِدَاءُ

أَيْنَ مَنْ حَطَّمَ الْهَيَاكِلَ حَتَّى
أَوْقَدُوا النَّارَ فَاسْتَحَالَتْ هَبَاءُ
إِنَّمَا النَّارُ لِلْعَصَاةِ عَذَابُ
نَارُ كُونِي عَلَى خَلِيلِي بَرْدًا
وَأَرَادُوا كَيْدًا فزَادُوا خَسَارًا

يا أَبَا الْخَلْقِ وَالرَّسَالَةِ وَحَيِّ
أَنْتَ خَلَقْتَ ثُمَّ إِلَهَةَ الْقَوْمِ
بعدَ أَنْ سَبَّلَ كُلُّهُمْ هَلْ يُرْجُو
وَرَمَيْتَ الْكَبِيرَ مِنْهُمْ بِجُرْمِ
ثمَ أَوْقَفْتُهُمْ لَدَيْهِ حِيَارِي
يَوْمَ لَمْ تَخْشَ عَيْرَ رَبِّكَ قَهًا
بَلْ تَقَدَّمْتَ وَالنَّوَاطِرُ حَسْرِي
ثمَ لَمْ تَعْتَصِمَ بِأَجْنِحَةِ الرُّوحِ
فَتَأَيَّبْتَ عَنِ سِوَى اللَّهِ غَوْنًا
وَبِهَا كُنْتَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّ—
واهْبُ الشَّيْخَ بَعْدَ ضَعْفِ وَبَأْسِ
ثمَ لَمَّا أَرَيْتَ مِنْهُمْ ذَبِيحًا

يعقوب

فَتَوَارَى عَنِ مُقْلَنِيهِ الضِّيَاءُ
وَعَلَيْهِ لِلْإِفْكِ تَجْرِي دِمَاءُ
خَانَهُ الدُّنْبُ وَأَعْتَرَاهُمْ بُكَاءُ
دَ فَصَبْرٌ وَرَحْمَةٌ وَرَجَاءُ
وَالِىَ اللَّهِ حَقَّ مِنْهُ التَّجَاءُ
خَاشِعًا قَانِتًا فَحَلَّ الرِّضَاءُ
بعدَ طُولِ الْفِرَاقِ أَنْ اللَّفَاءُ
دَّ بَصِيرًا وَزَالَ عَنْهُ الْعِنَاءُ

أَيْنَ مَنْ وَاصَلَ الْبُكَاءَ حَزِينًا
يَوْمَ جَاءُوهُ بِالْقَمِيصِ عِشَاءُ
وَأَدْعُوا كَاذِبِينَ أَنْ أَحَاهُمْ
قالَ بَلْ سَوَّلَتْ نَفُوسِكُمُ الْكَيْ—
كَظَمَ الْعَيْظُ بِالنَّصْبِ دَهْرًا
وَدَعَا اللَّهَ وَالِهَا مُسْتَعِينًا
يا أَبَا الْغَائِبِ الْعَزِيزِ سَلَامُ
حِينَ رَدُّوا قَمِيصَ يَوْسُفَ فَارْت—

يوسف

وَأَبْنُ يَعْقُوبَ إِذْ أَرَأَى الشَّمْسَ وَالْبَدْنَ
 وبمراهما رَأَى أَحَدَ الْعَشْرِ—
 سُجَّدًا كُلُّهُمُ لَهُ وَهُوَ عَبْدٌ
 وَتَجَلَّتْ كَأَنَّهَا فَلَقَ الصُّبَّ—
 وَنَهَاهُ عَنِ الْإِبَاحَةِ بِالسَّرِّ
 هَكَذَا يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ بِالنَّاتِّ
 وَرَأَوْهُ أَحَبَّ مِنْهُمْ إِلَيْهِ
 وَرَأَوْا قَتْلَهُ فَقَالَ أَخُوهُ
 قَالَ أَلْفَوْهُ فِي غِيَابَةِ هَذَا الْحُجِّ—
 وَإِذَا بَيْعَ مَرَّتَيْنِ نَبِيِّ
 كُلُّ ضَرَاءٍ تَرْجُفُ النَّفْسُ مِنْهَا
 يَا صَبِيًّا رَأَى الْكَوَاكِبَ فِي النَّوْ
 حِكْمَةُ اللَّهِ فِي الْقَضَاءِ فَأَكْرَمَ
 إِنَّ رُوحَ الْعَزِيزِ أَوْسَعُ عُذْرًا
 إِذْ رَأَتْ مَشْهَدَ النُّبُوَّةِ نَوْرًا
 وَعَزِيزٌ عَلَى الْقُلُوبِ التَّجَنِّي
 غَيْرَ أَنْ الْحَيَاءَ أَدْنَى إِلَى الْإِفِّ—
 حِينَ هَامَتْ وَحِينَ هَمَّتْ رَأَيْنَا
 نَفْسَهَا سَوَّلَتْ وَأَسْبَاطُنَا أَنْ—
 وَكَفَى نِسْوَةَ الْمَدِينَةِ عُذْرًا

رَ مَنَامًا وَلِلرُّؤْيَى فَيَاءُ
 رَ وَمَجْلَاهُ كَوَكَبٍ لَأَلَاءِ
 دُبِحَتْ عَنْهُ سَخْلَةٌ عَجْفَاءُ
 حَ لِسِبْطِ الذَّبِيحِ فِيهَا رَجَاءُ
 وَفِي الصُّبْحِ لِلذَّجَى إِفْشَاءُ
 وَيَلِ وَاللَّهُ فَاعِلٌ مَا يَشَاءُ
 فَاسْرُورًا كَيْدًا وَضَاعَ الْإِخَاءُ
 إِنَّمَا الْقَتْلُ سُبَّةٌ شَنْعَاءُ
 بَّ حَتَّى يُفْصِيهِ عَنْ الدَّلَاءِ
 وَرَسُولٌ كَفَى الْأَبَاءَ الْإِبَاءُ
 هِيَ بِالصَّبْرِ وَالنَّقَى سَرَاءُ!
 مَ سَجُودًا يَشْتَعُ مِنْهَا الضِّيَاءُ
 بَصْبُورٍ تَحُوطُهُ الْأَرْزَاءُ
 فِيكَ وَالنَّفْسُ صَرَصَرٌ هَوَجَاءُ
 زَانَهُ مِنْكَ مَظْهَرٌ وَضَاءُ
 هَلْ عَنِ الْحُسْنِ تَذَهَلُ الْحَسَنَاءُ
 لِكِ وَهَذَا لِنُسْتَرِ الْفَحْشَاءِ
 لِكِ وَفِيًّا وَدُونِكَ الْأَوْفِيَاءِ
 فُسُهِمٌ سَوَّلَتْ وَهَذَا بِلَاءُ
 فِي خِصَابٍ تَسِيلُ مِنْهُ الدَّمَاءُ

* * *

حَسَمُوا فِئْتَةَ الْجَمَالِ بِسِجْنِ
 بَيْعِ بَيْعِ الرَّفِيقِ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَا
 وَبِرُؤْيَا النَّدِيمِ صَادَفَ عَهْدًا
 قَالَ مَا تَعْبُدُونَ إِلَّا خَيْالًا
 وَبِرُؤْيَا الْعَزِيزِ حَطَّمَ أَصْفَا
 وَدَعَاؤُهُ وَلِلْبَرِيِّ احْتِكَامُ
 قَالَ مَا بِالْهَنْنِ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُ—
 قَالَتْ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ إِنِّي
 لَيْسَ لِي أَنْ أُخُونَ بِالْغَيْبِ عَهْدًا

ضَمَّ مَنْ كُلُّ أَهْلِهِ أَنْبِيَاءُ
 وَإِلَى السَّجْنِ سَيْقٍ وَهُوَ بَرَاءُ
 بَدَأَ الْوَعْظُ فِيهِ وَالْإِلْقَاءُ
 قَلَّدَتْهُ وَشَاحَهَا الْأَسْمَاءُ
 دَ الْبَلَايَا فَزَالَتْ اللَّأَوَاءُ
 وَاحْتِجَاجٌ وَهَكَذَا الْبُرَاءُ
 نَنْ مَنْ قَبْلُ أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ؟
 أَنَا رَاوِدْتَهُ وَقُدَّ الرِّدَاءُ!
 ثَوْرَةُ النَّفْسِ فِي ابْنِ آدَمَ دَاءُ

هي نَفْسِي وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي
فتلقوه طاهر اليَدِ والذِّي—
وَأَحْلَتْهُ عند ذِي العرشِ حَقًّا
واجتباهُ لنفسه وَخَلِيقٌ
هكذا يُصْهَرُ النُّضَارُ لِيَصْفُو

أيوب

إنما النفسُ لوُمُها إِغْرَاءُ!
لِ ولاحَتِ بِأُفْقِهِ الْجَوْرَاءُ
مَقْعَدَ الصِّدْقِ نَفْسُهُ العِصْمَاءُ
بابن يعقوبَ عِنْدَهَا الإِجْتِبَاءُ
والبلايا يَبْتُمُّ فِيهَا الصِّفَاءُ

أَيْنَ مَنْ قَاوَمَ البَلَاءَ بِصَبْرٍ
مَسَّهُ الصُّرُّ وانبرى الدَّاءُ يَفْرِي
صَيَّرَتْهُ يدِ النُّحُولِ خَيَالًا
إِيهِ أَيُّوبَ قد بَرَّتْكَ سِقَامٌ
كَلَّمَا ازْدَادَ كَرْبُهُ زَادَ صَبْرًا
كَشَفَ اللهُ ضَرْهَ حينِ عَادَتْ

شعيب

وَنَبَاتٍ ولم يُفِذْهُ الدَّوَاءُ
جِسْمٌ طَوْدٍ فانهارَ هذا البناءُ
وتعدَّى على الصُّبُورِ البَلَاءُ
كاد يدعوك لو جَزَعْتَ التَّوَاءُ
هَزَمَ الدَّاءُ حَمْدُهُ والنِّثَاءُ
لرميمِ العظامِ تَجْرِي الدَّمَاءُ

أَيْنَ مَنْ قالَ أَهلَ مَدِينٍ أَوْفُوا
فَتَوَلَّوْا عنه وقالوا ضعيفٌ
وَأَصْرُوا على العِنَادِ عُنُوءًا
وأهانوا شُعَيْبَ بِنَسْتِ نفوسٍ
فاستحقُّوا العذابَ لَمَّا تَعَالَوْا

موسى

وَأُتْفُوا اللهُ مَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ
أَنْتَ فِينَا وَهُمْ هُمُ الضُّعْفَاءُ
وَنُفُورًا ولم يُفِذْهُمُ دَوَاءُ
قادها الكُفْرُ والعمى والرِّبَاءُ
كِبْرِيَاءً وحلَّ فيهم شقاءُ

أَيْنَ موسى مَنْ جاءَ فِرْعَوْنَ طِفْلاً
أودِعَ الأيِّمَ خَوْفَ بَطْشِ عَدُوِّ
أكرمواهُ إذ قِيلَ فُرَّةٌ عَيْنٍ
إن فرعونَ قد طَعَى وتعالى
أل فرعونَ عَدَّبُوا قَوْمَ موسى
ودَعَوْا رَبَّهُمْ فأرسلَ سَيْفًا
عَزَّ قَدْرًا في قصرِ فرعونَ حَتَّى

تَرَفُّبُ النَّجْمِ عَيْنُهُ النَّجْلَاءُ؟
وتَوَلَّى مَهْدَ الكليمِ الماءُ
تَمَّ حَقًّا ما قَدَّرَتْهُ السماءُ
بِنَسْ عَهْدٍ أُبِيحَ فيه الدَّماءُ
فاستجارتِ رِجالَهُم والنِّساءُ
كان حِصْنًا عَرَّتْ به الأبرياءُ
إذ بدا الرُّشْدُ دَبَّتِ البِغضاءُ

وَأَسْتَوَى حِينَ فَاضَتْ الْآلَاءُ
 وَتَوَارَتْ أَمَامَهُ الْأَقْوِيَاءُ
 فَالْتَقَتْهُ الْجَنَابَةُ النَّكْرَاءُ
 نِعْمَةً مِنْهُ وَأَسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ
 حَذَرَ الْمَوْتِ هَكَذَا النَّصْحَاءُ
 خَشْيَةَ الْعَذْرِ يَوْمَ تَمَّ الْعَدَاءُ
 وَعَنْ الْوَرْدِ أُبْعِدَ الضُّعْفَاءُ
 نِ انْكَسَارًا إِذْ هَرَّ مُوسَى الْوَفَاءُ
 وَسَقَى وَأَنْقَى وَحَقَّقَ الثَّنَاءُ
 وَهُوَ مِنْ مَوْقِفِ الْأَجِيرِ بَرَاءُ
 وَقَتِي فَنِعْمَ هَذَا اللَّفَاءُ
 زَانِهَا الطُّهْرُ وَالْوَفَا وَالْحِيَاءُ
 مَا رَأَاهَا حَتَّى تَعَالَى النَّدَاءُ
 وَتَجَلَّدَ لَا تَضْطَرِبُ يَا هَوَاءُ
 وَأَجْنَبَاهُ وَفَاضَتْ النِّعْمَاءُ
 قَبِيلَ خُذْهَا تَجِدْ بِهَا مَا تَشَاءُ
 يَدُ مُوسَى وَأَيْدِيهِ السَّمَاءُ
 فَاطْبِعُوهُ أَوْ يَحْيِقِ الْبَلَاءُ
 ثُمَّ طَارَتْ بِالسَّاحِرِ الْأَنْبَاءُ
 سَجْدًا وَأَعْتَلَتْ ضُحَاهَا ذُكَاءُ
 وَتَوَلَّتْ فِرْعَوْنَهُمْ كِبْرِيَاءُ
 وَغَوَّثَهُمْ بِطَيْشِهَا الْخِيَلَاءُ
 وَهَوَى بِالْعَصَا فَشَقَّ الْمَاءُ
 كَانَ قَبْرًا لَهُمْ وَتَمَّ الْجَزَاءُ

ثُمَّ لَمَّا آتَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا
 بَاتَ فِي مِصْرَ لِلْمَلِكِ ظَهِيرًا
 وَأَتَى الْقَوْمَ يَرْفُبُ الْأَمْنَ فِيهِمْ
 فَدَعَا رَبَّهُ فَأَوْلَاهُ عَفْوًا
 جَاءَهُ مُؤْمِنُ الْمَدِينَةِ يَسْعَى
 فَرَّ يَعْدُو تِلْقَاءَ مَدِينٍ خَوْفًا
 وَعَلَى مَائِهِ تَرَاحَمَ قَوْمٌ
 مَا لِيَبْتَتِي شُعَيْبَ عَنْهُ تَدْوَدًا
 فِي مِصْرَ كَعَزْمَةِ اللَّيْثِ وَقِي
 وَدَعَاهُ شُعَيْبُ يَجْزِيهِ أَجْرًا
 فَالْتَقَى عِنْدَهَا نَبِيَّانِ سَيِّخُ
 هَذِهِ (صَفْوَةٌ) الْعَزِيزَةُ فَاهْنَأُ
 بَعْدَ عَشْرِ سَعَى فَانْسَ نَارًا
 إِخْلَعَ النَّعْلَ وَأَسْتَمَعَ مَا يُوحَى
 جَانِبَ الطُّورِ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
 قَالَ أَلْقِ الْعَصَا فَادْبَرَ خَوْفًا
 وَتَبَدَّتْ بِيضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ
 آلَ فِرْعَوْنَ قَدْ أَتَاكُمْ رَسُولٌ
 قَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ
 حِينَ أَلْقَى عَصَاهُ خَرُّوا جَمِيعًا
 شَهِدَ الْكُلُّ أَنَّ مُوسَى رَسُولٌ
 فَنَمَادَى وَجَنَدَهُ فِي ضَلَالٍ
 أَدْرَكَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكُوهُ
 وَأَفْتَقَاهُ فِرْعَوْنُ وَالْجُنْدُ سَعِيًا

قارون

غَرَّهُ الْجَاهُ وَالْمُنَى وَالنَّشْرَاءُ!
 خَبَّأَتْهَا فِي جَوْفِهَا الْجَرْدَاءُ؟
 وَيَحِ قَارُونَ هَذِهِ الْإِفْتِرَاءُ
 وَعَلَى الْحَقِّ لَا يَفُوزُ الْمِرَاءُ

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى
 أَيْنَ مَا حَازَ مِنْ كُنُوزٍ وَمَالٍ
 كُلُّ مَنْ يَفْتَرِي يِنَالُ جَزَاءُ
 دَبَّرَتْ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةَ كَيْدًا

وَأَعْتَدَى ظَالِمًا غَوِيًّا كَذُوبًا
فَرَمَاهُ الْقِضَاءُ مِنْهُ بِخَسْفٍ

وَأَسْنَفَرْتُ عُثُوَّهُ كِبْرِيَاءَ
عِبْرَةً لِلَّذِينَ عَاثُوا وَرَاءُوا

طالوت وجالوت

أَيْنَ جَالُوتُ مَنْ تَعَاظَمَ بِأَسًا
أَوْقَدَ النَّارَ ثُمَّ شَادَ حُصُونًا
مَا تَمَادَى جَالُوتُ فِي الظُّلْمِ حَتَّى
كَانَ طَالُوتُ قَدْ تَمَلَّكَ فِيهِمْ
قَادَهُمْ مُرْعَمِينَ نَحْوَ الصَّوَارِي
أَظْلَمَ الْجَوُّ حِينَ مَاجَتْ جِيوشُ
صَالَ جَالُوتُ حِينَ أَنَسَ ضَعْفًا
أَذْهَلَ الْخَوْفُ جَيْشَ أَبْنَاءِ إِسْرَا
صَاحَ طَالُوتُ بَيْنَهُمْ لَا تَخَافُوا
وَأُنْبِرِي كَالْحُسَامِ يَطْلُبُ خَصْمًا
رَحْمَةُ اللَّهِ أُرْسَلْتُ خَلْفَ طَالُو
كَانَ هَذَا دَاوُدُ سَابِعَ رَهْطٍ
رَفَعَ النِّصْرَ حِينَ صَالَ لِيَوَاءَ
لَمْ يُرَوِّعُهُ بِأَسٍ خَصْمَ عَنِيدٍ
فَتَمَشَّى كَاللَّيْثِ يَطْلُبُ قُوًّا
وَرَمَاهُ فَخَرَّ يَهُوِي صَرِيعًا
سَبَّحَ اللَّهُ وَهُوَ يَرْمِي حِصَاهُ
نَزَلَ الْهَوْلُ وَافْتَقَتْهُمْ جُنُودُ
تَمَّ نَصْرُ الضَّعِيفِ حِينَ تَجَلَّتْ

أَرْضَعْتُهُ لِيَانَهَا الْهَيْجَاءُ
لَجِيوشِ ضَاقَتْ بِهَا الْبَيْدَاءُ
أَمَرَ اللَّهُ قَوْمَ مُوسَى فَجَاءُوا
وَهُوَ بَدَنٌ وَكُلُّهُمْ ضَعْفَاءُ
جَيْشُ جَالُوتِ صَخْرَةٌ صَمَاءُ
وَبَدَا الرَّغْبُ وَأَذْلَهَمَ الْبِلَاءُ
وَتَمَشَّتْ فِي جَيْشِهِ الْكِبْرِيَاءُ
ثِيلٌ أَوْ كَادَ فِيهِ يَخْفَى الْهَوَاءُ
كَمْ ضَعِيفٍ دَانَتْ لَهُ الْأَقْوِيَاءُ
لَا يُبَارِيهِ فِي الْوَفَى فُرْنَاءُ
تَ غُلَامًا قَدْ عَزَّرْتُهُ السَّمَاءُ
أَيْنَمَا حَلَّ زَالَتِ النُّكْبَاءُ
وَكَسَاهُ ثُوبَ الْجَلَالِ الضِّيَاءُ
وَجِيَادٌ مَاجَتْ بِهَا الصَّخْرَاءُ
ثُمَّ نَادَى جَالُوتُ أَنْ الْفَنَاءُ
وَتَرَامَى عَلَى الْعَدُوِّ الْقِضَاءُ
جَاوَبْتُهُ الْقِفَارُ وَالْأَرْجَاءُ
لَمْ يَرَوْهَا وَسَالَتِ الرُّحُضَاءُ
قُوَّةُ اللَّهِ وَاسْتِقَامَ الْبِنَاءُ

داود

أَيْنَ دَاوُدَ مِنْ أَنْابِ بَقْلِبِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ خَمْسِينَ عَامًا
حَوْلَهُ أَوْبَتْ جَمِيعُ الرِّوَاسِي
وَكَذَا الطَّيْرُ جَاوَبْتُهُ بِشِدْوِ

خَشِيَّةَ اللَّهِ حَلَّ فِيهِ الْحَيَاءُ
لَمْ يَشِبْ حُسْنَ صِدْقِهَا إِعْيَاءُ!
ثُمَّ حَنَّتْ لَصَوْتِهِ الشَّمَخَاءُ
رَجَعَتْ حُسْنَ شِدْوِهَا الْأَرْجَاءُ

وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ

سَابِغَاتٍ هِيَ الدُّرُوعُ رِداء

سليمان

أَيَّنَ مِنْ سُخَّرَتْ لَهُ الْجِنُّ وَالْإِنُّ—
يَأْمُرُ الرِّيحَ حَيْثُمَا شَاءَ تَجْرِي
زَادَهُ اللهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ عِلْمًا
وَرَثَ الْمُلْكَ عَنْ أَبِيهِ وَمَلِكًا
يَا ابْنَ دَاوُدَ قَدْ ظَفَرْتَ بِحُكْمٍ
كَنتَ فِي الْأَرْضِ خَيْرَ مَنْ حَازَ مُلْكًا

سُسُ وَغَنَّتْ بِمُلْكِهِ الْجَوَزَاءُ
مَلِكٌ صَدْرُ تَاجِهِ الزَّهْرَاءُ
وَتَبَاهَتْ بِمُلْكِهِ الشُّعْرَاءُ
شَادَهُ الْحَمْدُ طَابَ فِيهِ الثَّنَاءُ
كَمْ تَمَنَّتْ مَنَالَهُ الْأَكْفَاءُ
يَا سَلِيمَانَ تَمَّ فِيهِ الْعَطَاءُ

يونس

أَيَّنَ دُوَّ النُّونِ إِذْ تَوَلَّاهُ كَرْبٌ
وَقَفَ الْفَلَكَ بَعْتَةً حِينَ قَالُوا
قَدَّرَ اللهُ أَنْ يُونِسَ يُجْرَى
فَرَمُوهُ فِي الْيَمِّ وَالْحَوْتُ يُجْرِي
ظَلَّ فِي بَطْنِهِ يُسَبِّحُ حَتَّى
فَرَجَّ اللهُ كَرْبَ يُونِسَ عَدْلًا

فَامْتَطَى الْفُلكَ حِينَ طَابَ الْهَوَاءُ
أَيُّهَا الْقَوْمُ سَاهِمُوا أَوْ تُسَاؤُوا
لَاخْتِبَارِ وَأَنْ هَذَا الْجِزَاءُ
سَاقَهُ الْوَحْيِ رَحْمَةً وَالنَّدَاءُ
أَمْرَ اللهِ أَنْ يَزُولَ الْعَنَاءُ
وَبِهَذَا تَمَّ الرِّضَا وَالصَّفَاءُ

زكريا

أَيَّنَ مَنْ قَالَ لَا تَدْرِنِي فَرْدًا
يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ هَبْ لِي وَلِيًّا
هُدْيِي الرُّوعَ وَأَبْتَهْجِ زَكْرِيَّا
رَحْمَةً اللهُ أَكْرَمَتِكَ بِيَحْيَى

وَهَنَّ الْعَظْمُ وَأَضْمَحَلَّ الْبِنَاءُ
يَرِثُ النُّورَ كِي يَدُومَ الضِّيَاءُ
يَا كَفِيلَ الْعِذْرَاءِ أَنْ الْوَفَاءُ
نَالَ حُكْمًا مَا نَالَهُ الْبِنَاءُ

عيسى

ظَلَّ حَيًّا مَنْ كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْ—
خَيْرُ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَطْهَرِ أُمَّ
جَاءَهَا الْوَحْيُ فَاسْتَعَاذَتْ بِرَبِّ الـ

دِ وَطِفْلًا وَعَظَّمَتْهُ السَّمَاءُ
شَهِدَ اللهُ أَنَّهَا عِدْرَاءُ
نَاسٍ مِنْهُ وَدَبَّ فِيهَا الْحَيَاءُ

فاحملي النور نغم هذا العطاء
 وأضاءت محرابها الزهراء
 ليئتي مت أو دعاني النواء
 واستنارت بوضعها الأرجاء
 سوف يبدو للقوم هذا الضياء
 فرموا بأن هذا بغاء
 آل عمران كلهم أنقياء
 كنت نذرا فكيف ضاع الوفاء
 وتجلى على المسيح الإباء!
 صبيبا وخيم الإصغاء
 أرسلتني بالبيئات السماء
 فهي أم ما شابهنها نساء
 وحبأها الرضا فنعم العطاء
 آية الطهر درة عصماء
 أمطرتهم في عهد الآلاء
 فتقانت في حبه الأوفياء
 حدثتنا عن صدقها الأنبياء
 حكمة الله نالها من يشاء
 علم الله ما أصروا وشاءوا
 ما أرادوا حتى يتم الوفاء
 إيه يا قوم قد أجيب الدعاء
 كان عيداً لهم وزال المرء
 للهدى ناصحاً فساد الولاء
 علم الله أنهم سفهاء
 يحبط الله كيد من قد أساءوا
 أكرمي الضيف رحبي يا سماء

قال إني رسول ربك حقا
 فتوارث به مكانا قصيا
 وأتاها المخاض إذ تنناجي
 وضعته والجذع يحنو عليها
 إيه أمي لا تحزني وأحمليني
 فأتت قومها به وهي حجلي
 أخت هارون كيف ترضين هذا
 إن هذا بيت العفاف قديما
 فأشارت إليه فاهتت عيسى
 بوغت القوم إذ تكلم في المهـ
 قال إني عبد لرب البرايا
 حمأنتي أمي كما شاء ربي
 أحسن الله نبتها وأجنبأها
 وأصطفاها على النساء جميعا
 آمن الكل بابن مريم حقا
 كان يدعو إلى الصلاة وجيها
 منه جاءت بالخارقات عطات
 طالما أبرأ المسيح وأحيا
 سألوه أنزل علينا طعاما
 قال عيسى: اللهم أنزل علينا
 فرح القوم حين قال بشير
 وتوالى نزولها في أوان
 ظل يدعو عيسى بن مريم فيهم
 بنس قوم كألوا لعيسى عدا
 دبروا للمسيح كيدا ودوما
 رفع الله رحمة منه عيسى

محمد صلى الله عليه وسلم

(أحمد) المصطفى عليه التشاء
 قبل ميلاده به الأنبياء

من كنوز اليقين بدر قریش
 خاتم المرسلين من بشرتنا

أَرْسَلْتُهُ لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
وَرُقِيًّا أَسْرَى بِهِ الْحَقُّ لَيْلًا
وَبِفَضْلِ الْإِلَهِ أَحْرَزَ مَجْدًا
وَتَدَانَتْ لَهُ الصَّعَابُ وَأَصْحَى
وَأَنَارَ الْقُلُوبَ بِالْهُدَى حَتَّى
وَأَقَامَ الدِّينَ الْحَنِيفَ بِسَيْفٍ
وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ رَغْمَ أَنْوْفٍ
رَدَّ كَيْدَ الْعَدُوِّ شَرْقًا وَغَرْبًا
عَزَّرْتُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ جُنُودًا
طَارَدُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
وَعَدَّ الْمُؤْمِنِينَ جَنَاتٍ عَدْنٍ
جَاهَدُوا طَائِعِينَ أَمْرَ نَبِيِّ
شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهُ وَأَجْتَبَاهُ
جَعَلَ اللَّهُ نُورَهُ بَدَأَ خَلْقِي
رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ وَأَصْطَفَاهُ
جَاءَهُ الْوَحْيُ بِالرِّسَالَةِ لَمَّا
كَانَ لِلنَّاسِ هَادِيًّا وَبَشِيرًا
كَانَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ عِيدًا
كَبَّرِي يَا بُدُورُ مِنْ كُلِّ بُرْجٍ
هَا هُوَ النُّورُ يَا شُمُوسُ تَجَلَّى
سَيِّدُ الْعَالَمِينَ خَيْرُ بَشِيرٍ
كَوَكَبُ الْفَاتِحِينَ أَشْرَفُ بَدْرِ
أَوَّلُ الْخَلْقِ رُنْبَةٌ وَمَقَامًا
شَرَفٌ عَزَّ أَنْ يُنَالَ وَمَجْدًا
هَمَّةٌ جَاوَزَتْ أَقَاصِي الْأَمَانِي
مُعْجَزَاتٌ تَحْيِرُ الْعَقْلَ فِيهَا
خَيْرُ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَشْرَفِ جِسْمٍ
جَوْهَرٌ خَالِصٌ تَلَالُأًا نُورًا
رَحْمَةٌ سَاقَهَا الْمُهَيِّمُنُ لِلنَّاسِ
أَحْمَدُ الْمُجْتَبَى شَفِيعُ الْبِرَايَا

رَحْمَةُ اللَّهِ وَأَصْطَفَاهُ الْعَلَاءُ
فَاعَزَّتْ مِنْ شَأْنِهِ الْإِسْرَاءُ
لَمْ تَحْزُرْ بَعْضَ قَدْرِهِ الْأَكْفَاءُ
يَتَسَامَى إِلَى السَّمَاءِ الْبِنَاءُ
عَمَّ نُورُ الْهُدَى وَسَادَ الضِّيَاءُ
كُتِبَ النَّصْرُ فَوْقَهُ وَالْمَضَاءُ
حَيَمَ الْكُفْرُ حَوْلَهَا وَالْعَدَاءُ
بَجِيوشِ رَجَالِهَا أَوْفِيَاءُ
لَا يُبَالُونَ بِالْوَعَى أَفْوِيَاءُ
فَتَفَسَّسَى فِي الْكَافِرِينَ الْفَنَاءُ
فَتَمَنَّوْا لَوْ أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ
كَمْ تَفَانَتْ فِي حُبِّهِ أَنْفِيَاءُ
فَأَضَاعَتْ بِنُورِهِ الْعُلْيَاءُ
وَعَلَى نُورِهِ سَعَى الْخُنْفَاءُ
وَحَبَّأَهُ مِنَ الْكَرِيمِ الْعَطَاءُ
تَمَّ مِيقَاتُهَا وَحَانَ الْوَفَاءُ
وَنَذِيرًا لِمَنْ عَصَوْهُ فَبَاءُوا
يَوْمَ مِيلَادِهِ وَعَمَّ النَّدَاءُ
وَأَمَلْنِي الْأَرْضَ رَحْمَةً يَا سَمَاءُ
فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْطَعُ الْأَضْوَاءُ
قَدْ أَقَرَّتْ بِبِعْثِهِ الْأَنْبِيَاءُ
صَافِحَتْ سَيْفَ نَصْرِهِ الْجُوزَاءُ
خَاتَمَ الرُّسُلِ نُورُهَا الْوَضَاءُ
وَأَقْتَدَارُ وَهَيْبَةُ وَمَضَاءُ
وَوَفَاءٌ وَحِكْمَةٌ وَإِبَاءُ
لَمْ تَنْلُ بَعْدَ شَأْوِهَا أَصْفِيَاءُ
لَمْ يُعَادِلْهُ فِي الْوُجُودِ نَقَاءُ
لَمْ يُمَاتِلْهُ فِي السَّنَاءِ صَفَاءُ
سِ دَوَاءٍ فَكَانَ مِنْهُ الشِّفَاءُ
يَوْمَ يَسْتَدُّ كَرْبُهَا وَالْعَنَاءُ

رَفَعَتْهُ يَمِينُهُ السَّمْحَاءُ
لَمْ يُشَبَّهْ نَعِيمُهُ وَالْهِنَاءُ
يَوْمَ يَحْلُو وَرُودُهُ وَالسَّقَاءُ
سَائِرُ الْكَائِنَاتِ وَالْآلَاءُ
تَنْتَاجِي بِذِكْرِهَا الْأَوْفِيَاءُ
أَبْدِيَّ نُجُومُهُ الْأَنْبِيَاءُ
يَا طَبِيبًا مَا غَابَ عَنْهُ الدَّوَاءُ
لِ سَلَامٍ وَرَحْمَةٍ وَوِلَاءُ
يَا عَظِيمَ النَّهْيِ عَلَيْكَ التَّنَاءُ
يُقْفِدُ الرُّشْدَ هَوْلُهُ وَالْبَلَاءُ
وَسَلَامٌ يَعُمُّ مِنْهُ الرِّضَاءُ

جَامِعُ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لَوَاءِ
قَائِدِ الْمُتَّقِينَ نَحْوِ خُلُودِ
صَاحِبِ الْحَوْضِ فِي فَسِيحَاتِ عَدْنِ
أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ
ثُمَّ بَاتَتْ فَرَضًا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ
يَاضِيَاءَ الْأَبْصَارِ يَا بَدْرَ كَوْنِ
يَا شِفَاءَ الْقُلُوبِ مِنْ كُلِّ دَاءِ
يَا مُنِيرَ الْعُقُولِ ظُلْمَةَ الْجَهْلِ
يَا رَجَاءَ الْعَيُونِ فِي كُلِّ آنِ
يَا مُجِيرَ النُّفُوسِ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ
يَا سِرَاجَ الْهُدَى عَلَيْكَ صَلَاةُ

* * *

تِ يَقِينًا مَتَى دَعَاهَا الْفَنَاءُ
وَتَفَادً لَمَا أَرَادَ الْقَضَاءُ
لَمْ يُبَارِعْهُ مَا قَضَى شُرَكَاءُ
تَأْفِدُ الْأَمْرِ صَانِعٌ مَا يَشَاءُ
وَلَهُ وَحْدَهُ الْعُلَا وَالْبِقَاءُ

كُلُّ نَفْسٍ لَا بُدَّ دَائِقَةُ الْمَوْتِ
سُنَّةُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْبِرَايَا
إِنَّمَا الْحَيُّ يَا أَبْنَ آدَمَ فَرْدٌ
وَاحِدٌ لَمْ يَلِدْ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
عَالِمُ الْغَيْبِ لَمْ يُمَاتِلْهُ شَيْءٌ

* * *

صَرَفَتْهَا عَنِ الْهُدَى الْأَهْوَاءُ
أَنْ تَوَلَّى فِي غَيْبِهَا الْحَوْبَاءُ
إِنَّ لِلطَّيِّبَاتِ نِعْمَ الْجَزَاءُ
تَأْمَنَ النَّفْسُ إِنْ تَدَانَى الْقَضَاءُ
فَهُوَ لِلنَّفْسِ وَالْفَوَادِ الدَّوَاءُ
لَمْ يُهَدِّدْهُ بِالنَّفَادِ الْفَنَاءُ
فَإِذَا طَابَ عَزَّ مِنْهُ الْبِنَاءُ
فَهِيَ لِلْقَلْبِ وَالْيَقِينِ الضِّيَاءُ
كُلُّ نَفْسٍ طَاشَتْ بِهَا الْفَحْشَاءُ
لَا يَقُولُ الْكِرَامُ ضَاعَ الْوَفَاءُ
يَوْمَ تَجْرِي بِالْمَوْقِفِ الرُّحْضَاءُ
إِنَّ قُرْآنَ فَجْرِهِ لَأَلَاءُ

أَيُّهَا النَّاسُ خَالِفُوا طَيْشَ نَفْسِ
وَاتْرِكُوا اللَّهْوَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَعَارًا
وَاعْمَلُوا الطَّيِّبَاتِ مَا لَاحَ فَجْرًا
وَاصْنَعُوا الْخَيْرَ لِلْحَيَاتَيْنِ حَتَّى
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ فِي كُلِّ حَطْبِ
أَنْفِقُوا الْمَالَ فِي الْمَبْرَاتِ حَتَّى
وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ طَيْبًا وَحَلَالًا
وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ لِلَّهِ فَرَضًا
وَهِيَ تَهْدِي إِلَى الْعَفَافِ وَتَنْهَى
وَاقِيمُوا الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ حَتَّى
وَاجْعَلُوا الْبِرَّ وَالزَّكَاةَ شَفِيعًا
وَائْتُمُوا شَهْرَ الصِّيَامِ قِيَامًا

وأقيموا مناسك الحج سعياً
 حرماً طاهرٌ ورُكناً شريفاً
 وأنفقوا الله في الضعيفين عطفاً
 وأغِيثُوا الْمُلهُوفَ جوداً وحلماً
 واكْظُمُوا الغَيْظَ واضْفَحُوا عن مُسيءٍ
 وأطيعوا أوامرَ الله حُباً
 واحذروا الشُّركَ فالْمُهَيْمِنُ فَرْدٌ
 قادرٌ قاهرٌ سميعٌ بصيرٌ
 واقْصِرُوا في الخُطَا وسيروا الهُويْنَا
 واغْضُضُوا الطَّرْفَ فالْعَيُونُ شُهُودٌ
 واجعلوا حِلْيَةَ النَّوَاضِعِ تاجاً
 وازرعوا اليوم تحصدوا بعد حينٍ
 وصلُّوا العهدَ بالوفاءِ دَواماً
 واجعلوا العدلَ إنْ حكمتُم شِعاراً
 واذكروا الموتَ بين أنٍ وأنٍ
 أين كنتم يُذِرْكُمْ الموتُ حتَّى
 سارِعُوا لِلْهُدَى وَعَفُوا وَتُوبُوا
 وأنفقوا النَّارِدَارَ كُلَّ أَثِيمٍ
 يوم يُدْعَى: هل امتلأت؟ وتدعو
 وأذروا النفسَ عن سُموْمِ الأفاعي
 بادِرُوا بالسُّجُودِ لِلَّهِ شُكْراً

* * *

لِهَرَاءٍ مما أَدْعَى الأَغْيَاءَ
 مُطْمَئِنِّينَ حيث شاءَ القضاءُ
 ومُضِلٌّ قد أذرتَه السماءُ
 لَعْنَةُ الله فوقه والبلاءُ
 من دِياجِي أَجْدانِها الأَسْلاءُ
 وَيُنَادِي القضاءُ أن الوفاءُ
 قَمَطَرِيرِ أهْوالِهِ صَعْقَاءُ
 كُلِّ فَرَضٍ يدعو إليه العَلَاءُ

أيها الناس لا تُعِيرُوا أَسْتِماعاً
 وأضربوا الأرضَ بالخُرَافَاتِ وأَمْشُوا
 وأسْتَعِيدُوا بالله من شرِّ غَاوٍ
 قد عَصَى الله في السُّجُودِ فَصَبَّتْ
 قال رَبِّ أَنْظِرْني حتَّى تُوافي
 يوم تجري الأجسادُ لِلْحَشْرِ حَيْرِي
 إِبْقِ حتَّى مِيقَاتِ يومِ عُبُوسٍ
 حارِبُوهُ بالصالحاتِ وأدُوا

زَيَّنَتْهُ جُنُودُهُ الْأَغْوِيَاءَ
تحت إغرائها جنى الأشقياء
حيث مالت بالنفس زال الحياء
بَيَّنَتْهُ الشَّرِيعَةُ الْعَرَاءَ
تَنَوَّرَى الرَّذِيلَةَ الْحَمَقَاءَ
تَتَمَشَّى مع الدَّمِ الْفَحْشَاءَ
كي يُوَارَى عَنِ الْعِيونِ الْبَغَاءَ
فيه تمشون حين يخبو الضياء
تَسَنَّبِيهَا بِمَكْرِهَا الْأَهْوَاءَ
تُتَمَنَّحُ الْعَفْوَ يَوْمَ تُطَوَّى السَّمَاءَ
إنما المَكْرُمَاتُ نِعَمُ الْعَطَاءِ
واطلبوا الْعَفْوَ يَكْتَتِفُكُمْ رِضَاءِ
وَيَقِينَا إِيْمَانُهُ لَا يُرَاءِ
صَحْوَةُ الْعَيْشِ لِمَحَّةٍ فَالْتَوَاءِ

واتركوا الخمرَ فهي أكبرُ رَجْسٍ
سهلتُ للنفوسِ كلَّ المَعَاصِي
لَقَّبُوهَا أُمَّ الْخَبَائِثِ قَدَمًا
وادفعوا بالعفافِ كلَّ حرامٍ
وانشروا العِلْمَ والفضيلةَ حتى
واقطعوا دَابِرَ الْفُجُورِ وَالْإِلَاءِ
وابذلوا النفسَ في صِيَانَةِ عِرْضٍ
واجعلوا الصَّدَقَ والأمانةَ نورًا
وامنعوا بالثَّقَى مَطَامِعَ نَفْسٍ
طَهَّرُوهَا من الذنوبِ عَسَاهَا
وَتَفَانُوا في صُنْعِ كُلِّ جَمِيلٍ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَأَسْعَوْا كِرَامًا
وَأَمَلُوا الْقَلْبَ رَحْمَةً وَحَنَانًا
وَأَشْتَرُوا الْخُلْدَ بِاجْتِنَابِ الْخَطَايَا

* * *

فَالِإِمَّ الْجَهَالَةَ الْحَمَقَاءَ؟
هَيَمَنَتْهُ عَلَى الثَّرَى الْخِيَلَاءُ
خَاضِعَاتٍ وَمَاجٍ مِنْهُ الْهَوَاءُ
وَالْتَقَتَهُ الْمَوَانِعُ الشَّمَاءُ
وَرَتَّتُهُ الْأَيْمَةُ الشُّعْرَاءُ
واستنارت حياؤه الرِّغْدَاءُ
لم تَهَبْهَا لِغَيْرِهِ الْعَلِيَاءُ
ما استطاعت بُلُوغَهُ الْحُكْمَاءُ
حين طارت بِمُلْكِهِ الْأَنْبَاءُ

يا أَبْنَ حَوَاءَ قَدْ خُلِقْتَ ضَعِيفًا
جِسْمُكَ الْغَضُّ هَيْكَلٌ مِنْ تُرَابٍ
سوف يَبْلَى مهما حَبْنُهُ الْأَمَانِي
وَأَتَقَتَهُ الْأَسْوَدُ بَرًّا وَبِحْرًا
وَبَكَّتُهُ الْعِيونُ شَرْقًا وَغَرْبًا
وَتَدَانَتْ لَهُ الْمَطَالِبُ سَعِيًّا
وَأَتاحت لَهُ الْمَعَالِي كُنُوزًا
وَأَعَدَّتْ لَهُ الْمَوَاهِبُ حُكْمًا
وَتَمَشَّتْ لَهُ الْمَصَاعِبُ طَوْعًا

* * *

ثم يدعوهُ بعد ذاك الْفَنَاءِ
عنه تلك النَّصَارَةُ الْحَسَنَاءُ
وهشيماً تَضُمُّهُ الْعَبْرَاءُ
يا أَبْنَ حَوَاءَ يَوْمَ يَدْنُو الْقَضَاءُ
وقياماً أهوالُهُ فَرْعَاءُ

يُنْعَمُ الْجِسْمُ بِالْحَيَاةِ قَلِيلًا
فَيَلْبِي نِدَاءَهُ وَتُوَلِّي
ويُوارَى عن العيونِ وَيَبْلَى
إنما النفسُ لِلْخُلُودِ فَحَسْبِي
موقفٌ حاشِدٌ وَحَسْرٌ رهيبٌ

مَنْذَعَاثَتْ عَلَى النَّرَى حَوَاءَ
وَأَذْخَرَ مَا يَفُورُ مِنْهُ الْبَلَاءُ
وَهِيَ كَنْزٌ لَا يَغْتَرِيهِ الْفَنَاءُ

يَجْمَعُ الْخَلْقَ كُلَّ قَاصٍ وَدَانٍ
فَأَذْرَعُ مَا يَقِيكَ هَوَلَ عَذَابٍ
إِنَّ تَفْوَى إِلَهِهَ أَكْبَرُ دُخْرِ

* * *

وَعِظَاتٌ قَامَتْ لَهَا الْخُطْبَاءُ
عُلَمَاءُ أُمَّةٍ أَنْبِيَاءُ
مَا أَمَرْتُمْ بِهِ يَجَلُّ الرِّضَاءُ
يَتَخَيَّرُ لِحَظِّكُمْ مَا يَشَاءُ
وَنَعِيمٌ وَرَحْمَةٌ وَهِنَاءُ
وَعَذَابٌ وَنِقْمَةٌ وَشِقَاءُ
خَيْرُهُ النُّورُ، شَرُّهُ الظُّلْمَاءُ
وَبُنُورِ الْهُدَى يَرَى الْأَتْقِيَاءُ
يَهْدِكُمْ رَبُّكُمْ وَيَحُلُو الثَّنَاءُ
أَجْرَ إِيْمَانِكُمْ وَتَرْضَى السَّمَاءُ
مَا تَغْشَى دُجَى وَلَا حَ ضِيَاءُ

أَيُّهَا النَّاسُ هَذِهِ بَيِّنَاتٌ
أَوْقَفَ النَّفْسَ وَالنَّفْسَ عَلَيْهَا
فَخَذَوْهَا مِلءَ الْيَقِينِ وَوَفُّوا
هَا هُوَ الْعَقْلُ رَائِدٌ فَذَرُّوهُ
إِنْ تَكُونُوا مُصَدِّقِينَ فَأَمِّنْ
أَوْ تَكُونُوا مُكَذِّبِينَ فَوَيْلٌ
فَاسْأَلُوا مَا حَلَا لَكُمْ مِنْ طَرِيقٍ
لَا يَرَى الظَّالِمُونَ فِيهِ سَبِيلًا
فَاسْتَقِيمُوا وَأَمِنُوا وَأَطِيعُوا
وَأَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ تَنَالُوا
وَادْكُرُوهُ وَسَبِّحُوهُ كَثِيرًا

مرآة الزمن

وَأَذْكَرُ بَقَاءَ مُدَبِّرِ الْأَكْوَانِ
مُرَّ اللَّأْدَى وَمَظَالِمِ الْإِنْسَانِ
تَكْفِيكَ شَرِّ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
رُسِمَتْ عَلَيْهِ عَجَائِبُ الْحَدَثَانِ
لُعِبَتْ بِسَاحَتِهِ ذُؤُ وَالتَّيْجَانِ
بَلَّغَ السَّمَاءَ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ
وَدَعَّاهُ عِزَّتُهُ إِلَى الْعِصْيَانِ
بَاتَتْ لِسُكْنَى الْبُومِ وَالغُرْبَانِ
نَسَى الْحَسَابَ وَهَيْبَةَ الرَّحْمَنِ
وَالْعُجْبُ يَمَلَأُ سَاحَةَ الْإِيْوَانِ

هُوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ حَيٍّ فَاِنْ
وَأُضِيزُ عَلَى مَا قَدْ أَصَابَكَ وَأُحْتَمَلُ
وَأَجْعَلُ لِنَفْسِكَ مِنْ نَبَاتِكَ قُوَّةً
وَأُنْظِرُ (المرآة الزمان) بِنَاطِرِ
صَوْرٍ عَلَى إِنْسَانٍ عَيْنِكَ مَسْرَحًا
مِنْ كُلِّ عَايَةٍ كَمْ تَخَيَّلَ أَنَّهُ
فَطَعَى وَتَاهَ بِمَلِكِهِ مُتَأَلِّهَا
كَمْ مِنْ قِصُورٍ بِالْمِظَالِمِ شَادَهَا
سَفَكَ الدَّمَاءَ وَجَارَ جَبَّارًا وَقَدْ
وَمَشَى وَمَقَّتْ الْكِبْرِيَاءُ يَقُودُهُ

* * *

وَيَمُرُّ بِالذُّكْرِى عَلَى الْأَذْهَانِ
تَبْدُو إِلَيْكَ شَرَّاسَةَ الْحَيْوَانِ
تُدْمِي فُؤَادَكَ قَسْوَةَ الْإِنْسَانِ
عَبْرٌ جَرَتْ بِالْمَدْمَعِ الْهَتَّانِ
عَضَبَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَثِيمِ الْجَانِي
وَالظُّلْمُ يَفْتِكُ بِالْبِرِيِّ الْعَانِي
وَيَلُوحُ فَجْرُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
تَبْدُو الْفَضِيلَةَ فِي أَجَلِّ مَعَانِي
فِي الْمَجْدِ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ سُلْطَانِ
لِدَوِي الْإِنَابَةِ آيَةَ الشُّكْرَانِ

يُرْوِي لَكَ الْمَاضِي عَجَائِبَ مَا رَأَى
فَإِذَا وَهَبَتْ لَهُ التَّأَمُّلَ لِحِظَةً
طُورًا تَبَاغَتْكَ الْعِظَاتُ وَتَارَةً
كَمْ فِي الْعِصُورِ السَّالِفَاتِ تَمَثَّلَتْ
نُفِثَتْ عَلَى صُحُفِ الزَّمَانِ فَسَجَلَتْ
بَيْنَا الْجِرَائِمُ يَسْتَفْزِكُ بِطُشُّهَا
يَنْجَابُ دَيْجُورُ الْمِظَالِمِ مُسْرِعًا
وَيُرُوقُ لِلْعَيْنِ التَّمَتُّعُ حِينَمَا
يَصِفُ الْكِرَامَ الْعَامِلِينَ وَمَا لَهُمْ
وَيُعِيدُ ذِكْرَ مَآثِرٍ قَدْ سَطَّرَتْ

* * *

وَعَلَّتْ عَلَى الْجَوَزَاءِ وَالْمِيزَانِ
مَا عَمَّرَتْ مَرْصُوصَةَ الْبُنْيَانِ
تَزْهَوُ بِثُؤُبِ نَصَارَةِ الرَّيْعَانِ

هَمَّ تَجَاوَزَتْ السَّمَاءَ مَكَانَةً
لَمْ يُبْلَهَا مَرُّ الْعِصُورِ وَلَمْ تَزَلْ
تَبْقَى بَقَاءَ الْعَالَمِينَ مَصُونَةً

للعاملين بدعوة الإيمان
والطالبين مَرَامِ الْغُفْرَانِ
والذاكرينَ اللهُ كُلَّ أَوَانِ
حَوَاءٍ مِنْ أَسْمَى بَنِي الْإِنْسَانِ
سَطَعَتْ بِجَوْهَرِ أَطْهَرِ الْأَبْدَانِ
فِي الْبِرِّ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
فِي عَالَمِ الذِّكْرِ بِكُلِّ مَكَانِ
بِالرُّهْدِ مِنْ قَدْرِ عَظِيمِ الشَّانِ

تلك الكنوزُ الخالداتُ براءةً
الباذلينَ النفسَ فِي طَلَبِ الْعُلَا
والعاكفينَ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَالنُّقَى
بِإِضْ الصَّنَائِعِ خَيْرٌ مِنْ قَدْ أَنْجَبَتْ
نُورٌ تَلَأَلَا مِنْ سِنَاءِ مَوَاهِبِ
شَهَدَتْ بِمَا لِلْمَحْسِنِينَ أُولِي النَّهْيِ
وبما أقامَ الْمُصْلِحُونَ مِنَ الْهُدَى
وَبِصِدْقِ عَزْمِ الْمُتَّقِينَ وَمَا لَهُمْ

* * *

بصحائفِ التاريخِ من رضوانِ
لِلْخُلْدِ ضَمَّ الرُّوحَ لِلأَبْدَانِ
مَرَّ الْكَرِيمِ الْمُزْنَ بِالْوُدْيَانِ
وَيَسُوقُ سَيْلَ الْخُصْبِ لِلْعِيدَانِ
لَعِبَ النَّسِيمُ بِمُورِقِ الْأَغْصَانِ
شَتَّى الزُّهُورِ بِأَبْدَعِ الْأَلْوَانِ
بِالْهُدَى مِنْ صِدْقٍ وَمِنْ إِيْمَانِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ فِي نَعِيمٍ فَانِ
وَالْحِظِّ وَالْإِقْبَالِ وَالسُّلْطَانِ
وَسَعَتْ إِلَيْكَ مَوَاهِبُ الْعِرْفَانِ
رَفَعَ اللَّوَاءَ بِوَأَسِيلِ الْفُرْسَانِ
بِيَدِ الْمَهَابَةِ أَنْفَسَ التِّيْجَانِ
كُلُّ الْمَطَالِبِ مِنْكَ طَوْعَ بَنَانِ
وَأَمْنَتْ شَرَّ تَقَلُّبِ الْأَزْمَانِ
كَالْوَهْمِ حَوْلَ فِطَانَةِ الْأُذْهَانِ

تَتَمَثَّلُ الْحُسْنَى وَمَا قَدْ خَلَدَتْ
تَبْدُو آيَاتُ الرِّضَاءِ تَضُمُّهَا
سَيَّرَ تَمَرٌ عَلَى الْبَصَائِرِ وَالنُّهَى
فَيَفِيضُ مَاءُ الْغَيْثِ بَيْنَ سَهْوِلِهَا
حَتَّى إِذَا أَرْدَهَتْ الْمُرُوجُ وَأَيَّنَعَتْ
وَجَرَتْ يَنَابِيعُ الْحَيَاةِ وَنَوَّرَتْ
هَذِي قُلُوبَ الْمَهْتَدِينَ وَمَا حَوَتْ
فَدَعَ التَّمَرُّدَ يَا أَبْنَ آدَمَ وَأَتَّعِظُ
مَهْمَا بَلَّغْتَ مِنَ الْمَكَانَةِ وَالْغِنَى
وَتَقَرَّبْتَ مِنْكَ الْمَحَاسِنُ كُلُّهَا
وَمَشَتْ نُحَيْبِيكَ الْجَنُودُ وَفَوْقَهَا
وَالْمَلِكُ أَقْبَلَ نَحْوَ بَابِكَ حَامِلًا
وَأَنْقَادَتِ الْأَمَالُ حَتَّى أَصْبَحَتْ
وَحَسِبْتَ أَنَّكَ قَدْ تَمَلَّكَتِ السُّهَى
وَنَعِيمُكَ الزَّاهِي خِيَالُ زَائِلٍ

* * *

فَعَدَوْتَ عَبْدَ جَمَالِهَا الْفَتَّانِ
وَسَبَّكَ مِنْهَا سَاحِرُ الْأَجْفَانِ
وَرَمَاكَ سَهْمُ خِدَاعِهَا الْخَوَّانِ
تَلَهُوْا وَتَلَعَبُوا فِي صَفَا وَأَمَانِ
عَهْدَ الشَّبَابِ لِسَالِفِ الْأَزْمَانِ

بَسَمْتَ لَكَ الدُّنْيَا وَعَرَكَ حُسْنُهَا
وَأَنْقَدْتَ مَدْفُوعًا بِطَيْشِيكَ لِلْهُوَى
سَلَبْتَ نُهَاكَ بِغِيَّهَا وَدِهَانِهَا
مَرَّ الشَّبَابُ وَأَنْتَ مَسْلُوبُ النَّهَى
وَدَنَا الْمَشِيبُ مُبَاغِتًا لَكَ نَاعِيَا

كَفَيْكَ تَصَلَى زَفْرَةَ النَّدْمَانِ
وَالنَّفْسُ طَامِحَةٌ إِلَى الْعُضَيَّانِ
وَالذِّكْرِيَّاتُ مُثِيرَةٌ الْأَشْجَانِ
وَتَبِيْتُ فَوْقَ مَرَاجِلِ النَّيْرَانِ
فِي اللَّهْوِ بَيْنَ الْكَأْسِ وَالنَّدْمَانِ
وَاللَّاعِبَاتِ فَوَاتِنِ الْغُرْلَانِ
النَّاعِسَاتِ مَرِيضَةِ الْأَجْفَانِ
مَهْمَا طَرَبْتَ لِرِقَّةِ الْأَلْحَانِ
فِي النَّفْسِ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ تَحْنَانِ

* * *

وَنَعِيمَهَا وَشَقَاءَهَا سَيَّانِ
وَالنَّفْسُ لَا تَخْلُو مِنَ الْأَحْزَانِ
يَلْقَاكَ بَيْنَ مَخَافٍ وَأَمَانِ
وَيَزِيدُ فِيكَ مَهَابَةَ السُّلْطَانِ
فِي أَمْنِكَ الْمُتَعَاظِلِ الْوَسْنَانِ
وَتَذُوقُ سُوءَ عَوَاقِبِ الْخُسْرَانِ
وَتَتَوَخَّعُ نَوْحَ الْحَائِرِ الْوَلَهَانِ

* * *

نُورُ الْيَقِينِ بِيَقْظَةِ الْوُجْدَانِ
لِتَعِيشَ بَيْنَ مَدَلَّةٍ وَهَوَانِ
أَسْرَفْتَ فِي حُبِّ الْمَتَاعِ الْفَانِي
وَاهْجُرْ نَعِيمًا عَادَ بِالْخُسْرَانِ
وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ خَالِدَ الْبُنْيَانِ
فِي الْمُفْرَعَيْنِ الرَّمْسِ وَالْأَكْفَانِ

* * *

قَاصِي الْمَدَائِنِ رَهْبَةً وَالذَّانِي
طَوْعًا تَحِيطُ بِهِمْ عَتَاةُ الْجَانِ
لَهُمُ الْجِبَالُ وَسُخَّرَ التَّقْلَانِ
بِعُرُوشِهِمْ وَجَلَالَةِ الْإِيْوَانِ

فَصَحَوْتَ مَرْتَجَفَ الْفُؤَادِ مُقَلَّبًا
تَبْكِي صَبَاكَ وَكَيْفَ ضَاعَ بَهَاؤُهُ
فَيُرِيقُ دَمْعَكَ ذِكْرُ أَيَّامِ الصَّبَا
تُمْسِي وَتُصْبِحُ نَادِمًا مُتَحَيِّرًا
يَأْلَيْتَ عُمْرَكَ مَا نَقَضَى غَضُّهُ
وَالكَاعِبَاتِ السَّاحِرَاتِ رَشَاقَةً
وَالشَّارِدَاتِ الْغَيْدِ رَبَّاتِ الْبَهَا
وَبَوَاعِثِ الْأُنْسِ الْقَصِيرِ زَمَانُهُ
وَالْمُعْرِيَّاتِ الصَّافِيَّاتِ وَمَا لَهَا

إِنَّ الْحَيَاةَ سُرُورَهَا وَبُكَاءَهَا
وَصَفَاءَ عَيْشِكَ يَسْتَحِيلُ دَوَامُهُ
وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى صَفْوِ الْمُنَى
بَيْنَا يَسُوقُ لَكَ السَّعَادَةَ بِاسِمًا
يُنْسَابُ كَالْأَفْعَى فَيَنْشِبُ نَابَهُ
فَتَهْتَبُ مُلْتَاعَ الْفُؤَادِ مُعَذَّبًا
تَبْكِي عَلَى مَا فَاتَ مِنْ زَمَنِ الْهَنَا

إِذْ ذَاكَ يَنْقَشِعُ الظُّلَامُ وَيَنْجَلِي
فَتَذِيْقُكَ الْأَيَّامُ مَرًّا كَوْسَهَا
عَدْلًا يُبَكِّيكَ الْقَضَاءُ جِزَاءَ مَا
فَافْتَعُ مِنَ الدُّنْيَا بَزَادِكَ رَاضِيًا
وَإِثْرُكَ هَذَاكَ اللَّهُ غَيْكَ وَاسْتَقَمَ
وَإِذْكَ هَوَانُكَ تَحْتَ أَطْبَاقِ التَّرَى

أَيْنَ الَّذِينَ عَنَا لِسَطْوَةَ مُلْكِهِمْ
وَمَشَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ تَحْتَ لَوَائِهِمْ
وَبِأَمْرِهِمْ جَرَّتِ الرِّيَّاحُ وَسِيرَتْ
أَيْنَ الْأَكَاسِرَةِ الَّذِينَ تَفَاخَرُوا

وفخامة المُلْكِ الرفيعِ عَمَّادُهُ
أين الغزاةُ الفاتحونَ وبأسُهُم
أين الرؤوسُ العبقرياتُ التي
تلك الكنوزُ الغالياتُ شهادةً

* * *

في عهدِ أَعَدْلِهِمُ أُنُو شِرْوَانِ
أين الأُسُودُ قِيَّاصِرُ الرُّومَانِ
نَزَلَتْ عَلَيْهَا حِكْمَةُ النُّونَانِ
لبلوغهم أَقْصَى مَدَى العِرْفَانِ

أَيْنَ العَمَالِقَةُ العَنَاءُ وَأَيْنَ مَا
من قَوْمِ عادٍ والعِراقِ وتُبَّعِ

* * *

من فِطْنَةٍ أَعْيَتْ قُوَى الإنسانِ
صَنَّ الوُجُودُ بِهَا لِعَهْدِ تَانِ
لجلالها قد كَبَّرَ القَمَرانِ
بَعَدَتْ مَدَارِكُهُ عَنِ الأَذْهَانِ
أَوْحَى بِهَا الكَهَنُوتُ لِلْكَهَّانِ
متعاقدين بأغْطِ الأيمانِ
في الأَرْضِ مِنْ حُكْمٍ وَمِنْ سُلْطَانِ
والماءُ لَبَّأَهُمْ بِكَلِّ لِسَانِ
وَمَشَتْ سِبَاعُ الطَّيْرِ وَالْحَيوانِ
تَجْرِي بِقُدْرَةِ مُبْدِعِ الأَكْوانِ
في الشَّاسِعِينَ الحُوتِ وَالْمِيزانِ
كالبَرْقِ بَيْنَ الجَدْيِ وَالسَّرْطانِ
لِعجائبِ الأَفْلاكِ فِي الدَّورانِ
في مِصرِ أُمِّ المِجْدِ وَالعِمْرانِ
لِتَدْوَمَ رِغْمَ طَواريءِ الحَدَثانِ
رَمَزُ الحِياةِ لِهَيْكَلِ الإنسانِ
وَهِيَ النَّمُو لِسائِرِ الأَبْदानِ
وَالطَّيْرِ بَيْنَ خِمالِ الأَغْصانِ
عَفْنًا مِنَ الأَقْدارِ وَالذِّبْदानِ
فوقِ السُّهُولِ وَفِي رَبِّا الوُدْيانِ
حَفِظَتْ نِظامَ العالَمِ الحِوانِي
مَلَأَ الفِضاءَ وَعَمَّ كُلَّ مِكانِ

أَيْنَ العِصْوَراتُ المُدْهِشَاتُ وَمَا حَوَتْ
عَهْدٌ لَهُ شَهَدَ الزمانُ عِجائِبًا
نَالَتْ بِهِ مِصرُ الفَرِيدَةُ هَيْبَةً
عَلَّمَ يَحارُ الفِكرِ فِي تَكْليفِهِ
سِرُّ أَسْوَطِ العِلْمِ فِيهِ طَلَّاسِمٌ
دَرَسَتْهُ بَيْنَ هِياكِلِ وَمِعادِ
حِفظًا لِأَسْرارِ الحِياةِ وَمَا لَهِمْ
فأَطاعَهُمُ شَمُّ الجِبالِ وَصَلَدُها
وَأَنْصاعَ مِخْتَلَفِ الرِّياحِ لِأَمْرِهِمْ
رَصدُوا الكِواكِبَ وَهِيَ بَيْنَ بروجِها
وَمِواقِعِ النِجْمِ البَعِيدِ مَدارُهُ
والتَّاقِباتِ الشُّهُبِ سابِحَةُ الفِضاءِ
حَسَبُوا طَوالِعَ كُلِّ نِجْمٍ وَأَهْتَدُوا
وَتَبَيَّنُوا تِلْكَ البرُوجِ وَفِعَلْها
فَبَنُوا هِياكلَهُمْ عَلى أَسْرارِها
عَلِمُوا بِأَنَّ الشَّمْسَ سَيِّدَةُ القُوَى
وَلِكُلِّ جِسِّ حَلٍّ تَحْتَ شِعاها
فالنَّبْتُ وَالْحِوانُ مُفْتَقِرٌ لَها
والماءُ لولاها لِأَصْباحِ رَأكِدا
فَهِىَ الَّتِي جَعَلَتْهُ عَدْبًا جاريًا
بَعَثَتْ لِسطحِ الأَرْضِ عِجَبَ آيَةٍ
نورًا وَنارًا مِنْ وَهيجِ سِنائِها

خَلُّوا مِنَ الْأَمْلَاحِ وَالْأَدْرَانِ
 أَطْوَادُ مَاسٍ فِي سَهُولِ جُحَانِ
 تَلْكَ الْجِبَالُ هَوَتْ مِنَ الدَّوْبَانِ
 تَجْتَاخُهَا قِمَمٌ مِنَ الصَّوَانِ
 وَالسَّيْلُ يُهْدِي الْخِصْبَ لِلْقَبْعَانِ
 وَعَلَى الْعُنَاصِرِ إِمْرَةٌ السُّلْطَانِ
 جَرْدَاءَ خَالِيَةٍ مِنَ السُّكَّانِ
 مُزْدَانَةٌ بِنَفَائِسِ الْقُرْبَانِ
 فَاذْكَكَ صَرَخُ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
 مَا شَيَّدُوا لِلْعَجَلِ وَالْجُعْرَانِ
 مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ فِي الْحُسْبَانِ
 جَعَلُوهُ بَيْتَ سِرَائِرِ الْأَكْوَانِ
 نُفِثَتْ عَلَيْهِ طَلَّاسِمُ الْكِنْمَانِ
 لِلرَّابِضِ الْمُتَحَفِّزِ الْيَقْظَانِ
 لِلصَّمْتِ فِيهِ وَلِلسُّكُونِ مَعَانِ
 كَيْدَ الْعَوَادِي وَفَقَّةَ الْحَيْرَانِ
 جِسْمَ الْهَزْبِرِ وَهَامَةَ الْإِنْسَانِ
 مُفْنِي الْعُصُورِ وَقَاهِرُ الْأَزْمَانِ
 صَمَّ الْكَنْوَرِ عَوَالِي الْأَثْمَانِ
 مَجْدًا تَعَدَّرَ عَنْ ذَوِي التَّيْجَانِ
 وَطَوَى الزَّمَانَ صَحِيفَةَ الْكُهَّانِ

حَمَلَتْ بِخَارِ الْمَاءِ عَذْبًا طَاهِرًا
 صَعَدَتْ بِهِ مَثْنُ الْهَوَاءِ كَأَنَّهُ
 حَتَّى إِذَا اصْطَدَمَتْ لِسُرْعَةِ سَيْرِهَا
 طَوْرًا تُمَزَّقُهَا الرِّيَّاحُ وَتَارَةً
 فَالغَيْثُ يَكْسُو الْأَرْضَ تَوْبًا يَابِعًا
 وَلَهَا عَلَى سَيْرِ الرِّيَّاحِ قِيَادَةٌ
 وَالْأَرْضُ لَوْلَاهَا لَكَانَتْ بَلْقَعًا
 شَادُوا لِهَيْكَلِهَا الْعَظِيمِ مَعَابِدًا
 نَسَبُوا لَهَا مَجْدَ الْأُلُوهَةِ رَهْبَةً
 عَكَفُوا عَلَيْهَا عَابِدِينَ وَهَدَمُوا
 وَاسْتَخْدَمُوا تِلْكَ الْقُوَى لِبَلُوغِهِمْ
 نَحَنُّوا بِبَاطِنِ «مَنْفٍ» أَقْدَسَ مَعْبَدٍ
 صَنَعُوا لَهُ مِفْتَاحَ سِرٍّ غَامِضٍ
 صَانُوهُ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِ سَاهِرٍ
 رَمَزَ الْمَهَابَةِ وَالرِّزَانَةَ وَالْحَمَى
 يَرْمِي الْفِضَاءَ بِنَظْرَةٍ قَدْ أَوْقَفَتْ
 جَسَدًا حَوَى أَسْمَى الْقُوَى رَمْزًا لَهُ
 هَذَا أَبُو الْهَوْلِ الرَّهَيْبِ ثَبَاتُهُ
 عَهْدُوا إِلَيْهِ حِرَاسَةَ الْوَادِي الَّذِي
 وَاسْتَخْدَمُوا أَرْصَادَهُ لِبَلُوغِهِمْ
 حَتَّى أَتَى (مِينَا) وَأَسَّسَ مُلْكُهُ

* * *

رِبَطُوا السَّفِينِ بِمِقْلَةِ الرَّبَّانِ
 بَلِغْتَهُ مِصْرُ بِهِمْ مِنَ الْعُمْرَانِ
 كَانُوا الْأَيْمَةَ فِي قُوَى الْإِمْكَانِ
 قَامَتْ لِذِكْرِي مَجْدَهُ الْهَرَمَانِ
 وَادِي الْمُلُوكِ سِيَادَةَ الْوُدْيَانِ
 مَخْبُوءَةٌ عَنْ أَعْيُنِ الْحَدَثَانِ
 فِي الْوَزْنِ نَالَتْ رِجَّةَ الْمِيزَانِ
 أَسْرَارُهُ غَابَتْ عَنِ الْأَذْهَانِ

أَيْنَ الْفِرَاعِنَةُ الْمُلُوكُ وَأَيْنَ مَنْ
 أَيْنَ الْأُسُودُ الْفَاتِحُونَ وَأَيْنَ مَا
 أَتَارُهُمْ فِي مِصْرَ تَشْهَدُ أَنَّهُمْ
 عَهْدُ الْعَجَائِبِ عَصْرُ (مَنْفِيسِ) الَّذِي
 وَطَلَّاسِمُ السَّرِّ الَّذِي أَهْدَى إِلَى
 وَادِ كَنْوَرِ الْأَرْضِ تَحْتَ أَدِيمِهِ
 لَوْ أَنْ قِيمَتَهَا وَمَا فَوْقَ النَّرِيِّ
 أَحْفَى مَخَابِئَهَا الْعَدِيدَةَ طَلَّسَمُ

حُرَّاسُهُ تَرْمِي الْفِضَاءَ بِنَاضِرٍ
سَهْرَتْ عَلَى تُحْفِ الْمُلُوكِ أَمِينَةً
وَعَلَى الْفَيْتَابِ الْبَيْضِ قَامَ أَشَدُّهَا
كَهْفٌ حَوَى كَنْزَ الْكَنْوَزِ وَلَمْ يَكُنْ
قَدْ هَيَّأَ الْكَهَنُوتُ أَرْصَادًا لَهُ
تِيحَانُ بَيْتِ الْمَلِكِ مِنْ (مِينَا) إِلَى
وَصَوَالِحِ الْأَسَدِ الْفِرَاعِنَةِ الَّتِي
وَحُلِيِّ رَبَّاتِ الْخُدُورِ قَلَانِدُ

* * *

يَوْمِ اسْتِدَادِ الْكَرْبِ فِي الْمِيدَانِ
تَنْهَالُ تَحْتَ سَنَابِكِ الْفُرْسَانِ
مَنْ هَوْلٍ مَا قَدْ حَلَّ بِالْأَبْدَانِ
ظَلَمَاءَ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَدُخَانِ
تَجْتَاخُ مَا تَلْفَأُهُ مِنْ بُنْيَانِ
فِي مَوْجِ بَحْرِ مَنْ نَجِيعِ قَانِ
كَلًّا وَلَمْ تَحْفَلْ بِهَوْلِ طِعَانِ
فَشَلَّ الْعَدُوُّ وَبَاءَ بِالْخُسْرَانِ
أَبْطَالُهُ فِي ظُلْمَةِ الْوُدْيَانِ
يُؤْمِنَاهُ قَهْرًا رَايَةَ الْعَضِيَانِ
أَبْطَالِ مِصْرَ صَيَاغِمِ الْمِيدَانِ

* * *

فِي كُلِّ وَادٍ كَانَ مِيدَانًا لَهُمْ
أَثْرًا يَمْتَلُ بِطُشُهُمْ بِعَدُوِّهِمْ
صُورًا تَدُلُّ عَلَى سَلَامَةِ دَوْقِهِمْ
دَخَلُوا الْمَدَائِنَ فَاتْحِينَ وَعَمَّرُوا
وَبَنَوْا لِمِصْرَ الْمَجْدِ رِغْمَ مَطَامِعِ
دَوْلٍ تَمَنَّتْ مَا لِمِصْرَ مِنَ الْعُلَا
قَامَتْ لِئِنْبِي الْمَجْدِ لَكِنْ خَانَهَا
أَيْنَ الْفِرَاعِنَةُ الَّذِينَ تَأَلَّهُوا
زَعَمُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَلَّ بِرُوجِهِمْ

نَقَشُوا مَوَاقِعَهُمْ عَلَى الصَّوَانِ
فَنَكَ الْجِيَاعِ الْأَسَدِ بِالْعَزْلَانِ!
وَهِيَامِهِمْ بِالْعَزْوِ وَالْعُمْرَانِ!
مَا هَدَمَ الْجَبْرُوتُ مِنْ بُنْيَانِ
لِلْفُرسِ وَالْأَشُورِ وَالرُّومَانِ
وَلَكَمْ تَضِيْعُ مَعَ الْغُرُورِ أَمَانِي
بَطْشُ الْأَسُودِ بِهَا وَجَهْلُ الْبَانِي
فِي مِصْرَ مِنْ (خُوفُو) إِلَى الْرِّيَّانِ
نُورًا وَهَيْمَنَهُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ

فَطَعَوْا وَعَانُوا مُفْسِدِينَ وَأَسْرَفُوا
كَفَرُوا فَمَا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا هَيْكَلٌ
وَالْكِبْرِيَاءُ إِذَا تَمَكَّنَ عَلَيْهَا
فَهِيَ الْجُنُونُ لِكُلِّ غَرٍّ جَاهِلٍ
أَوْ فَهِي مَقْتٌ اللَّهُ صَبَّ عَلَى الَّذِي
ظَلَمُوا وَجَارُوا وَأَسْتَبَدُّوا قِسْوَةً
ظَنُّوا بَأْنَ نَعِيمِهِمْ وَهَنَاءَهُمْ
وَأَسْتَعْدَمُوا الْإِنْسَانَ فِي أَهْوَائِهِمْ

* * *

فِي الظُّلْمِ وَالْجَبَرُوتِ وَالطَّغْيَانِ
جَسَدٌ سَيُصْبِحُ طُعْمَةً الدَّيْدَانِ
مِنْ نَفْسِهِ دَفَعْتَهُ لِلْعِصْيَانِ
قَدْ هَاجَهُ مَسٌّ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَسِيَ الْإِلَهَ وَبَاءَ بِالْخُسْرَانِ
وَأَسْتَسْلَمُوا لِأَوَامِرِ الْكُهَّانِ
فِي مُلْكِ وَادِي النَّيْلِ لَيْسَ بِقَانَ
وَأَسْتَعْبَدُّوهُ بِرَهْبَةٍ وَهَوَانِ

نَحَنُّوا الْجِبَالَ وَشَيَّدُوا مِنْ صَلْدِهَا
رَمَزًا (لَا مَوْنَ) الَّذِي عَكَفُوا عَلَى
وَلْمَجْدِ (إِيزِيسِ) الَّتِي ظَنُّوا بِهَا
وَلِعَجَلِ مَنْفٍ وَمَالِهِ قَدْ هَيَّكَلُوا
(أَبِيسُ) حَيًّا أَكْرَمُوهُ وَمَيَّتًا
وَمَشَتْ تُشَيِّعُهُ الْمَلُوكُ يَحْفُهُمْ
عَبَدُوهُ فِي ظِلِّ الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا
كَفَرُوا بِمَنْ خَلَقَ الْوُجُودَ وَأَشْرَكُوا
وَبَنَوْا مِنَ الصَّخْرِ الْأَصْمِ مَعَابِدًا
دُورًا بِبِطْنِ الْأَرْضِ لَمْ تَجْسُرْ عَلَى
قَدْ أودعوها ما أَسْتَحَالَ وَجُودُهُ
صُورًا مِنَ الذَّهَبِ الْمُصَفَّى مَثَلَتْ
وَعَلَى الْهَيْكَلِ حَوْلَهَا تُحَفُّ لَهَا
وَبَأْبَدِ الصُّورِ الْجَمِيلَةِ سَجَلُوا
نَفْسًا عَلَى الصَّخْرِ الَّذِي عَجَزَ الْبَلْبَى
مَرَّتْ بِهِ الْأَجْيَالُ وَهُوَ كَأَنَّهُ
تَرْمِي مَعَانِيهِ الْعَجِيبَةَ عَنْ مَدَى
عَلِمُوا بَأْنَ الرُّوحِ لَا تَقْنَى وَإِنْ
وَالْجِسْمُ يَقْضِي فِي الْحَيَاةِ نَصِيبَهُ
فِيْفَارِقُ الدُّنْيَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي
كُلُّ النُّفُوسِ إِلَى الْخُلُودِ مَصِيرُهَا

فَوْقَ الْهَضَابِ غُرَائِبِ الْأَوْتَانِ
تَقْدِيسِهِ رَدْحًا مِنَ الْأَرْمَانِ
سِرِّ الْحَيَاةِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ
جَسَدًا يَمْتَلِئُهُ بِكُلِّ مَكَانِ
قَدْ جَهَّرُوهُ بِأَنْفَسِ الْأَكْفَانِ
كَهَنُوتُ مَنْفٍ لِمَدْفِنِ الثُّنَّانِ
سَجَدُوا لِهَيْكَلِهِ الرَّمِيمِ الْفَانِي
بِالْوَاحِدِ الْمُتَكَبِّرِ الدِّيَانِ
تَحْتَ الرُّبَا وَبِبَاطِنِ الْوُدْيَانِ
تَدْمِيرِهَا يَوْمًا يَدُ الْخَدَّانِ
مَهْمَا تَوَلَّى الْأَرْضَ مِنْ عُمَرَانِ
أَشْبَاحَ مَا عَبَدُوا مِنَ الْهَدْيَانِ
قَدْ رُصِّعَتْ بِالذَّرِّ وَالْمَرْجَانِ
أَسْرَارَ مَا أَعْتَقَدُوا عَلَى الْجُدْرَانِ
عَنْ مَسِّهِ لِدَقِيقِ صُنْعِ الْبَانِي
لَمْ يَمُضْ بَعْدُ لِصُنْعِهِ يَوْمَانِ!
بُعْدَ الْمَفْكَرِ فِي الْمَصِيرِ الثَّانِي!
عَبَّتْ الْبَلْبَى بِالْهَيْكَلِ الْجُسْمَانِي
حَتَّى يَحِينَنَّ مِنَ الْحِمَامِ تَدَانِي
بِسَعَادَةِ تَلْقَائِهِ أَوْ بِهَوَانِ
وَالْحِظُّ مَوْكُولٌ إِلَى الْغُفْرَانِ

بَادِقٌ فَهَمٌّ فِي أَتَمِّ بَيَانٍ
 وَقِيَامِهَا لِلْحَشْرِ وَالْمِيزَانِ
 سَيْلُ الْجَرَادِ يَهِيمُ فِي الْوُدْيَانِ
 أُمَّمٌ غَوَتْهَا فِتْنَةُ الشَّيْطَانِ!
 رُسُلٌ لِنَهْدِيهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ
 لَا بُدَّ أَنْ تَسْطُو عَلَى الْأَبْدَانِ
 حَتَّى تُجَرِّدَهَا مِنَ الدِّيدَانِ
 مِنْ كُلِّ مَا حَمَلَتْ مِنَ الْأُرْدَانِ
 يَنْهَارُ تَحْتَ عَوَامِلِ الدَّوْبَانِ
 وَالتُّرْبُ أَصْلُ سُلَالَةِ الْإِنْسَانِ
 ذَرًّا يَكُونُ عَلَى مَدَى الْأَزْمَانِ
 وَتَبَيَّنُوا أَنْ كُلُّ شَيْءٍ فَانَ
 يَنْتَابُهَا فِي وَحْشَةِ الْأَكْفَانِ
 وَدَمُ الْحَيَاةِ يَدْبُ فِي الْأَبْدَانِ
 رَدَّ الْحَيَاةَ لَهَا دَمَ الشَّرِيَانِ!
 وَأُذَيْنَهُ فِي الصِّدْرِ يَنْقَبِضَانِ!
 حَيٌّ إِذَا مَا دَارَ يَنْبَسِطَانِ
 فِي الشَّيْبِ وَالْإِطْفَالِ وَالشُّبَّانِ
 عَرَفُوا بِهِ مَا هِيَةَ الْحَيَوَانِ
 فِي قُوَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَمِرَانِ
 وَهَمَا لِحِفْظِ كِيَانِهَا حِصْنَانِ
 تَأْتِيرُهُ فِي الْهَيْكَلِ الْجَثْمَانِي
 بِالرَّغْمِ مِنْهُ غَوَامِضُ الْكُتْمَانِ
 وَمَعَ الْهَزِيمَةِ لَا تَضِيغُ أَمَانِي

قَدْ بَرَهَنَ الْإِيضَاحُ فِي تَصْوِيرِهِمْ
 عَنْ صِحْوَةِ الْأَجْسَادِ بَعْدَ رُقُودِهَا
 حَيْرَى تُبَعِّثُهَا الْقُبُورُ كَأَنَّهَا
 هَذَا هُوَ الْبَعْثُ الَّذِي جَحَدَتْ بِهِ
 حَقًّا لَهُ فَطِنُوا وَلَمَّا تَأْتِيهِمْ
 وَلَقَدْ رَأَى الْحُكَمَاءُ أَنْ يَدَّ الْبِلَى
 فَتَظَلُّ تُنْشِرُ فِي عِظَامِ رَطْبَةٍ
 فَإِذَا تَجَرَّدَ أَصْلُهَا وَتَطَهَّرَتْ
 أَخَذَ الْبِلَى يَسْرِي فَيَنْخَرُ هَيْكَلًا
 عِهْنًا فَتُرْبًا كِي يُرَدَّ لِأَصْلِهِ
 لَا بُدَّ يَوْمًا كُلُّ مَنْ فُوقَ الثَّرَى
 لَمَّا بَدَا لِيَقِينَهُمْ مَا رَاعَهُمْ
 خَافُوا عَلَى أَجْسَادِهِمْ مِنْ هَوْلٍ مَا
 فَتَمَكَّنُوا بِالْعِلْمِ مِنْ تَحْلِيلِهَا
 فَحَصُّوا كُرَاتِ دَمِ الْوَرِيدِ وَكَيْفَ قَدْ
 وَتَبَيَّنُوا الْقَلْبَ الْعَجِيبَ بُطِينُهُ
 لِيَحْوِلَا مَضَلَّ الْوَرِيدِ إِلَى دَمِّ
 بَحَثُوا الْعِظَامَ وَمَا حَوَتْ أَدْوَارُهَا
 بَحَثًا يَحَارُ الطُّبُّ فِي تَعْلِيلِهِ
 وَبِقَاءِهَا عُمْرًا طَوِيلًا غَضَّةً
 فَخَافَهَا وَاللَّحْمُ سِرُّ حَيَاتِهَا
 مَا غَابَ عَنْهُمْ عِنَصْرٌ لَمْ يَفْقَهُوا
 لَهُمْ انْطَوَى الْعِلْمُ الْعَجِيبُ وَصَرَّحَتْ
 فَتَوَصَّلُوا لِنَوَالِ مَا قَدْ أَمَلُوا

* * *

عِلْمًا بِسَرِّ صِيَانَةِ الْأَبْدَانِ
 يَوْمًا لِيَتَّبَقِيَ آيَةُ الْأَزْمَانِ
 تَتَعَاقَبُ الْأَحْقَابُ فِي اطمْنُنَانِ
 قَدْ غَادَرْتُهُ نِضَارَةُ الرَّيْعَانِ
 وَقَدْ اخْتَفَى عَنْ أَعْيُنِ الْحَدَثَانِ

كَانَتْ نَتِيجَةُ بَحْثِهِمْ أَنْ وُفِّقُوا
 بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنْ اتِّصَالِ يَدِ الْبِلَى
 أَمَّنَّا تَمَرُّ بِهَا الْقُرُونُ وَبَعْدَهَا
 وَقَوَامُهَا صَلْبٌ فَتِي ذَابِلٌ
 أَلْقَى الشُّبَاتِ عَلَيْهِ سُلْطَانُ الْكُرَى

لم تنتفضه سوى الحياة ولم يكن
ترمي مناعته الزمان بنظرة
والدهر يعجب أن سلطان البلى
مرت به تلك العصور وتنقضي
سد رهيب كلما قد هم أن
هذا هو السر الذي هزمت به
أقصى عن الإغريق كل حضارة
ما أبعد الإنسان في تفكيره
تأتي المواهب لو تكامل نورها
هل بعد تلك الخارقات فطائنة
أجسادهم شهدت بقوة عزمهم
ظهرت لنور الشمس وهي كأنها
وكان آلاف السني تبدلت
هي بيننا وتظل دهرًا بعدنا
قد أظهر التحنيط أعجب آية
عجرت شعوب الأرض عن إدراكه
وخلت بحار العلمن أصدافه
علم توارى أصله وتحجبت
صعدت مواهبه السماء فأصبحت
قد كان إحدى المعجزات ولم يزل
وكفى به فخرا لمصر وأهلها
هي جنة الدنيا التي قد أحرزت

بالميت أخرى منه بالوسنان
سخرت بفنك كوارث العذوان
مكتوفة بالرغم منه يدان
أمثالها وقواه في نقصان
يجتازه لا يستطيع تداني
حكما مصر عوادي ألموان
وقضى على مدينة الرومان
لو كان منصرفا إلى العرفان
بالمعجزات بعيدة الإمكان
أو بعد ذيك النجاح أمانى؟
وثباتهم وهدية الأذهان
لم تقض بعد الموت غير ثوان!
يوما مضى في راحة وأمان
وهي التي شهدت ضحى الطوفان!
وصلت إليها حكمة الإنسان
وخبأ سراج الطب في اليونان
مذ كف كوكبه عن الدوران
أسراره ونأى عن البرهان
ممزوجة بالعالم الروحاني
أعجوبة الدنيا مدى الأزمان
أم القرى سلطنة الوديان
ما عز من ملك ومن عمران

رحلة

مَنِّي إِلَيْكَ تَحِيَّتِي وَسَلَامِي
مَلَكًا تَرَبَّعَ فَوْقَ عَرْشِ غِرَامِي
وَحَسِبْتُ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ مَرَامِي
أَمْسَى بِهَا جِسْمِي أَلَيْفَ سَقَامٍ
أَخْشَى دُخُولَ الْوَجْدِ طَيِّ كَلَامِي

يَا مَنْ نَفَى عَنِّي لَذِيذَ مَنَامِي
يَا مَنْ لِأَوَّلِ نَظْرَةٍ قَدْ خَلَّتُهُ
فَوَهَّبْتُهُ قَلْبِي وَكُلَّ سَعَادَتِي
عَامَانٍ قَدْ مَضَى لِعَهْدِ غِرَامِنَا
إِنِّي سَأَشْرُحُ قِصَّتِي لَكِنَّمَا

* * *

وَدَرَجْتُ أَرْسُمُ لِلرَّبِّي أَحْلَامِي
وَهَنِيهَةً أَرْتَادُ أَرْضَ سَلَامٍ
هِيَ مَسْرُحُ الْغُزْلَانِ وَالْأَرَامِ
وَبَدَتْ جَمَالًا فِي أَتَمِّ نِظَامٍ
وَسَمِعْتُ فِيهَا صَيْحَةَ الضَّرْعَامِ!
فَانْجَابَ مِنْ فَرْطِ الْهِنَاءِ ظَلَامِي
جَمَعَتْ جَمِيلَ الطَّيْرِ وَالْأَنْعَامِ
مِنْ فَاتِكَاتِ اللَّحْظِ وَالْهِنْدَامِ!
صَدَحَتْ تَوْفَعُ أَطْيَبِ الْأَنْعَامِ
وَكَأَنَّ سَرَى بِالزَّرَائِرِينَ مَرَامِي
تُ الْغَيْدُ يَجْدُبُهُنَّ صَدْحُ حَمَامِ
كُلُّ لَهُ شَعْفُ بَكَاسٍ مُدَامِي
نَحْوَ الْقُلُوبِ عَلَى أَتَمِّ وَثَامِ
وَتَكَادُ تُسْعِدُ وَحْدَتِي أَحْلَامِي
حَالًا شُغِلْتُ بِمَا أُسْتَحَقُّ هِيَامِي
لَا بَلَّ مَلَاكَ فَاقَ بَدْرَ تَمَامِ
جَدَبَ الْقُلُوبِ بِتَغْرِهِ الْبَسَامِ
وَيَفُوقُهُ حُسْنًا بَلِيْنِ قَوَامِ
مَنْفَاخِرًا بِجَمَالِهِ النَّمَامِ

قَدَمَ الرَّبِيْعُ فَفَاضَ بِالْإِنْعَامِ
أَعْدُو عَلَى النَّيْلِ الْحَبِيبِ هَنِيهَةً
حَتَّى نَزَلَتْ بِرَوْضَةٍ فَوَاحِيَةً
حَوَتْ الْعَجَائِبَ مِنْ فَصِيْلَاتِ الْفُلَا
فَوَلَجَتْهَا وَالْقَلْبُ يَرْفُصُ غِبْطَةً
مَا سَتْ غُصُونُ الْبَانِ طَوْعَ نَسِيمِهَا
يَا نِعْمَهَا مِنْ رَوْضَةٍ فِي مِصْرٍ قَدْ
تَتَسَرَّبُ الْحُورُ الْحَسَانَ لِدُورِهَا
أَلْفَيْتُ فِي وَسْطِ الْحَدِيقَةِ جَوْقَةً
فَرَّغْتُ أَنْ أَبْقَى لِأَطْرَبِ مِسْمَعِي
فَتَسَابَقْتُ نَحْوَ الْمَكَانِ الْكَاعِبَا
وَتَرَا حَمْتُ حَوْلَ الْكَوَاعِبِ فَنِيَّةً
بَيْنَا السَّهَامُ مِنَ الْعُيُونِ تَبَادَلَتْ
كَنْتُ الْوَحِيدَ بِمَعْزَلٍ عَنِ جَمْعِهِمْ
سَرْعَانَ مَا أَنْقَطَعَ الْخَيَالُ لِأَنِّي
ظَبِّي تَنَازَلَ مِنْ سَمَاءِ نَعِيمِهِ
حُلُوَ الشَّمَائِلِ أَهْيَفُ مُتْرَبِّبِ
يُزْرِي بِعُضْنِ الْبَانِ فِي حَرَكَاتِهِ
وَيَمَائِلِ الطَّائُوسِ فِي خُطَوَاتِهِ

صَرَخَ الْقُلُوبَ وَصَادَهَا بِسَهَامٍ
قَدْ صَيَّغَ مِنْ نُورِ الْغَرَامِ السَّامِي
رَمَتِ الْقِنَاعَ وَأَرْدَفَتْ بِسَلَامٍ
وَيَخَافُ أَنْ يَبْدُوَ بغيرِ لَثَامٍ
فَكَأَنَّهَا طَيْرٌ وَكَانَ الرَّامِي
وَرَدُّ الصَّبَى وَتَوْقُذُ الْأَحْلَامِ

* * *

وَجَرَى يُوجِّجُ بِالْأَرِيحِ ضِرَامِي
زُرْتُ الْجِنَانَ وَحَقَّقْتُ أَحْلَامِي

* * *

أَشْتَأقُ أَنْ لَا تَنْقُضِي أَوْهَامِي
فَنَسَعَرْتُ فِي مُهَجَّتِي اللَّامِي
أَيَّ الْجِهَاتِ تَحَرَّكَتْ أَقْدَامِي!
نَمَلًا وَلَكِنِّي بغيرِ مُدَامٍ
يَذْرِي الْهَوَى حَتَّى اكَتَوَى بَغْرَامٍ
أَمْ يَقْطَعُهُ أَمْ فِتْرَةَ الْأَوْهَامِ
قَلْبِي يَدُقُّ وَخَانِنِي إِقْدَامِي!
مَاءُ الْحَدِيثِ فَجَاءَ طَبَقُ مِرَامِي
بِعَوَائِدِ التَّرَكِيِّ عِنْدَ سَلَامٍ
إِيضَاخَهُ إِذْ حَانَ أَخْذُ تِرَامِي!
وَالْقَلْبُ يَرْقِصُ مِنْ لَذِيذِ مَنَامِي:
وَأَرَى الْغَزَالَةَ أَعْلَنْتُ بِسَلَامٍ
يَخْشَى هَجُومَ الْبَاطِشِ الصَّرْعَامِ!
إِنِّي أَرَى قَدْ حَانَ وَقْتُ طَعَامِي
يَبْنُو الرِّجِيلَ مَضَاعِفًا آلَامِي
أَنْوَارُهُ وَغَرِفْتُ فِي أَوْهَامِي
وَأَفَقْتُ حَالًا مِنْ لَذِيذِ مَنَامِي
كَيْمَا أَقْلُومُ عَلَّةَ الْإِبْكَامِ
كَالسَيْفِ يَلْعَبُ فِي يَدِ الصَّمْصَامِ
هَذَا الْحِسَابُ بِجَمَلِ الْأَرْقَامِ

بَهْجُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاخِكًا
رَشَاءُ تَسْرِبَلٍ بِالْجَمَالِ فَوْجُهُ
فَإِذَا رَنَا لِلشَّمْسِ أَوْقَفَ سَيْرَهَا
وَالْبَدْرُ يَخْجَلُ مِنْ ضِيَاءِ جَبِينِهِ
أَهْدَتْهُ مُبْدِعُهُ الدَّلَالَ لِحَاطَهَا
بَاهِي الْمَحْيَا زَانَ حُمْرَةَ خَدِّهِ

مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيَّا بِاسْمًا
وَمَضَتْ ثَوَانٍ خَلَّتْ فِيهَا أَنَّنِي

* * *

بَيْنَا أَنَا فِي بَحْرِ وَجْدِي سَابِحٌ
إِذْ قَدْ تَحَوَّلَ نَحْوِي وَجْهِي وَجْهُهُ
وَتَحَرَّكَتْ قَدَمَايَ لَا أُدْرِي إِلَى
وَمَشَيْتُ مِنْ حَمْرِ الْهَوَى مُتَمَائِلًا
دَخَلَ الْهَوَى قَلْبًا خَلِيلًا لَمْ يَكُنْ
وَطَفِئْتُ لَا أُدْرِي أَحْلَمًا مَا أَرَى
وَتَحَرَّكَتْ قَدَمَاهُ نَحْوِي فَأَغْتَدَى
يَا نِعْمَهَا مِنْ سَاعَةٍ فِيهَا جَرَى
وَتَحَرَّكَتْ شَفَتَاهُ نَحْوِي وَانْحَنِى
وَرَنَا وَقَالَ: الْوَقْتُ أَرْجُو سَيْدِي
فَأَجَبْتُهُ وَيَدِي تُلَاعِبُ سَاعَتِي
قَدْ مَرَّ بَعْدَ السِّتِّ عَشْرُ دَقَائِقِ
فَتَلَفَّتْ الظُّبْيُ الْجَمِيلُ كَأَنَّهُ
وَتَلَفَّظَتْ شَفَتَاهُ: هَيَّا سَاعَتِي
وَتَحَرَّكَتْ يُمْنَاهُ نَحْوِي وَانْتَنَى
فَرَأَيْتُ نَجْمَ سَعَادَتِي قَدْ أَظْلَمْتُ
وَجَمَعْتُ كُلَّ قَوَائِمِ بِلِ وَبَسَّالْتِي
وَتَحَرَّكَتْ شَفَتَايَ رَغْمَ إِزَادَتِي
وَسَأَلْتُهُ: مَا الْإِسْمُ؟ قَالَ وَلِحْظُهُ
إِنْ شِئْتَ أَسْقِطُ سِنَّةً مِنْ مَائَةٍ

فصبرتُ حينًا لم أدُقْ طَعْمَ الْهُدَى
وَمَصَّتْ ثَوَانِ وَالسُّكُونُ مَخِيْمٌ
حتى عثرتُ بِمَطْلَبِي فغدوتُ من
ناديئُهُ فاهترتُ تِيهَا جِيْدُهُ
وَأَجَابَ وَالْإِعْجَابُ صَيَّرَ خَدَّهُ
كَيْفَ اهْتَدَيْتُ إِلَى أَصُولِ حُرُوفِهِ
من أَيْنَ تَدْرِي أَنَّهُ مِنْ أَرْبَعٍ
فَأَجِبْتُهُ: هَذَا الْحِسَابُ صِنَاعَتِي
فَرْنَا وَقَالَ: سَأَلْتُمُوهُ فَأَجَبْتُكُمْ
لَكَ مَا تَشَاءُ فَمَايْتَانِ وَعَشْرَةٌ
وَحُرُوفُهُ سَبْعُ أَقْوَالٍ بِوَصْفِهَا
وَبِهِ وَقَدْ إِنْ أُخْرِجَتْ فَاسْتَبْدَلَتْ
فَتَنَبَّهَ الطَّبِيُّ الْجَمِيلُ وَتَمَنَّمْتُ
فَكَأَنَّيَ يَعْقُوبُ أَبْصَرَ بَعْدَمَا
وَكَانَ دُرٌّ حَدِيثُهُ قَدْ جَاعَنِي
وَالرُّوْضُ هَبَّ بِهِ النَّسِيمُ مَبَارِكًا
وَبَلَابِلُ الْبُسْتَانِ طَارَتْ حَوْلَنَا
وَالنَّرْجِسُ الْغَضُّ الْجَمِيلُ تَمَائِلَتْ
وَتَرَاقَصَتْ أَغْصَانُهُ وَتَبَسَّمَتْ
فوقفتُ من طَرَبِ الْمَسْرَةِ حَائِرًا
هَذَا النَّسِيمُ وَكُلُّ حَيٍّ حَوْلَنَا
هَبَّ النَّسِيمُ فَشَاغَلَتْ حَرَكَاتُهُ
وَتَدَقَّقَتْ عَنِّي حُنُوقًا نَحْوَهُ
وَتَحَرَّكَتْ يُمْنَايَ تَلْمَسُ زَنْدَهُ
وَاشْتَدَّ فِي حَفَقَانِهِ قَلْبِي وَقَدْ
وَحَسِبْتُ أَنِّي عِنْدَمَا صَاحَبْتُهُ
وَكَانَ مُوسِيقَى الْحَدِيقَةِ خَلْفَنَا
وَالشَّمْسُ عِنْدَ مَغِيْبِهَا قَدْ قَبَّلَتْ
وَالطَّيْرَ عِنْدَ فِرَاقِهِ قَدْ أَبْدَلَتْ
وَحَنَا عَلَيْهِ الْبَانُ يَمْنَعُ مَشِيَهُ

وَكَأَنِّي قَدْ صُدِّعْتُ أَقْلَامِي
من حَوْلِنَا وَالْفِكْرُ فِي آلَامِ
طَرَبِ الْمَسْرَةِ رَاقِصَ الْأَقْدَامِ
وَكَانَ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ بِكَلَامِي
مَا بَيْنَ لَوْنِ الْوَرْدِ وَالْأَعْنَامِ:
كَيْفَ اتَّصَلْتَ بِفَائِهِ وَاللَّامِ؟
قَدْ صَيَّغَ وَالتَّكْرَارَ بِالْإِلْزَامِ
إِنِّي أَعْلَمُ صَيَّغَةَ الْأَرْقَامِ
وَعَلَيَّ حَقُّ سُؤَالِ الْإِسْتِفْهَامِ!
وَأَضْفُ إِلَيْهَا اثْنَيْنِ يَا ابْنَ كِرَامِ
إِسْمًا بِهِ قَدْ عِيلَ صَبْرُ غَرَامِي
بِالْيَاءِ بَعْدَ الرَّاءِ تَمَّ مَرَامِي
شَفْتَاهُ: صُنْ يَا ابْنَ الْخَلِيلِ زِمَامِي
قَضَى زَمَانًا فِي بَكَاءٍ وَظَلَامِ
كَقَمِيصِ يُوسُفَ فَانْجَلَتْ أَيَّامِي
وَالطَّيْرُ أَشَدَّتْ مُنْعِشَ الْأَنْعَامِ
وَكَأَنَّهَا تَدْعُو لَنَا بِدَوَامِ
أَعْطَافُهُ بِالْوَرْدِ وَالْأَكْمَامِ
أَزْهَارُهُ وَعَلَا هَدِيْلُ حَمَامِ
أَشْتَأَقُ حَكْمَ النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ
قَدْ صَارَ يُشْبِهُ صُورَةَ الْأَصْنَامِ
عَيْنِي وَقَلْبِي تَمَّ نَارَ غَرَامِي
وَكَانَ وَجْدِي قَدْ أَدَابَ عِظَامِي
فَاهْتَرَّتْ جِسْمِي وَأَرْتَحَتْ أَقْدَامِي
أَمْسَى بِجِسْمِي كُلِّ عَضْوٍ دَامِي
قَدْ صِرْتُ حَارِسَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ!
عَرَفْتُ لِصُحْبَيْتِنَا بِحُسْنِ خِتَامِ
وَجَنَاتِهِ فَتَلَهَّبَتْ بِضِرَامِ
أَنْغَامِهَا بِالْوَجْدِ وَالْآلَامِ
حَتَّى الْغُصُونُ تَعَلَّقَتْ بِالْهَامِ

عَشِيقَتُهُ كُلَّ الكائِنَاتِ فَحَسُنُهُ
حَطَّتْ يَدُ التَّكْوِينِ فَوْقَ جَبِينِهِ
وَعَشِيقَتُهُ لَا لِلجَمَالِ وَإِنَّمَا
مَا زَالَ يُطْرِبُنِي بِعَذْبِ حَدِيثِهِ

* * *

قَدْ جَاءَ يَجْمَعُ غَايَةَ الإِحْكَامِ
(هَذَا مَلَأَكَ الطَّوْلَ وَالْإِنْعَامِ)
لَجْمِيلِ أَخْلَاقٍ وَحُسْنِ نِظَامِ
حَتَّى تَرَكْنَا مَنْزَلَ الضَّرْغَامِ

خَرَجَ الأَمِينُ عَلَيْهِ يَسْتَدْعِي لَنَا
وَخَرَجْتَ وَالْيُسْرَى تُطَوِّقُ خَصْرَهُ
شَخَصَتْ لَهُ كُلُّ العَيُونِ وَلَيْتَنِي
سَاعَدْتُهُ حَتَّى جَلَسْتَ جِوَارَهُ
وَعَدْتَ هُنَالِكَ صَافِنَاتُ جِيَادِنَا
وَالجِوُ رَقَّ نَسِيمُهُ مِنْ حَوْلِنَا
وَتَجَلَّتْ الهَيْفَاءُ تَلْعَبُ بِالنُّهَى
وَكَوَاكِبُ العُلْيَاءِ زَادَ وَمِيضُهَا
مَا زَالَ سَائِقُنَا يَسُوقُ جِيَادَهُ
فَسَأَلْتُهُ إِنْ كَانَ يَسْمَحُ وَقَفْتُهُ
فَرَنَّا بِلِحْظِ جُفُونِهِ وَأَجَابَنِي

* * *

سَيَّارَةً مِنْ شَارِعِ الأَهْرَامِ!
فَكَأَنَّهُ بَدْرٌ بَدَا
ثَوَّبَ عَلَيْهِ لَكِي أُرِيحَ غَرَامِي
إِيوَانُ كِسْرَى كَانَ دُونَ مَقَامِي!
مَدَّتْ مَفَاتِنَهَا كَفَرَّخِ نَعَامِ
وَالبَدْرُ أَجْلَى مُزْعِجِ الأَحْلَامِ
لَعِبًا تَضِيقُ لِيُوصَفَهُ أَفْهَامِي
وَاصْطَفَتْ الحُورُ الجَسَانَ أَمَامِي
حَتَّى وَصَلْنَا مَلْعَبَ الأَقْدَامِ
كَيْمَا أَقُومَ بِوَأَجِبِ الإِكْرَامِ
شُكْرًا وَلَكِنْ حَانَ وَقْتُ مَنَامِي

فَرَأَيْتُ أَنْ وَجَبَ الوَصُولُ لِدَارِهِ
قَصْرٌ بِمِصْرَ عَلَى الوِلَاءِ مُشِيدٌ
تَلْتَفُّ حَوْلَ فَنَائِهِ فِيحَاءٌ قَدْ
غَنَاءٌ تَبَسُّمِ وَالزَّهْوَرُ تَزِيئُهَا
وَالطَّيْرُ كَانَ صَغِيرُهُ يَدْعُو إِلَى
وَخَرِيرُ أَفْوَاهِ الجَدَاوِلِ شَارِكْتِ

* * *

حَتَّى أَفُوزَ بِصُحْبَةِ وَتَدَانِي
بَيْتِ الكِرَامِ لِقَاصِبِهَا وَالدَانِي
عَبَقْتَ بِسِرِّ الوَرْدِ وَالرَّيْحَانِ
كَقَلَانِدِ اليَاقُوتِ وَالمَرَجَانِ
تَحْرِيكَ أَعْطَافِ لِعُصْنِ البَانِ
أَنْغَامِ طَيْرِ الرُّوْضِ فِي الأَلْحَانِ

وَلَجَّ العَزِيزُ عَرِينُهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ
وَالبَدْرُ أَسْفَرُ وَالزَّهْوَرُ تَبَسَّمَتْ
نَطَقَ اللِّسَانُ مُتَرْجِمًا عَنْ مُهْجَتِي
يَا أَيُّهَا البَدْرُ الَّذِي عَنِّي نَأَى
إِنْ كُنْتُ قَدْ أَظْلَمْتُ جَوْ مَسْرَتِي

أَهْدَى سَلَامًا ضَاعَ فِيهِ بِيَانِي
وَاسْتَقْبَلْتَهُ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ
: سِرٌّ فِي سَلَامٍ دَائِمٍ وَأَمَانِ!
تَرَعَاكَ عَيْنُ عِنَايَةِ الرَّحْمَنِ
فَكَذَلِكَ شَأْنُ البَدْرِ فِي الدَّوْرَانِ

صبرًا فؤادي كلُّ بُعدٍ ينقضي

والدهرُ ضدَّ رغائبِ الولهانِ

* * *

غادرتُ ذاكَ القصرَ أحسُّدُهُ عَلَيَّ
وقفلتُ مكتئبًا أجنُّ إلى الذي
سُبْحَانَ مَنْ زَرَ عَ الوِرودَ بِخَدِّهِ
مَنْ لِي بِدَمْعِي كِي أروِيهَا بِهِ
سيانٍ في حُلْمٍ أرى أم يقظةٍ
وقضيتُ داجي ليلتي مُتَقَلِّبًا
يهفو النُّعَاسُ بِمُقَلَّتِي فيرُدُّهُ
حتى إذا ذهب الظلامُ وأشرقَتْ
بادرتُ حالًا بارِتْدَاءِ ملابسي
والشمسُ قد نَشَرَتْ نوائِبَ شِعْرِهَا
فَعَرَجْتُ نَحْوَ القصرِ أَذْكَرُ ما مَضَى
وَأَرَأَيْتَ الطَّبِيَّ الغريرَ لَعَلَّهُ
ومضى طويلُ الوقتِ حتى خِلْتَنِي
بيننا أنا والجوُّ حولي مُعْتَمِّمٌ
فَتَحَوَّلَتْ عَنِّي الكابَةُ وَأَعْتَلَّتْ
ورأيتُ أَحْسَنَ منظرٍ يدعو إلى
عُصْنَيْنِ بينهما مَهَاةٌ قد بَدَتْ
كَسَفَتْ جمالَ الشمسِ وَجَنَّتْهَا وما
فاقَتْ غزالَ الأَمْسِ عَشْرَ مراحلٍ
وَالثَّوْبُ لم يَحْجُبْ خفايا جسمها
باحَ القميصُ بِسِرِّ مكنونِ الهوى
يا ليلتني كنتُ القميصَ وَلَيْتَهُ
حُورِيَّةً ضَمَّ الوِشَاحُ قَوامَها
سَلَّتْ صَوارِمَ لَحْظِها من غَمْدِها
وَتَبَسَّمتُ عن لُؤْلُؤٍ مُتَمَنِّعٍ
تركته لِلعُشاقِ يَنْسِبُ خَدَّها
خَدُّ يُرِيكَ نَعيمَهُ في نارِهِ
تَرْنُو لَواحِظِها إلى عُشاقِها

سحِرَ به يُزْرِني بِسِحْرِ بياني
مَلَكَ الفؤادَ بِلَحْظِهِ الفَتَّانِ
وَجَلَّتْ سَناها زَهْرَةُ الرِّمانِ
حتى تضاعفَ حُسنَها نيرانِي
داعٍ إلى خَدِّ الحبيبِ دعاني
حَيْرانَ لا يَهْوَى الكرى أَجفاني
طَيِّفٌ يُجَدِّدُ ذِكرَهُ أَشجاني
شمسُ الضَّحَى تزهو على الأَفنانِ
وخرجتُ أَقصدُ مَسْرَحَ الغُزلانِ
تَكسو الرُّبى حُللاً من الألوانِ
وَأُغَلُّ الأمالَ بِالوِجْدانِ
يُنْسابُ بينَ مَعاقِلِ الوِديانِ
في مَرَجَلٍ والجوُّ أَحمرُ قانِ
عَصَفَتْ رِياحُ صَبا الحبيبِ الجاني
وجهي المَسرَّةُ وَأَنجَلَتْ أَحراني
نَظُمَ القَريضِ يَحارُ فيه الباني
فَتَنَّتْ قلوبَ الحُورِ وَالوِلدانِ
للبدرِ صَوءٌ جَبيِنها الفَتَّانِ
وَعَلَّتْ تُشاهِدُ دارَةَ الميزانِ
عُصْناً تَرَبَّعَ فوقه نَهْدانِ
فَجَلَّا سَنا فِجرِ أَضاءِ عَياني
كانَ المُعَدَّبُ في الغرامِ مَكانِي!
فَكَأَنها وَوِشاحَها قَمَرانِ
فَسَطَّتْ على الأَسادِ وَالغُزلانِ
(مَرَجِ النُّهى بِحَريرِ يَلْتَقِيانِ)
وَاصبُوتِي منهُ بأَحمرِ قانِ
يا مَنْ يَرى الفِرْدوسَ في النِّيرانِ!
فَتَصُولُ في أَحشائِهِم كَيماني

(فَأَتَى كَبِسْمِ اللَّهِ فِي الْعُنْوَانِ)
وَتَرَفَعَتْ عَنْ رُؤْيَا النَّقْلَانِ
هَلْ فِي السَّمَاءِ لَهَا شَبِيهَةٌ تَانِ

صَاعَ الْجَمَالِ جَبِينَهَا مُتَعَبِّدًا
شَخَصَتْ إِلَى الزَّرْقَاءِ مِنْهَا مُقَلَّةٌ
وَعَلَتْ إِلَى الْجَنَاتِ تَطْلُبُ أَنْ تَرَى

* * *

عهد الخرافة أعصر اليونان
تمثال (أورانيا) عظيم الشأن
وعدت لها الأفلاك طوع بنان
ملك الجمال إلهة الأغصان
فهو المنظم خطة الأكوان
تبقى تُراقب دقة الدوران
كي تُظهرين محاسن الإنسان
رغم الأنوف إطاعة العبدان

فحسبتُ أني عُدْتُ أَحْقَابًا إِلَى
وَعَجِبْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا قَدْ شَابَهَتْ
وَجَرَى بِهَا نِبْتُونٌ يَسْبَحُ فِي الْفُضَا
وَكَأَنَّ (كَالِيْبُو) تَعَارُ لِأَنَّهَا
لَكِنَّمَا (جُوبَيْتِيرُ) تَخْشَى بَطْشَهُ
صَدَرَتْ أَمْرُهُ إِلَى الْأَلَى بِأَنَّ
وَأَشَارَ لِلْأُخْرَى إِلَى الْأَرْضِ الْهَبِطِي
وَعَلَا وَكُلُّ الْكَائِنَاتِ مُطِيعَةٌ

* * *

سِنَّةَ الْخِيَالِ وَعُدْتُ لِلْوَجْدَانِ
وَالشَّمْسُ هَزَّ لَهَيْبِهَا أُرْكَانِي
أَنِي أُصِبتُ بِسَهْمِهَا الْحَوَانِ
وَمَشَتْ وَذَيْلُ قَمِيصِهَا يِرْعَانِي
وَتَسَنَّرَتْ عَن نَاطِرِي وَعَيَانِي
وَأَحَاطَ جَيْشُ اللَّيْلِ بِالْبُسْتَانِ
قَلْبٌ يَدُقُّ بِفُرْقَةٍ وَتَدَانِي!
يَجْسُرُ عَلَى نُطْقِ الْكَلَامِ لِسَانِي
هَامَ الْمُلُوكُ بِبَهْجَةِ التِّيْجَانِ
أَلْفَ السُّجُودِ مَحَبَّةَ الْغُفْرَانِ
عَن ذِكْرِ آيِ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ
أَمَلٌ بِأَنَّ أَغْدُوَ وَحِيدَ زَمَانِي
رَاشِ الْفُؤَادِ وَبَاتِ طَيِّ جَنَانِي
فَاعْتَاضَ حَلْوِ الْعَيْشِ بِالْأَحْزَانِ

هَبَّ النَّسِيمُ فَأَفْشَعَتْ حَرَكَاتُهُ
فَوَجَدْتُنِي مَا زِلْتُ أَقْتَحِمُ اللَّطِي
وَالرَّيْمُ يَظْهَرُ أَنَّهَا قَدْ لَاحَظَتْ
فَكَسَا الْحَيَاءُ وَرُودَ حَدَيْهَا دَمًا
وَتَمَايَلَتْ كَالْغُصْنِ حَرَكَهُ الصَّبَا
نَاحَتْ لَهَا الْوَرَقَاءُ عِنْدَ فِرَاقِهَا
وَبَقِيْتُ كَالْتِمْتَالِ لَيْسَ بِجَوْفِهِ
لَمْ أَسْتَطِعْ تَحْرِيكَ أَعْضَائِي وَلَمْ
لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَقْيَالِي لَمَا
وَلَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ عَابِدِ
لَرْنَا لِطَلْعَتِهَا وَأَلْهَاهِ الْهَوَى
أَنَا لَمْ أَكُنْ مِنْ هَوْلَاءِ وَلَيْسَ لِي
لَكِنَّمَا مَا جِيلَتِي وَالسَّهْمُ قَدْ
هَذَا جِزَاءُ فَتَى تَلَاعَبَ بِالْهَوَى

* * *

نَارُ الْغَزَالَةِ أَحْرَقَتْ أَبْدَانِي

وَوَظَلَّتْ أَنْتَظِرُ الْغَزَالَ وَإِنَّمَا

للبدْرِ أم هذا مَلَأكَ تَانِ
سَرَعَانَ ما بِيَمِينِهِ حَيَّانِي
من فَرَطَ ما قد سَرَّني أَبْكَانِي
ثَوْبٌ يُعَازِلُ حُلَّةَ السُّلْطَانِ
لأَخْتَارُهُ لَخَلِيفَةِ الإِيوَانِ
خِلْتُ الثُّرَيَّا عُلَّقْتُ بِنَبَّانِي
قَلْبِي أَحْفَفُ وَطَأَةُ الأَخْفَقَانِ!
في القَلْبِ من ظَمًا ومن نِيرَانِ
وَجَنَاتُهُ كعَشِيقِ بِنْتِ الحَانِ
فَأُقَابِلُ الإِحْسَانَ بِالشُّكْرَانِ
وَقُتُّ الأَهْجِيرِ بِرَاحَةِ وَأَمَانِ
وَالْفَرْحِ عَاقٍ عَنِ الثَّنَاءِ لِسَانِي
ما حَازَهَا قَدَمًا أَنُو شِرْوَانِ
وَتَكَادُ تَجْحَدُ دُورَةَ المَلَوَانِ
ضَنَّ الأَزْمَانَ بِهَا عَلى الأَنْبِجَانِ
عَزَلُ كَعَدْبِ الأَمَاءِ لِلظَّمَانِ
يَكْفِي الأَعْيُونَ الأَهْمُسُ بِالأَجْفَانِ
لو كَانَ يَسْمَحُ أَنْ يَدُومَ رَمَانِي!

وَسَأَلْتُ نَفْسِي هَلْ تَكُونُ شَقِيقَةً
ظَهَرَ الغَزَالُ وَتُغْرُهُ مُتَبَسِّمٌ
(هَجَمَ السَّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنَّهُ
لِللَّهِ مَا أَبْهَى جَمِيلَ رِدَائِهِ
لو أَنَّ كِسْرَى كَانَ فِي أَيَّامِهِ
مَدَّ الأَيْمِينَ مُصَافِحًا وَمُصَبِّحًا
صَافِحَتُهُ وَضَعَطَتْ بِالأَيْسَرَى عَلى
وَسَأَلْتُهُ مَاءَ لِأَطْفِيءَ مَا بَدَا
فَأَشَارَ نَحْوَ القَصْرِ ثَم تَلَهَّبَتْ
وَأَفْرَحْتِي لو تَسَمَحَنَّ بِزِيَارَتِي
نَقْضِي قَاصِرَ الوَقْتِ حَتَّى يَنْقُضِي
فَتَحَرَّكَتْ قَدَمَايَ تَتَّبِعُ سَيْرَهُ
وَوَلَجْتُ دَارًا بِالجَمَالِ تَسْرِبَلْتُ
مَا أَمَّهَا لَيْلٌ وَلَمْ تَدْرِ الدُّجَى
وَجَلَسْتُ أَرَشُفُ كَأَسِّ حُبِّ طَاهِرٍ
وَخَلَوْتُ بِالأَطْبِيبِ الأَجْمِيلِ وَبَيْنَنَا
طُورًا نُكَلِّمُ بِالشَّفَاهِ وَتَارَةً
مَا كَانَ أَشْهَى خَلَوْتِي بِمُسَامِرِي

* * *

بِالسَّرِّ يَعْلمُ غَيْرُ عُصْنِ الأَبَانِ
قُلْنَا لَصُنْتُ الأَسْرَ بِالكَيْمَانِ
إِلَّا بِعَيْنِ صَبَابَتِي تَرَعَانِي
وَيَبُوحُ بِالمَكْنُونِ مِنْ أَشْجَانِي
خَطَرَاتُهُ وَالأَسْمَعُ وَالأَعْيَانِ
كَهْفٌ أَعُوقُكَ طَارِيءَ الأَحْدَثَانِ
يُهْدِي إِلَيَّ قَلَائِدَ العَقِيَّانِ
قُبُلٌ يُقَطِّعُهَا غَرَامٌ هَانِي
بِالأَلْفِ صَوْتُ الطُّهْرِ وَالإِيمَانِ
بَيْتُ المُحِبِّ بِخُلُوعِ وَأَمَانِ
قَبْلَ أَنْفِصَاهَا كُنْتُ فِي الأَكْفَانِ

غَابَ الأَعْوَاذِلُ وَالأَوْشَاءُ وَلَمْ يَكُنْ
وَلَوْ أَعْتَقَدْتُ بِأَنَّهُ وَاشٍ بِمَا
وَلَنْتُ وَشَى لِلزَّهْرِ مَا مِنْ زَهْرَةٍ
خَفَّتِ الأَنْسِيمُ يُذِيعُ أَسْرَارَ الأَهْوَى
فَسَأَلْتُهُ كَيْمَانَ مَا قَدْ لَاحَظْتُ
فَأَجَابَنِي خَفِضَ عَلَيَّكَ وَلَيْتَنِي
وَجَرَى يُقْبَلُ وَجَنَّتِيهِ وَيَنْتَنِي
فَتَبَوَّذْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَازِلِي
يَهْفُو الفَوَاذُ لوقِعِهَا فِيرُدُّهُ
مَا أَسْعَدَ الأَوْلَهَانَ حِينَ يَضُمُّهُ
يَا لَيْتَهَا كَانَتْ تَدُومُ وَلَيْتَنِي

ومن المُحَالِ يدومُ وَقْتُ تَدَانِي
يدعوكما الطَّاهِي إِلَى اللَّوَانِ!
كَانَتْ دَوَاءً لِلْفَوَادِ العَانِي
منهُ العُيُونُ فَكَانَ وَصَلَ عَوَانِي
طَيْفُ الخِيَالِ يَلْذُ لِلوَسْنَانِ

سَرَعَانَ مَا تَجْرِي أَوْيَقَاتُ الهَنَاءِ
نوديتُ وَالطَّبِيَّ الجَمِيلَ: تَفَضَّلَا
بِئْسَ الندَاءُ فَقد حُرْمَنَا خَلْوَةً
مَا كَانَ أَقْصَرَ مُدَّةً أَنَسْتُ بِهَا
كَرَّتْ وَلكن لَمْ تَطُلْ فَكَأَنهَا

* * *

لَبَدَلْتُ أَيَّامِي لَهَا بِثَوَانِي
لَجَعَلْتُهَا عُمُرِي وَقُلْتُ كَفَانِي

لو أَنَّ أَيَّامِي تَوِي تَمَنَّا لَهَا
أو أَنَّ عَمَرَ المرءِ طَوْعُ بَنَانِهِ

الجزء الثاني

قصائد اجتماعية ووجدانية

حرب طرابلس

النَّاجُ أَتَيْتُ مِنْ رَضْوَى يُحِيطُ بِهِ
اللَّهُ يَحْرُسُهُ وَالَّذِينَ يَنْصُرُهُ
يَا آلَ عَثْمَانَ لَا زَلْتُمْ بِمَنْعَتِكُمْ
وَالْغَرْبُ يَعْرِفُ يَوْمَ الْحَرْبِ بِطُشْكُمُ
لَكِنْ تَجَاهَلْتِ الطَّلِيَانَ قَدْرَكُمْ
يَا ذَنْبُ مَالِكِ وَالْأَجَامُ تَدْخُلُهَا
(يا جيشَ روما) عَلَيْكَ الْيَوْمَ قَدْ نَقَمْتُ
(يا جيشَ روما) فَلَا دُقْتُ الْهَوَى أَبَدًا
وَكَيْفَ جَرَدْتَهُ وَالْأَسَدُ رَابِضَةٌ
أَهْلُ نَسِيْتِ أَسْوَدِ التُّرْكِ مِنْ وَطْنَتِ
فَسَلِ (أَثِينَا) وَ (فِرْسَالُوسَ) كَمْ فَعَلْتِ
إِنْ كَانَ أَذْهَمَ لَبَى أَمْرَ خَالِقِهِ
وَيَوْمَ يَعلُنُ أَمْرَ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ
سَلِ بَيْضَ عُمَانَ فِي الْهِيجَاءِ كَمْ حَصَدْتِ
لِلتُّرْكِ كَمْ طَأَطَاتُ هَامِ الْمُلُوكِ وَكَمْ
قِرْصَانَ رُومَا أَفِيقُوا مِنْ سُبَاتِكُمْ
أَهْلُ نَسِيْتِكُمْ أَمَامَ التُّرْكِ مَوْقِفَكُمْ
خَلِيفَةُ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ حَافِظُهُ
(مُحَمَّدُ الْخَامِسُ) الْمَوْلَى الْعَظِيمُ وَمَنْ
أَنْعَمَ بِهِ مِنْ مَلِكٍ سَاسَ دَوْلَتَهُ
يَا دَوْلَةَ السِّيفِ أَيْنَ الضَّيْعُ الْأَسَدُ؟
مَا مِنْ شُرُوطِ الْوَفَا أَنْ تَتْرَكِي بَلَدًا
فِبَادِرِي وَأُظْهَرِي كَالْبَدْرِ فِي أَفْقِ
بَنِي الْهَلَالِ الْعَدُوِّ الْيَوْمَ يَطْمَعُ أَنْ
لَا كَانَ يَوْمٌ نَرَى الْقِرْصَانَ ظَافِرَةً
قَوْمٌ أَسَاطِيلُهُمْ فِي الْبَحْرِ وَاقِفَةً

جَيْشٌ عَلَى الْحَقِّ مَكْتُوبٌ لَهُ الظَّفَرُ
كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ يَسْمُو لَهُ النَّظَرُ
تَعْنُو الْمُلُوكَ لَكُمْ وَالَّذِينَ يَفْتَخِرُ
بِقُوَّةِ اللَّهِ لَا يُبْقِي وَلَا يَدْرُ
فَأَصْبَحَ الذَّنْبُ قُرْبَ اللَّيْلِ يُحْتَضِرُ
إِنْ غَابَتِ الْأَسَدُ فَالْأَشْبَالُ تَنْتَصِرُ!
أَهْلُ السَّمَاءِ وَجِنُّ الْأَرْضِ وَالْبَشَرُ
أَغْرَاكَ بِالْجَهْلِ سَيْفٌ كَادَ يَنْكَسِرُ
تَحْمِي الْعَرِينِ وَجَمْرُ اللَّحْظِ يَسْتَعِرُ
أَقْدَامُهُمْ هَامَةً الْيُونَانَ فَانْدَحَرُوا
جِيُوشُ (أَذْهَمَ) لَمَّا سَاقَهَا الْقَدْرُ
فَكُلُّهُمْ (أَذْهَمَ) فِي السَّلْمِ مُسْتَتِرُ
نُرَى فَعَالُهُمْ مَا لَيْسَ يُنْتَظَرُ
مِنَ الرَّؤُوسِ وَدَمْعُ الْبَيْضِ يَنْهَمُرُ
عَنْتِ وَجُوهٌ عَلَاهَا الْخُبْنُ وَالضَّجْرُ
جَبْرُ الزُّجَاجِ عَسِيرٌ حِينَ يَنْكَسِرُ
وَكَيْفَ يَبْتُتُ ذَنْبٌ جَاءَهُ نَمْرُ
وَالْمُسْلِمُونَ لِمَثَلِ الْيَوْمِ تَدَّخِرُ
أَلْقَتِ إِلَيْهِ مَقَالِيدَ النُّهَى الْبَشَرُ
وَمَا بَغِيرَ عِلَاءِ الدِّينِ يَفْتَكِرُ
قِرْصَانَ رُومَا عَلَيْكَ الْيَوْمَ تَأْتِمُرُ
يَحْتَلُّهَا الذَّنْبُ وَالْأَعْدَاءُ تَفْتَخِرُ
لِتَجْعَلِي دَوْلَةَ الطَّلِيَانَ تَعْتَبِرُ
يَحْتَلُّ دَارًا عَلَيْهَا الْقَلْبُ يَنْفَطِرُ
عَلَى طَرَابُلُسٍ يَا بِنْسَ ذَا الْخَبْرِ!
تَكَادُ مِنْ لَطْمَةِ الْأَمْوَاجِ تَنْفَجِرُ

خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ وَالْأَرْوَاحِ تُخْتَصِرُ
خَاضَ الظَّلَامَ وَلَكِنْ غَرَّهُ الْقَمَرُ
وَأَشِيرَ يَنْفَعُهُمْ أَنْ أَحْدَقَ الْخَطَرُ
يَوْمَ الْجِهَادِ بَانَ لِلْمَوْتِ نَبْتَرُ
وَمَنْ سَيَنْزِلُ فِي سَاحَاتِهِ الْكَدْرُ
وَيُظْهِرُ الْحَقَّ وَالْأَعْدَاءُ تَنْبَهَرُ
فَرَّتْ جِيُوشُ الْعَدَا إِذْ هَالَهَا الْخَطَرُ
فَالْحَرْبُ يَلْزِمُهُ الْإِنْفَاقُ وَالسَّهْرُ
مَا الْمَالُ مَا فِي كَنُوزِ الْأَرْضِ يُدَّخَرُ

قَوْمٌ جِيُوشُهُمْ فِي الْبَرِّ شَارِدَةٌ
وَمَنْ عَجِيبٌ نَرَى أَسْطُولَهُمْ طَمَعًا
هُمْ يَحْسِبُونَ بَانَ الدَّهْرَ يَبْسُمُ وَال—
وَيَجْهَلُونَ بِأَنَّ الدِّينَ يَأْمُرُنَا
سَيَعْلَمُونَ قَرِيبًا أَيُّ مُنْقَلَبٍ
وَتُشْرِقُ الشَّمْسُ وَالْأَفَاقُ بِاسْمَةٍ
وَيُخْفِقُ الْعِلْمُ الْمَنْصُورُ فَوْقَ رَبِّي
لَكِنْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ مَدُّ يَدٍ
وَالْمَالُ مَا إِذَا جَادَ الْكَرِيمُ بِهِ

* * *

عَنْ مَجْدِكُمْ حَدَّثَ التَّارِيخُ وَالسَّيْرُ
فَالْمَالُ أَحْسَنُ مَا يُجْنَى بِهِ الثَّمَرُ
بِبَدْلِ أَمْوَالِهِمْ قَدْ تَشْهَدُ الْعُصْرُ
بِبَدْلِ أَرْوَاحِكُمْ يَا حَبَّادَا السَّفَرِ
النَّيْلُ يَشْهَدُ وَالْأَهْرَامُ وَالْأَنْثَرُ
إِلَى الْعُلَا مَنْزِلًا يَسْمُو لَهُ الْبَصْرُ
لِلْإِكْتِتَابِ بِمَالٍ تَحْسِنُ الذِّكْرُ
أَيْدِيكُمْ فَأَعِينُوا الْجَيْشَ يَنْتَصِرُ
وَأَحْفَظْ لَنَا تَاجَهَا يَا مَنْ لَهُ الْقَدْرُ

يَا مُسْلِمِي الْهِنْدِ شُدُّوا أَرْزَ دَوْلَتِكُمْ
يَا مُسْلِمِي الصِّينِ وَالْيَابَانَ هَمَّتْكُمْ
يَا مُسْلِمِي الْفَرْسِ كِسْرَى كَانَ أَكْرَمَ مَنْ
سَكَانَ أَطْلَسَ إِنَّ الدِّينَ يَأْمُرُكُمْ
أَبْنَاءَ مِصْرَ أَعِيدُوا الْيَوْمَ مَجْدِكُمْ
قَدْ كَانَ مَجْدِكُمْ فَاقَ السُّهَى وَسَمَا
فَبَادِرُوا بِأَدَاءِ الْفَرْضِ وَأَسْتَبِقُوا
فَالجَيْشُ يَحْتَاجُ مِنْكُمْ بَعْضَ مَا مَلَكَتْ
يَا عَالِمَ الْغَيْبِ عَجَّلْ نَصْرَ دَوْلَتِنَا

إلى الأمير

بُشْرَى فَحُجُّكَ لِلْبِلَادِ سَلَامٌ
وَبِهِ سَمَا الْحَرَمِ الْحَرَامِ وَقَدْ غَدَتْ
فَالذَّهْرُ عَبْدُكَ وَالسَّنِينُ أَسِيرَةٌ
وَبِهِ تَصَافَتْ مِصْرُنَا وَالشَّامُ
تَعْلُو قَوَاعِدُهُ بِكُمْ وَتُقَامُ
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالزَّمَانُ غُلَامٌ

* * *

جَاءَ الْعَزِيزُ فَمَرْحَبًا بِقُدُومِهِ
وَأَفَى فَحَلَّ بِأَرْضِ مِصْرٍ مَجْدُهَا
بِالْيَمِينِ أَبِ عَزِيزٍ مِصْرَ مُبَجَّلًا
يَا مِصْرُ تِيهِي وَأَطْرِبِي وَاسْتَقْبِلِي
بِالْحَجِّ أَنْتَمَّتِ الْفُرُوضُ جَمِيعَهَا
قَدْ رُزْتُ مَكَّةَ وَالنَّبِيَّ مُحَمَّدًا
أَرْضًا حَلَّتْ يَمُجُّ رِيَا عُودَهَا
بِكَ زُيِّنَتْ أَرْضُ الْحِجَازِ لِأَنَّهَا
فَاهُنَا بَزَوْرَتِكَ الْمَدِينَةُ إِذْ بِهَا
أَرْضٌ حَبَاهَا اللهُ مِنْهُ رَعَايَةٌ
فِيهَا جُنُودُ التُّرُكِ خَيْرٌ بَوَاسِلِ
هُمُ خَيْرٌ مَنْ سَلُوا سِيُوفًا فِي الْوَعَى
قَوْمٌ حُمَاهُ الدِّينُ يَشْهَدُ بِأَسْهُمِ
أَنْعَمَ بِهِمْ وَبِمَجْدِهِمْ وَبِمُلْكِهِمْ

* * *

نَلْتِ الْمُرَادَ وَنَجْمُ سَعْدِكَ سَاطِعُ
وَالْبِشْرُ لِحَاحِ مَهْنَتِنَا بِقُدُومِكُمْ
بُشْرَاكَ يَا مِصْرُ فَقَدْ وَافَى الَّذِي
كَمْ شَادَ (عِبَاسٌ) لَنَا بِالْعَزْرِ فِي
أَيَّامِهِ ضَنَّ الزَّمَانُ بِهَا عَلَى
بِسْمَاءِ مِصْرَ تُجِلُّهُ الْأَقْوَامُ
كَالْبَدْرِ نِصْفَ الشَّهْرِ وَهُوَ تَمَامُ!
دَوْمًا تَرُومُ بَقَاءَهُ الْأَعْوَامُ
أَيَّامِهِ يَا حَبِّدَا الْأَيَّامُ
مَنْ شَأُوهُمْ فِي الْمَلِكِ لَيْسَ يُرَامُ

* * *

مجدُّ لنا بأميرنا وَوَنَامُ
فِي مِصْرَ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ
ذَاكَ الزَّمَانَ تُظَلُّكَ الْأَعْلَامُ
كَ الْعَهْدِ إِذْ ضَاعَتْ بِهِ الْأَفْهَامُ
عَبَّتْ بِهِ الْأَعْوَامُ وَالْأَيَّامُ
(هَرَمًا) يَشِيبُ الدَّهْرُ وَهُوَ غُلَامُ
قَدْ أَرَّخْتَ أَعْمَالَكُمْ أَقْلَامُ
مِنْ نُورِهِ السَّامِي يُزُولُ ظَلَامُ
مِنَ الْأَرِيكِةِ عَزَزْتُهُ كِرَامُ
فِي (عَابِدِينَ) الْيَوْمَ جَلَّ هُمَامُ
فِي النَّيْلِ كَمْ خَضَعَتْ لَهُ أَقْوَامُ

يَا عَهْدَ (طَيِّبَةَ) إِنَّ مَجْدَكَ فَاقَهُ
(رَمْسِيْسُ) هَيَّا مِنْ سُبَاتِكَ كِي تَرَى
(أَحْمِيْسُ) أَجَلَيْتَ الرُّعَاةَ فَكُنْتَ فِي
(سِيْزوستريْسُ) الْيَوْمَ عَهْدٌ غَيْرُ ذَا
(مُمِّيَاءَ) خَوْفُو أَيْهَا الْجِسْمُ الَّذِي
خَلَّفَتْ آثَارًا بِمِصْرَ عَجِيْبَةٌ
قُمْ مِنْ مَنَامِكَ (أَبْسَمَاتِيْكَ) تَرَى
(يَا نِيخَاوُسَ) الْيَوْمَ أَصْبَحَ قُطْرُنَا
يَا أَيُّهَا الْأَمْلَاكُ قَوْمَا كِي تَرَوْا
إِنْ كَانَ مَجْدُكُمْو (بِمَنْفٍ) قَدْ سَمَا
فَاقَ السُّهَا فَضْلًا وَمَجْدًا فَعَلُّهُ

* * *

لِعُلَاكَ فِي مِصْرٍ يَدُومُ سَلَامُ
فِيهِ لِمِصْرَ الْمَجْدُ وَالْإِعْظَامُ
حَيْثُ النَّدَى لِلْبَائِسِينَ يُرَامُ
وَلَقَدْ عَدَّتْ غَمْدًا وَأَنْتَ حُسَامُ
بِهِمُو إِلَى مَرَأَى الْعَزِيْزِ هَيَّامُ
فِي مِصْرَ دَوْمًا مَا سَمَتْ أَهْرَامُ
بُشْرَايَ عَوْدُ الْبَدْرِ وَهُوَ تَمَامُ

يَا بَدْرُ حَيَّاكَ السُّرُورُ فَمَرَحَبًا
عَادَ الْأَمِيرُ فَحَبْدًا يَوْمٌ أَتَى
فَالْيَوْمُ تَجْدُرُ بِالْقُلُوبِ مَسْرَّةُ
(مِصْرُ) بِمَقْدِمِكَ السَّعِيدِش تَشْرَفَتْ
وَالنَّيْلُ فَاصٌّ مِنَ السُّرُورِ وَأَهْلُهُ
لَا زَالَ نَجْمُ عُلَاكَ يَزُوهُ سَاطِعَا
وَأَفَيْتَ وَالْبَدْرَ التَّمَامَ فَارَّخْتَ

تشريف الأمير

إني أرى نُورَ وَايدي النَّيْلِ يَنْتَشِرُ
إني أرى أَلْجَوَّ قَدْ رَقَّتْ نَسَائِمُهُ
إني أرى كلَّ وَجْهِ بَشٍّ مُبْتَهَجًا
إني أرى قَلْبَ وَايدي النَّيْلِ فِي طَرْبِ
إني أرى القُطْرَ قَدْ غَنَّتْ بِلَابِلُهُ
إني أرى نَسَمَاتِ الصُّبْحِ شَافِيَةً
إني أرى النَّيْلَ تُعْرِي النَّفْسَ لَدَّتُهُ
إني أرى مِصْرَ فِي أَبْهَى مَنَاطِرِهَا
وَكَيْفَ لَأَ وَأَمِيرُ الشَّرْقِ شَرَفَهَا
يا مِصْرَ تِيهِي دَلَالًا فَالْعَزِيزُ أَتَى
وَافَى الْأَمِيرُ فَلَاحَ الْبِشْرُ مُبْتَسِمًا
يَمَمَّتْ نَحْوَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ
أُنْعِمَ بِهِ مِنْ مَلِيكَ سَاسِ دَوْلَتُهُ
(محمَّدُ الخَامِسُ) الْمَوْلَى الرَّهِيْبُ وَمَنْ
يا آلَ عُثْمَانَ يا مَنْ عَزَّ نَصْرُهُمْ

* * *

عِنْدَ الْخَلِيفَةِ مَا يَحِلُّ بِهِ الْأَثَرُ
كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ يَسْمُو لَهُ النَّظَرُ
أَقْدَامُهُ فَهُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ عَطَرُ
إِلَيْكَ نَشْكُو أَشْتِيَاقًا هَاجَهُ السَّفَرُ
وَقَاكُمُوهُ قَضَاءُ اللَّهِ وَالْقَدَرُ!
وَأَسْعَدَتْ قُطْرَنَا الْأَوْكُ الْعُرَرُ
يا مَجْدَ مِصْرَ أَتَى عَبَّاسُكَ الْقَمَرُ!
اللَّهُ أَكْبَرُ عَبَّاسُ الْعَزِيزُ لَهُ
أَهْلًا بِهِ مُقْبِلًا مِنْ بَعْدِ رَحْلَتِهِ
طُوبَى لِنُزْبٍ عَلَيْهِ الْيَوْمَ قَدْ وُضِعَتْ
يا مِنْهَلًا قَدْ تَمَتَّعْنَا بِكَوْثَرِهِ
وَلَوْعَةً أَحْرَقَتْ مَنَا الْفُؤَادَ بِمَا
جَدَّدَتْ بِالْعَوْدِ يا عَبَّاسُ بَهْجَتِنَا
الْعَوْدُ أَحْمَدُ وَالْعَلِيَا نُورُخُهُ

تهنئة

وَالجَوَّ رَقَّ نَسِيمُهُ وَتَعَطَّرَا
رَوَى بِلَذَّتِهِ الْقُلُوبَ وَأَسْكُرَا
وَعَقُودَهَا أَمَسَتْ تَفُوقُ الْجَوْهَرَا
لَعِبًا تُبَاعُ بِه الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى
أَمَةٌ تَرَى مِنْ سَعْدِهَا أَنْ تُؤْمَرَا
أَهْدَتْ إِلَى هَاتُورٍ لِحْظًا سَاجِرَا
فَكَسَتْ أَدِيمَ الْأَرْضِ ثَوْبًا أَخْضَرَا
وَجَرَى فَحَفَّ بِزَهْرَهَا وَتَبَعْتَرَا
كَالْحَاتِمِ الْمَاسِيِّ زَانَ الْخِنْصَرَا
نَظُمَ الصُّفُوفِ يُمَجِّدُ الْإِسْكَندَرَا
زُرْتُ الْجَنَانَ وَقَدْ وَرَدْتُ الْكَوْنَرَا
أَمْ يَقُظَةٌ أَمْ ذَا خَيَالٍ صَوْرَا؟

* * *

هَبَّ النَّسِيمُ فَشَاغَلَتْ حَرَكَاتُهُ
فَذَكَرْتُ شَهْمًا قَدْ دُعِيْتُ لِعَرْسِهِ
بَدَرْتُ إِلَيْهِ يَدُ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا
نَثَرْتُ عَلَيْهِ قَلَانِدًا مِنْ جَوْهَرٍ
وَكَسَنَتْهُ مِنْ حُلِيِّ الْمَهَابَةِ بُرْدَةً
وَسَمَتْ بِهِ عَرْشَ الْبَلَاغَةِ فَاعْتَلَى
خَاضَ الْقَرِيضَ بِفُلْكِهِ حَتَّى إِذَا
(الطَّاهِرُ الْعَشِّيُّ) مَنْ نَفَحَاتُهُ
الكَاتِبُ اللَّبِيقُ الْبَلِيعُ بَيَانُهُ
شَمْسُ النَّقْيِ وَشُعَاعُ أَفْئَامِ الْهُدَى
رَوْضُ بَزْهَرٍ عُلُومِهِ فَاقَتْ (قِنَا)
حَسَنَاتُهُ نَفْدَ الْمَدَادِ لِحَصْرِهَا

أَسْنَى مَهَاءَ لِلْقُلُوبِ وَجُودًا
وَأَعَادَهَا طُلُهَا زَمَانًا غَابِرًا
نَعَمْ نَقِيضُ عَلَى الْيَتَامَى أَنْهَرًا
وَبَنَانِهِ حَكْمٌ تُثِيرُ الشَّاعِرَا
لرَأَيْتَ مَاءَ الْبَحْرِ خَالَطَ سُكَّرَا
لَا زَالَ نَجْمٌ عَلَاكَ يَبْدُو زَاهِرَا
بِأَقْلٍ مِنْ سَوْقِ الْفَرِيضِ مَاثِرَا!
وَأَنْتَ تَقُودُ إِلَى الصَّبَاحِ الْعَسْكَرَا
وَوَظَلَّتْ تُصْلِحُ فِيهِ حَتَّى نَوْرَا!
قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الصَّحَائِفَ مَبْنَرَا
قَدَمٌ لِعُرْسِكَ عَزَّ أَنْ تَتَأَخَّرَا
قَلَمٌ يُجِيدُ الْوَصْفَ كُنْتُ مُقْصِرَا
وَحَلَا لَهُ التَّارِيخُ قَالَ مُسَطَّرَا
أَمْ السُّرُورُ قِنَا وَزَارَ الْأَقْصِرَا

شَغَلَتْ مَحَاسِنُ فَضْلِهِ وَخِصَالِهِ
جَمَعْتَ مَكَارِمُهُ مَكَارِمَ حَاتِمِ
يَا مَنْ لِحُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِهِ
فِي شَأْنِهِ وَجَنَانِهِ وَلِسَانِهِ
لَوْ أَنَّ مَوْجَ الْبَحْرِ مَسَّ يَمِينَهُ
يَا أَبْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدٌ كَابِنِهِ
قَدْ شِدَّتْ سَوْقًا لِلتَّنَاءِ وَلَمْ تَكُنْ
مِنْكَ الشُّمُوسُ أَخَذْنَ ضَوْءَ جَبِينِهَا
صَاعَ النُّحَاةِ اللَّفْظِ وَقَتَّ نَبَاتِهِ
يَا طَاهِرَ الْأَجْدَادِ أَبْلَغَ خَاطِبِ
لَوْ أَمَكْنَ الْأَقْلَامُ أَنْ تَسْعَى عَلَى
مِنْ كُلِّ مَنِيْبَتِ شَعْرَةٍ لَوْ كَانَ لِي
صَبْرِي إِذَا مَا تَمَّ بَدْرُ قِرَانِكُمْ
بِظَرِيفِ عُرْسِكَ طَاهِرٌ وَقُدُومِهِ

في تهنئة محمود وهبي

في جمالٍ قد ضاع فيه بياني
أنتِ عودتني رقيق المعاني
ماس عجباً بكأسه وسقاني
وبسهم الجفون منه رماني
في مجالٍ قد راق فيه زماني
بدلالٍ من البذور التذاني
وقوام يُزري بغصن البان
بات يشكو من الأسي ويعاني

رب ساعد على البيان لساني
مبدع النثر والقريض أغثني
كيف أسلو هوى غزالٍ رشيق
أضرم الوجد في الفؤاد سعيراً
أهيف أغيث تملك لبي
يستحي البدر أن يراه ويأبى
فاق شمس الضحى بضوء جبين
يا نسيم الصبا ترفق بقلب

* * *

من رحيق مزفوفة لابن حان
كنضارٍ مُنصدٍ بجمان
واطرب السمع رحمةً بجناني
من رحيق تعنقت في القناني!
لعبت بالعقول لعب القيان!
بين غناء روضة وأغاني
بعيونٍ واللحظ منه براني
منه مدت إلى الكؤوس يدان

ساقى الراح هات بنت الدنان
هات تبرا علاه در حباب
عاطنيها وعن يا بدر أنسي
وتفضل على الندامى بسور
رشفة الراح ما لها من مثيل
هايتها يا نديم في الكأس تجلي
وغزال يزنو إلى كل كأس
نال منه الرحيق نشوة صب

* * *

ينظم الدر واصفا ما أعاني؟
هكذا البدر دائب الدوران
غاب عني بحسنه الفتان
سندس الأرض حلة الأرجوان
يا سماء اكتسي خدود الغواني
ض ويصبي قلوب حور الجنان
ويثير السعير بالولهان

يا حمة القريض هل من بليغ
ينظر البدر بين بروج وبرج
أشعل الجمر في فؤادي لما
وتجلت لي الطبيعة تكسو
مطلع الشمس أول المهرجان
شفق يفتن الشقائق في الرو
لونه يملأ العيون جمالاً

ولذيذ المنام قد عاداني
ونسيم الصباح من نُدْمانِي
أنعشتني فضاءعت أشجاني
وجرى للسويس يهدشي التهاني!
وعدا حائزا جميل المعاني
راقي المجد ما بدا الفرقدان
فامتطى الجد رغبة العُمران
مُعلي الحق مُقسط الميزان
باسم النغر صادق الإيمان
وحنان يدعو إلى الإذعان
في قنا فازدهت على البُندان
عاطر الذكر يستحق التهاني
زادها رفعة فصيح اللسان
فاستتارت بالعلم والعرفان
هاطل الغيث فازتوت بالأمانِي
عم ماء الحياة بالعيدان

بينما كنت غارقا في خيالي
كان زهر الربى وطير الأراكي
هبت الريح أحييت القلب مني
زف نحوي النسيم أحسن بشرى
فتناشدت ذكر من رق طبعاً
وترنمت عاش (محمود وهبي)
جاء وادي قنا وكان وكيلاً
بات فيه حلیم طبع كريماً
ناصرًا للضعيف خير شفيق
جاذباً نحوه النفوس بفضل
كوكب المجد نوره قد تجلى
جاء بزدا على قنا وسلاماً
شاد للأمن حصن مجد منيعاً
وتجلى على المعارف فيها
كم ديار للعلم عنها تحلى
جادها الغيث فارتوى العود حتى

* * *

رقى المجد فوق هام الزمان
ثم أبدى له مزيد امتنان
دُم بنيل المنى عزيز الشان
بنسيم وما بدا النيران
بين نائي الهضاب والوديان
إذ ملكت القلوب بالإحسان
كل قلب لأن يزف التهاني
كيف لم يدعكم قريض دعاني؟
أن بدر العُلا قريب النداني
لم يزل قاصراً عن التبيان

أصبح العلم شاكرًا سعي شهم
مد وادي قنا إليه يميناً
وتمشت قنا إليه وقالت:
لست أنسى علك ما أهنتر غصن
كل من في قنا ومن في الصواحي
إن يكن عز أمر بعديك عنهم
فصعود العُلا لمتلك يدعو
أيها المولعون بالشعر جودوا
أيها الساكنون في الحوض بشرى
أيها السيد العظيم لسانی

* * *

من قنا والقلوب في خفقان!
بلفيف الوجوه والأعيان

يا رعي الله يوم سافرت وهبي
حين هل الإفطار كنت محاطاً

بَاتَ وَالسَّعْدُ طَوْعُ أَمْرِ الْبَنَانِ
يَا عَظِيمًا يَهَابُهُ النَّقْلَانِ
عَشَّ وَوَهَبِي فَأَنْتَمَا آيَتَانِ
لِوَدَاعِ أَجْرَى الدَّمُوعِ الْقَوَانِي
هَزَّهَا الْوَجْدُ فَاشْتَكَّتْ مَا تُعَانِي
بِاسْمَاتِ لِفَضْلِهِ الْمُرْدَانِ
أَطْرَبْتَنَا بِنَاعِمِ الْأَلْحَانِ
صَاحَ جَمْعُ الْأَحْبَابِ: سِرٌّ بِأَمَانِ!
رَبِّ سَاعِدْ عَلَيَّ الْبَيَانَ لِسَانِي
أَنْتَ فَرَّدَ حَجَّتْ إِلَيْهِ الْأَمَانِي

يِرَأْسُ الْكَلِّ خَيْرُ شَهْمٍ مُدِيرِ
دُمْ خَلِيلِ الْعُلَا «مُحَمَّدَ نَائِلِ»
يَا كَرِيمًا أَتَى يُودِّعُ وَهَبِي
حِينَ هَمَّ الْقَطَارُ مَدَّتْ أَيَادِي
وَتَمَشَّتْ بَيْنَ الضُّلُوعِ قُلُوبِ
أَسْفَاتِ لِبُعْدِهِ رَاقِصَاتِ
عَرَّدَ الطَّيْرُ فَوْقَ رَأْسِ جُنُودِ
حِينَ طَارَ الْقَطَارُ يَحْمَلُ وَهَبِي
هَامَ (صَبْرِي) بِهِ فَأَنْشَدَ يَسُدُّو
عَامَ وَهَبِي رُقِّي فَنَا أَرَحْتُهُ

وداع

أَفَلَدُ مِنْهُ أَجْيَادَ اللَّيَالِي
تُضِيُّ بِهِ فَرَائِدُهُ الْغَوَالِي
لَأَهْلِ الْفَضْلِ أَرْبَابِ النَّوَالِ
كَرَامِ الْعَصْرِ خُطَابِ الْمَعَالِي
تَحَلَّى بِالْفَضَائِلِ وَالْكَمَالِ
كَرِيمِ فِي الْعَطَايَا وَالْخَصَالِ
وَبَرَهْنَتُمْ عَلَى حُسْنِ اتِّصَالِ
لِذِكْرِي مَنْ تَبَدَّى كَالْهَلَالِ
كَرِيمِ الرَّاحَتَيْنِ عَزِيزِ خَالِ
تَشَاغَلَتِ الْعَيُونُ عَنِ الْغَزَالِ!

أَلَا مَنْ لِي بِنَظْمِ كَاللَّالِي
وَمَنْ لِي أَنْ أَحَلِّيَهُ بِشُكْرِ
وَأَهْدِي مِنْ مَحَاسِنِهِ عُقُودًا
رِجَالِ الْخَيْرِ أَشْرَافِ السَّجَايَا
فَمِنْكُمْ كُلُّ سَمَحٍ أَرْيَحِي
وَمِنْكُمْ كُلُّ مُحْتَرَمٍ شَرِيفِ
تَجَمَّعْتُمْ فَأَلْفَنْتُمْ قُلُوبًا
وَهَدِي لَيْلَةً أَحْبَبْتُمْوهَا
شَرِيفِ الْعُنُصْرَيْنِ عَرِيقِ مَجْدِ
تَرَاحَمَتِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ حَتَّى

* * *

وَهَمَّتْ بِهِ فَأَنْعَشَنِي خِيَالِي
فَأَلْفَيْتُ الطُّيُورَ عَلَى الدَّوَالِي
يُحْرَكُ خَصْرَ رَبَّاتِ الْجَمَالِ
كَحُورِ الْخُلْدِ تَرْمِي بِالنَّبَالِ
يُقَطِّعْنَ الْأَنَامِلَ بِالنِّصَالِ!
تُضِيُّ مِنْ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ
وَهَامَ بِمَهْمِهِ السَّحْرِ الْحَلَالِ
تُمَثِّلُ فِيهِ رَبَّاتُ الدَّلَالِ
تَجَلَّى حُسْنُهُ فَأَهَاجَ بِأَلِي
رَشِيقُ الْقَدِّ فَتَانُ الْجَمَالِ
حَدِيثًا قُلْتُ: أَسْرِعْ بِالسُّؤَالِ
وَأَجْرِي مَاءَ لَفْظٍ كَالزُّلَالِ

عَلِقْتُ بِهِ فَتَيَّمَنِي هَوَاهُ
نَخَلْتُ بِحُبِّهِ بُسْتَانَ وَجْدِي
تُعْرَدُ وَالنَّسِيمُ جَرَى بَلِيلًا
تَلَاعَبَ بِالنَّفُوسِ دَوَاتُ حُسْنِ
كَنِسْوَةِ يُوسُفٍ لَمَا تَجَلَّى
وَقَدْ بَدَّتِ الْكَوَاكِبُ مُسْفِرَاتِ
تَبَاعَدَ عَنِ رِيَاضِ الْقَوْمِ جَفْنِي
فَخَلْتُ الرُّوْضَ لِلتَّمَثِيلِ دَارًا
وَفَاقَ سَنَاهُ نُورَ الْبَدْرِ لَمَا
تَرَنَّمْتُ تَحْتَ غُصْنِ الْبَانِ رِيْمِ
وَأَوْمَأَ بِالْيَمِينِ إِلَيَّ يَرْجُو
تَمَائِلَ عِطْفُهُ وَاهْتَرَّتْ تَبِيهَا

* * *

يَرَى يَوْمَ الْوَعَى يَوْمَ الْوِصَالِ!

تَجَمَّعْنَا هُنَا لَوْدَاعِ شَهْمِ

لِبَاسِ النِّصْرِ بِالْبَيْضِ الصَّقَالِ
يُذَكِّرُهُ بِسَاحَاتِ الْقِتَالِ
وَقَدْ وَتَّبَ الرَّعَالُ عَلَى الرَّعَالِ
غِرَامِي لَا بَرَبَاتِ الْجَمَالِ
بِأَهْلِي كُلِّهِمْ وَأَبِي وَمَالِي

* * *

فَأَحْيَا أَمْنَهُ طُولَ اللَّيَالِي
وَسَارَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ
وَبَتَّ بِفَضْلِهِ فِي خَيْرِ حَالِ!
فَبِتَّ مُفَاخِرًا قِمَمَ الْجِبَالِ
وَكُنْتَ بِعِزِّهِ أَفْوَى الثَّمَالِ
فَإِنَّكَ نَادِبٌ حُسْنَ الْخَوَالِي

* * *

يُفَاخِرَ سِجْنُهَا الشَّهَبَ الْعَوَالِي!
تَهَلَّلَ بِالْهِنَاءِ وَبِالْجَلَالِ

* * *

فَغَابَ لِبُعْدِهِ عَقْلِي وَبَالِي
سَبِيلٌ فِي ارْتِقَائِكَ لِلْمَعَالِي!
لِخَيْرِ هَدِيَّةٍ عِنْدَ الرِّجَالِ!
هِمَامًا لَا يَخَافُ وَلَا يُبَالِي
كَمَالٌ فِي كَمَالٍ فِي كَمَالِ

* * *

وَهَلْ فَرِحَ أَنَا أَمْ غَابَ بَالِي
فَمَالِي قَدْ سَكَتُ عَنِ الْمَقَالِ؟
فِنِعْمَ الشَّهْمُ فِي أَبْهَى مَجَالِ
أَضَاءَ قَنَا فحَيْثُهُ الْأَهَالِي
لِيُوصِلَهَا إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ

قَضَى فِي الْجَيْشِ أَعْوَامًا كَسْتُهُ
رَقَى بِالْجَيْشِ حَتَّى نَالَ مَجْدًا
كَأَنِّي قَدْ سَمِعْتُ شِفَاهُ قَالَتْ
بِيبِضِ الْهِنْدِ وَالسُّمْرِ الْعَوَالِي
وَأَفْدِي يَوْمَ أَفْتَحُمُ الْمَنَايَا

أَتَى بَعْدَ الْحَبُوشِ يُدِيرُ سِجْنًا
تَتَقَلَّ بَيْنَهَا شَرْقًا وَعَرْبًا
أَسْجَنَ (قَنَا) لَقَدْ نِلْتَ الْأَمَانِي
أَتَاكَ الشَّهْمُ أَصْلَحَ مِنْكَ شَأْنًا
وَبَتَّ بِفَضْلِهِ مَأْوَى حَصِينَا
فَإِنْ تَكُ قَدْ سَمِعْتَ بِمَا تَأْتِي

سَيَرَحَلُ قَاصِدًا أَسْيُوطَ حَتَّى
فَوَدَّعَ فِيهِ إِنْسَانًا عَظِيمًا

فَدَنْتُكَ النَّفْسُ يَا مَنْ غَابَ عَنِّي
وَلَكِنِّي سُرِرْتُ لِأَنَّ هَذَا
وَحُدَّ مَعَكَ الْفُؤَادَ فَإِنْ هَذَا
لَأَنَا قَدْ وَجَدْنَا فِيكَ شَهْمًا
وَسَافِرُ (صَفُوتَ) الْإِحْسَانَ أَنْتُمْ

أَمُقْتَبِلُ أَنَا أَمْ دَا وَدَاعُ
إِذَا كَانَ الْمُدِيرُ أَتَى حَدِيثًا
أَلَا أَهْلًا بِهِ مِنْ كُلِّ قَلْبِي
وَنِعَمَ الْفَرْدُ رَبُّ الْعَدْلِ مَنْ قَدْ
نَعَمَ قَدْ جَاءَهَا عَطْفًا عَلَيْهَا

في قطار

وهل أنت تذكرُ ذاك الهناء؟
وغاب العواذِلُ والرُقباة
ووجهها مُنيرا كبدْرِ السماء
سرورا فيا نعم هذا البكاء
لأنَّ المحبَّة كالكَهْرَباء!
عيون المَهى وجفون الطباء
ووجهها تهيمُ به الأتقاء

تقولُ لصبري أنتسى الهوى
وقد أغمض الدهرُ عينَ التجافي
فقبلتُ شعرا كسود الليالي
ولما التقتُ مُقلتنا بكينا
ولما التقتُ شفقتنا ارتعشنا
أقبلُ خديك طورا وطورا
وجيدا طريا وكفا نديا

* * *

وخيبة قلبي وموت الرجاء
أميث الهوى وأقيم الإخاء
وموت فوادي بذاك الرضاء؟
فأدمع عيني بنور الذكاء
تحية صب شديد الوفاء
وحمله البعد كل الشقاء
أنتسى هوى ليلة الأربعاء؟!
وكنت تناجي إله السماء
وضاعف حُسنك ورُد الحياء
وأبصرتُ بدرا جميل الرداء
وأيقنت أن سيروا الهناء
وفنت قلبي أليم النداء
تُشاهد عيني بهيج الضياء
وأظلم عيني نرول القضاء
كانك ترجو دوام البقاء
وأيقنت أن لا يفيد الدواء
تبارك من خصه بالبهاء

ولست لأذكر كل الحديث
وأخذك مني الموائيق أني
أترضى بموت الهوى لفوادي
وانت الذي عذب القلب عاما
عليك التحية يا نور عيني
تحية من أنقلته الزرايا
أنتسى الوداع ودقات قلبي
وقد جئت تبكي بدمع غزير
ودمعك يزوي ورود الخدود
فخلت ملاكا تدفق لطفًا
ولم تخش جمعا يموج كبحر
تشجعت لما رأيته تبكي
ولما القطار بدا لم تعد
وقطع قلبي دنو الفراق
رأيته تسرع نحو القطار
ولما رأيت البقاء محالا
وضعت يمينك فرق جبين

أَسِيرَ الْفِرَاقِ شَهِيدَ الْوَفَاءِ؟
خَلِيقٌ بَجَفْنَاكَ سَفَاكَ الدَّمَاءِ!

وَقَلَّتْ: حَبِيبِي أَنْتَ تَرُكُ قَلْبِي
أَنْتَ ذَرِيفٌ مِنْ نَرَجِسِ الْعَيْنِ دَمْعًا؟

تقریظ

إِنَّ الْكِتَابَ إِذَا حَلَا وَأَزْدَانَا
يُهْدِي إِلَيْكَ فَكَاهَةً وَرَوَايَةً
تَخْلُو بِهِ فَتَرَى صَدِيقًا مَخْلَصًا
وَتَرَى بِهِ رَوْضًا تَمُجُّ غُصُونُهُ
وَلِنِّ بَلَوْتَ مَدَارِكَ الْإِخْوَانِ مَا
تَتَرَاوَحُ الْأَسْفَارُ بَيْنَ مَحَدِّتِ
وَمَخْبِرٍ عَنِ رَحْلَةٍ وَمَنْسِقِ
وَمَنْظَمِ رَوْضِ الْعُلُومِ وَبَاحِثِ
بَيْنَا أَطَالِعُ فِي الْعُلُومِ وَبَحْثِهَا
إِذْ رَاقَ فِي نَظْرِي كِتَابٌ قَدْ حَوَى
قَامًا بِجَمْعِ أُصُولِهِ شَهْمَانِ قَدْ
ذَا (أَحْمَدُ) وَأَخُوهُ نُودِي بِاسْمِهِ
لِلَّهِ دَرُّهُمَا قَدْ اتَّفَقَا مَعًا
يَا بَاقَةَ مِنْ زَهْرٍ رَوْضِهِمَا بَدَتْ
قَدْ لَقَّبَاكَ لِحُسْنِ سَبْكِكَ مُرْشِدًا
كَمْ فِيكَ مِنْ حِكْمٍ أَنْتَنَا آيَةً
إِنْ كُنْتَ بِكْرَ بَنَاتِ أَفْكَارٍ فَلَا
أَنْعَمُ بِمَنْ وَضَعَ الْكِتَابَ وَمَنْ بِهِ
أَهْلًا بِمُرْشِدِ أَحْمَدَ السَّفَرِ الَّذِي
صَبْرِي إِذَا مَا تَمَّ قَالَ مُورِّخًا

نَعْمَ السَّمِيرُ إِذَا أَرَدْتَ بَيَانًا
وَيَصُونُ سِرِّكَ إِنْ أَرَدْتَ أَمَانًا
كَالْبَحْرِ يَحْوِي الدَّرَّ الْمَرْجَانَا
رِيًّا وَتَشْدُو طَيْرُهُ الْأَلْحَانَا
غَيْرَ الْكِتَابِ يُقَدِّمُ الْبِرْهَانَا
عَمَّا جَرَى لِلْأَقْدَمِينَ وَكَانَا
عَقْدَ الدَّرَارِي يُنْعِشُ الْأَبْدَانَا
عَنْ كُنْهِ لَفْظِ حَيْرِ الْأَذْهَانَا
ثَمَلًا بِخَمْرِ حَدِيثِهَا وَلَهَانَا
لِلْمُنْشِئِينَ بِلَاغَةً وَبَيَانًا
نَبْعًا فَجَاءَ يُقَوْمُ الْعِرْفَانَا
اسْمًا وَعِلْمًا حِكْمَةً وَجَنَانَا
صِنُونِ حَوْلَهُمَا الصَّفَا قَدْ رَانَا
قَدْ حُزَّتْ إِعْجَابًا يَدُومُ زَمَانَا
لِلْمُنْشِئِينَ فَهَا زَمَانُكَ أَنَا
سُتْهِدُّبُ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانَا
عَجَبٌ إِذَا رَبِحَ الْجَوَادُ رِهَانَا
دَارُ الْعُلُومِ تُحَدِّثُ الرُّكْبَانَا
بِوُجُودِهِ رَوْضِ الْعُلُومِ أزدَانَا
نَعْمَاهُ سِفْرٌ عَطَّرَ الْبُسْتَانَا

يا عظيمًا

لستُ أنسى نَدَاكَ قُرْبًا وَبُعْدًا
صَيَّرْتَنِي لَكَ الْمَكَارِمُ عَبْدًا
شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدِّي
هَلْ مُرُورُ الْأَيَّامِ يَقْطَعُ وَدًّا
خَيْرَ شَهْمٍ لَمْ يَأَلْ لِلْخَيْرِ جُهْدًا
يا طَبِيبًا قَدْ حَوَّلَ الْمُرَّ شُهْدًا
رُبَّ كَأْسٍ تُعِيدُ لِلْعَيْشِ عَهْدًا
أَنْ أُجِيدَ الْقَرِيضَ وَصَفًا وَوَجْدًا
صَاحِبُ الْفَضْلِ وَهُوَ أَصْدَقُ وَعْدًا
فَهِيَ كَفٌّ مِنْ هَاطِلِ الْغَيْثِ أَنْدَى
وَسِوَاكُمْ لَا يَجْعَلُ الْعُمَرَ رَغْدًا
وَرُقِيٍّ مَا اهْتَرَّ طَيْرٌ وَأَشْدَا

يا عظيمًا قَدْ نَالَ عِزًّا وَمَجْدًا
كَلِمَا قَلْتُ أَعْتَقَ الشُّكْرُ رُقِيَّ
فَابْقِ عُمَرَ الزَّمَانِ كَيْمَا أُؤَدِّي
أَبْعَدَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا لَسْتُ أَدْرِي
أَمْ نَسِيْتُمْ مَنْ لَمْ يَرَى فِي سِوَاكُمْ
أَنْ أَنْتَسِي بِبَابِكَ كَأْسًا
لَا تَضْنُوا عَلَى الْعَلِيلِ بِكَأْسٍ
عَلَّمْتَنِي طَلَاقَةَ الْوَجْهِ مِنْكُمْ
كَيْفَ لَمْ وَالَّذِي أُرْجَى نَدَاهُ
إِنَّ كَفَّ الْمَعُونَةَ الْيَوْمَ قَصْدِي
عَيْلَ صَبْرِي وَصَاقَ رَحْبِ نَعِيمِي
لَا عَدِمْنَا وَجُودَكُمْ فِي نَعِيمِ

فقيد الطيران

ما للضياءِ غداً ظلاماً أعكراً
بكت العيونُ له نجيعاً أحمرأ
لبيستُ عليه جدادها أم القرى
حكم الزمانُ عليك أن تنقهقراً
خلع السقامُ عليك ثوباً أصفراً
وإلى المعارفِ كنتُ بدرًا أزهرأ
هلاً علمتُ بحالٍ من عشقِ الكرى؟
لما رآك بلغتِ هاماتِ الدرى
من فرطٍ ما لعبِ البلى وتكسراً
أم ذاك في عيني حُلمٌ صورأ
كنا الفداء لمن غدوا تحت الترى
وقف السهى يرنو لها متحيراً
وشرابِ جيشهم الحديدِ الأخضرأ
صعقَ الفؤادُ لهولها وتسعراً
أبكى ضريحَ المصطفى والمنبرأ
نحو الشامِ لكي تُشاهدَ ما جرى
شهدتُ به الريحُ العصبِ غصنقراً
شهمٌ يماثلُ في الجلالِ القيصراً
فصبأ شدأ تلكَ الربوعِ وأسكراً
كالخاتمِ الماسي زانِ الخنصرأ
بالبشرِ والتزحابِ عيداً أكبرأ
ساحاتها حوتِ المكانِ الأعطرأ
مسكٌ يخالطُ في العبيقِ العنبرأ
(فتحي) لقد جددتُ مجدأ غابراً
كرهاً كما حملتُ أخاك الطائراً
حتى أنقضى ما كان قبلُ مقدرأ

ما للمنون سطتُ على أسدِ الشرى
خطبُ دهي الأبطالِ في رحلاتها
رُزءٌ تفتّرتِ القلوبُ لهولهِ
يا شرقُ ما لك كلما رُمتِ العلا
يا شرقُ مالك كلما أن الشفا
يا شرقُ كنتُ إلى المعالي كعبه
يا شرقُ مالك والكرى أعشفتُهُ؟
يا شرقُ أهداك الزمانُ حسامهُ
خلفته في غمده حتى أنبرى
ماذا دهاك وهل منامٌ ما أرى
يا دولة الأسدِ البواسلِ لبيتنا
يا سائدينِ الملكِ بالهممِ التي
يا من ترون دم العدو مدامه
صعبٌ علينا كل يوم نكبه
خطبُ نلاً خطباً فضاعف حزنهُ
فلو استطعتُ قذفتُ حبةً مُقلتي
خاض الفضاءُ سميذعُ في ملكهِ
قطعَ البحارَ وما ثناه عجاجها
وعلاً ربأ (لبنان) فوق هضابها
والتفتِ الأقمارُ تسطع حوله
هبطتُ سفينته الشامِ فشاهدتُ
أرضَ حباها الله منه رعاية
تمشي الملائك حوله وأديمهُ
هتفتُ لرؤيته القلوبُ تقول يا
حملتك أكنافُ الرياحِ مطيعة
وقضى قصيرَ الوقتِ بين رُبوعها

فَهَوَى صَرِيحًا مُرْغَمًا فَتَحَسَّرَا
عرضت مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا
وَالدَّمْعُ فَاضٌ مِنَ المَحَاجِرِ أَنهْرَا
حَتَّى فُجِعْنَا فِي هُمَامٍ آخَرَا
لَا حِطَّتْ أَنَّ أَخَاكَ رَامَ الكَوْتَرَا
فَرِحًا لِأَنَّكَ قَدْ طَلَبْتَ الجَوْهَرَا
جَيْشُ السَّمَاءِ مُهَلَّلًا وَمُكَبَّرَا
نَجْدًا حَوَى مُلْكََا عَظِيمَا أَشْهَرَا
أَهْدَتْ إِلَى العُرْبِ الكَرَامِ مَفَاخِرَا
نَلْتُمُ مِنَ الفِرْدَوْسِ فَوْرًا أَكْبَرَا
ضَمَّتْ إِلَى التَّارِيخِ ذِكْرًا عَاطِرَا
وَأَحْفَظْ لَنَا تَاجَ القِيَادَةِ (أَنورَا)

سَلَّ الحِمَامُ عَلَى الحِمَامِ حُسَامُهُ
بَكَتِ النُّسُورُ الجَارِحَاتُ عَلَى الذِّي
عَمَّ اللَّأْسَى وَالْحُزْنَ جَوَّ صَفَائِنَا
مَا كَادَ يَنْضَبُ دَمْعٌ أَوَّلِ حَادِثِ
إِنَّا لَنَعَجِبُ مِنْكَ (نُورِي) كَيْفَ قَدْ
فَلَحِقْتَهُ وَصَدِيقَهُ مُتَبَسِّمًا
وَضَمَمْتَ جِسْمَهُمَا إِلَيْكَ وَحَوْلَكُمْ
وَسَكَنْتُمُو بَيْتًا تَقَادِمَ عَهْدُهُ
هَذَا صِلَاخُ الدِّينِ مَنْ عَزَّوَاتُهُ
يَا أَيُّهَا الشَّهَدَاءُ هُنْتُنُّمُ بِمَا
إِنَّا سَنَذْكُرُ عَهْدَ رَحْلَتِكُمْ فَقَدْ
يَا مُبْدِعَ الأَكْوَانِ عَزَّرْ جَيْشَنَا

علي أبو الفتوح

خل عنك الهوى وحل الأمانى
وأثر الدمع حول رمس فقيد
خلف العلم والمعاهد تنعي
في سبيل العلا غمام تولى
كيف ولّى بحر العلوم وأبقى
أين بذرّ العلا الذي قد ورثنا
أين ربّ الأقاليم يوم نداء
أين من نال في قصير زمان
أين من أصلح الإدارة في مص—
أين من قام بالمعارف فينا
كم ديار للعلم عنها تحلى
جادها الغيث فارتوى الغصن حتى
أين ولّى ذاك الهتون وحلى
فاتها والشباب لما تقضى
مدّ روض العلوم منه يميناً
وتدانت إليه مصر وقالت
لست أنسى نذاك ما أهنرّ غصن
إنّ تربي حبال جسمي أدنى
فأسكن الخلد حيث تبقى عزيزاً
وأترك الأرض لاهياً من عليها
إيه يا مصر قد فقدت عظيمًا
إيه يا شعب قد نبا بك دهر
فأملت من عرش روضك غصنا
بات جمع الزهور ينعيه حزنا
أيها الطالبون للعلم جودوا
من ثواني يراعه فوق طرس

كلّ حيّ إلّا المهيمُن فان
خلف الشرق باكي الأجان
بين حال أوسنان واليقظان
رصعته كواكب الميزان
ماء دمع العيون أحمر قاني
عنه ما في الحشا من النيران
كعوالي الرماح يوم الطعان
ما تناهى عن فذرة الإنسان
—ر فباتت تموج بالعمران
فنهضنا بالعلم والعرفان
هاطل الغيث فارتوت بالأمانى
عمّ ماء الحياة بالعيدان
مصر تخشى طوارئ الحدّان
بل دوى غصنه قبيل الأوان
ثم أبدى له مزيد أمتان
أنت قلذنتي عقود الجمان
بنسيم وما بدا النيران
أنّ يوارى جلاله النوراني
بين حور الجنان والولدان
وترفع عن رؤية الثقلان
كاد يُغليك فوق هام الزمان
منه مدّت إلى حشاك يدان
كان من أصدقائه الفرقدان
وأذلهم الديجور بالأغصان
كيف لم يزعكم قريض رعاني
فدموع الحزين تأبى الثواني

كَيْفَ يَرِضَى لِنَفْسِهِ بِالْهَوَانِ
مَنْ جُفُونِ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانِ
جَوْرَ دَهْرٍ يُسِيءُ لِلْإِحْسَانِ

كَيْفَ لَا يَنْدُبُ النَّجِيبُ أَبَاهُ
حَوْلَ دُورِ التَّهْذِيبِ سَأَلَتْ دُمُوعُ
يَنْدُبُ الْكُلَّ حَظًّا مِصْرَ وَيَسْكُو

* * *

مُخْلِصُ الْقَلْبِ صَادِقُ الْوَجْدَانِ
بِسِهَامِ الْمُخَاتِلِ الْخَوَّانِ
لَيْسَ بَدْعًا إِذَا بَكَى الْهَرَمَانِ
يَا فَقِيدًا قَدْ فَازَ بِالرِّضْوَانِ
كُنُضَارٍ بَدَا لَنَا مِنْ جُمَانِ
تَنْهَادِي فَرَائِدَ الْإِيمَانِ
دَائِبُ الصَّوْبِ مُفَعَّمٌ بِالْحَنَانِ
نَمَّ هَنِيئًا فِي طَبِيبَاتِ الْجِنَانِ
وَفُؤَادِي عَلَيْكَ فِي النَّيْرَانِ!
أَسْفًا نَادِبًا صُرُوفَ الزَّمَانِ
مِنْكَ نَالُوا مَحَبَّةَ الْأَوْطَانِ
يَا قَدِيمَ الْوُجُودِ وَالْعُفْرَانِ

كَلِمًا شَدَّبَ مِنْ بَنِيهَا هُمَامُ
أَسْرَعَ الدَّهْرُ نَحْوَهُ فَرَمَاهُ
يَا رَجَاءَ الْعِيُونِ فِي أَرْضِ مِصْرِ
لَيْتَ كُنَّا يَوْمَ الرَّحِيلِ فِدَاءً
كَمْ لِيْمَنَّاكَ مِنْ أَيَادِي عَلِينَا
غَابَتِ الرُّوحُ عَنْكَ لِلْعَرْشِ تَسْعَى
جَادَ مَثْوَاكَ يَا عَلِيَّ غَمَامُ
أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمُشَيِّعُ مِنَّا
أَنْتَ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ مُقِيمُ
كُلُّ قَلْبٍ لِفَقْدِكَ الْيَوْمَ يَبْكِي
وَأَشْكُرُ اللَّهَ قَدْ تَرَكْتَ رَجَالًا
وَتَعَطَّفَ عَلَى نَوِيهِ بِصَبْرٍ

رثاء

لَهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَدْ بَاتَ مَاتَمَّ
تَوَارِي يُخَضَّبُ وَرَدَ وَجَنَّتِهِ اللَّدْمُ
مَلَأَتْكَ وَالْأَطْيَارُ تَبْكِي تَرَحَّمُ
نَهَارِ تَوَارِي ضَوْؤُهُ فَهُوَ مُظْلِمٌ
نَرَاهُ شَجَاعًا يَلْتَقِيهِ وَيَبْسِمُ
وَقَلْبٌ وَدِيْعٌ بِالتَّأَلْفِ مُغْرَمٌ
أَوْ الْبَحْرِ مَا كُنَّا لَذَا الْخَدِّ نَنْدَمُ
وَوَا أَلْمِي لَوْ كَانَ يُجِدِي التَّأَلُّمُ
وَقَدْ كَادَ عَنْهُ فِي دُجَى النَّفْعِ يُحْجِمُ
فَخَرَّ صَرِيْعًا وَالْجِيَادُ تُحَمِّمُ
قُلُوبٌ لَهْوَلِ مُصَابِهِ تَنْصَرَّمُ

دَهَانًا مُصَابٌ فَادُخُ الْخَطْبِ مُؤْلَمُ
مِصَابٌ عَظِيمٌ فِي عَزِيْزِ شَبَابُهُ
فِي أَيُّهَا الْمَحْمُولُ فَوْقَ مَوَاكِبِ الـ
وَيَا ثَاوِيًّا لِمَا نَعُوهُ لَوَاضِحِ الـ
وَيَا مَنْ إِذَا مَا الْخَطْبُ أَرْسَلَ جَيْشَهُ
لِسَانٌ تَعَوَّدَ أَنْ يَقُولَ صِرَاحَةً
عَزِيْزٌ إِذَا مَا حَلَّ بِالْبَدْرِ رُزُوهُ
فَوَاحِزِنِي لَوْ أَنَّ حُزْنِي يَزُدُّهُ
أَتَاهُ الرَّدَى وَالْقَوْسُ فَارَقَ سَهْمَهُ
أَتَاهُ الرَّدَى وَالسَّيْفُ كَانَ صَدِيقَهُ
دَوَى غُصْنُهُ قَبْلَ الْأَوَانِ فَمَزَّقَتْ

* * *

فَإِنِّي أَرَاهَا أَوْشَكَتْ تَنْهَدَمُ
سَتُنْسَفُ فِي كَفِّ الرَّدَى وَتُحَطَّمُ
لِسَانِي بِمَا فِي صَدْرِهِ مِنْهُ أَعْلَمُ
حَوَافِرُ حَيْلِ النَّائِبَاتِ فَيُظْلَمُ
فَهَلْ أَعْمَدْتُ إِلَّا وَأَطْرَافُهَا دَمٌ
فَتَنْهَبُ مِنَّا مَنْ تَشَاءُ وَتَعْنَمُ

خَلِيلِي طُوفًا بِالْمَدَائِنِ وَابْكِيَا
وَتِلْكَ الْجِبَالُ الْمُسْتَقِرَّاتُ حَوْلَهَا
وَإِنْ تَسْأَلَانِي عَنْ زَمَانِي فَإِنَّمَا
فَمَا أَلْيَوْمَ إِلَّا وَالْعَجَاجُ تُثْبِرُهُ
وَمَا شَمْسُهُ إِلَّا سَيُوفٌ يَسْلُهَا
تُغَيِّرُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ صُرُوفُهُ

* * *

عليه، وَلَا شَكْوَى الْمَحْبِبِينَ يَفْهَمُ!
وَرَوَّكَ غَيْثٌ دَائِبُ الصَّوْبِ مُفْعَمُ
أَجَلٌ وَبَقَائِي فِي شَقَائِي تَوْهُمُ
لَجَدْتُ بِرُوحِي إِذْ حَيَاتِي تُحْرَمُ
دَهَبَتْ شَهِيدًا فِي الْجِنَانِ تَنْعَمُ
عَفِيفٌ شَرِيفٌ عَاطِرٌ الْذِكْرُ يُكْرَمُ

وَيَا قَبْرُ يَا مَنْ لَأ يَرَى الدَّمْعَ إِنْ جَرَى
لَقَدْ بَتَّ أَعْلَا مَنْزِلِ جَادَهُ الْعُلَى
أَعْبَدَ الْمَجِيدِ الْعَيْشُ بَعْدَكَ عَاقِمُ
فَلَوْ كَانَ سَفَاكَ دَمِي يَاقِيكَ مِنَ الرَّدَى
فَنَمَّ أَمَّا أَنْتَ الشُّجَاعُ وَأَنْتَ مَنْ
تَتَاجِيكَ حُورُ الْعَيْنِ أَنْعَمَ بِصَافِنَا

فيا ربُّ أَلْهِمَّ آلَهَ الصَّبْرِ وَأُزْعَهُ

وَأَسْكِنُهُ دَارَ الْخُلْدِ فِيهَا فَيُرْحَمُ

إلى زوجة راحلة

حول رمسٍ تطلُّه الأوفياءُ
وغصونُ الاراك منحنياتٌ
ونجومُ السماءِ تحجبُها السحـ
وقفت غادةً سماويةً الوجـ
يسنَّبِي الناظرينَ منها جمالُ
إنَّ بَدَا الوجهُ فالمساءُ صباحُ
يَحْسَبُ القَلْبُ حينَ تَرْنُو بعينِ
ولها من شجونها زَفَرَاتٌ
تلطم الجيدَ تارةً وتذقُ الـ
وتُريقُ الدموعَ جمرًا على الأرضِ
وشكَّتْ حالها الطبيعةُ حتَّى
وعلا ذلك المكانَ وقارٌ
لَهْفَ قلبي على شريكةِ عمري
ليس لي بعدَ نأيها من حبيبِ
كنت لي في الورى أعزَّ مقامِ
كنت لِلْغَيْدِ خَيْرَ من عَفِّ طُهرًا
يا زمانَ الشقاءِ لو عاتبَ اللهُ
لا يُرى في بَنِيكَ وَاِفِ بِعَهْدِ
ذاك يسعى في قلبه أرقمُ الحقـ
حسدٌ زائدٌ وخُبثٌ شديدٌ
يتوارون في النزاهةِ والصد
ويشiron بالدواءِ على من
بكِ ضاع الجميلُ واشتهر النكـ
والمراءونَ فيك حطَّهم الوُ
وَإِذَا كَانَ مِنْكَ بعضُ كرامِ
يا حياتي قدَّ عيلَ بعدك صبري

وعليه ترفرف الورقَاءُ
كالبواكي والأدمعُ الأنداءُ
سُبُ وتبدو كأنَّها رُقْبَاءُ
— عَلَيْهَا مِنَ الضيَاءِ رداءُ
لَمْ تَصِفْ بَعْضَ حَسَنِ الشعراءِ
أَوْ بَدَا الشَّعْرُ فالصباحُ مساءً!
أَنَّ مَا فِي عُيُونِهَا كَهْرَبَاءُ
محرقاتٌ مِنْ دُونِهَا الرَّمْضَاءُ
— صدرَ طورًا كأنَّها الخنساءُ
فتروى أعشابها الخضراءُ
رَكَدَ الماءُ وَأُسْتَكَنَّ الهواءُ
أَنْزَلَتْهُ عَلَى الضَّرِيحِ السماءُ
ذَهَبَ العِزُّ بعدها والوفاءُ
أَرْتَجِيهِ وَلَيْسَ إِلَّا العزاءُ
دونه الفَرْقَدَانِ والجوزاءُ
ولها جِلَّةُ الوَرَى أصفياءُ
زمانًا لكنتِ أنتِ الشقاءُ
أَوْ صديقٌ إِنْ حَقَّتِ الأصدقاءُ
— وَهَذَا تَهْزُهُ الكِبْرِيَاءُ
وَخَدَاخُ وَعَيْبَةُ وَرِيَاءُ
قِي كَمَا يَسْتَرِ الإِنَاءُ الطَّلَاءُ
حاز فضلًا، كأنما الفضلُ داءُ
سُتُّ كَثِيرًا وَعَمَّتِ البُلُوءُ
دُ مِنْ النَّاسِ أَحْسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا
(كَانَ أَهْلُ الحَبِيبَةِ الأوفياءُ)
وَدَهَنْتِي المصائبُ الدهماءُ

جَى دَوَاءً وَلَيْسَ فِيهِ الدَّوَاءُ
وَمَلَكَاً قَدْ اِحْتَوَتْهُ السَّمَاءُ
كَيْفَ يَا رَمْسُ مِنْكَ يَبْدُو الضَّيَاءُ؟
رَجَعْتُهُ الْجِبَالَ وَالْأَدْوَاءُ
فِي ضَرْيِحٍ بِهِ أَخُوهَا الْوَفَاءُ
يَا إِلَهَ السَّمَاءِ أَيْنَ الْعِزَاءُ؟

أَبْتَعِي الْمَوْتَ وَهُوَ غَايَةٌ مَا يُرَى
أَنْتَ يَا قَبْرُ قَدْ حَوَيْتَ جَمَالاً
فُتِّحِ الرَّمْسُ فِيهِ «زَيْنَبُ» غَابَتْ
وَدَوَى مِنْهُ فِي الْمَسَامِعِ صَوْتُ
إِنَّ هَذِي هِيَ الْأَمَانَةُ ضُمَّتْ
إِنَّ صَبْرِي حِيَالَ هَذَا يُنَادِي

فيدورا

فَتَمَايَلْتُ كَالْغُصْنِ حَرَكَهُ الصَّبَا
مَا مَسَّهَا غَيْرُ النَّسَائِمِ وَالنَّدَى
فَتُرِيكَ وَجْهَ الصُّبْحِ فِي عَسَقِ الدُّجَى
كَالزَّهْرِ يَنْشَأُ زَاهِيًا بَيْنَ الرُّبَا
يَزْهُو عَلَيْهِ وَوَرْدُهُ الْعُصْبُ الْجَنَى
غَابَتْ وَتَلَقَّاهَا مَتَى لَأَحِ الصُّحَى
فِيهِ وَيَحْسَبُ رَسْمَهُ فِيهَا بَدَا
كَالشَّمْسِ قَدْ وَقَفَتْ عَلَى أَفْقِ الضِّيَا
حِينَمَا فِيخْفُقُ مِثْلَمَا خَفِقَ اللُّوَا
وَفَتَى عَلَى سَرَجِ الْجَوَادِ قَدْ أُسْتَوَى
وَلَوَاحِظٍ نَجْلَاءَ تُزْرِي بِالطَّبِيَا
أَمْضَى وَأَفْتَأُكَ مَقْتَلًا مِمَّا أَنْتَضَى
كَالْبَدْرِ فِي زُهرِ النُّجُومِ قَدْ أَنْجَلَى
وَدَنَا لَهَا مُسْتَسْقِيًا يَشْكُو الظُّمَا
تَرْنُو لِطَلْعَتِهِ كَمَا تَرْنُو الْمَهَى
خَمْرًا بِهَا قَلْبُ الْفَتَاةِ قَدْ انكوى
مَمْلُوءَةً بَعْدَ الْمِيَاهِ مِنَ التَّنَا
بَدَلًا لِبَرْدِ شَرَابِهَا حَرَّ الْجَوَى
يَدْرِي الْهُوَى حَتَّى تَمْلِكَهُ الْهُوَى
لِلْيَاسِ يُوشِكُ لَا يُضِيءُ بِهَا الرَّجَا
مِمَّنْ تَمْلِكُهَا حَيَالٌ قَدْ سَرَى
شَمْسُ الصُّحَى تَزْهُو عَلَى تِلْكَ الرُّبَا
بِهَدِيَّةٍ تُهْدِي لِرَبَاتِ الْبُهَا
تُهْدِي لِسَيِّدَتِي! وَسَلَّمْ وَأَنْتَنَى
يَكُنُ الشَّرَابُ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْجَزَا
وَهُوَى لَذِيكَ الْجَمِيلِ وَمَا دَرَى

هَيْفَاءُ زَيْنَ حَدَّهَا وَرَدُّ الصَّبَى
حَسَنَاءُ طَاهِرَةٌ كَزَهْرَةِ رَوْضَةٍ
بِيضَاءُ يُحْدِقُ شَعْرُهَا بِجَبِينِهَا
نَشَأَتْ وَحِيدَةً أَهْلَهَا فِي قَرْيَةٍ
لَمْ تَدْرِ غَيْرَ الْحَقْلِ وَالنَّبْتِ الَّذِي
وَالشَّمْسُ غَارِبَةٌ تُودِّعُهَا مَتَى
وَالْبَدْرُ تَنْظُرُهُ فَتَحْسَبُ رَسْمَهَا
وَقَفَّتْ عَلَى بَابِ الْخَبَاءِ عَشِيَّةً
وَجَرَى النَّسِيمُ بِهَا يُلَاعِبُ شَعْرَهَا
وَإِذَا بَوَاقِعُ حَوَافِرٍ فِي قُرْبِهَا
ذُو قَامَةٍ هَيْفَاءُ تُزْرِي بِالْقَنَا
وَقَدْ أَنْتَضَى سَيْفَ الْقِتَالِ وَلَحْظُهُ
وَعَلَى مَلَابِسِهِ الْخُلِيِّ لَوَامِعُ
وَإِذَا فَحِيًّا بِاسِمًا مُتَلَطِّفًا
فَمَضَتْ فَجَاءَتْهُ بِكَاسٍ وَأَنْتَنَتْ
يَحْسُو الشَّرَابَ وَتَحْتَسِي مِنْ حُسْنِهِ
حَتَّى اكْتَفَى وَأَعَادَ كَأْسَ شَرَابِهِ
وَمَضَى فَوَدَّعَهَا وَأَوْدَعَ قَلْبَهَا
نَدَخَلَ الْهُوَى قَلْبًا خَلِيًّا لَمْ يَكُنْ
فَقَضَتْ دِيَاجِي لِيْلِهَا فِي ظُلْمَةٍ
يَهْفُو النُّعَاسُ بِجَفْنِهَا فَيَرُدُّهُ
حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الظُّلَامُ وَأَشْرَقَتْ
وَإِذَا رَسُولٌ مِنْ حَبِيبِ فَوَادِهَا
وَدَنَا وَقَالَ: هَدِيَّةٌ مِنْ سَيِّدِي
كَانَتْ جِزَاءً لِلشَّرَابِ وَلَيْتَ لَمْ
فَلَقَدْ سَبَا قَلْبَ الْفَتَاةِ صَبَابَةً

لَوْمْ عَلَيْهِ فَلَيْسَ يَدْرِي مَا جَنَى
حَتَّى غَدَتْ شَبْحًا أَرَقَّ مِنَ الْهَوَا
تَشْكُو الَّذِي يَبْدُو وَتَكْتُمُ مَا أُخْفَى
دَاءً تَكَابِدُهُ وَلَمْ يَدْرُوا الدَّوَا
وَأَسَى وَمَا يُجِدِي التَّحَسُّرُ وَالْأَسَى
وَتَقُولُ لَا أَدْرِي فَذَا حُكْمُ الْقَضَا
سَمَسُ الصُّحَى تَزْهُو عَلَى تِلْكَ الرُّبَا
بِهَدِيَّةٍ تُهْدِي لِرَبَاتِ الْبَهَا
وَرَأَتْ حَبِيبَ فُؤَادِهَا مِنْهُ أَتَى
وَوَفَى وَلَكِنْ حِينَ لَا يُجِدِي الْوَفَا
وَيَقُولُ كَيْفَ أَصَابَهَا سَهْمُ الرَّدَى
وَكَسَى أَصْفِرَارَ جَبِينِهَا وَرُدَّ الْحَيَا
سَهْمًا أَصَابَ الْقَلْبَ مِنْ عَيْنِي فَتَى
حُبًّا وَكَمْ مِنْ عَاشِقٍ قَبْلِي قَضَى
مُهْدَاتِهِ بِيَدٍ يُصَافِحُهَا الْفَتَى
وَتَكُونُ رُوحِي فَارَقْتُ هَذَا الْمَلَا
أَنْظُرُ إِلَى الْمِرَاةِ تَلْقَى مَنْ جَنَى!

كَالْقَوْسِ أَطْلَقَ سَهْمَهُ فَجَنَى وَلَا
مَا زَالَ يُذَكِّيهَا الْهَوَى وَيُذِيبُهَا
وَهَوْتُ عَلَى مَهْدِ السَّقَامِ عَلِيلَةً
حَارَ الْجَمِيعُ بِهَا فَلَمْ يَدْرُوا لَهَا
وَأَقَامَ يَنْدُبُ وَالِدَاهَا حَسْرَةً
وَالظَّبْيِ مَخْفِيَةً حَقِيقَةً دَائِهَا
حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الظَّلَامُ وَأَشْرَفَتْ
وَأَفَى رَسُولٌ مِنْ حَبِيبِ فُؤَادِهَا
سَمِعَتْ بِقُرْبِ الْبَابِ وَقَعَ حَوَافِرِ
وَأَفَى وَلَكِنْ بَعْدَ مَا أَنْقَطَعَ الرَّجَا
وَحَنَى عَلَيْهَا وَهُوَ يَسْأَلُ جَارِعًا
فَرَنْتُ إِلَيْهِ بِمَقْلَةٍ فَتَانَةٍ
وَتَهَدَّتْ أَسْفًا وَقَالَتْ إِنَّ بِي
هَذَا هُوَ الدَّاءُ الَّذِي أَقْضَى بِهِ
فَأَجَابَ مَنْ هَذَا الْفَتَى؟ فَتَنَّاوَلْتُ
وَرَبْتُ وَقَالَتْ عِنْدَمَا يَبْدُو الصُّحَى
إِنْ شِئْتَ تَعْرِفُ مِنْ قَضِيَّتِ بِحُبِّهِ

المنصورة

قُلْ لِلْعَرَبِيَّةِ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ بَلَدٍ
هل تَذْكُرِينَ لِيَالِينَا الَّتِي سَلَفَتْ
سُرِقَتْ فِيهَا مِنَ الْوَاشِيْنَ خَلَوْتَنَا
وَبْتُ لَا رَيْبَةَ أَخْشَى بَوَايِرَهَا
وَالنُّورُ فِي مَعْزَلٍ عَنَّا لَهُ لَهَبٌ
وَأَنْتِ فِي ثَوْبِكِ النَّاقِيِ الْبِياضِ عَلَى
أَرَى عَلَيْهِ ضِيَاءَ الْبَدْرِ مُنْعَكِسًا
أَهْوَى إِلَى رَشْفِ ثَعْرِ فِيهِ مُنْتَظِمٌ
وَبَيْنَنَا غَزَلٌ رَقَّتْ مَوَارِدُهُ
شَكْوَى تُقَطِّعُهَا مَا بَيْنَنَا قُبْلٌ
يَهْفُو الْفَوَاذُ عَلَى أَثَارِهَا طَرْبًا
صَوْتُ هُوَ الطُّهْرُ فِي لَفْظِ الْعَفَافِ بَدَا
حَتَّى رَجَعْتُ بِجِسْمِ عَنكَ مُبْتَعِدٍ
يَا مِنْهَلًا قَدْ تَمَتَّعْنَا بِكَوْثَرِهِ
مَا كُنْتُ أَرْضَى وَصَالًا مِنْكَ عَنْ كَثْبِ

وعن عزيزٍ وعن صَبْرٍ وعن جَلَدٍ
وليلةً لَسْتُ أَنْسَاهَا إِلَى الْأَبَدِ
ونلتها منك عن وَعْدِ يَدَا بِيَدِ
كَلًّا وَلَا عَدْلَ أَخْشَاهُ مِنْ أَحَدِ
يَبْدُو وَيَخْفَى كَفَعَلَ الْقَلْبِ ذِي الْحَسَدِ
جِسْمٌ نَقِيٌّ بِنُورِ الْحُبِّ مُتَّقِدِ
يَكَادُ يَفْضَحُنَا فِي دَارَةِ الْبَلَدِ
يُهْدِي لِي النَّارَ مِنْ صَفَيْنِ مِنْ بَرَدِ
كَأَنَّهُ نَعَمَاتُ الطَّائِرِ الْغَرَدِ
ولو أَرَدْنَا سِوَى هَذَيْنِ لَمْ نَجِدْ!
حَتَّى يُنَادِيَهُ صَوْتُ: قَفْ وَلَا تَزِدِ
وَالطُّهْرُ خَيْرُ صِفَاتِ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ
يَشْتَأِقُ عِنْدَكَ قَلْبًا غَيْرَ مُبْتَعِدِ
حِينَ رَوِينَا بِهِ لَوْ دَامَ رِيٌّ صَدِي
فَصَرْتُ أَرْضَى خِيَالًا مِنْكَ عَنْ بُعْدِ!

وردة

لِشَخْصِكَ مِنْ زَهْرِ الرَّبِيِّ لَقَبُ الْوَرْدِ
تَفُوقَيْنَهُ لَوْنًا وَرِيحًا وَمَنْظَرًا
فَالْوَرْدُ شَهْرٌ وَاحِدٌ ثُمَّ يَنْقُضِي
وَالْوَرْدُ رِيحٌ وَاحِدٌ لَا يَجُوزُهُ
وَيَقْطِفُ كُلُّ زَهْرَةِ الْوَرْدِ فِي الرَّبِيِّ
وَتَعْرَى قُدُودُ الْوَرْدِ فِي الْعَامِ مُدَّةً
وَتَنْشَأُ غُصُونُ الْوَرْدِ مَبْلُولَةً النَّرَى
فَسُبْحَانَ مَنْ أَنْشَأَكَ شَخْصًا وَقَدْ حَوَى
وَهَيْهَاتَ مَا لِلْوَرْدِ حُسْنِكَ فِي الْوَدِّ
وَبُقْيَا عَلَى عَهْدِ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ
وَوَرْدُكَ بَاقٍ لَا يَزُولُ عَنِ الْخَدِّ!
وَتَشْرِكُ رِيحَ الْوَرْدِ وَالْمِسْكِ وَالنَّدِّ
وَوَرْدُكَ لَمْ يَقْطِفْهُ إِلَّا أَنَا وَحْدِي
وَقَدْكَ دَوْمًا بَيْنَنَا صَافِي الْبُرْدِ
وَمَنْشَاكَ فِي قَلْبِي الَّذِي جَفَّ مِنْ وَجْدِي!
جَنَّانَ رِيَاضِ الْخُلْدِ بِاسْمِ الْوَرْدِ

ناظك

مَنْ لِعُصْنِ النَّفَا بِلِيْنِ قَوَامِكُ
من لِقَلْبِي بَأَنْ يَعْيشَ سَعِيدًا
من لِدَرِّ الْبَحَارِ يَخْرُجُ مِنْهَا
من لِهْذِي الْأَفْئَالِكِ تَعْدُو سَرِيرًا
من لِرُؤْيِ النَّجُومِ يُصْبِحُ مِنْهَا
من لِيَدْرِ الدُّجَى بِحُسْنِ مُحْيَا
أَوْ لِرُؤْيِ الرَّبِّي بِحُسْنِ ابْتِسَامِكُ
أَوْ يَذُوقَ الرَّدَى شَهِيَّ غَرَامِكُ
يَبْرَامِي نَنْزَا عَلَى أَفْدَامِكُ
وَدَرَارِيُّهَا وَسَادَ مَنَامِكُ
لِكِ قُرْطُ أَوْ حَلِيَّةٌ فَوْقَ هَامِكُ
كِ إِذَا مَا أَرَحْتَ عَفْوًا لِثَامِكُ

إليها

كم تَكْتُمِي عَنِّي هَوَاكِ وَأَكْتُمُ
فَكَفَى كَفَى هَذَا السَّكُوتُ لِأَنَّهُ
عَلَّمَ الْهَوَى أَمْسَى يُرْفَرُفُ حَوْلَنَا
لَا تَقْطَعِي عَهْدَ الْمَحَبَّةِ بَيْنَنَا
وتكلمتُ مَا بَيْنَنَا النَّظَرَاتُ
فِي الْحَبِّ قَدْ رُفِعَتْ لَنَا رَايَاتُ
كُتِبَتْ لَنَا مِنْ فَوْقِهِ آيَاتُ
يَا غَادَةَ سَكَبَتْ لَهَا الْعَبْرَاتُ

هي أشعر

أَحْبِيبَ قَلْبٍ تَنْظُرُ
أَمْ أَبْرَقَ الْعَلَمِينَ أَمْ
أَمْ رَاشَ قَلْبِكَ جُودَرُ
أَمْ هَبَّ مِنْ مِصْرٍ صَبَا
أَمْ قَدْ نَكَرْتَ سُهُولَهَا
وَالنَّيْلَ فِي أَحْسَائِهَا
وَالجَوْ صَحْوٍ مُشْرِقُ
هِيَ وَشَيْ نَسَجَ نَيْلِهَا
هِيَ جَنَّةٌ يُجْنَى العُلَا
أَنَا شَاعِرٌ فِي وَصْفِهَا
فَدُمُوعَ عَيْنِكَ تُمَطِّرُ؟
هَجَرَ الْحَبِيبَةَ تَذَكُرُ؟
أَحْوَى اللَّوَاظِظِ أَحْوَرُ
أَمْ طَارَ بَرَقٌ أَشَقَرُ؟
وَهِيَ البِيسَاطُ الأَخْضَرُ؟
عَقْدٌ يَلُوحُ مُجَوَّهَرُ
وَكأنَّمَا هُوَ مُمَطِّرُ
فِيهِ الطَّرَازُ الأَحْمَرُ
فِيهَا وَيَجْرِي الكَوْنُورُ
لكنَّمَا هِيَ أَشْعَرُ!

مطارحة

ملاك لي يُقَبِّبُ بالحبيبِ
فَصَيَّرَ خَدَّهُ كَسَنَا اللَّهيبِ
لقد أَقْبَلتَ في زِيِّ عَجيبِ
أم أنتِ صَبَعْتَهُ بِدَمِ القلوبِ
كلُّونِ الشَّمْسِ في وقتِ المَغِيبِ
قريبٌ من قريبٍ من قريبٍ!

أنا في قَمِيصِ النَّوْمِ يسعى
وقد لَعِبَ الشَّرَابُ بِوَجْنَتَيْهِ
فقلتُ له لِمَ اسْتَحْسَنْتَ هذا
أَحْمَرَةٌ وَجَنْتَيْكَ كَسَنَكَ هذا
فقال الرَّاحُ أَهْدَيْتَنِي قَمِيصًا
فَتَوْبِي والمُدَامُ وَلَوْنُ خَدِّي

مدح

سَحَابٌ إِذَا اسْتَمَطَرْتُهُ كَانَ نَادِيًا
وَإِنْ كَانَ هَذَا مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

فَنِّي كَمَلْتُ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ
فَنِّي كُلُّ مَا فِيهِ يَسُرُّ صَدِيقَهُ

ثناء

ما حَكَاهُ عَلمُ البَأسِ الأَسَدِ
ولهُ اللَّيْثُ مُقَرَّرٌ بِالْجَدِّ

عَلمُ العَيبِ النَّدى حَتَّى إِذَا
فَلَهُ العَيبُ مُقَرَّرٌ بِالنَّدى

مديح

نارًا تَجُرُّ عَلَيْهِ زَائِدَ الأَوْدِ
لا زَلتَ تَرَقَى المَعَالِي آخِرَ الأَبْدِ

تَصَلَى عَزَائِمُهُ فِي قَلْبِ حاسِدِهِ
إِلَيْكَ أَرَفُعُ إِجْلالِي وَتَهَنِّئَتِي

وصف الحبيبة

والذي زاد مُقَلَّتِيكَ أَقْتِدَارَا
يا غزالاً رَنَا وَغُصْنَا نَتْنَى
كان دَمْعِي عَلَى هَوَاكِ لَجِينَا
لك جِيدٌ وَمُقَلَّةٌ تَرَكَا النَّا
وَتَنَائِيَا أَخَذْتُ مِنْ رِيْقِهَا الخَمَ—
حَلِيَّةٌ لَا أُعِيرُهَا لِمُحِبِّ

أَنَّ (صَبْرِي) قَدْ آنَسَ الْيَوْمَ نَارَا
وَهَلَالًا بَدَا وَبَدْرًا أَنَارَا
فَأَحَالَتُهُ نَارُ قَلْبِي نُضَارَا
سَ سَكَارَى وَمَا هُمُو بِسَكَارَى
رَ وَمَنْ لَوْنِهَا أَخَذْتُ الخِمَارَا
لَا يَطْنُ الوُشَاةَ إِلَّا غِيَارَى

(القاهرة ١٨ يونيو ١٩١١)

غزل

بَدَتْ فِي رِْدَاءِ الحُسْنِ بِاسِمَةِ النَّعْرِ
فَقَبَّلْتُهَا (تُرْكِيَّةً) حُلْوَةَ اللَّمَى
أَرَى الشَّمْسَ مِنْهَا فِي العِشَاءِ مُنِيرَةً
سَقَتْنِي سُلَافَ الرَّاحِ مِنْ لِحْظَاتِهَا
تَدَاوَيْتُ مِنْ أَلْحَاطِهَا بِرُضَابِهَا
وَأِنْ خَطَرْتُ ظَهْرًا أَرَى النَّجْمَ فِي الظُّهْرِ!
فَصِرْتُ أُجَارِي خَدَّهَا نَشْوَةَ السُّكْرِ
كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الخَمْرِ بِالخَمْرِ

(١٥ إبريل ١٩١٢)

عزيرة الروح

عَزِيرَةَ الرُّوحِ جُودِي بِالْوَفَاءِ عَلَى
أَوْ فَاتْرُكِيْنِي أُمَّتُ وَاللَّهُ يَرْحَمُنِي
قَلِيلِ صَبْرٍ كَسْتَهُ الذُّلَّ عَيْنَاكَ
فَرَحْمَةُ اللَّهِ تَأْتِي فَوْقَ رُحْمَاكَ!

(٥ يونيو ١٩١٢)

صبري

يا رَبِّ قَدْ قَلَّ صَبْرِي
وَأَشْتَدَّ شَوْقِي وَوَجْدِي
مُضَاعَفٌ فِي عَدَابِي
إِنْ كَانَ تَاهَ دَلَالًا
أَنَا الَّذِي لِعَزَالِ
وضاق بِالْحُبِّ صَدْرِي
وَسَيِّدِي لَيْسَ يَدْرِي
وَلَيْسَ يَرْحَمُ صَبْرِي
وَلَسْتُ أَمْلِكُ صَبْرِي
رَنًا فَأَشْغَلَ فِكْرِي

(قنا ١٩٢١)

إلى صديق

لو كنتُ أهوى سِوَاكَ
يا مُنِيَّتِي وَعِمَادِي
ما كنتُ يَوْمًا أَرَاكَ
ما لي حَبِيبٌ سِوَاكَ

* * *

عَبْدَ اللَّطِيفِ تَأَكَّدُ
مَعْدَبٌ فِي هَوَاكُمُ
صَبْرِي غَدَا فِي أُشْتِيَاقِ!
يَرُومُ يَوْمَ التَّلَاقِ

* * *

يا خَيْرَ شَهْمِ هُمَامِ
فَاعْطِفْ عَلَيْهِ لِيُشْفَى
صَبْرِي غَدَا فِي هُمَامِ
مِنْ صَائِبَاتِ السَّهَامِ

تطريز

وَتَصَدَّقِي مِنْهُ عَلَى الْمِسْكِينِ
كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى اقْتِضَاءِ دِيُونِي
حَتَّى تَكَلِمَ فِي دَمُوعِ شَتُونِي!
كَادَ الْمَحَبُّ بِأَنْ يَقُولَ خَذُونِي!

زَكِّي جَمَالًا أَنْتَ فِيهِ غَنِيَّةٌ
يَا ظَلِيمَةَ أَلُوتِ دِيُونِي فِي الْهَوَى
نَادَيْتُ كَنْتَمُ الْحَبِّ بَيْنَ جَوَانِحِي
بِاللَّهِ لَا تَخْفِي عِلَامَاتِ الْهَوَى

الشيخ فهمي الصيرفي

يَا صِيرْفِي فَمَنْكَ الْحَبُّ يَكْفِينِي
يَا كَعْبَتِي أَنْتَ بَدْرٌ بَاتَ يَهْدِينِي

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا بِالْقَلْبِ مِنْ شَغَفٍ
فَجُدْ بَعْلَمٍ وَلَا تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ

تهنئة

فَلَا زَالَ دَوْمًا لِلْمَسَرَّاتِ غَانِمًا
أَضَاءَ بِهَا الْأُفُقُ الَّذِي كَانَ مُظْلِمًا
أَرَانِي وَإِنْ أَبَدَعْتُ فِي الْوَصْفِ مُلْجَمًا

لَقَدْ سَرَّنِي فَوْزُ الْعَزِيزِ (مُحَمَّدٍ)
فَتَى لَيْسَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي فَلَانِدًا
أُهْنُكُمُ مِنْ كُلِّ قَلْبِي وَإِنِّي

متناترات فف الهءاء

(١)

أرى الجهل طبعًا فف أبعك وفبكا
وأنت ولئ العهء بعء أبعكأ!
جهُولًا برآه الله وابن جهُولة
أبوك إمام الناس فف الجهل كلهم

(٢)

ویرحل إن مررت بنا الشرور
ووجئك أربعاء لا تدور
یطول بقربك الیوم القصیر
صباحك للمبكر فال سوء

(٣)

والنئس من ظن أن النئس مخلوب
أنتب أسأل شینًا لا مءر له

رسالة

فِرَاقُهُ عَن صَفَائِي بَيْنَ خَلَائِي
وَحُبُّهُ قَدَ غَدَا (صَبْرِي) بِهِ هَانِي
قَرِيحُ جَفْنِ أَسِيرٍ مُغْرَمٍ عَانِي
وَكَيفَ عَنِي نَأَى أَوْ زَادَ أَحْزَانِي
يَا دَيْبُ مَهْلًا فَمُرُّ الصَّبْرِ أَضْنَانِي!
إِنِّي أَخَافُ غَدَا إِذْ رُبَّ يَنْسَانِي!
تَرْتِي لِحَالِي فَهَذَا النَّوْمُ جَافَانِي؟
يَا خَيْرَ مَنْ أَرْتَجِيهِ يَوْمَ سُلْوَانِي
وَالدَّمْعُ يَجْرِي غَزِيرًا مَلَأَ أَجْفَانِي
وَالدَّمْعُ مُسْتَرْسِلٌ يَا خَيْرَ إِخْوَانِي
يَا دَيْبُ فِي رَوْضِ أُنْسٍ بَيْنَ أَغْصَانِ
وَكَنتُ أَرْجُو وَدَاعًا دَمَعُهُ دَانِي
قَهْرًا فَكَدَّرَ عَيْشِي ثُمَّ أَعْيَانِي
مِنَ الْفِرَاقِ وَأَنْتُمْ خَيْرٌ نُدْمَانِي

أَيْنَ الْحَبِيبِ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَشْغَلُنِي
أَيْنَ الْحَبِيبِ الَّذِي نَفْسِي لَهُ هِيَّةُ
أَيْنَ الْحَبِيبِ الَّذِي (صَبْرِي) بِهِ دَنِفُ
أَيْنَ الْحَبِيبِ الَّذِي عِنْدِي لَهُ شَغَفُ
أَيْنَ الْحَبِيبِ (حُسَيْنٍ) أَيْنَ طَلَعْتُهُ
أَيْنَ الْحَبِيبِ (حُسَيْنٍ) أَيْنَ بَهَجْتُهُ
عَنِّي نَأَيْتَ وَخَلَّيْتَ الدِّيَارَ أَلَا
فَارَقْتَكُمْ وَبُودِي لَا أَفَارُقْكُمْ
فَارَقْتُمُو مِصْرَ تَصْبُو يَوْمَ أَوْبَتِكُمْ
قُمْنُمْ عَلَى عَجَلٍ وَالْقَلْبُ فِي وَجَلٍ
صَبْرًا عَلَى أَلْفِ قَدْ بَاتَ يَنْشُدُكُمْ
سَافِرَتَ فِي سَاعَةٍ قَدْ كُنْتُ أَرْقُبُهَا
لَكِنْ أَرَادَ زَمَانُ الظُّلْمِ يَمْنَعُنِي
يَا دَيْبُ سَافِرْتُمُو وَالْقَلْبُ فِي أَلَمِ

عاشق

فَأَزْكِي جَمَالَ جَبِينِهَا النَّارَ فِي صَدْرِي
وَبِالسُّهُدِ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي خُسْرِ
كَرَى مُقَلَّتِي مِنْ حَيْثُ أُدْرِي وَلَا أُدْرِي
وَمَا جَلْتُ أَنَّ التَّوْنَ مِنْ أَحْرَفِ الْجَرِّ
يَنْظُمُ مَا أَمَلْتُ جُفُونِي مِنَ النَّثْرِ
كَمَا بَكَتِ الْخَنَسَاءُ قَبْلِي عَلَى صَخْرِ
عُيُونَ الْمَهَى بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالْجِسْرِ

وَنَزَّهْتُ فِكْرِي فِي بَدَائِعِ حُسْنِهَا
أَمَا وَتَجِيلِ الْخَصْرِ إِنَّكَ بِالْبُكَاءِ
مُعَنَّى بَوَسْنَانِ اللَّوَا حِظِّ سَارِقِ
يَجْرُ بِنُونِ الصَّدْغِ قَلْبِي لِلْأَسَى
يُقَابِلُ دَمْعِي بِاسْمًا فَكَأَنَّ مَا
وَمَا لِي لَا أَبْجِي عَلَى دُرِّ مَبْسَمِ
وَأُجْرِي عُيُونَ الدَّمْعِ فَايْضَةً عَلَى

للصباح

لست أدري ماذا تقول اللواحي
أنَّ قلبي عليك دامي الجراح
سجدت دونها وجوه الملاح
رايةً فهي راية الأفرح!
بتُّ أبكي صباةً للصباح!

لا وأجفانك المراض الصباح
ما درى من يلوم هطل دموعي
يا مليحاً عيناه قبله حسن
لك شعز وقامة إن يكونا
وجبين إذا ذكرت سنه

مصدر

يا ساجي الطرف أو يا ساقِي الراح
فاترك ملامك في السُّكْرَيْنِ يا صاحي
حُمَلتَ وزري ولا كُفَّتَ إصلاحِي
حبة القلب أنشئ بيت أفرحي
ظبي يُفدَى بأموالٍ وأرواح
دارك ضرورة محتاجٍ ومُجْتَاح
لقد لويت على عشقي بفضّاح
عين الهوى عن قريح العين طمّاح
فأنعم الله إمساتي وإصباحي!
أيام لم يمح أسطار الصبا ماح
كأنه مدلجٌ يمشي بمصباح
يكاد يُمسيكُهُ من قام بالراح
أعيي التذكر يشدو شدو إفصاح
هل باب حبي مغلوقة بمفتاح؟
بفائضٍ في بحور الشعر سباح
عنكم وها أنا أرويها لجرّاحي؟

سلبت عقلي بأخدّاقٍ وأقدّاح
سكران من رشفة الساقِي ومقلته
واطرح بحسبك أشباك الغرام فما
دعني إذا صح نجمي في هوى قمري
بجوهر الكأس يجلو لي بها عرضاً
يا مُثري الخدّ بالمحمرّ من ذهبٍ
يا فاضحي في السهوى خالٍ بوجنته
ما أنس لا أنس لقيانا وقد غفلت
قابلت شعرك بعد الوجه مبتسماً
حيث الرضى في جبين الصبّ مكتئبٌ
وحامل الكأس تحت الدّجن يُعملها
والرئم وإن لكأس الراح يمزجها
والآن كأس دموعي والتذكر أن
يا عنبر الخال في ريحان سالفه
أغرّ طامي بحور الشعر ناسبها
يا ليت شعري أهل في قصتي كلف

رثاء

أَقِيمُوا فُرُوضَ الْحُزَنِ فَالْوَقْتُ وَقَتُّهَا
وَلَا تَبْخُلُوا عَنِّي بِإِنْفَاقِ أَدْمَعٍ
لِغَائِبَةِ عَنِّي وَفِي الْقَلْبِ شَخْصُهَا
يَقُولُونَ كَمْ تُجْرِي (لِزَيْنَبَ) بَاكِياً
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَمْسُ مَحَاسِنٍ
تَعْرِفُتُهَا دَهْرًا يَسِيرًا فَأَعْقَبَتْ
وَقَالَ أَنَسٌ إِنَّ فِي الدَّمْعِ رَاحَةً
هَلِ الدَّمْعُ إِلَّا مُقْلَةٌ قَدْ أَدْبَتْهَا
نَصَبْتُ جُفُونِي بَعْدَ بُعْدِكَ لِلدُّجَى
وَقَالَ زَمَانِي هَاكَ بَعْدَ تَنَعُّمٍ
بِكَيْتِكَ لِلْحُسْنِ الَّذِي قَدْ شَهَدْتُهُ
كِلَانَا طَرِيحُ الْجِسْمِ بَالٍ فُلُو دَرْتٍ
بِرُوجِي مَهَاةٌ ضَمَّهَا الرَّمْسُ بَعْدَمَا
حَبِيبَةُ قَلْبٍ كُنْتُ مَغْتَبِطًا بِهَا
وَأَنَسِيَّةٌ قَدْ كَانَ لِي لِينٌ عَطْفُهَا
أَنَادِي أَنَّهُضِي وَالتَّرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
كَفَى حَزَنًا أَنْ لَا مُعِينَ عَلَى الْأَسَى
وَلَيْسَ أَمَامِي غَيْرَ دَمْعِي وَهَا أَنَا
قَضَيْتُ فَمَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ رَحَلَ الَّذِي

لِشَمْسِ ضُحَى عِنْدَ الزَّوَالِ نَدَبْتُهَا
مُعْتَدِمَةً أَكْوَى بِهَا إِنْ كَنَزْتُهَا
كَأَنِّي مِنْ عَيْنِي لِقَلْبِي نَقَلْتُهَا
وَمَا عَلِمُوا النُّعْمَى الَّتِي قَدْ فَقَدْتُهَا
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ شَمْسَ النَّهَارِ فَأُخْتُهَا
دَوَامِ الْأَسَى يَا لَيْتَنِي مَا عَرَفْتُهَا
وَتِلْكَ لَعَمْرِي رَاحَةٌ قَدْ نَكَرْتُهَا
عَلَيْكَ وَاللَّا مُهْجَةٌ قَدْ عَسَلْتُهَا
وَأَمَّا أَحَادِيثُ الْكَرَى فَرَفَعْتُهَا
كُؤُوسَ الْأَسَى وَالْحُزْنَ مَلَأَى فِقْلُهَا
وَاللَّسِيمَ الْعُرِّ الَّتِي قَدْ عَهَدْتُهَا
إِذَا نَدَبْتَنِي فِي النَّرَى مِنْ نَدَبْتُهَا
تَأَلَّفَ قَلْبِي لِلْعَرَامِ وَقَلْبُهَا
وَلَكِنْ بَرَّغَمِي فِي الثُّرَابِ دَفَنْتُهَا
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرَ فَأَنِي حَيَالُهَا
يَعِزُّ عَلَى (صَبْرِي) الْمُئَيَّمِ صَمْتُهَا
سَوَى أَنَّنِي تَحْتَ الظَّلَامِ بَعَثْتُهَا
لِجِدِّكَ مِنْ دَمْعِي عُقُودٌ نَظَّمْتُهَا
وَكَلَّ لِيَالٍ بَعْدَ (زَيْنَبَ) يَا لَهَا
تَطَلَّبْتُهَا مِنْ أَجْلِهِ وَأَرَدْتُهَا

غزل (١)

قفا نَبِّك من ساجي اللواظ أغيذ
غزال يناجيني بلفظٍ معرَّبٍ
وقد روت عن لينة واعتداله
إذا قعدت أردافه قام عطفه
كلفت به من قبل ما طال قده
وعاينت من فيه العقيقي خاتمًا
وحدثني من ثغره ورضابه
وكنت حَذَرْتُ الخُودَ حين تمردت
يخيّل لي أني له لست عاشقًا
ولولا الهوى ما بت بالدمع غارقًا
والنُّم عطفيه وجفنيه بَعْدَ ما
وأبصر فيما تحت صدغيه من سنا
ورب مُدَامٍ من يديه شربتها
إذا جنَّته تسعى إلى ضوء كأسه
تحدثك الأنفاس فيها عن اللَّمَّا
فشم بارقًا قد خَوْلنك ولا تشم
من اللَّاتي راقت في يمين مديرها
مصفرة من حيث تمَّ كيائها
فأحسبُ بها من كفِّ ساقٍ كأنه
إذا فهقه الإبريق في فمه انثنى
كان سنا الإبريق حولَ شرابه
كان بقايا ما نَصَا مِنْ كُؤُسِهِ
كان ملكِ الفُرْسِ صوَّرَ نفسه
سقى الغيثُ عني ذلك العيش إنه
وفرَّقَ إلا مُهَجَّتِي وحنانها
وبدراً سرى في طيِّة السُّحبِ مسرعًا

يصول بأسياف الجفون ولا يدي
ولكنه يسطو بلحظٍ مهنَّدٍ
صحاخ العوالي مسندًا بعد مسند
فيا طولَ شجوي من مقيمٍ ومقعد!
فطوَّله فرط العناق المرَدِّدِ
فصغَتْ له باللَّثمِ فصَّ زبرجد
عن الجوهرِيّ المنتقى والمبرد
فأوقعني حظي لأمرَدَ أمرِدٍ
لأنَّ ليس لي في حبه من مفنِّدٍ
عليه وأشكو للورى غُلةَ الصدى
فُقُنْتُ برمحٍ منهما ومهنِّدٍ
خيالي خُلُوقًا تحت محراب مسجد
معنقةً تدعو لعيشٍ مُجَدِّدٍ
(تجدُ خيرَ نارٍ عندها خير موقد)
(ويأتيك بالأخبار من لم تزود)
(لخولة أطلال ببرقة ثمهد)
فلو أهرقتها الكأس لم تتبدد
تطاف علينا في إناءِ مجسد
غزال تجلى في وشاحٍ مورِّدٍ
يمثلُ غصنًا ماس تحت مُعَرِّدٍ
حبالُ شعاعِ الشمسِ نُفُتْلُ باليدِ
أساورُ تبرٍ في معاصمِ خرِّدٍ
على هامه عمداً فمن يدنُ يسجد
تولى هنئَ الورْدِ غير مصرِّدٍ
وجمَّعَ إلا مدمعي وتجلدي
فيا صاحبي دمعاً لعلك مُنْجِدي

سهرتِ زماناً يا نواعسَ فارقدي!
فسبحان من وقاه شر الحواسد
ولا مدح إلا للحبيب (المخلد)

وقال التسلي بعدنا لجفونه
حبيبٌ قسمتُ الشعرَ ما بين حسنه
فلا غزلٌ إلا له في قصيدةٍ

غزل (٢)

ما عذولي عليك غير حسودي
يدفع الوهم عنه بالتفنيدي
وفؤادي في النار ذات الوقود
قتل الدمع صاحب الأخدود
يا بديع السنا بحسن جديد
لابتداء الهوى وللتوكيد
كاعتراء العلى إلى محمود!

لا ورشف اللما ولثم الخدود
هائم في هواك مثلي ولكن
يا مليحاً (صبري) عليك تقضى
لا تسل عن مسيل دمعي بخدي
كل يوم تروع قلباً خلياً
حبذا في سناك لام غرامي
لك وجه يُعزى له كلُّ حسن

صدودك

صدودك يا حسناء عني ولا البعدُ
بروحي من حسناء عطف إذا بدا
وجيدٌ قد استحسنت دمعِي لنظمه
من التُّركِ إلا أن بين جُفونها
على مثلها يكوى العذولَ وإنما
عزيز) على (صبري) المعنى دلالتها
أعدّالنا مهلاً فقد بان حمقكم
وقلتم قبيحٌ عندنا العشقُ بالفتى
سمحتُ بروحي للمهاة فما لكم
وتغرّ يتيم الدرِّ سلّمٌ مُهجّتي
هو البردُ الأشهى لعلّة هائم
ومرشفه المنُّ الذي لا يشوبه
عهدت الليالي حلوةً بارتشافه
فلا ابتسم البرقُ المنير (جبيها)
تولت شمس السعد عني ففي العلا
فيا قلبُ مهلاً في التقطع بعدهم
ويا دمع فض وخذاً بذكر خُدودها
رعى الله دهرًا كنت ألهو بحبها
جوادي من الكاسات في خمرة الهوى
وفي مُهجّتي بدرُ الجمال مؤسّد
زمانٌ تولى بالمليحة وانقضى
فيا ليتني لم أبغ عشقك (زينب)
ويا ليت يوماً مال غصنك كان لي

إذا لم يكن من واحدٍ منهما بُدٌ
على الغصن قال الغصن ما أنا والقُدُ
وفي الجيد يا حسناء يستحسن العفدُ
الأعيبُ سحرٍ لا يقوم بها الهنْدُ
على مثلها تحيي الصباة والوجد
كيف بها لم تدر أني أنا العبدُ كد
وقد زاد حتى ما لعذلكم حدٌ
ومن أنتم حتى يكون لكم عندٌ؟
ومالي، وما هذا التعسفُ والجهدُ
فأتلفها من قبل ما تبت الرشدُ
هو الغيثُ أو نور الأقاحي أو الشهدُ
خمول أو الراح الشمول أو النهْدُ
وتلك الليالي لا يدوم لها عهد
غداة تفرقنا ولا لعلع الرعدُ
سناها وفي قلبي المعنى لها وقد
وهذا لعمرى جهدٌ من لا له جهدُ
فإنك ماء الورد أن ذهب الوردُ
أروح إلى وصل (الزينب) أو أغدو
كميتٌ وإلا من قوام المها نهد
وقد قُدحت للراح في خده زندُ
وما زال بالأكدار حولي له جندُ
وشيمة (اسماعيل) أن يصدق الوعدُ
كأيام حلمٍ قبل أن ضمّني المهْدُ

سلام ...

حياة ابن آدم مهما تطولُ
فيولد صباحًا، وظهراً يعولُ
وما العيش إلا منامٌ قصيرُ
فتَقْوَى الْإِلَهِ وَصُنْعَ الْجَمِيلِ
وأمر العلي لا مردُّ له
ليجر القضاء بأحكامه
دَهْنَتِي اللَّيَالِي بِأَرْزَائِهَا
خدمت المعارف عهدًا طويلًا
مُجِدًّا نَشِيطًا سَلِيمَ الْقُوَى
وبعد اجتهادي ثلاثين عامًا
وَمَنْ كَلَّفَ النَّفْسَ فَوْقَ الَّذِي
لذلك كان لإرهاق عيني
حَبَا النُّورُ عَنْ مُقَلَّتِي فَاَنْتَهتِ
سلامٌ على يانعات الربيع
سلامٌ على طلعة النيرينِ
سلامٌ على ما حوَاهُ جَمَالُ
سلامٌ على نَابِغَاتِ الْفُنُونِ
سلامٌ على خطرات النسيم
سلامٌ على حالياتي اللواتي
لقد ضاع حقي الذي قَدَّرُوهُ
أَيْرُضِي الْإِلَهِ؟ وَيَرْضِي النَّبِيَّ؟

خيالًا تمرُّ كَلِمَحِ الْبَصْرِ
وعصرًا يُوَارِي فِيمَسِي أَنْزُ
وما الدهرُ للناس إلا سَيْرُ
لَأَقُومَ زَادِ قَبِيلِ السَّفَرِ
ومن دونه لا يفيد الحذرُ
ومن يستطع عِنَادَ الْقَدْرِ؟
فلازم جفني النُّكَا والسهر
أَمِينًا وَفِيًّا حَمِيدَ الذِّكْرِ
حَلِيفَ النِّجَاحِ، حَدِيدَ النَّظَرِ
أحاطت حياتي غيومُ الكدرِ
تطبيق احتمالًا سعى للخطر
من الحظ ما لم أكن أنتظر
حياةً اجتهادي يَفْقِدُ الْبَصَرَ
سلام على باسمات الزَّهْرِ
سَنَا الشَّمْسِ حَسَنًا وَضَوْءِ الْقَمَرِ
تَحَلَّتْ بِهِ مُتَّقَنَاتُ الصُّورِ
سلام على عبقرِيِّ الْفِكْرِ
بِرَوْضِ الْعُلُومِ، وَجَنِّي الثَّمَرِ
لها في الثقافة ذكر عطر
كما ضاع مالي الذي أدخر!
ويرضيك أنت؟ ويرضي البَشَرُ؟

استنهاض

أَيُّهَا الشَّرْقُ تَيْقِظْ
هَاهُو المَجْدُ يُنَادِي
أَيْنَ أبنَاءِ بِلَادِي
قَاوِمُوا الجَهْلَ وَهَبُوا
وَاطْرِدُوا مِن بَاتِ يَسْعَى
كَلِّمُوا عُرَبَ كِرَامٍ
آيَةُ اللَّهِ تَجَلَّتْ
فَاعْمَلُوا لِلْمَجْدِ دَوْمًا
بَلِّغُوا مِصْرَ التَّهَانِي
فَهِيَ عِنْوَانُ الْأَمَانِي
وَهِيَ فِي الدُّنْيَا عُرُوسُ
أَهْلِهَا امْتَاذُوا بِالطَّفِ
حَبِذَا النِّيلُ بِمِصْرٍ
وَاهْجِرِ الْيَوْمَ الْهَجُوعَ
وَهُوَ يَبْكِي بِالدُّمُوعِ
أَيْنَ سَكَانِ الرُّبُوعِ
أَلْبِسُوا الْعِلْمَ الدَّرُوعَ
نَحْوَ تَفْرِيقِ الْجُمُوعِ
كَلِّمُوا يَاأَبِي الْخُضُوعِ
فَهِيَ فِي أَجْلِ سَطُوعِ
وَاطْرِدُوا ذُلَّ الْخُنُوعِ
بَعْدَ تَسْكَابِ الدُّمُوعِ
أَوْ كِشْمِيسٍ فِي الطُّلُوعِ
حَلِّئِهَا تِلْكَ الزَّرُوعِ
ذَكَرَهُمْ مَسْكَ يَضُوعِ
حَبِذَا هَذِي الرُّبُوعِ

تحية

بأبلغ لفظ رَوْتُهُ العَرَبُ
يرحبُّ قلبي بفنِّ الأغانِي
تطيب النفوس بفضْلِ الغِنَاءِ
تُنير العقولَ وتُحيي القُلُوبَ
بنى الفرسُ مجداً أضاعت به
وأخرجت الدر من كَنْزِهَا
وللترك فخرٌ بما أَجْهَدْتُ
أذاع لها الفنُّ أَسْرَارَهُ
وأثمر في مصر روضُ الفنونِ
وها قد تجلَّت لنا همة
هنيئاً لمصر بأبطالها
رجال دعاهم لحبِّ المعالي
بكل الفنون سَمَوْا وارتَفَقُوا
إلى المجدِ يا مصرُ في عِزَّةِ

أُحيي احتراماً رجالَ الأدبِ
وكلَّ مُجِدِّ إليه انْتَسَبَ
ويذهب عنها الأسي والتَّعَبُ
وتعطيك نشوةً بِنْتِ العِنَبِ
نجومُ الأغانِي سماءَ الطَّرَبِ
ومن بعدهم هدَّبَتْهَا العَرَبُ
ونالت من الفوز أسمى الرُّتَبِ
وكلَّ الأمانِي لها قد وَهَبَ
وسرُّ التَّقَدُّمِ منها اقترب
تبرهن أن العلا مُكْتَسَبُ
كبار النفوس كرام الحسبِ
فخار جدودٍ أتوا بالعَجَبِ
وها هو يشهد فنُّ الطَّرَبِ
وتحيا الأغانِي وبِحيا الأدبِ

تكريم

دعاك حُبُّكَ للعُلياءِ والرُّتبِ
أجهدتَ نفسكَ بحثًا عن جواهرها
حتى وصلتَ بساتينِ الفُنونِ وقد
عشقتَ فنَّ الأغانى واتجهتَ له
كان اختيارك للفنِّ الجميلِ هُدًى
قضيتَ عشرَ سنينٍ في دراسته
وفي اغترابك كم قاسيتَ من ألم
ثباتِ عزمك (ياحْفني) أتاحَ لنا
هذا اجتهادك قد جلتَ موارده
جددتَ في الغربِ للمصريِّ منزلةً
أكسبتَ مصرَ فخارًا نعم ما وضعتَ
فاقبلَ تحيتها واعملْ لرفعها
لا زلتَ للوطنِ المحبوبِ نجمَ هُدًى

إلى اكتشافِ كنوزِ العِلْمِ والأدبِ
ونلتَ بالجدِّ منها غايةَ الأربِ
قامتَ تحيِّيكَ فيها زهرةُ الطَّربِ
وما بخلتَ بما أنفقتَ من ذهبِ
لكشفِ سرِّ كنوزِ الفُرسِ والعربِ
ولحظةً عنك بدرُ الفنِّ لم يخبِ
جميلُ صبركَ فيه آيةُ العَجَبِ
سرُّ التقدُّمِ معصومًا من الرِّيبِ
وذا نكاؤك بادٍ غيرِ محتجبِ
في العلمِ كانتَ تُسامي أرفعَ الشُّهبِ
يداكَ في عالمِ الأنعامِ والطَّربِ
وانفعُ بفنِّكَ فيها كلَّ مُنتسبِ
تضيءُ بينَ رجالِ الفضلِ والأدبِ

مصدر

زدني هيامًا بها يا طائرَ البانِ
عيناك من ساحرٍ منها وفتانِ
يا كعبةَ العلمِ للقاصي وللداني
في عنُقوانٍ ورِيَعانٍ وسُلطانِ
لخالداتِ المعالي خَيْرَ بُنيانِ
بالمبدعاتِ، بألبابِ، وأذانِ

مصر العزيزة تاهتُ فيكِ أشْجاني
قم فوق أهرامها واصدُحْ بما نظرتِ
يا درة في جبينِ الدَّهرِ لامعةً
آثارَ مجدكَ لا زال الشبابُ بها
يا مصر تيهي فرباتُ القُصورِ بنتُ
ما زال قَدْرُكَ يسعى المادحون له

الجزء الثالث

غزل الأغاني

عذراء منف

سدر يس

يا مَنْ عَوَاطِفُهَا تَفِيضُ حَنَانًا
يا رَبَّةَ الصَّوْتِ الشَّجِيِّ حَنِينُهُ
شَيَّدَتْ صَرْحًا لِلزَّمَانِ مُفَدَّسًا
بَسَمَتْ أَغَارِيدُ الأَغَانِي عِنْدَمَا
جَدَبَتْ عَوَاطِفُكَ القُلُوبَ فَأَقْبَلَتْ
فَإِذَا شَدَوْتَ صَرَفْتَ عَنِ أَلَمِ الهَوَى
وَمَنَعْتَ عَنِ مُضْنَى العَرَامِ عَدَابَهُ
وَإِذَا بَسَمْتَ بَعَثْتَ أَحْلَامَ المَنَى
وَإِذَا حَطَرْتَ مَلَأْتَ أَنْفَاسَ الصَّبَا
وَإِذَا نَظَرْتَ تَكَشَّفَتْ لُغَةُ الهَوَى
لُغَةُ تَفَهَّمَتِ العَوَاطِفُ سِرَّهَا
شَفَتَاكَ يُحْيِي المَيِّتَ دُرُّ حَدِيثِهَا
عِصْمَاءُ حَصَنَتِهَا العَفَافَ وَزَادَهَا
حُسْنٌ تَمَنَّعَ عَنِ مَطَامِعِ عَاشِقٍ
حَدُّ نُقْبَلُهُ النَّسَائِمَ وَحَدَهَا
سَهَرَتْ سُبُوفُ اللَّحْظِ تَحْرُسُ وَرَدَهُ
وَمَقْبَلُ عَدْبٍ شَهِيٍّ وَرَدَهُ
وَجْهَ حَبَاهُ الحُسْنُ أَجْمَلُ صُورَةٍ
يَا مُنْتَهَى الأَمَالِ قَلْبِي لَمْ يَعُدْ
وَالدَّمْعُ لَمْ يَتْرُكْ جُفُونِي لَحْظَةً
فَالِإِلَامِ وَجَدِي وَالشُّهَادُ وَلَوْعَتِي
هَذَا فُؤَادِي بِعُتُهُ لَكَ رَاضِيًا
فَإِذَا مَنَحْتَ لَهُ الحَيَاةَ فَاثْنِي

عَدِّي القُلُوبَ وَرَجَّعِي الأَلْحَانَا
رَنَاتُ صَوْتِكَ تَتَّبَعْتُ الأَشْجَانَا
مَعْنِي الأَوَائِلِ فَارْفَعِي البُنْيَانَا
صَدَحَ الهَزَارُ فَجَدِّدِي الأَزْمَانَا
فَرَحِي تُحِيَّ الفَنِّ وَالوُجْدَانَا
قَلْبًا أَسِيرًا حَائِرًا وَلِهَانَا
وَكَأَنَّ حَقْقَ فُؤَادِهِ مَا كَانَا
وَبَدَا السُّرُورُ فَبَدَّدَ الأَحْزَانَا
صِيبًا وَأَحْجَلَ قَدِّكَ الأَغْصَانَا
عَنِ سِحْرِ مَعْنَى أَذْهَلِ الأَذْهَانَا
أُمُّ اللُّغَاتِ فَصَاحَةٌ وَبَيَانَا
وَتُبَدَّلُ الخَوْفَ الشَّدِيدَ أَمَانَا
عِرُّ الحِجَابِ صِيَانَةً وَجِنَانَا
ذَنْفٍ تَشَبَّهَ سَاهِرًا نَشْوَانَا
يَسْبِي البُدُورَ وَيَفْنِي الإِنْسَانَا
وَإِذَا غَفَتْ تَسْتَنجِدُ الأَجْفَانَا
تَخَذُ الوُصُولَ المُسْتَحِيلَ مَكَانَا
جَعَلْتَهُ بَدْرًا سَاجِرًا فَتَانَا
مَنْ سَقَمِهِ يَتَحَمَّلُ الكِثْمَانَا
لَيْلِي نَهَارِي بَاكِيًا حَيْرَانَا
وَالِإِلَامِ أَلْقَى فِي هَوَاكَ هَوَانَا
وَصَلَا حَكَمَتِ عَلَيْهِ أَمْ هَجْرَانَا
صَبٌّ وَإِلَّا فَاثْنِي العُفْرَانَا

هو القدر!

ولم تَدْرِ أَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَسْتَطِعْ صَبْرًا
تُشَاغِلُهُ النَّجْوَى وَتَحْرِقُهُ الذِّكْرَى
وَسُهْدِي وَأَلَامِي وَمُهْجَتِي الْحَيْرَى
وَسِرْعَانَ مَا صَارَتْ حَلَاوَتُهُ مُرًّا
وَيَا لَيْتَ عَيْنِي لَمْ تَذُقْ لِلْهَوَى خَمْرًا
إِذَا شَاءَ مِنْ يَعْصِي لِأَحْكَامِهِ أَمْرًا
وَعَانَيْتُ وَجَدًّا حَيْرَ الْقَلْبِ وَالْفِكْرَا
وَيَرْفُضُ دَمْعَ الْعَيْنِ أَنْ يَكْتُمَ السِّرَّ
بَلْوَعُ الْمُنَى فَالْعُسْرُ لَنْ يَغْلِبَ الْيُسْرَا
أَمِينًا وَرَبِّي يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْجَهْرَا

تَمَنَّتْ جُفُونِي أَنْ تَرَى النَّوْمَ لِحِظَةً
وَكَيْفَ يَنَامُ الْجَفْنُ وَالْفَكْرُ سَاهِرٌ
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو حُرْقَتِي وَصَبَابَتِي
ظَنَنْتُ دَوَامَ الْحُبِّ حُلُومًا كَمَا بَدَا
فِيَا لَيْتَ قَلْبِي خَالَفَ الْعَيْنَ فِي الْمُنَى
هُوَ الْقَدْرُ الْجَارِي عَلَى مُهْجِ الْوَرَى
تَحَمَّلْتُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ احْتِمَالُهُ
أَحَاوَلْتُ أَنْ أُخْفِيَ لَهَيْبِ مَحَبَّتِي
فِيَا قَلْبُ لَا تَجْرَعْ وَيَا نَفْسُ أَمْلِي
سَابِقِي وَفِيًّا حَافِظَ الْعَهْدِ صَادِقًا

العاشق

إذا لم يُرَجَّ شَفَاءُ الْعِلَلِ
وَأَيُّ عَلِيلٍ كَمُضْنِي الْهَوَى
حَلِيفَ الشُّهَادِ بَعِيدِ الْمُنَى
تَعَدَّى السَّقَامُ عَلَى جِسْمِهِ
تَمُرُّ اللَّيَالِي وَطَيْفُ الْكَرَى
فِيَا لِلْهَوَى كَمْ أَذَلَّ الْأُسُودَ
بِقَاءِ الْوَفِيِّ عَلَى عَهْدِهِ
فَإِنْ فَازَ عَاشَ سَعِيدَ الْحَيَاةِ
تَمَنَّى الْعَلِيلُ دُنُوَّ الْأَجْلِ
جَرِيحَ الْفَوَادِ صَرِيحَ الْمُقَلِّ
قَرِيحَ الْجُفُونِ ضَعِيفَ الْحَيْلِ
وَفَوْقَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ احْتِمَلُ
عَنِ الْجُفْنِ عَمْدًا نَأَى وَارْتَحَلُ
وَأَخْضَعَ لِلْحَبِّ قَلْبَ الْبِطْلِ
أَمِينًا يُنِيلُ بِلَوْعِ الْأَمَلِ
وَإِنْ لَمْ يُوَفَّقْ شَهِيدًا رَحَلُ!

عيون و عيون

زادتِ الحُسنَ والدلالَ اقتدارا
صَيَّرَ الناظرينَ حَيْرَى سُكَارَى
مَنْ عَسَاهُ يُعَانِدُ الأقدارا
مُهَجِّجَ العاشقينَ جَرَحَى حَيَارَى
طائشُ العَقلِ قد تَعَدَّى وِجارا
وانبرى في الحَشا ظُلُومًا أغارا
ضاقَ صدري ولم أجد لي اصطبارا
من لَهيبِ الهوى يسيل نُصارا
والليالي تُجَدِّدُ الأفكارا
أضرمَ النَّأيَ بينَ جَنبِيهِ نارا

قُوَّةُ السَّحْرِ في عيونِ العذارى
وأضافت إلى الجمالِ جلالًا
وإذا تَمَّ في المشيئةِ أمرٌ
يا سِهَامَ الجُفونِ كُفِّي فهذي
نَالَنِي من نِبَالِ لَحْظِكَ سهم
صَالَ في مُهَجَّتِي فمزَّقَ قلبي
ورماني في لَوَعَةِ الوَجْدِ حتى
كان دَمعي يجري لُجَيْنًا فأضحى
حَالَفَ السُّهُدُ مُقَلَّتِي طَوَلَ ليلي
يا نعيمَ الوِصالِ رِفْقًا بِصَبِّ

حيرة

وما تَبْغِينَ من هذا التَّجَنِّي؟
بُكَاءً يا حمامةُ أَمْ تَغْنِي؟
وَيُعْجِبُنِي من العُصْنِ النَّتْنِي
وَقَلْبُ الصَّبِّ يُحْيِيهِ التَّمْنِي
وَمَكَّنَ شَارِدَاتِ الفِكْرِ مِنِّي
وعن نَوْمِي وكيف جَفَاهُ جَفْنِي
وتعلمُ صَادِقَ الأَخْبَارِ عَنِّي
ويَحْرِقُنِي الجَوَى فتجودُ عَيْنِي
تُهْدِمُ قسوةً ما كنتُ أَنبِي
لأنني قد وَهَبْتُكَ حُسْنَ ظَنِّي

بِرَبِّكَ ما الذي أَفْصَاكَ عَنِّي
نَوَاحِكُ حَارَتِ الأَفْكَارِ فِيهِ
شَدَوَاتِ فَمَالَتِ الأَعْصَانُ عُجْبًا
وَجَدَّدَتِ الحَيَاةَ إلى فؤادي
حَنِينُكَ صَيَّرَ الدُّنْيَا خِيَالًا
سَلِي الأَقْمَارِ عن دَقَاتِ قَلْبِي
نجومُ اللَّيْلِ تَعْجَبُ من سُهَادِي
يُسَاهِرُنِي النَّوَى فيزِيدُ وَجْدِي
سَقَامِي لَوْعَتِي دَمْعِي أَنبِي
سأحفظُ يا حَيَاةَ الرُّوحِ عَهْدِي

لواعج

قد أودع الحب لحظيك ابنة العنب
وناولتك كنوز السحر مُعجبة
تستّر البدر خلف السحب من حجل
بأنه يا نسمات الصبح أين أرى
يا ليلة لست أنسى ما رأيت بها
ويا ملاكاً رمانى قوس حاجبه
أصاب قلباً بريئاً لم يكن أبداً
قد شاغل الحسنى عيني واستباح دمي
سطاً هوائك على جسيمي فأتلفه
سُهدي أنيني دموعي لوعتي سقمي
إنني على العهد باق لا أضيعة

لما تقرب منك الحسنى بالنسب
سرّ الجمال وتاج الطهر والأدب
لما رأى الشمس تُبدي آية العجب
من بات قلبي لنجواها على اللهب
خيال ذكراك عن عيني لم يغب
بمزهف من سيوف اللخط مُلتهب
يدري الغرام ولم يأنس إلى الريب
فالقلب في الحرب والعينان في اللعِب
والحب يفتك فتك النار بالحطب
لواعج عرّضت قلبي إلى العطب
عساي بالصبر ألقى غاية الأرب

إليها

سِرُّ إِلَيْهَا وَصِفَ لَهَا مَا أَعَانِي
وَقَفَ الْبَدْرُ وَقَفَّةَ الْحَيْرَانِ
أَنْتَ كَالسَّحْرِ فِي عُيُونِ الْحَسَانِ
فِي شَبَاكِ الْهَوَى وَوَعْدِ الْأَمَانِي
كَمْ مُحِبِّ غَدَا صَرِيحِ الْغَوَانِي
غَادَةً سَهْمَ جَفْنِهَا قَدْ رَمَانِي
بَدَلَالٍ مِنَ الْبُدُورِ النَّدَانِي
بَيْنَ حَالِ الْوَسْتَانِ وَالْيَقْظَانِ
مَنْ نَسِيمِ الْحَيَاةِ فِي وَجْدَانِي
مَنْ ثِيَابِ الضَّنَى نُحُولًا كَسَانِي
لَمْ تُرَوِّعْهُ زَفْرَهُ النَّيِّرَانِ
أَوْ مَمَاتِي حَيْثُ الْوَفَاءِ دَعَانِي

يَا نَسِيمًا حَمَلْتَ طَيِّبَ الْأَغَانِي
عَجِبَ الرُّوضُ وَاخْتَفَى الطَّيْرُ لَمَّا
يَا حَنِينًا مَلَكَتْ سَمْعِي وَقَلْبِي
كَنْتُ أَغْشَى الْغَرَامَ حَتَّى رَمْتَنِي
إِنَّ لِلْغَيْدِ فِي الْغَرَامِ دَلَالًا
أَتَلَفْتُ مُهَجَّتِي وَأَدَمْتُ فُؤَادِي
يَخْجَلُ الْبَدْرُ أَنْ يَرَاهَا وَتَأْبَى
أَيْنَ أَلْقَى يَا دَهْرُ مِنْ غَادَرْتَنِي
أَنْتِ أَشْهَى مِنَ الْكُنُوزِ وَأَحْلَى
إِنَّ طَوْلَ النَّوَى أَعَدَّ لِجِسْمِي
أَشْعَلِي النَّارَ مَا اسْتَطَعْتَ فَقَلْبِي
أَنَا رَاضٍ بِمَا أَرَدْتَ حَيَاتِي

وهبتك قلبي

وما نألني منها من البُعدِ والهجرِ
فؤادي لِذِكرِها بييتُ على الجمرِ
من السُّحبِ أخلَى ما يسيلُ من القطرِ
وحقُّ الهوى ما بات غيرك في فكري
وسيلُ دُموعي من لهيبِ الجوى يجري
وهل غيرُ أناتي بجوفِ الدجى تسري
سوى سارياتِ النجمِ أو طلعةِ البدرِ
تبدى كبدِ النَمِّ في ليلةِ القدرِ
بما فيهما من فاتكاتِ الهوى العذري!
وشاهدُ حُبِّي عالمُ السرِّ والجهرِ
ومن غيرُها يا حُبُّ عوني على الدهرِ
ولو أن في طولِ النوى ضيعةَ العمرِ

لمن أشتكي يا ليلُ بِاسِمةِ الثغرِ
ليالي الهنا ولتُ سراعًا وخلفتُ
سقى الله أيامَ الهناءِ التي خلتُ
إليك اشتياقي ربةَ الحُسنِ إنني
تطولُ الليالي والشهادُ مُلزمي
سلي الليلَ هل جفني يرى النَّومَ لحظةً
وهل أسهرُ الليلَ الطويلَ مُسامرًا
رعى الحُسنُ ثغرا في مُحياكِ باسمًا
وأهدى الجمالَ السحرَ عينيكَ مُعجبا
وهبتك قلبي عندَ أولِ نظرةٍ
سأحفظُ في قلبي عهدَ محبتي
وأصبرُ مهما أتلفَ الصبرُ مهجتي

راقبوها

لا يُذيع النَّسِيمُ سِرَّ هَوَاهَا
قسوةً حينَ أسرفوا في أذاها
وَدَعَوْا أَنَّهُمْ أَرَادُوا صَفَاهَا
سَاهراتٍ تَعُوقُهَا عن هَنَاهَا
وأهاجو بين الصُّلُوعِ جَوَاهَا
نورُ آمالها وَطَيْفُ مَنَاهَا
فبكأها رِغْمُ التَّشْفِي عِدَاهَا
بعد أن أحرق اللهبُ حشاها
وتقاسي العذابَ مهما ضَنَاهَا
وَالِيَةَ الصبرِ زادها وَعَزَاهَا
كل ما عزَّ في سبيلِ وفاها
أما الصبرُ خيرٌ وِرْدٍ سقاها
أبد الدهرِ لا يضيعُ شَدَاهَا
طاهراتٍ قد أخلصت في هواها

راقبوها خَوْفَ التَّأْوِهِ حَتَّى
وَأَرَأَوْ دَمَ المَحاجرِ مِنْهَا
وَأَعَدُّوا لِصَفْوِهَا كُلِّ كَيْدٍ
وَأَقَامُوا مِنَ العُيُونِ شُهُودًا
عَدَّبُوا قَلْبَها الكَلِيمَ المَعْنَى
فارق النومُ جفنها وَتَوَارَى
وَتَعَدَّى السَّقَامُ ظِلْمًا عليها
نال منها الضَّنَى فصارت خيالًا
أقسمت أن تصونَ للحبِّ عهدًا
بات طيف الكرى مناها وَأضحى
مثلت آيةَ الوفاءِ فضحت
عَلِمْتَ أطهرَ القلوبِ غرامًا
زهرةُ الحبِّ أشرفُ الزهرِ نبتًا
هكذا يرفع الغرامِ نفوسًا

سحر الجمال

تَاهَتْ بِسِحْرِ جَمَالِهَا عَيْنَاكِ
لَعِبْتَ بِمَيْدَانِ الْغَرَامِ سَيْوْفُهَا
رُدِّي عَنِ الْمُهَجِّ السَّيُوفَ فَقَدْ جَرَى
يَا رَبَّةَ الْوَجَةِ الْجَمِيلِ تَدَلِّي
قَسَمًا بَمَنْ جَعَلَ الْقُلُوبَ لَكَ الْفِدَا
أَنْتِ الرَّجَاءُ لِعَيْنِ صَبٍّ سَاهِرٍ
يَا مَنْ عَلَى الدُّنْيَا تَنَبَّأَتْ بِحَسْنِهَا
لَا تَمْنَعِي عَنِّي لِقَاءَكَ وَارْحَمِي
وَجِدِّي وَمَا بِالْقَلْبِ مِنْ أَلْمِ النُّوَى
جُودِي عَلَيَّ أَوْفَى مُحِبٍّ مَا لَهُ
لَمَّا تَمَلَّكَ فِي الْقُلُوبِ هَوَاكِ
وَهَوَتْ مَوَاضِيهَا عَلَيَّ قَتْلَاكِ
بَدَمِ الْقُلُوبِ تَوَرَّدًا خَدَاكِ
مَا شَنَّتِ كُلُّ الْعَاشِقِينَ فِدَاكِ
وَبِفَاتِنِ الْحَسَنِ الْبَدِيعِ حَبَاكِ
هَجَرَ الْمَنَامُ جَفُونَهُ لِنَوَاكِ
إِنَّ الْجَمَالَ لَمَلَكُهُ وَلَلَّأَكِ
صَبًّا يَجُودُ بِنَفْسِهِ لِيرَاكِ
نَارٌ تُجَدِّدُ دَائِمًا ذِكْرَاكِ
سَلَوَى عَلَى الدُّنْيَا بِغَيْرِ رِضَاكِ

شكوى

إلى الحُبِّ أشكو حبيبًا هجر
ليالي هنائي عجبٌ لها
تطيل الليالي صروفُ النَّوى
عيونٌ تكامل فيها الجمالُ
تُداعِبُ بالسحرِ مُضْنَى الهوى
يمر فينعش ورد الصبى
ترامى الغرامُ على مُهجتي
فأودعَ قلبي لهيبَ الجوى
سلي الليلَ عن لوعتي إنه
عشقتك لما دعاني العفافُ
تعالى انظري كيف كاد الهوى
فؤادي يرضى بما تحكُمينَ

وعلم جفني البُكََا والسهر
تمرُّ سِرَاعًا كلمح البصر
وتَمَنُّعُ عني ضياءَ القمر
تبارك من زانها بالحورُ
فتكشِف من سره ما استتر
عَلَى وَجَنَّتَيْكَ نسيم السَّحَرُ
وقد كنتُ منه شديدَ الحَدَرُ
ومن يستطيعُ عِنَادَ القَدَرُ؟
أمينٌ فيروي صحيحَ الخَبَرُ
وفرطُ الجمالِ وسحرُ النَّظَرُ
لأوفى محبِّ أمين صَبَرُ
ولو أن ما بي يذيبُ الحجر

يا عيونًا

يا عيونًا تملأ الدنيا غزل
لست أنسى نظرة قد أودعت
صوبت عيناك سهمًا نزعهُ
لك وجهه جلّ من صورهُ
يا جمالا كل أقمار السما
نار حبي أبعدت عني الكرى
أسهر الليل حزينًا حائرًا
مدمعي، شهدي، أنيني، لوعتي
والذي أعطاك لحظًا ساحرًا
لو كنوز الأرض كانت بدلًا
فاذكري صباً وفيًا هائمًا

إن سرّ الحبّ في سحر المقل
في صميم القلب نيران الأمل
من فؤادي لم تُفد فيه الحيل
فئنّ الحسنُ به لما اكتمل
غيرةً منه تولّاها الخجل
أسقمتني، مكنت مني العلل
لست أدري في غرامي ما العمل
كلما طال النوى أخشى الملل
وجمالًا صار للحسن المتل
من محيّاك لما اخترتُ البدل
واعلمي أن سبقَ السيفُ العذل

إليك وفائي

فهل ينكرُ الليلُ الأمينُ أنيني؟
ونيران أحشائي وسيلِ جُفوني
وقد مكنت مني السقام شجوني
من الطيبِ زادت في هواكِ جنوني
بطلعته نورًا ملأت عيوني
أصاب هوى قلبٍ عليكِ أمين
ومن حرّ آهاتِ الغرام يقيني
هوانٌ لقلب العاشقِ المَفْتُونِ
تبوُّحٌ بسرٍّ في الفؤادِ مصونِ
وتاهت بأبراج الخيالِ ظُنوني
فؤادًا بما يُرضيكِ غيرِ ضنينِ
قضته يد الأقدارِ فوقَ جَبيني

إذا أنكر الحُسْنُ البَدِيعُ حنيني
سلي ساريات الليل عن سُهدِ مُقلتي
وما حلَّ في قلبي من الوجد والجوى
خطرتِ فحمَلتِ النسائمِ نَفْحَةً
وأسفرتِ عن وجهٍ تكامل حسنه
وأرسلتِ سهمًا من لحاظك فاتكًا
سعيْرٌ سرى في مهجتي فأذابها
ظننت الهوى سهلًا ولم أدِرْ أَنَّهُ
تَكْتُمْتُ حُبِّي غيرَ أَنَّ مَدَامَعِي
تعلم جفني السُّهْدَ من روعة النوى
كساني ثيابِ السقمِ عهدكِ فارحمي
إليكِ وفائي إنني صابرٌ لما

حرب!

أشعل النارَ فيه وجدُّ غرامي
ما بقلبي من صائبات السهام
أنت شغلي في يَفْطَتي ومنامي
شاهداتٌ بلوعتي وسَقامي
وكستني ثوبَ الضنى الآمي
من زفير الجوى وَسَطوِ الهَيام
أيقظته من نومه أحلامي
كل شيء يهون حتى جمامي
أنت قَصْدي وغايَتي ومَرامي

بين قلبي وسحر عَيْنَيْكَ حَرْبُ
فأرفعي السيفَ يا جفونُ ويكفي
يا جمالاً تملك القلبَ مِنِّي
يا رجاءَ العيونِ إنَّ دموعي
ضاع نومي وحاربتني هُمومي
إن جسمي يكادُ يُخْفِي نحولاً
أسهر الليلَ سابحاً في خيالِ
أرتضي المرَّ في هواك وعندِي
فانكريني وخفِّني نارِ وجدي

القلب القاسي

القلب من نار الهوى يتألم
كل الحسان قلوبهن رحيمَةٌ
عيناك ساحرتي وحسنك فاتتي
يا من أرى الدنيا بقربك جنّتي
لم أنس أول نظرةٍ كانت لها
من سحر جفنيك قد تعلّمتُ الهوى
ما حيلتني والجفنُ حالفهُ البُكا
قد راعني سهْدٌ وأتلفَ مهجتي
إن كنتُ لا أشكو إليك صبابتي

والعين في روض المحاسن تنعمُ
ما بال قلبك قاسياً لا يرحم
وسيوف لحظك في دمي تتحكّم
قلبي أسيرٌ في هواك مُتَيّم
شفقتك يا هبة السّما تتبسّم
إن العيونِ بسحرها تتكلّم
والدمع غاضٍ وفاضٍ من عيني الدُم
والسقم أعلن ماله أتكتم
يا منتهى أمني لمن أنظلم؟

أين العهود

يا ليلةً بعدها عَيْنَايَ لم تَنَمِ
لو دام لكنه وَيْلَاهُ لم يَدُمِ
فبات من جُرْحِهِ في ثورة الأَلَمِ
فالقلبُ في حُرْقَةٍ والجسمُ في سَقَمِ
دموعُ عيني عَدَتْ ممزوجةً بِدَمِ
لا بُدَّ يوماً تُعَانِي زَفْرَةَ النَّدَمِ
لو طال هجري لأفضت بي إلى حَكَمِ
وحقٌّ من عَلمِ الإنسانِ بِالْقَلَمِ

أين الليالي اللواتي سَبَّبْتُ سَقَمِي
مَرَّتْ كَطَيْفِ خيالٍ كان يُسْعِدُنِي
يا نظرةً أرسلت سهماً إلى كَبِدِي
سَرَى الهوى كلهيب النار في جسدي
سُهْدِي حنيني عذابي لَوَعْتِي لَهْفِي
يا ربةَ الحسنِ إن لم ترحمي سَقَمِي
أين العهودُ اللواتي عَظَّتْ أَمَلِي
إني عَلَى العهدِ مهما طال بي أَمْدِي

جفون

جُرِحَ القلبُ فاستردِّي السَّهَمَا
يشتكي الوجودَ والأسى والهيامَا
وَحَبَّاهَا الجمالُ منه ابتسامَا
عَلَّمَتْ صَامِتَ العيونِ الكلامَا
ودلالٌ أنسى الجفونَ المنَامَا
ومحيالك في التمامِ دَوَامَا!
أورثت مُهجتي الصَّنَا والسقامَا
أقسمَ القلبُ أن يَصُونَه الغرامَا
أو فقولي يا نار كوني سلامَا!

يا جفونًا أشكو إليها الغرامَا
أصبح القلبُ للجفون أسيرًا
يا مهةً تجمَعُ الحُسْنَ فيها
كم لعينيك من مواقف سحرٍ
لَكَ لَحْظٌ وَطَلْعَةٌ وَقَوَامٌ
كل بَدْرٍ يَتِمُّ في الشهرِ يومًا
نَارُ حُبِّي وَلَوْعَتِي ودموعي
إرحميني إن شئت أو عذِّبيني
أضرمي النار إن أردت عذابي

دولة الحسن

يبدو الجمال الذي بالروح أفديه
تسطو على قلب ولهان فتدويمه
قلبي فبات وجمر الحب يكويه
جواهر الحسن في ثوب من التيه
وللصباية سر لست أبديه
ومدمع العين قد جفت مآقيه
حتي أرى الصبح يحييني تدانيه
أحلى رضا شادن قلبي يناجيه
لكنما دمع عيني كيف أخفيه؟

في دولة الحسن بين اللحظ والتيه
إن الجمال سلاح الغانيات به
يا نظرة أرسلت نار الغرام إلى
بالله مرحمة يا خير من جمعت
لا تسألني عن غرامي فهو لي حزن
أبيت ليلي حزين القلب مكنبًا
الأزم السهد طول الليل في أرق
ما أجمل الصبر في ذل الغرام وما
حاولت إخفاء حبي عن عوازلها

معلّتي

معلّتي من ليس لي غيرَها شغلُ
ألم يكف ما عانيتُ من ألم الجوى
خطرتِ فحيّتك الورودُ تبسّمًا
وحسبك فتانٌ ولحظك قاتلُ
جرى الحبُّ يزجي في دمي نارَ وجدها
فهذى دموعي شاهداتٌ بلوعتي
كأن سهادي بات يعشّق ناظري
وما كنت أدري قبل فتك جفونها
وكم أرسل السحرُ الذي في لحاظها
تملّك مني الوجدُ حتى أذابني

هنيئًا لعينٍ لحظةً منك لا تخلو
وكلُّ عذابٍ في غرامك لى يحلو
وسلّمت الأغصانُ وانتعش الظلُّ
وقدّك ما بين الغصون له العدلُ
ويكذب من قد قال إنّ الهوى سهلُ
وعن طول سهدي يسأل النجم والليل
فبينهما في كل هجرٍ لنا وصلُ
بأنّ سهام الحبّ ليس لها عقلُ
سهامًا بها مات المحبون من قبلُ
ومهما انسلّى جسمي فحبّك لا أسلو

متى اللقاء

وَشَكَتْ من الدَّمعِ الهَثُونِ عُيُونِي
حتى جرى يشكو الغَرَامَ أَنِينِي
فترَاكمتُ حولي هُمُومٌ شُجُونِي
بِاللهِ بَلَّغْ لَوْعَتِي وحنِينِي
وَاذْكَرْ أَلِيمَ مَوَاجِعِي وَابْكِينِي
فَعَسَى حَنَاؤُ فُؤَادِهَا يَشْفِينِي
وَدَمِي وِرُوحِي وَالكَرَى هَنِّينِي
عَنْ نَاطِرِي فَمَتَى اللِّقَاءُ؟ عِدِينِي!
سَأَصُونُ عَهْدِي فِي الهَوَى وَيَمِينِي

تَعَبْتُ من السُّهْدِ الطَّوِيلِ جُفُونِي
وَاشْتَدَّ مَا بِي مِنْ تَبَارِيحِ الهَوَى
وَأَحَاطَنِي جَيْشُ الدُّجَى بِسُكُونِهِ
يَا لَيْلُ أَنْتَ عَرَفْتَ سِرَّ صَبَابَتِي
صِفْ مَا أُعَانِي فِي سَكُونِكَ مِنْ أَسَى
وَاشْرَحْ أَمِينًا لِلْحَبِيبَةِ حَالَتِي
يَا مَنْ وَهَبْتُكَ عَنْ رِضَاءٍ مَهْجَتِي
لَمْ أَسْتَطِعْ إِخْفَاءَ طَيْفِكَ لِحِظَةً
قَسَمًا بِمَنْ جَعَلَ النُّفُوسَ لِكَ الْفِدَا

فدى لك روعي

نَهَيْمُ بِأَيَّامِ لَنَا وَلِيَالِ
أَشْدُّ إِلَيَّ وَادِي الْخُلُودِ رِحَالِي
وَجَارٍ عَلَى قَلْبِي وَأَشْغَلُ بَالِي
وَكَمْ شَتَّتَ الْهَجْرُ الطَّوِيلُ خِيَالِي
يَسِيلُ دَمًا مِنْ لَوْعَتِي وَمَلَالِي
لَوَاعَجُهُ مَنِّي تَغْيِيرُ حَالِي
وَمَنْ يَحْتَمِلُ مَا رَاعَنِي وَجَرَى لِي
غَرَامِي تَقْدِيسُ بَغْيِيرِ وَصَالِ
فَدَا لَكَ رَوْحِي وَالْفَوَاذُ وَمَالِي

تَعَالَى فَقَدْ أَنْ الْوَدَاعَ تَعَالَى
أَمْدُ يَمِينِي لِلْوَدَاعِ وَبَعْدَهَا
سَطَا حُبُّكَ أَلْقَاسِي فَأَتَلَفَ مُهْجَتِي
سَلِيَ اللَّيْلَ عَنْ دَقَاتِ قَلْبِي وَحُرْقَتِي
أَسَاهِرُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَمَدْمَعِي
ظَنَّتُ الْهَوَى سَهْلًا فَلَمَّا تَمَكَّنْتُ
تَحَمَّلْتُ فَوْقَ الْمُسْتَطَاعِ مِنْ أَلْجَوَى
وَهَبْتُكَ قَلْبِي فَاذْكُرِي عَهْدَ حُبِّنَا
أُودِّعُ فِيكَ الطُّهْرَ يَا غَايَةَ الْمُنَى

جوابها

عَلِقْتُ بِأَهْدَابِ الْخِيَالِ الْمُشَرِّدِ
عِيُونَ سُهَيْلٍ فِي الدَّجِيِّ وَعِطَارِدِ
عَلَى نُورِهَا الْهَادِي أَرْوَحَ وَأَعْتَدِي
جَمَالًا فَأَبْدِي رَهْبَةً الْمُنْعَبِدِ
عَقُودَ اللَّيَالِي تَزْدَهِي حَوْلَ فَرْقَدِ
رَمْتُهُ بِسَهْمِ صَائِبٍ وَمُهَنْدِ
حَسَامٍ سَطَا مِنْ فَاتِكِ الطَّرْفِ أَعْيَدِ
أَرَدَّدُ طَوْلَ اللَّيْلِ مُرًّا تَنْهَدِي
وَمَا نَالَنِي مِنْ وَجْدِهَا الْمَتَوَقِّدِ
تَقُولُ: فَلَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلِّدِ!
عَنِ النَّطْقِ حَتَّى لَا تَبُوحَ فَأَهْتَدِي
عَلَى قَلْبِي الْمُضْنِي الْعَلِيلِ الْمَهْدِي
سَأَحْفَظُ عَهْدَ الْحَبِّ فَاصْبِرِي إِلَى الْغَدِ!

إِذَا رَاعَنِي لَيْلِي بِجَفْنِ مُسَهَّدِ
وَبَتْ وَحُرَّاسِ الْكُوكَبِ سَلَوْتِي
وَعَنِي أَخْتَفَى طَيْفُ الَّتِي كُنْتُ دَائِمًا
كَحَبْلَةٍ طَرَفٍ أَخْجَلَ الْبَدْرَ وَجْهَهَا
إِذَا مَا بَدَتْ بَيْنَ الْكُوعِبِ مَتَلَّتْ
هِيَ الدَّرَّةُ الْعِصْمَاءُ مَنْ نَظَرَتْ لَهُ
سَبِي حَسْنُهَا قَلْبِي وَمَرْقٍ مُهَجَّتِي
فَأَصْبَحْتُ وَلِهَانًا جَرِيحًا مَعْدَبًا
شَكُوتُ لَهَا مَا شَفَّنِي مِنْ غَرَامِهَا
فَلَمْ تَتَكَلَّمْ بَلْ أَشَارَتْ كَأَنَّهَا
كَأَنَّ مَلَكَ الْحُسْنِ أَوْقَفَ تَغْرَهَا
وَلَكِنَّ عَيْنَيْهَا الْجَمِيلَةَ أَشْفَقَتْ
فَقَالَتْ وَأَيَّاتِ الرِّضَاءِ تَبَسَّمَتْ

ملكت الفؤاد

فؤادُ الصبِّ يُحْيِيهِ لِقَاكَ
تَعَجَّبَ فِي السَّمَاءِ النُّجْمُ لَمَّا
وَمَا جَرَدْتُ سَيْفَ اللَّحْظِ حَتَّى
عَيُونُكَ فَاتِكَاتُ السَّحْرِ تَرْمِي
تَقْبَلُكَ النَّسَائِمُ كُلَّ صَبْحٍ
وَلَمَّا فَاقَ حُسْنُكَ كُلَّ حُسْنٍ
مَلَكْتَ الْقَلْبَ حَتَّى صَارَ عَبْدًا
عَشِيقَتُكَ فَارْحَمِي صَبًّا وَفِيًّا
وَحَقَّكَ لَوْ مَلَكْتُ الْأَرْضَ طُرًّا
فَوَالْحُبِّ الْمَقْدَّسِ لَسْتُ رَاضٍ

وَيُضْنِيهِ التَّمَادِي فِي جَفَاكَ
ضِيَاءُ الْبَدْرِ أَخْجَلَهُ ضِيَاكَ
تَرَاحِمَتِ الْقُلُوبِ عَلَى هَوَاكَ
عَلَى الْعُشَّاقِ مَحْبُوكِ الشَّبَاكِ
كَأَنَّ الْمُنْعِشَاتِ عَشِيقَنَ فَآكَ
تَمَنَّتْ كُلُّ عَيْنٍ أَنْ تَرَكَ
يَجُوسُ النَّارَ حُبًّا فِي رِضَاكَ
يُعَذِّبُ جِسْمَهُ الْمُضْنَى نَوَاكَ
لَأَسْلُوَ أَوْ أَمِيلُ إِلَى سِوَاكَ
وَكُلُّ سَعَادَةِ الدُّنْيَا فِدَاكَ!

عن غادة

إِنْ سَطَا الْحُبُّ فَلَا يُغْنِي الْحَدَرَ
كُنْتُ فِي حِصْنٍ مَنِيعٍ أَخْتَفِي
أَتَّقِي شَرَّ الْغَوَانِي أَمِنًا
لَسْتُ أَدْرِي سِرًّا مَا قُدِّرَ لِي
غَادَةٌ قَدْ أُعْجِبَ الدَّهْرُ بِهَا
أَرْسَلْتُ مِنْ مُقَلَّتَيْهَا نَظْرَةً
خَلْتُ مِنْهَا أَنْنِي أَرْقَى السَّمَاءِ
لَيْلَةُ الْأُنْسِ سَرِيعًا تَنْقُضِي
نَارُ حُبِّي حَوَّلَتْ دَمْعِي دَمًا
مَزَّقَ الْهَجْرُ فُؤَادِي فَارْحَمِي
وَاحْفَظِي عَهْدَ غَرَامِي إِنِّي

فهو سهمُ الحظِّ في كَفِّ الْقَدَرِ!
عَنْ جَمَالِ الْغَيْدِ فَتَّانِ النَّظَرِ
مَنْ شَرَاكَ اللَّحْظِ أَوْ أَسْرَ الْحَوْرِ
فِي سَمَاءِ الْغَيْبِ مِنْ سُحْبِ الْكَدَرِ
وَاشْتِيَاقًا مِنْهُ حَيَّاهَا الْقَمَرُ
تَيَمَّمْتَنِي، شَاعَلَتْ مِنْي الْفُكْرُ
بَيْنَ حُورِ الْعَيْنِ فِي جَوْ السَّمَرِ
كُومِيضِ الْبَرْقِ أَوْ لَمَحِ الْبَصَرِ
رَوَّعْتَنِي، عَلِمْتَ جَفْنِي السَّهْرُ
قَلْبَ صَبٍّ مِنْ جَوِي الْحَبِّ اسْتَنْمِرْ
يَا رَجَاءَ الْعَيْنِ أَوْفَى مَنْ صَبَّرْ

سؤال

نُجُومَ السَّمَاءِ عَلَيْنَا أَشْهَدِي
تَطُولُ اللَّيَالِي عَلَى عَاشِقِي
أَسَاهِرُ شَوْقِي هَيَامًا بِهَا
يَطُوفُ خِيَالِي بُرُوجَ السَّمَاءِ
يُشَاغِلُ عَيْنِي طَيْفٌ لَهُ
أَعَدَّ مِنَ السَّقَمِ ثَوْبَ الضَّنَى
كَسَا الْحَسْنَ وَجْهَكَ ثَوْبَ الْجَمَالِ
وَقَدْ أَوْدَعَ السَّحْرَ أَسْرَارَهُ
يَقْبَلُ وَرَدَ الصَّبَى بِاسْمًا
سَطَّتْ نَارُ حَبِي عَلَى مُهْجَتِي
أَخْوَضُ غَمَارَ الْهَوَى رَاضِيًا
سَاحِفُظُ لِلْحَبِّ أَوْفَى عَهُودِ

فُؤَادِي أَمْ جَفْنُهَا الْمَعْتَدِي؟
نَأَى النَّوْمُ عَنْ جَفْنِهِ الْمُسْهَدُ
كَأَنِّي مِنْهَا عَلَى مَوْعِدِ
لَعَلِّي إِلَى بُرْجِهَا أَهْتَدِي
نَفُودٌ عَلَى فِكْرِي الشَّارِدِ
لِقَلْبِ بِنَارِ الْجَوَى مُوقِدِ
وَأَبْدَعُ فِي غَصْنِكَ الْمَائِدِ
بِعَيْنِيكَ يَا فِتْنَةَ الْعَابِدِ
نَسِيمُ الصَّبَا فَوْقَ خَدِّ نَدِي
وَمَنْ مِنْ أَلِيمِ الْجَوَى مُنْجِدِي؟
بِمَا خَطَّه الدَّهْرُ لِي فِي غَدِ
مَدَدْتُ إِلَيْهَا أَمِينًا يَدِي

وفاء

فمع الرِّيحِ قد بَعَثْتُ سَلَامِي
تَمْنَحُ الصَّفْوَةَ وَالْهَنَاءَ أَيَّامِي
إِنْ قَلْبِي مَمْرُقٌ بِالسَّهَامِ!
صَوَّرْتُهُ لِنَاظِرِي أَوْهَامِي
فَرَطُ شَوْقِي لَهُ أَضَاعَ مَنَامِي
وَسَهَادِي وَلَوْ عَتِي وَهَيْامِي
وَأَنِينِي يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلَامِ
يَا فُؤَادِي مَتَى يَحِينُ ابْتِسَامِي
يَا رَجَائِي وَحَقَّقِي أَحْلَامِي
وَإِذَا مِتُّ سَوْفَ يَحْيَا غَرَامِي

سَابِقِ الرِّيحِ نَحْوَهَا يَا غَرَامِي
وَتَذَلُّ لَهَا عَسَاهَا حَنَانًا
نَارَ حَبِّي تَرْفَقِي بِفُؤَادِي
أَسْهَرُ اللَّيْلَ رَاوِدًا بُرْجَ نَجْمِ
عَلَّنِي أَهْتَدِي إِلَيَّ نَوْرَ طَيْفِ
مَا سَمِيرِي غَيْرَ الدُّمُوعِ وَوَجْدِي
إِنْ كَرَبِي يَكَادُ يَحْرِقُ صَدْرِي
«لَسْتُ أَدْرِي وَلَا الْمَنْجَمُ يَدْرِي»
أَتَلَفَ الْهَجْرُ مُهَجَّتِي فَارْحَمِينِي
أَنَا إِنْ عَشْتُ لَا أَعْيِرُ عَهْدِي

هو الحب!

مهـما هـجـرت وطال عهد جفاك
رفع النهى لعوالم الأفلاك
في وجنتيك ولحظك الفتاك
واستودعت سر الهوى شفتاك
لما تورّد بالصبي خذاك
وعذابه ظلماً بنار هواك
أدري الهوى وهوانه لولاك
روحي وجسمي والفؤاد فداك

قلبي وربك لا يحب سواك
إن الغرام إذا تملك مهجة
يا من تجمعت المحاسن كلها
عينك بالسحر العجيب تكحلت
وضع الغرام على جبينك قبلة
صعب على قلبي التوجع والأسى
فإلى متي هذا الصدود ولم أكن
إني سأحفظ ما حبيبت محبتي

رجاء

وَحَمَلْتَنِي مَا لَيْسَ يَحْمَلُهُ رَضْوَى
سَهَامِكَ غَيْرَ الْقَلْبِ لَمْ تَتَّخِذْ مَأْوَى
وَأودَعْتَهُ وَجَدًا دَعَاهُ إِلَى الشُّكْوَى
وَشكَّوَاهُ تَجْرِي فِي الظَّلَامِ مَعَ النُّجْوَى
يَسَاهِرُنِي شَوْقِي إِلَى طَيْفٍ مِنْ أَهْوَى
وَلَمَّا أَجِدُ غَيْرَ الدُّمُوعِ لَهُ سَلْوَى
فَلِي مِنْ مَعَانِي حُسْنِكَ السَّبَبُ الْأَقْوَى

شَعَلْتَ فُؤَادِي بِالصَّبَابَةِ وَالنُّجْوَى
فِيَا لَكَ مِنْ حَبِّ تَعَدَّيْتَ ظَالِمًا
حَمَلْتَ عَلَى قَلْبِي فَأَضْرَمْتَهُ جَوَى
يَشْقُ هُدُوءَ اللَّيْلِ مَرُّ أُنَيْنِهِ
أَبِيْتُ اللَّيَالِي طَائِرَ اللَّبِّ حَائِرًا
فِيَا بِهِجَةَ الدُّنْيَا هَوَاكَ أَذَابَنِي
فَلَا تَتْرِكْنِي لِلْغَرَامِ فَرِيَسَةَ

يوم الوداع

وَمَنْعَتَ عَنْ عَيْنِي طِيبَ رُقَادِي
وَتَرَكْتَهَا تَكْوِي صَمِيمَ فُؤَادِي
وَسَلَبْتَ مِنْ غَايَتِي وَمُرَادِي
سَلَمْتُ لِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ قِيَادِي
هَطَّالُ دَمْعِي شَاهِدٌ وَسُهَادِي
وَلَكَمْ شَكْوَتْ إِلَيْكَ مَرَّ بَعَادِي
يَا لَيْلُ يَصْفُو قَلْبُهَا لُودَادِي..
فَلَعَلَّهَا تَرْوِي غَلِيلَ الصَّادِي
يَا دَهْرُ سَيْفِ عَدَاوَتِي وَعِنَادِي
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُكِنُّ فُؤَادِي

يَوْمَ الْوَدَاعِ لَقَدْ أَضَعْتَ رَشَادِي
أَشْعَلْتَ نَارَ الْحَبِّ بَيْنَ جَوَانِحِي
مَكَّنْتَ مِنْ قَلْبِي التَّأْوَهُ وَالصَّنِي
لَمَّا خَضَعْتُ لِحُكْمِ سُلْطَانِ الْهُوَى
يَا لَيْلُ كَمْ قَاسَيْتُ فِيكَ مَوَاجِعًا
يَا لَيْلُ إِنَّكَ عَالِمٌ بِصَبَابَتِي
حَمَلْتُ نَسِيمَكَ حَرًّا أَشْوَاقِي عَسَى
وَاشْرَحَ لَهَا وَجْدِي وَشِدَّةَ لَوْعَتِي
مَا لِي أُرَاكَ لِغَيْرِ ذَنْبٍ شَاهِرًا
مَهْمَا اعْتَدَيْتَ فَإِنَّ حَبِي صَادِقٌ

لمن أشتكى؟

فِيالْيَتَنِّي مَا ذُقْتُ طَعْمَ هَوَاكِ
وَلَمْ يَدِرْ أَلَامَ الْجَوَى لَوْلَاكِ
وَلَمْ تَرْحَمِي أَنَا قَلْبُ شَاكِ
وَمَنْ مُنْقِذِي مِمَّا جَنَّتْ عَيْنَاكِ
وَمَا نَالَنِي مِنْ لَحْظِكَ الْفَتَاكِ
وَمَا لَمْ تُذْعِ أَسْرَارَهُ شَفَتَاكِ
جَعَلْتِ فَوَادِي وَالْحَيَاةَ فِدَاكِ
يُبْرِهِنُ أَنِي لَا أَحِبُّ سِوَاكِ
نَعِيمٌ لِقَلْبِي فِي سَبِيلِ رِضَاكِ
وَحَقُّ الْهَوَى الْعِذْرِيَّ لَا أَنْسَاكِ
وَإِنْ كُنْتَ رَاحِمَةً فَسَوْفَ أَرَاكِ

أَضَاعَ رِشَادِي يَا مُنَايَ جَفَاكِ
وَهَبْتُكَ قَلْبًا كَانَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى
فَمَكَّنْتَ مِنْهُ الْوَجْدَ يَكْوِي صَمِيمَهُ
رَمْتَنِي الْعُيُونُ السَّاجِرَاتُ بِسَهْمِهَا
لَمَنْ أَشْتَكِي سُهْدِي وَوَجْدِي وَلَوْ عَتِي
تَبَيَّنْتُ مِنْ عَيْنَيْكَ مَا رَمَتْ كَنَمَهُ
وَلَمَّا بَدَا صُبْحُ الْيَقِينِ لَنَاظِرِي
يُسَاهِرُنِي شَوْقِي إِلَيْكَ وَمَدْمَعِي
أَرَى الْمَرْءَ يَحْلُو وَالْعَذَابَ كَأَنَّهُ
إِلَيْكَ وَفَائِي رَبَّةَ الْحُسْنِ إِنِّي
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا

قسم!

ولا تعودتُ دَمَعِ الْمُغْرَمِ الْبَاكِي
سبحانَ من ببديعِ الحُسنِ حَلَّكَ
أفْسَى جفَاكِ وما أبهى محيَاكِ
فما أمرك في قلبي وأحلاك!
لأنها لثمتُ لما سررتُ فاكِ
عنا العيونُ وعينُ الصَّبِّ ترعاكِ
أحسَّ قلبي بأن البدرَ يهواكِ!
أنواره يا ضيائي حين يَلْفَاكِ
سألتهَا رحمةً بالمغرمِ الشاكي
ذلَّ الغرامِ ونارَ الحبِّ يا باكي!
: عاهدتُ ربِّي أني لستُ أنساكِ

والله ما ذقتُ طَعْمَ الحبِّ لولاكِ
يا ظبيةً فتكتِ بالقلبِ مقلتها
صوني جمالك رفقا بالعبادِ فما
أنتِ الهناء لقلبي والشقاء له
هبت نسيماً الصبا تجري معطرةً
فذكرتني ليالينا وقد غفلتُ
لما التقينا وكان البدر ثالثنا
لو لم يكن حسنك الأعلى لما خجلتُ
نبال لحظكِ لما مزقت كبدي
قالت تعذب بحبي كي تشاطرنِي
أجبتها ودموع الصدق شاهدتي

استسلام

من يُعِيرُ الغُصُونَ لِيَنَّ قَوَامِكَ
من لِيَدْرِ الدُّجَى بِأَنْوَارِ وَجهِ
أعجب الحسنُ إذ جمعت الغوالي
كوكبٌ أوقف العيونَ حيارى
رائعاتٌ في روض حسن بديع
فتك اللحظُ بالقلوب وبياتتُ
يا شقاءَ القلوب إن فُؤادي
لم يفارق خيالَ طيفك عيني
وجمالَ الزُّهور حُلُوْ أبتسامك
كل عُشَّاقه ضحايا غرامك
من كنوز أجمال تحت لثامك
تائهاتٍ فيما بدأ من تَمَامِكَ
مشهرٍ للدفاع حدَّ حسامك
مُهَجُ العاشقين صرعى سَهَامِكَ
يرتضي ألسقم خاضعًا لاحتكامك
مذ غدا القلب وهو عَيْنُ مَقَامِكَ

لقاء خيال

دمعي أهاج صبايتي وشجوني
يا ذرة خلق الجمال لوجهها
حاولت أن أخفي جواي ولوعتي
لكنني ما أستطعت كتمان الهوى
زكي جمالا حزت فيه تمامه
لم أنس حين شكوت آلام الهوى
وجرى النسيم إليك في غسق الدجى
أقبلت في ثوب العفاف مصونة
ما كان أشهى ذا اللقاء وليته
قسما بحبك ما حلفت على الهوى

والشهد أتلّف مُهَجَّتِي وَعُيُونِي
فكأنها في لؤلؤ مكنون
ورجوت أن تنسي الدموع جفوني
فوشت بمكنون الغرام شوؤني
وتصدقي منه على المسكين
في ليلة منع المنام أنيني
يسري بسر في الفؤاد دفين
ودنا حنائك راحما لحيني!
أبدا يدوم لواله محزون
إلا لأنني واثق بيمينني

هبيني لحظة

وَجَفَنِي دَائِمًا بِالذَّمْعِ بَاكِ
وَقَلْبِي فَوْقَ جَمْرٍ مِنْ جِوَاكِ
مَتِي أَلْقَاكِ أَوْ أَنِّي أَرَاكِ؟
وَرُوحِي يَا مَعْلَلَّتِي فِدَاكِ
فَمَا أَقْوَى وَأَقْسَى نَاطِرَاكِ
لِخَالِي الْقَلْبِ مَحْبُوكِ الشَّبَاكِ
وَقَادَتْنِي الشَّبَاكُ إِلَى هِوَاكِ
أُنَاجِي لَوْعَتِي وَأَسَى نِوَاكِ
فَأَمَلًا نَوْرَ عَيْنِي مِنْ سِنَاكِ
تَأَجَّجَ فِي ضُلُوعِي مِنْ جِفَاكِ
حَيَاتِي فِي غَرَامِكِ أَوْ هَلَاكِ
خِيَالَا لَا يَفَارِقُهُ ضِيَاكِ
وَيَكْفِينِي مِنَ الدُّنْيَا رِضَاكِ

فُوَادِي فِي عَذَابٍ مِنْ هِوَاكِ
فَعَيْنِي فِي رِيَاضِ الْحَسَنِ تَهْمِي
فِيَا ذَاتِ الرَّشَاقَةِ وَالتَّنْتِي
جَمَالِكِ سَاحِرِي وَهِوَاكِ وَجَدِي
رَنُوتِ بِلِحْظِكِ السَّحَرِيِّ تَيْهَا
عَشَقْتُنْكَ مَذُ رَأَيْتُ الْجَفْنَ يَزْمِي
فَصَادَتْنِي الْجَفُونُ بِنَبْلِ لِحْظِ
أَبِيْتُ اللَّيْلِ أَرْقُبُ كُلَّ نَجْمِ
عَسَى أَلْقَى خِيَالَكَ فِيهِ يَبْدُو
هَبِينِي لِحْظَةً تُطْفِي سَعِيرًا
وَيَا نَوْرَ الْمُنَى سَيَّانِ عِنْدِي
فَجَسْمِي قَدْ غَدَا مِنْ فِرْطِ حَبِي
شَكُوتِ إِلَيْكَ هَجْرِي فَارْحَمِينِي

سلي الليل

ودقات قلبي وأجوى ومواجعي
ومن غير ليلي إن تتهدت سامعي
بقلب لسلطان المحبة خاضع
فأسهرت جفني راصداً نجم طالعي
يرد كرى صب من البعد والع
فحتى متى يا هجر ألك مانعي؟
نبرهن أني في الهوى غير خادع
إخال أجهادي في المنى غير نافع
إلا رحمة بالعاشق المتوجع

سلي الليل عن سُهدي وَوَجدي وَمَدَمعي
سكون الليالي شاهدُ بصابتي
يلازمني سُهدي وقد فَتَكَ الهوى
رمتني العيونُ الفاتناتُ بسحرها
لعلي أرى في طلعةِ النجم طيفها
يزيدُ اشتياقي كلما طالَ هجرها
دموعي وسهدي والنحول ولوعتي
تعدى عليَّ الدهرُ حتَّى كأنني
فيا من أرى في القُربِ منكِ سعادتِي

سأصون العهد

عيناى من حرّ الجوى
يا لوعة القلب الذي
حاولت كنتم صبابتي
لكنّ دَمْعِي قد وَشَى
قاسيتُ ألامَ الهوى
أقضي الليالي ساهراً
حولي تراحت الهومُ
حُبِّي سَقَى قَلْبِي الضَّنَى
مهما يُحَارِبُنِي النَّوَى
سأصون عهد محبّتي

تبكي على قلبٍ صريعٍ
أنّأته مَنَعَتْهُ هُجُوعِي
وأردت أن يخفى ولوعي
بسرائر القلب الوديع
وكم احتملت أذى خُضُوعِي
أبكي على زاهي ربيعي
وما لكربي من شفيعٍ
وكوى بلُوعَتِهِ ضُلُوعِي
فالصبرُ في حصنٍ منيعٍ
يا ربةَ الحُسنِ البديعِ

عهد

وَأَدْمَى مَدْمَعِي قَاسَى غَرَامِي
فَبَاتَ يَبِينُ مِنْ وَقَعِ السَّهَامِ
مُحْيَا صَوْرَتُهُ يَدُ النَّمَامِ
نَسَائِمُ حُمَلَتْ نَجْوَى هَيْيَامِي
مَعَانِي الْحَسَنِ حُلُوَ الْإِبْتِسَامِ
وَكَنْتُ أَمَامَهَا أَخْشَى انْهَزَامِي
بِقَلْبٍ مِنْ سِهَامِ الْجَفْنِ دَامِ
يَرُوقُ الصَّمْتُ فِيهِ عَنِ الْكَلَامِ
وَجِسْمًا هَدَمْتُهُ يَدُ السَّقَامِ
إِذَا طَالَ النَّوَى سَاقَتْ حَمَامِي
مِنَ الْأَيَامِ أَوْ قَاسَى الْمَلَامِ
يَجِدُّ ذَكَرَهُ دَوْمًا سَلَامِي

رَوَيْدِكَ قَدْ جَفَا جَفْنِي مَنَامِي
تَعَدَّى نَاطِرَاكَ عَلَيَّ فُؤَادِي
جَمَالِكَ تَاهَتِ الْأَفْكَارُ فِيهِ
تَصَبَّحَ وَرَدَ خَدَّيْكَ الْهُوَادِي
تَقَبَّلْ مِنْكَ نَعْرًا أَوْدَعْتَهُ
لِحَاظُكَ بِالْفَوَائِكِ هَاجَمْتَنِي
وَلَكِنِّي تَحَمَّلْتُ الْمَوَاضِي
كَشَفْتَ بِلِحْظِكَ السَّحْرِيَّ سِرًّا
عَشِيقَتُكَ فَارْحَمِي قَلْبًا جَرِيحًا
نَحُولِي وَالسَّهَادُ وَنَارُ وَجْدِي
وَقَائِي لَا تَغْيِرْهُ الْعَوَادِي
وَعَهْدِي فِي الْمَحَبَّةِ سَوْفَ يَبْقَى

كم تحملت

يا نسيماً الصَّبَا وَبَلَغَ سَلَامِي
وَتَلَطَّفَ إِذَا شَرَحْتَ غِرَامِي
من أليم الجوى وَفَتَّكَ السَّهَامِ
سارياتٍ تشقُّ جوفَ الظلامِ
صِفْ سُهَادِي وَمَدْمَعِي وَسُقَامِي
فاضٍ دمعِي له وعز منامي
صَوَّرْتَهُ من الضَّنَى أَوْهَامِي
أنقذيني من روعة الأحلامِ
فاذكري ما حييت عهد غرامي

سِرِّ بوجدي وَلَوْ عَتِي وَهِيَامِي
وتهادي إِذَا بَلَغْتَ حِمَاها
أنتِ تَدْرِي بما يعانِيهِ قلبي
يا رسولاً أودَعْتَ سِرَّ فؤادي
يا أميني على رسائلِ حُبِّي
كم تَحَمَّلْتُ في هواك هواناً
ألْبَسَ الهَجْرُ مُهْجَتِي ثَوْبَ سَقَمِ
فاعطفي رَحْمَةً وَجُودِي حناناً
سوفَ أبقى على وفائي أميناً

الحقيقة

إن شاء عَدَّبَنِي أو شاء هَنَّنِي
وَصَوَّبَتْهَا إِلَى قَلْبِي ووجداني
متي رضاك يواسيني ويرعاني
عن كل شيءٍ وللأحزان خَلَّانِي
الوجد أَرَقَّنِي والنوم عاداني
وورد خديك ممزوج بنيران
وليلُ شَعْرِكَ تَهْمِي فِيهِ أَجْفَانِي
حتي تخيلت أن الدهر صافاني
ذلَّ الغرام وَمُرُّ البعد أبكاني
كانت حَقِيقَتُهُ وَجِدِي وَأحزاني

سلطانُ من فَتَنَّتَنِي فَوْقَ سُلْطَانِي
راشَتْ سِهَامَ جَفُونٍ من لواظها
لَحَظَ الحبيبة راقب مهجتي كَرَمًا
لله فرطُ جمالٍ بات يشغلني
يا مَنْ تكامل فيها الحسنُ أَجْمَعُهُ
جمال وجهك لا ينجابُ عن نظري
بَسَّامُ تُغْرِكُ مطبوعٌ على كَبِدِي
يا ليلةً لَدَّ لي كأسُ الغرام بها
مضت سريعًا وذكرها تحملني
كأَنَّ وَعَدَاكَ حُلْمٌ زَارَنِي وَمَضَى

لولا الهوى

وقد أشهرت باللحظ سيفاً مهتداً
فأصبح جسمي بالغرام مهتداً
رأت في رياض الحسن خذاً مورداً
تأجج ناراً في الهوى وتصدداً
فأصبح جفني في الغرام مسهداً
فأوقعني قلبي بأهيف أغيداً
وقد كنت خلواً قبله متباعداً
إذا أشرقت أبصرت غصناً تأوداً
صاح العوالي بالجمال تفرداً
ونفسي تمننت أن تكون لها الفداً
أبيت الليالي ساهراً متوقداً
نحولاً وخلاني خيالاً مجرداً
أفمت لها في جدوة القلب مرصداً
إلى طلعة كانت لحبي مشهداً
لعهد زمان الحب حصناً مشيداً

بدت قمرًا بالفاتكين تقلداً
وقد أغمدت في حبة القلب سيفها
ولم تدر عيني ما بقلبي لأنها
فشاغلها ورد الخدود عن الذي
كلفت بها من قبل أن أعرف الهوى
وكنت حذرت الغيد حين تمردت
ولولا الهوى ما بثت بالدمع غارقاً
لعوب لها من باهر الحسن طلعةً
وقد روت عن لينه واعتداله
لها أقسمت عيناى لا تترك البكا
تجود جفوني بالدموع وها أنا
تعدى على جسمي الضنى فأذابه
فيا ليلة مرت كأحلام نائم
ألا لبت شعري هل أوفق ساعةً
ترد إلى روعي الحياة فأبنتي

إليها

مَنِّي إِلَيْكَ تَحِيَّتِي وَسَلَامِي
مَلَكًا نَهَادِي فَوْقَ عَرْشِ غَرَامِي
فَتَنَكَ الْأَسُودَ الصَّيِّدِ بِالْأَرَامِ
هَامَتْ بِهِ فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ
يَا بَدْرَ حُسْنٍ حَازَ كُلَّ تَمَامِ
مَا كَانَ مِنْ وَجْدِ أَطَارِ مَنَامِي
وَمَدَامَعِي فَاضَتْ وَزَادَ هُيَامِي
وَبِنَظْرَةِ أَطْفَافِ نَارِ غَرَامِي
وَبَدَا الرِّضَا مِنْ ثَغْرِكَ الْبَسَامِ
سِحْرًا تَسْرَبَ فِي دَمِي وَعِظَامِي
وَاحْفَظْ عَهْدَ مَحَبَّتِي وَزَمَامِي
تَبْنِي الْعَهْدَ عَلَى رَبِّ الْأَوْهَامِ
يَوْمًا وَلَمْ أُخْدَعْ بِعُدْبِ كَلَامِ

يَا مَنْ أَصَعْتُ بِحُبِّهَا أَيَّامِي
يَا مَنْ لِأَوَّلِ نَظْرَةٍ قَدْ خَلَّتْهَا
فَتَكَّتْ سَهَامُ جَفُونَهَا بِحَشَاشَتِي
لَعَبْتُ بِقَلْبٍ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي الْهَوَى
يَا دُرَّةَ بَخْلِ الزَّمَانِ بِمِثْلِهَا
لَمْ أَنْسَ حِينَ شَكُوتِ مَرِّ صَبَابَتِي
وَاشْتَدَّ وَجْدِي مِنْ تَبَارِيحِ الْجَوَى
كَفَكَفَتِ بِالْكَفِّ الْجَمِيلَةِ أَدْمَعِي
عَقَدْتَ يَمِينُكَ عَهْدَ حُبِّ بَيْنِنَا
وَافْتَرَّ ثَغْرُكَ عَنْ حَدِيثِ خَلْتُهُ
صُنْ فِي فُؤَادِكَ مَا تَبَادَلْ بَيْنِنَا
الْغَيْدُ تَخْدَعُ وَالْغَوَانِي طَبَعُهَا
يَا لَيْتَنِي مَا اجْتَزَتْ تِيَارَ الْهَوَى

ليلة

وعيناي في روض من الحسن ترتع
بلغت المني وأمنت ما أتوقع
ونور الرضا من كوكب الحسن يسطع
وقد كنت أشكو هجرها وهي تسمع
وأعلن سفي هوأ ما كنت أجرع
ودأ الغواني في رحي الحرب يخذع
ذليلا لسلطان المحبة يخضع
وأأ فؤادي في الهوى يتقطع
شهيأ الهوى العذري لا يتوجع
وأأ ليس لي في حب غيرك مطعم
وصدري من حر الجوى يتصدع
سبيقى غرامي عاطرا يتضوع

فؤادي الذي وفي على الجمر موجع
مضت ليلة لو حقق الله مثلها
تكامأ فيها الصفو بيني وبينها
خلونا ودارت بيننا نشوة الهوى
أذاعت دموعي ما نكن سرائري
رحي الحرب قامت بين قلبي وجفنها
أرى القلب مهما نال حكما وجرأة
تجلت لعينها الجميلة لو عتي
فقالأ ويمناها تكفكف مدمعي
تبينت من عينك صدق محبتي
فلم أخش حراسا علي يواقظا
علي يمين الله أني على الوفا
فقلت لها والدمع ملأ محاجري
سأحفظ عهدي ما حيبأ وإن أمأ

لحظ العيون

شاكى السلاح على المُجِبِّ الأَعزَلِ!
ذَا رَحْمَةٍ بِصَرِيحِ جَفْنِ أَكْحَلِ
وَصَبَابَةٍ أَبْكِي بدمعِ مُرْسَلِ
تَاهَ الجمالُ بِحُسْنِهَا المُتكامِلِ
وسطا على جسمي الضعيفِ النَّاجِلِ
والدمعِ جف وبات يشمَّتْ عاذلي
عيني وليس سوى خيالكِ شاغلي
عهدي وعن نجواي لم أتحوَّلِ
كأسُ المنيةِ فيه عذبُ المنهلِ
فتدَلِّي ما شئتِ أن تدللي!

لَحَظَ العيونِ حَمَلَتَ حَمَلَةَ عاهِلِ
مَزَقَتْ قلبي بالسهمِ وَلَمْ تَكُنْ
إِنِّي خَضَعْتُ لِحُكْمِ سُلْطَانِ الهوى
يَا مَنْ لها بين الكَواعِبِ طَلْعَةٌ
مَنَعَ الهوى نومي وَأَتْلَفَ مُهْجَتِي
مَا حِيلَتِي لَوْ طَالَ بي صَرْفُ النوى
والله طيفُكِ لا يفارقُ لحظةً
قَسَمًا بِحُبِّكَ إِنني باقٍ على
أجتاحِ صَعْبِ هَوَاكِ مهما راعني
إني أَقْدَسُ بالوفاءِ محبَّتِي

رَبَّةُ الْحَسَنِ

أَصْرَمَ الْوَجْدُ نَارَهُ فِي فُؤَادِي
هَامَ قَلْبِي لِسِحْرِ عَيْنَيْكَ لَمَّا
مَنْ مُجِيرِي مِنَ الْجِرَاحِ اللّوَاتِي
إِنْ وَرَدَ الصَّبِي تَبَسَّمَ عُجْبًا
وَنَسِيمُ الصَّبَا تَعَطَّرَ طَيِّبًا
رَبَّةَ الْحُسْنِ خَفَّفِي نَارَ وَجْدِي
نَسْهَرُ اللَّيْلِ فِي رَجَاءٍ وَيَأْسٍ
فَالِإِمَّ الْجَفَا وَهَجْرِكِ أَدْنَى
صَارَ جِسْمِي مِنَ السَّقَامِ خِيَالًا

وَأَلِيمُ الْجَوَى أَضَاعَ رَشَادِي
سَكَنَ الْحُسْنُ مِنْهُمَا فِي السَّوَادِ
كُلَّ يَوْمِ الْإِمُهْمَا فِي إِزْدِيَادِ
فَوْقَ خَدَّيْكَ فَتْنَةً لِلْعِبَادِ
مِنْ رِيَاحِينَ غُصْنِكَ الْمِيَادِ
وَإِرْحَمِينِي مِنْ مَدْمَعِي وَسُهَادِي
بَيْنَ حَلْوِ اللَّقَا وَمُرِّ الْبِعَادِ
مِنْ يَدِ السَّقَمِ مَهْجَتِي وَفُؤَادِي
طَارَدْتَهُ شِمَاتُهُ الْحَسَادِ

حبيبة القلب

حبيبة القلب كم حالمتُ في لَهْفِ
أَلِيمٍ بُعْدِكَ هاجتني لَوَاعِجُهُ
رَمَتْ حَشَايَ سِهَامٍ مِنْكَ فَاخْتَرَقَتْ
يَا مِنْ تَصُولِ سَيُوفٍ مِنْ لَوَاحِظِهَا
أُودِعْتُ فِي الصُّبْحِ نَوْمِي عِنْدَ نَاطِرِهَا
أَسَامِرُ النَّجْمِ طَوَلَ اللَّيْلِ مِنْ شَغْفِ
أَفْدِيِ التِّي كُنْتُ عَنْهَا كَاتِمًا شَجْنِي
سَهْمٌ رَمْتُهُ بِقَلْبِي نَظْرَةً تَرَكَتْ
قَدْ حَالَفَ الشُّهُدُ جَفْنِي فَاَنْصَنَى جَسَدِي
مَا زَالَ يَسْبِقُنِي فِي قَرَبِهَا أَمَلِي
وَأَصْبَحَ الْجِسْمَ طَيْفًا لَا تَفَارِقُهُ

عِدَايَ فِيكَ وَكَمْ عَادَيْتَ أَحْلَامِي
وَشَوْقُ قُرْبِكَ ضَاعَتْ فِيهِ أَيَّامِي
صَمِيمَ قَلْبِي وَأَدَمْتُ دَمْعِي الْهَامِي
تَذَوُّدٌ عَنِ مُسْفِرِ مِنْهَا وَبِسَامِ
وَعَدْتُ أَشْكُو لِللَّيْلِ نَارَ الْآمِي
يَا لَيْلُ بَلِّغْ سَهَادِي فِيكَ لَوَّامِي
وَالدَّمْعُ أَكْبَرُ وَأَشْ بِي وَنَمَامِ
فِي مُهْجَتِي لَوْعَةً يَا قَسْوَةَ الرَّامِي!
مَنْ فَرَطَ مَا أَسْرَفَتْ فِي الْوَجْدِ أَوْهَامِي
حَتَّى حَدَّثَتْ بِي لَوَادِي الْيَأْسِ أَحْلَامِي
يَدُ النُّحُولِ وَقَلْبِي جُرْحُهُ دَامِ

مناجاة

يا ليلُ علَّمتَ البكاءَ عيوني
يا ليلُ نومي خاصمتُهُ جفوني
ويطوف في جوفِ الظلام أنيني
حولي الهمومُ وغازِ بحرِ شؤوني
فَنَكَ الغرامُ بقلبه المفتونِ
وأنين قلبي والبكا وحنيني
إني سأحفظ بالوفاءِ يميني

يا ليلُ فيكَ مواجعي وشُجوني
يا ليلُ فيكَ لواجعي وتنهدي
ينسابُ دمعي في سكونك يا دُجى
يأيها الليلي الطويلُ تراحمتُ
قُلْ للحبيبةِ رحمةً بمتيمٍ
ما حيلتي في سُهدِ جفني والجوى
قسما برابطةِ المحبةِ بيننا

يا حياتي

وَكَوَى الْهَجْرُ وَالصَّدُودُ فَوَادِي
لَوْعَةَ الْوَجْدِ وَالضَّنَى وَالْبَعَادِ
كَيْفَ أَسْلُو وَقَدْ مَلَكَتْ قِيَادِي
كَلَّ يَوْمَ أَرَى الْهَوَى فِي ازْدِيَادِ
أَنْتِ وَاللَّهِ غَايَتِي وَمُرَادِي
أَنْ يَكُونَ الْعَذَابُ وَالْمُرُّ زَادِي
مَنْ أَلِيمَ الْجَوَى وَضَاعَ رَشَادِي
وَارْحَمِي قَلْبَ حَافِظٍ لِلْوَدَادِ

أَبْعَدَ النَّوْمَ عَن جَفُونِي سُهَادِي
بَاتَ قَلْبِي مَن الْغَرَامِ يِعَانِي
يَا جَمَالًا تَكَامَلَ الْحُسْنَ فِيهِ
هَذِهِ أَدْمُعِي تَفِيضُ لِأَنِّي
يَا حَيَاتِي دَاوِي بَعْطَفِكَ قَلْبِي
أَحْتَسِبِي الصَّبْرَ فِي هَوَاكَ وَأَرْضِي
لَسْتُ أُدْرِي مَا حَيْلَتِي ضَاقَ صَدْرِي
فَانصِفِي مَن غَدَا لِيُبْعِدَكَ طَيْفًا

قسما بنغر ...

يا جفنُ إنَّكَ لم تَذُقْ طَعْمَ الْكَرَى
فَعَلَّامٌ يَشْكُو هَجْرَهُ وَبِعَادَهُ
جُدُّ بِالْبِكَاءِ عَسَى بِدَمْعِكَ تَنْطَفِي
حُبُّ تَرَبَّى فِي دَمِي فَسَرَى بِهِ
يَا مَنْ تُجِيدُ عِيُونُهَا لُغَةَ الْهَوَى
لِكَ نِظْرَةٍ فَتَنَ الْجَمَالَ بِسِحْرِهَا
إِنْ الْمَحَاسِنَ أَبْدَعْتَ تَصْوِيرَهَا
فَسَمَّا بِنِغْرٍ بِالسِّيُوفِ مُمَنِّعٍ
مَا مَسَّ حَدَّكَ غَيْرُ أَنْفَاسِ الصَّبَا
أَنَا مَعْرَمٌ فَتَكَ النُّحُولُ بِجِسْمِهِ
إِنْ تَمْنَعِي عَنِي الْلِقَاءَ فَاِنِّي

يَوْمًا وَلَمْ تَهْنَأْ بِطَيْبِ رُقَادِ
وَصَدَى أَنْيْنِكَ ضَائِعٌ فِي وَادِ
نَارٌ أَحَاطَ لَهَيْبُهَا بِفَوَادِي
حَتَّى تَمَلَّكَ مُهْجَتِي وَقِيَادِي
هَلْ غَابَ عَن تِلْكَ الْعِيُونَ مُرَادِي
وَمُقَبَّلٌ يَشْفِي غَلِيلَ الصَّادِي
فِي نَاطِرِيكَ وَغِصْنِكَ الْمِيَّادِ
وَبِسِحْرِ لِحْظٍ قَدْ أَضَاعَ رَشَادِي
نَسَمَاتُهُنَّ رَوَائِحٌ وَغَوَادِي
وَسَطَّتْ عَلَيْهِ عِدَاوَةُ الْحَسَادِ
صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذَبْتَ فِيكَ سَهَادِي

إلى قلب

يا قلبُ أنتَ وناظِرِي
عَيْنَايَ تمنعُكَ الهدو
عطفًا عليَّ فإنِّي
إنَّ الغرامَ سَطَا على
يا منتهى أُملي لَقَدْ
إِنِّي عَشِيقُكَ فامنعِي
أخشى إذا طال النوى
مَهْمَا تَكْتَمْتُ الهوى
ما بينَ دَمْعِي وَالْجَوَى
أجدُ الحياةَ رخيصةً

لم أَدْرِ أَيُّكُمَا افْتَرَى
ءَ وَأَنْتَ تمنعُهَا الكَرَى
لم أَسْتَطِيعُ أنْ أصْبِرَا
قلبي وَفِي رُوحِي سَرَى
حَكَمَ الهوى إنْ أسْهَرَا
عَنِّي العَذَابَ الأَكْبَرَا
لا أَسْتَطِيعُ تَصَبُّرَا
فالدَمْعُ لَنْ يَنْسَتِرَا
أُمْسِي وَأُصْبِحُ حَائِرَا
لو كانَ وَصْلُكَ يُشْتَرَى

غيرت حالي

أين يا بدرُ صافياتُ الليالي؟
مَرَقتُهُ لِحَاطُهَا بِالنَّبَالِ
حائراتٍ في شارداتِ الخيالِ
أبدَ الدهرِ ناره في اشتعالِ
زِدْتَنِي لوعَةً وَأَشْغَلْتَ بَالِي
أودَعَ الحُسْنَ فيه بنتَ الدوالي
مؤلماتُ العذابِ فَوْقَ احْتِمَالِي
وكساني ثوبَ النُّحولِ ملالي
أو فحَقَّقْ يا بدرُ لي آمالي!

يا بديعَ الجمالِ غَيَّرْتَ حالي
لستُ أنسى تلكَ العيونَ وقلبي
أنتَ يا حبُّ كم تركتَ نُفوسًا
وقلوبًا أودَعْتَ فيها سعيًا
أَيُّ ذنبٍ جنيتُ يا حبُّ لَمَّا
يا ملاكا سبَى الجِسانَ بِلَحْظِ
كم تَعَدَّبتُ في هواكَ وكانتِ
أَسَقَمَ البُعْدُ والتَّجَنِّي فُوادي
إنني خاضعٌ لحكمك فاهجِرْ

لقاء

نجوم الليل مهلاً لا تغيبني
يُبشِّرُ باللقاءِ وأبي بُشْرَى
تَرَانِي بَيْنَ مُنْسَدِلِ الدَّوَالِي
سَأَلْتُ الرِّيحَ يَحْمِلُنِي إِلَيْهَا
فَوَافَيْتُ الحَبِيبَةَ فِي جَنَانِ
تَمِيلُ عَلَى الأَزَاهِرِ وَهِيَ تَلْهُو
وَفَاقَتْ فِي الرِّشَاقَةِ وَالتَّنْتِنِي
بَدَتْ قَمَرًا فَكَانَتْ نَوْرَ عَيْنِي
وَجَاءَتْ وَهِيَ تَخْطُرُ فِي قَمِيصِ
فَقَلْتُ لَهَا وَقَدْ تَاهَتْ دَلَالَا
فَنُوبِكِ وَالوَرُودِ وَوَجْنَتَاكِ
فَمَالَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ نَشْوَى
فَلَمَّا ضَمَمْنَا وَقْتُ التَّلَاقِي
بَدَا وَجْهِي يَعْبُرُ عَنِ غِرَامِي
وَهَبْتُكَ مَهْجَتِي فَاحْرِصْ عَلَيْهَا
وَمَرَّتْ كَالغَزَالَةِ وَهِيَ تَرْنُو
فَمَا أَفْسَى الغِرَامَ عَلَى فَوَادِي
وَيَا قَاسِي النُّوَى رِفْقًا بَقَلْبِي
سَأصْبِرُ حَافِظًا لِلحَبِّ عَهْدًا

فقد وافتت أغاريدُ الحبيبِ
أسرُّ من الهناءِ إلى القلوبِ
وأخفقَ في مُلَاحَقَتِي رَقِيبِي
على أهدابِهِ خَوْفَ المَغِيبِ
يُمَثِّلُ يَقْظَةَ الرِّئِمِ الهَرُوبِ
بِضَمِّ الوَرْدِ فِي عُصْنِ رَطِيبِ
جَمَالَ تَلَفُّتِ الطَّبِي اللُّعُوبِ
سَطَّتْ أَسَدًا عَلَى قَلْبِ الحَبِيبِ
نَقِي الذَّيْلِ مِنْ كُلِّ العِيُوبِ
لَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي زِي عَجِيبِ
كَلُونَ السَّحْبِ فِي وَقْتِ الغُرُوبِ
لِيُعِدَّكَ كَانِ جِسْمِي فِي شَحُوبِ
تَرَايِدَ فِي تَسْعُرِهِ لَهْيِي
لَأَنَّ الوَجْهَةَ مَرَاةَ القُلُوبِ!
وَصُنْ عَهْدِي وَقُلْ يَا نَفْسُ طِيبِي
بِمَقْلَةٍ شَادِنِ كَلْفِ طُرُوبِ
إِذَا كَانَ التَّجَنِّي مِنْ نَصِيبِي
وَيَا نَارَ الصَّبَابَةِ مَنْ مُجِيبِي؟
وَأَرْضَى حَكْمَ عِلْمِ الغِيُوبِ

نداءات عاشق

سيولُ أذْمَعِهَا ممزوجةٌ بِدَمِ
فَبَاتَ من وجده في رَوْعَةِ الألمِ
لم أنسَهَا لا وما بِالْعَهْدِ من قَدَمِ
مُذْ جئتُ أسعى على العَيْنينِ والقَدَمِ
يُهدِي الدواءَ لقلبي من لَمَاكِ فَمِي
بالله مَرَحَمَةً يا رَبَّةَ النِّعَمِ
فَأشْرَقَ الوجهَ منه في دُجَى الظُّلَمِ
مَنْ قَدْ يَرَى يقظَاتِ العَيْنِ كالحُلمِ
وَحَلَفْتَنِي أليفَ الشَّهْدِ وَالسَّقَمِ
حَتَّى ذَكَرْتُ هَوَى أَيامِنَا القُدَمِ
ذُقِ الهَوَى فإن اسْطَعْتَ الملامَ لَمْ
وفي بوطينَا بُعْدٌ عن التُّهَمِ
والطَّهْرِ ما بَيْنَ هَيَابِ وَمُنْبَسِمِ
وتقطفِ اللؤلؤَ السَّيَالِ بالعَنَمِ
فَقَبَّلْتَنِي ببِسَامِ فَمَا لِفَمِ
أحلى من الشَّهْدِ أحياني من العَدَمِ
أجْبَبْتُهَا رَغَمَ حَفَاقٍ وَمُنْسَجِمِ
وإن بخلتِ تقاضِينَا إلى حَكَمِ

ما بأل عَيْنِي لم تعمضُ ولم تَنَمِ
يا غادة ملكتُ قلبي محاسِنُهَا
رُدِّي عليَّ لياليَّ التي سَلَفَتْ
كم باتَ بارقُ ذاكِ الثغرِ يَبْسُمُ لي
يا رشفةً هيَ راحي في الغرامِ بها
ويا جمالا يُواسيني بطلَعَتِهِ
ويا جبينًا ضياءُ الصُّبْحِ لاحِ بِهِ
يا رَبَّةَ الحسَنِ جوذي بالوفاءِ على
أين العهودُ اللواتي عَلَّتْ أَملي
ما سَأَلَمْتُنَا الليلي في محبَّتِنَا
يا لائي لا تَلْمُنِي قَبْلَ تجربةِ
لما خَلَوْنَا وقد رابَتْ ظواهرُنَا
وبيننا عَفَّةٌ باتَتْ تُراقِبُنَا
ترنو إلى بعينِ الطُّبِّيِ واجفةً
وَدَعْنُهَا ودموعي جفَّ مورِدُهَا
فَذُقْتُ ماءَ حياةٍ من مُقَبَّلِهَا
قالت تَذَكَّرْ عهودي وانتظرُ فَرَجًا
دَيْنٌ عليك سَاحيا إن وفيتَ بِهِ

خبرها

خَبَّرَها بِلُوعَتِي وَهَوَانِي
وَأذْكَرُا ما شَهِدْتُمَا من غَرَامِي
وَأَقِيمَا لَهَا بَرَاهِينَ حُبِّي
عَاهِدَاها على يَمِينِ وفَائِي
أَيُّهَا الحُبُّ قد تَعَدَّيْتِ حَتَّى
كُنْتُ قَبْلَ الغَرَامِ في صَفْوِ عَيْشِي
فَرَمَانِي نَبْلُ الجُفُونِ بِسَهْمِ
وسِقَاهُ من العَذَابِ كَوُوسًا
كَمْ تَحَمَلْتُ فَوْقَ ما كُنْتُ أَقْوَى
فَاتركِي التَّيَّةَ لِحِظَّةِ يا حَيَاتِي

في هَوَاها وَبَلَّغَا ما أَعَانِي
وَسُهَادِي وَمَدْمَعِي وَحَنَانِي
وَأشْرَحَا حَالَتِي لَهَا وَابْتِكْيَانِي
يا نَسِيمَ الصَّبَا وَطِيفَ الأَمَانِي
كادَ يُفْضِي عَلَيَّ دَلَّ العَوَانِي
خَالِي البَالِ من صُرُوفِ الزَّمَانِ
أودِعَ القَلْبَ زَفْرَةَ النُّيْرَانِ
مِترَعَاتِ بالسُّقْمِ والأَحْزَانِ
وتَحَيَّرْتُ في قُلُوبِ الحِسانِ
وعِدِينِي مَتَى يَكُونُ التَّدَانِي

قصة لقاء

داري العيون اللواتي حيرت نظري
فتاك لحظك سهم قد فرى كيدي
يا طلعة البدر نور الحسن منك بدا
صاغ الجمال جبيناً منك فازدهرت
فروض وجهك بالأزهار مبيتيم
وحسن قدك فتان لناظريه
أين الليالي اللواتي كنت أحسبها
لما اجتمعنا وزهر الروض أنعشنا
غاب الحواسد والعدال وأنصرفت
وقد خلونا وجو الحب راق لنا
وبيننا دار كأس الحب تملؤها
يؤدي إلى العين أنوار المني أملاً
تبادلت شفقتنا بيننا عزلاً
حتى إذا اشتد بي وجد الهيام بدا
لا تقربن حبيباً قد خلوت به
فارتاح قلبي لنصح الطهر وأنبسط
دنا الوداع فلا تنسي محبتنا
ودعتها ودموع العين مايعتي
قالت ودر اللالي فوق وجنتها
مالي سواك حبيب قد تملكني
فكن على البعد رمزاً للوفاء عسى
دقات قلبي الهويئنا كي أشاطرها
رنت إلي وورد الخد أمطره
وخلقتني عليلاً أستغيث بها
حتى غدوت خيالاً لا يفارقني

عن مقلتي فقلبي بات في حطر
ولم يفد فيه ما أجهدت من حذر
كأنه فرقد يسمو له بصري
بالحسن آياته في وجهك النصير
ولولو التغر منظوم من الدر
يسبي العيون ويدعو القلب للسمر
تدوم يا ليلة قد سببت سهري
تحت الدوالي وبين السحر والحر
عنا الرواصد إلا مقلّة القمر
وراح عنا شديد الخوف والحذر
يد الطهارة في وشي من الزهر
وللفؤاد كؤوس المنهل العطر
أرق في لفظه من نسمة السحر
طيف العفاف بنصح غير منتظر
واقنع بحظك بين السمع والبصر
مني لمن فتنتني كف معتذر
إني على العهد حتى رحمة القدر
عن الكلام وشوقي جد مستعر
جفت دموعي فلا تغزم على السفر
غرامه في دمي يجري من الصغر
يقرب الله جمع الشمل واضطير
مر الوداع ويا طيف النوى استتر
سيل المدامع وانسابت على الأثر
من نار قلبي ودمع العين والسهير
طيف الحبيبة حتى ينجلي قمري

عنها

فَتَنَّتْ عُيُونَ النَّاظِرِينَ بِحُسْنِهَا
هَيْفَاءُ زَيْنَ خَدَّهَا وَرُدُّ الصَّبَى
حَسَنَاءُ طَاهِرَةٌ كَزَهْرَةِ رَوْضَةٍ
مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيَّا بِاسْمًا
بِيضَاءُ يُحِقُّ شَعْرَهَا بِجَبِينِهَا
تَرْنُو لَوَاحِظَهَا فَتَلْعَبُ بِالنُّهَى
عِصْمَاءُ كُلِّ جَمِيلَةٍ أَضْحَتْ لَهَا
نَظَرْتُ إِلَى الْعَلِيَاءِ مِنْهَا مُقَلَّةٌ
وَعَلَّتْ عَلَيَّ عَرْشِ الْجَمَالِ وَأَرْسَلْتُ
وَالشَّمْسُ بِاسْمَهُ تُودِّعُهَا مَتَى
رَسَمْتُ بِوَجْهِ الْبَدْرِ صُورَةَ وَجْهِهَا
نَظَرْتُ إِلَيَّ فَخَلْتُ كِسْرَى بِاسْمًا
فَوَقَفْتُ مُرْتَجِفَ الْجَوَانِحِ حَائِرًا
حَتَّى رَمَتْ قَلْبِي سَهَامَ لِحَاظِهَا
دَخَلَ الْهَوَى قَلْبًا بَرِيئًا لَمْ يَكُنْ
أَجْرَى الْغَرَامِ مَدَامِجِي وَسَطًا عَلَيَّ
يَخْلُو الْمَنَامُ لِنَاظِرِي فَيَرُدُّهُ
حَتَّى إِذَا مَا السَّقْمُ أَتَلَفَ مُهْجَتِي
أَيَقِنْتُ حَقًّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى
لَا بَدَّ أَنْ يَجْرِيَ الْقَضَاءُ بِحُكْمِهِ

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْجَمَالَ وَصَوَّرَا
فَتَمَايَلْتُ غِصْنَا رَطِيبًا نَاصِرًا
عِذَاءُ ذَابَتْ دُونَهَا مُهْجُ الْوَرَى
وَجَرَى فَحَفَّ بِفِرْعِهَا فَتَعَطَّرَا
فَتُرِيكَ فِي الظُّلْمَاءِ بَدْرًا مُسْفِرًا
لَعِبًا تُبَاعُ بِه الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى
أُمَّةً تَرَى مِنْ سَعْدِهَا أَنْ تُؤْمَرَا
أَهْدَتْ إِلَى هَاتُورٍ لَحْظًا سَاحِرَا
شَرِكَ الْغَرَامِ وَأَبْعَدَتْ طَيْفَ الْكَرَى
غَابَتْ وَتَلَقَّاهَا إِذَا الصُّبْحُ انْبَرَى
وَكَأَنَّ حُسْنَ الْبَدْرِ فِيهَا صُورَا
فَوْقَ الْجَبِينِ يَصَافِحُ الْإِسْكَندِرَا
فِيَمَا أَرَى وَكَأَنَّ حُلْمًا مَا أَرَى
فَأَصَابَهُ مَا كَانَ قَبْلُ مُقَدَّرَا
يُدْرِي الْهَوَى حَتَّى انْكَوَى وَتَسْعَرَا
جِسْمِي وَعَلَّمَ مَقَلَّتِي أَنْ تَسْهَرَا
مَنْ تَمْلِكُنِي خِيَالَ قَدْ سَرَى
وَعَدَوْتُ طَيْفًا هَائِمًا مُتَحِيرَا
فِي حُكْمِهِ دَوْمًا ظُلُومًا جَائِرَا
وَعَلَى الْمُعَذِّبِ بِالْهَوَى أَنْ يَصِيرَا

متى يكون التداني؟

ضاع نومي وشاغلتي الأمانى
وعُيونى قريرة الأجانى
والنسيم العليل هم ندمانى
سندس الأرض حلة الأزجان
ض ويسبى قلوب حور الجنان
كنضار منضد بالجمان
سنة الدهر صافيات الزمان
وهنائى وسببت أحرانى
وانقيادى لسحرها الفتان
لفوادى وزفرة النيران
وأنين ولوعة وهوان
وتشاغلت عن جمال الحسان
فى شراك الهوى ودل الغوانى
ودموعى قد قرحت أجانى
والليالى مثيرة الأشجان
شردته لواعج الولهان
كاد قلبى يدوب مما أعانى
ونعيمي متى يكون التدانى؟

لست أدري ما حيلتى يا زمانى
كان قلبى من الصبابة خلوا
كان زهر الربا وصفو الليالى
كم تشببت والغزاة تكسو
شفق يفتن الشقاق فى الرؤ
لونه يملأ العيون جمالا
راحة العيش لا تدوم وتأتى
نظرة أطفأت سراج نعيمي
لست أنسى سلطانها فى عيونى
وسهام الهوى التى صوبتها
أصبح القلب فى عذاب ووجد
كم تحببت عن عيون العذارى
غير أن القضاء طير قلبى
فألفت الشهاد من حر وجلي
ينفضى الليل فى سكون رهيب
طائر اللب سابحا فى خيال
يا جمالا سلبت عقلى وقلبي
يا رجائى من الوجود وقصدي

رفقا بحالي

ليت شعري متي تعودُ الليالي؟
فتبارت لها قلوبُ الرِّجالِ
رامياتُ عُشَّاقِهَا بالنِّبالِ
باتَ يشكو صريعَ هذا الدَّلَالِ
أنا عبدٌ لِقَرطِ هذا الجمالِ
حَوْلَ أنوارِهِ تَميلُ الدَّوالي
وعقيقُ مُرَصَّعٍ باللالِ
فأذكُرِي إذْ ملأتِ كأسَ الدَّوالي
يا طبيبِ القلوبِ رفقا بحالي!

يا سقيمَ الجُفونِ أَشغَلتَ بالي
يا مهاةً تكاملَ الحُسْنُ فيها
لكِ لَحْظُ حُرَّاسِهِ سَاهِرَاتُ
كُلِّ مَنْ نَالَ مِنْ لِحَاظِكَ سَهْمًا
يا جمالًا وَهَبْتُهُ كُلَّ قَلْبِي
وَجْهُكَ البَدْرُ قَدْ تَسَاطَعَ حُسْنًا
نَرَجِسُ العَيْنِ فَوْقَ وَرْدِ خُدُودِ
لا أزالُ الوَفِيَّ في عَهْدِ حُبِّي
هذه مهجتي تذوبُ غرامًا

أغنية حب

سحابٌ على وادٍ من النَّارِ يُمَطِّرُ
وأودَعَنِي مَا كُنْتُ أَخْشَى وَأَحْذَرُ
يهون لَدَيْهَا كُلُّ صَعْبٍ وَيَصْغَرُ
لَزَادَ عَلَيَّهَا قِيمَةً حِينَ يَظْهَرُ
وَقَلْبِي لِمَنْ فِي غَيْرِهَا لَا أَفْكَرُ
أَخَافُ إِذَا طَالَ النَّوَى كَيْفَ أَصِيرُ
ويشتد كَرْبِي وَالْجَوَى حِينَ أُسْهَرُ
ومها انْسَلَى جِسْمِي فَلَا أَتَغَيَّرُ
جَرِيحٌ سِهَامٍ وَإِلَيْهِ الْقَلْبُ حَائِرُ
ويُفْعَلُ رَبِّي مَا يَشَاءُ وَيَأْمُرُ

تَسِيلُ عَلَى خَدِّي دُمُوعِي كَأَنَّهَا
سَمِيرٌ غِرَامِي وَلَدَّ النَّارِ فِي دَمِي
دَعْتَنِي إِلَى قَاسِي هَوَاكِ ابْتِسَامَةً
جَمَالٌ كُنُوزُ الْأَرْضِ لَوْ قُدِّرَتْ بِهِ
جَفَا النَّوْمُ جَفَنِي حِينَ أَسْلَمْتُ مُهْجَتِي
أَبِيْتُ حَزِينًا سَاهَرَ الْجَفْنِ حَائِرًا
يزيد غِرَامِي لَوْعَةً كُلَّ لَيْلَةٍ
تَطُولُ اللَّيَالِي كُلَّمَا طَالَ هَجْرُهَا
أَنَا الْمُغْرَمُ الْمُضْنَى الْمَعْدَبُ فِي الْهَوَى
سَأَصِيرُ لَا أَشْكُو إِلَيْكَ صَبَابَتِي

حقيقة الحب

إرْحَمَ فؤادي فالعذاب حرامٌ
قالت وقد رفعتُ سُيوفَ جُفونِها
لا تحسبنَ الحُبَّ أمرًا هينًا
وسأستزِيدُكَ أنَّ في معنى الهوى
فهو البيانُ لمن أرادَ فصاحةً
وهو اللسانُ لمن تعذرَ نطقه
وهو البسالةُ والطهارةُ والندى
ويُعَلِّمُ العَيْنَ الكلامَ ونِعَمَها
ويهيئُ بالنفسِ البريئةَ ساجِدًا
وهو الذي شغلَ العواذلَ أمرُهُ

واصْبِرْ عَسَى تصفو لك الأيَّامُ
مني على عهدِ الغَرامِ سلامُ
فهو الذي خَضَعَتْ له الأعلامُ
سرًّا تَضيقُ لِفَهْمِهِ الأحلامُ
ولمن يخاطرُ في الدُّجَى الإقدامُ
ولمن تأهَّبَ للدِّفاعِ حُسامُ
وهو الأسى والكَرْبُ والآلامُ
لغةً يُفَضِّلُ فَهْمَها مَنْ هَامُوا
في عالمِ أحلامِها الأوهامُ
وإذا تمكَّنَ حارتِ الأفهامُ

الضاحك الباكي

ولمَّا التَّقِينَا والعَوَازِلُ والنَّوَى
فلم أَرِ رَوْضًا ضاحكًا مِثْلَ وَجْهَهَا
بِنَفْسِي من مَلَكَتْ زَمَامَ صَبَابَتِي
كَعَابٍ لَهَا فِي دَوْلَةِ الْحُسْنِ نَظْرَةٌ
قَوَامٌ حَوَى كُلَّ الْجَمَالِ وَطَلْعَةٌ
أَسْأَلُهَا: هَلْ تَضْحَكِينَ وَمَدْمَعِي
فَقَالَتْ وَقَدْ مَالَتْ بِهَا نَشْوَةُ الصَّبِيِّ
فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُهْدِيَ ابْتِسَامِي تَحِيَّةً
وَفَضَلْتُ أَنْ أَلْقَاكَ بِالطَّلْعَةِ الَّتِي
فَقَلْتُ: تَعَالَى نَسْتَرْقُ خُلُوةَ الْهَوَى
وَقَمْنَا وَقَامَ الطُّهْرُ يَحْرُسُ دَيْلَنَا
هِيَ الْعِفَّةُ الْعِصْمَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
تَبَاعَدَنْ عَنَّا كُنْتَ أَبْكَى وَتَضَحُكُ
وَلَمْ تَرَ مِثْلِي مَيِّتًا يَتَحَرَّكُ
وَلَا حَ لَهَا فِي رَفْعَةِ النِّجْمِ مَسْلَكُ
بِمَجْهَةِ أَبْطَالِ الضِّيَاعِمِ تَفْتَكُ
إِذَا مَا تَبَدَّتْ حُسْنُهَا يَتَمَلَّكُ
يَسِيلُ دَمًا مِنْ لَوْعَةِ الْوَجْدِ يُسْفِكُ؟
: خَشِيْتُ إِذَا جَادَتْ عَيُونِي تَهْلِكُ
لِيَهْدَأَ قَلْبٌ عَاشِقٌ مُتَوَعِّكُ
بِهَا كُلُّ قَلْبٍ مُغْرَمٍ يَتَبَارَكُ
عَلَى غَفْلَةٍ مِنْ عَادِلٍ يَتَشَكَّكُ
مِنَ الرَّجْسِ حَاشَانَا نَمِيلُ وَنُشْرِكُ
وَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَيْسَ لِلنَّفْسِ يَمْلِكُ

تغريدة

يا من سَطَا سَيْفَهَا المَاضِي على كَيْدِي
أَعَارِكِ السَّحْرُ ما أُولِيهِ من رَهَبِ
يا دُرَّةً سَحَرَتْ عيني محاسِنُهَا
أتذكرين الليالي السالفاتِ لَنَا
مَرَّتْ كطيفِ منامِ كَمْ صَبَوْتُ إلى
شَرِبْتُ فيها كؤوسَ الحُبِّ صافيةً
فَنَأْنُ وَجْهَكَ هَنَّنْتِي محاسِنُهُ
ملأتُ عيني بالحُسنِ البديعِ وَقَدْ
خلوتُ رَغَمَ العيونِ الراصداتِ لَنَا
تَهَمُّ نَفْسِي فيما فيه لَذَّتْهَا
طهارةُ الحُبِّ تسمو بالنفوسِ إلى
أَهْدَى الجمالِ إلى عينيكَ بَهَجَتُهُ
وزاد حُسْنُكَ نورُ البَدْرِ حينَ بَدَا
تَبَسَّمَ الوردُ في حَدِّكَ فانتعشتُ
وكان طيفُ المُنَى بالبِشْرِ مُبْتَسِمًا
تناثر الدرُّ واجتازت غواليه
دارت أحاديثُ شوقٍ بيننا فَسَرَتْ
سِحْرٌ تَمَلَّكَ قلبي فانشغلتُ بِهِ
سِرٌّ سَرَى في دِمَائِي فأنصرفتُ به
عيناك قد كاشفتُ قلبي بِغَايَتِهَا
ناجيتُ حَتَّى لمحتُ اللَّحْظَ حَنَّ إلى
نَجْوَى يُسَعِّرُهَا ما بيننا عَرَلُ
ما كنتُ أعلمُ أَنَّ الحُبَّ يفتكُ بي
حينئذٍ قَلْبِكَ للشكوى أباح دَمِي
يشكو الفؤادُ على آثارها لَهْفًا
يقول للقلب: إِنَّ الحُبَّ أَشْرَفُهُ

ما من خَلَقِي أَنْ أَشْكُو إلى أَحَدِ
وَضَمَّكَ الحُسْنُ ضَمَّ الرُّوحِ للجَسَدِ
وضاعَ مِنْ وَلَهِي في حَبِّهَا رَشْدِي
وليلةٌ لستُ أنساها إلى الأبدِ؟
دَوَامِهِ غَيْرَ أَنَّ الدَّهْرَ لم يُرِدِ
ونلتُ غَايَةَ آمالي يَدًا بيَدِ
وخلوُ تُعْرِكُ عَنِّي غيرَ مُبْتَعِدِ
أَسَلَّمْتُ لِلَّهِ أَمْرِي في مصيرِ غَدِي
وبت لا عدلا أَحْشَاهُ من أَحَدِ
لا شَكَّ فيه رضاءُ الواحدِ الصِّمدِ
عوالمِ الرُّوحِ بين السَّمْسِ والأَسَدِ
وأودَعَ الجفنَ ما أُوهِى بِهِ جَلْدِي
فأشعل النارَ في قلبي وفي كَيْدِي!
أزاهرُ الرُّوضِ في أثوابها الجُددِ
ترنو إليه نجومُ اللَّيْلِ من صَعْدِ
حصنَ العقيقينِ عن صَفِينِ من بَرْدِ
كأنها نغماتُ الطائرِ العَرْدِ
عن ألسنِ العَدْلِ أو عَن أعْيُنِ الحَسَدِ
عن عالمِ الأرضِ أو عَن مَطْمَعِ الجَسَدِ!
ووردُكَ العذبُ لم يَبْخَلْ بِرِيِّ صَدِي
نجواي فيه حينَ الحُلمِ والرَّشْدِ
ولو أَرَدْنَا سِوَى هَذَيْنِ لم نَجِدِ
ما بين مُنْسَجِمِ مِنِّي وَمُتَّقِدِ
وَرَوْعَةَ المَوْتِ أَدْنَى مِنْ فمِ لَيْدِ
حَتَّى يناديه صوتٌ: قَفْ ولا تَزِدِ!
ما جَرَّدَ النَّفْسَ من طَهْرٍ عن الرَّغْدِ

وَالطَّهْرُ خَيْرُ صِفَاتِ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ
كَنْزٌ يَدُومُ لِمَنْ وَفَى إِلَى الْأَبَدِ
وَأَيُّ سُمِّ نَوِي فِي ذَلِكَ الشَّهَدِ
لَوْ حَلَّ بِالْأُفُقِ لَمْ يُظْلِمِ عَلَى أَحَدٍ!
حِينَمَا وَكَمْ حَارِبْتِي النَّفْسُ مِنْ كَمَدِ
تَرَكَتُ عِنْدَكَ قَلْبًا غَيْرَ مُبْتَعِدِ
وَكَلَّمَا رُمْتُ إِخْفَاءَ الْهَوَى تَرَدِ
فَأَرْتَضِي لَوْعَةً قَدْ مَزَّقَتْ كَبِدِي
فَالْقَلْبُ آمَالُهُ دَوْمًا لِقَاءَ غَدِ!

صَوْتُ هُوَ الطَّهْرُ فِي نَوْرِ الْعَفَافِ بَدَا
سَلَامَةُ النَّفْسِ مِنْ رَجْسٍ يُدْنِسُهَا
وَاللَّهُوُ كَالشَّهَدِ حَلُوهُ فِي مَدَاقِنِهِ
أَرَى بَوَجْهِكَ بَدْرًا جَلَّ صَانِعُهُ
أَقْصَيْتُ نَفْسِي عَنْ وَرْدِ ظَمْنَتْ بِهِ
وَإِنْ نَأَيْتُ بِجِسْمِي عَنْ جَنَاحِ فَقَدِ
وَسَّتُ دَمُوعِي بِحُبِّ كَنْتُ أَكْتُمُهُ
مَا أَعْجَبَ الْحُبَّ يَدْعُونِي إِلَى تَلْفِي
يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ كُونِي لِلْوَفَا مَثَلًا

دلال

فيا ليتني بعدُ ويا ليتها وَجُدُ
أفكرُ أنّ القلب يُحرقُهُ الصَّدُ
وطَبَعُ الغواني لا يدومُ لها عَهْدُ
ولو حَبَّأْتُه بين أنيابها الأَسْدُ
وكم ذاب من إغرائها الحَجْرُ الصَّلْدُ
وإن رَضِيَتْ لم يُقَصَّ عن قلبها الحَقْدُ
من الوالِه الساعِي إلى حَنَفِهِ الشَّهْدُ
صَرِيحِ الغواني فالمنِيَّةُ والكَيْدُ
مهاةً سباني في محاسنِهَا القَدُ
وإن لَعَبْتُ في الماءِ خَالَطَهُ الشَّهْدُ
تغورُ زهورِ الرُّوضِ وابْتَسَمَ الورْدُ
وزاد وميضُ البرقِ واشتَبَكَ الرِّعْدُ
فتاهت بعينيها وقد حَجَلَ الحَدُ
إذا هي وفَّت ثم طاب لها العَهْدُ
وسرعان ما جارتُ وغيرها البُعْدُ
يزيد على مرّ الزمان ويَسْتَدُّ
عذابٌ، كؤوسُ الموتِ في فَمِهِ شَهْدُ
لذلك قامت بالتهاني لي الأَسْدُ

لقد هاجني وَجْدٌ بمن زارها بَعْدُ
وهَبْتُ الهوى قلبي البرىء ولم أكنُ
وأودَعْتُهُ من خَالَفَتْ شِرْعَةَ الهوى
مُحالٌ تُوفِّي عَهْدَهَا وتصونُهُ
تزول الجبالُ الراسياتُ لمكرِها
فإن حَقَدَتْ لم يَبْقَ في قلبها رِضًا
وإن عَشِقَتْ كانت أَسَدَّ صبايَةَ
كذلك أخلاقُ القيانِ فلا تَكُنُ
لقد فَتَنَتْ لُبِّي وقلبي وناظِري
إذا خَطَرَتْ في الرُّوضِ أَيْتَعَ زهرُهُ
وإن بسمتُ رَقَّ النسيمُ ونَوَّرَتْ
وإن عَبَسَتْ أجزى السَّحابُ دموعه
شَكَوْتُ لها حَبِّي ومُرَّ صبابتي
فعاهدتُها أنّي أدومُ على الوفا
وقد تَمَّ عَهْدُ الحَبِّ بيني وبينها
على أنّ حُبًّا أَشْغَلَ القلبَ في الصَّبِي
ألا قاتل اللهُ الغرامَ فإنه
بَعُدْتُ عن الغيدِ الغواني تعفُّفاً

بالله رفقًا

يا أُخْتِ أَقْمَارِ السَّمَاءِ مَحَاسِنًا
يا دُرَّةَ عَشِيقِ الزَّمَانِ جَمَالِهَا
عَيْنَاكَ سَاحِرَةُ الْجَفُونِ تَسَلَّطَتْ
إِنْ تَمْنَعِي نَبَلَ الْجَفُونِ فَقَدْ سَطَا
كَمْ مِنْ قُلُوبٍ قَدْ مَلَكَتِ قِيَادَهَا
يا نَظْرَةَ تَرَكَتْ بِقَلْبِي جَمْرَةً
هَذَا غِرَامُكَ قَدْ تَسَعَّرَ وَجْدُهُ
كَمْ كَابَدَتْ كَبْدِي لِإِبْعَادِكَ لَوْعَةً
بِاللَّهِ رَفْقًا أُخْتِ أَقْمَارِ السَّمَا

وَشَقِيقَةَ الْبَدْرِ الْمَنِيرِ سَلَامٌ
جَادَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِكَ الْإَيَّامُ
مِنْهَا عَلَى مُهَجِ الرَّجَالِ سَهَامُ
مَنْ حَاجِبِيكَ عَلَى الْقُلُوبِ حُسَامُ
عَقَدَتْ عَهْدَ غِرَامِهَا الْأَوْهَامُ
مِنْهَا تَأَجَّجَ فِي الْفَوَادِ غِرَامُ
فِي مُهَجَةٍ فَتَكُنْتُ بِهَا الْإِلَامُ
وَجَفَا جَفُونِي فِي هَوَاكَ مَنَامُ
تَعْذِيبُ قَلْبِي فِي هَوَاكَ حِرَامُ

كيف أصنع؟

بَدَا لِي بَرَقٌ مِنْ تَنَائِكَ يَلْمَعُ
فَأَصْبَحَ قَلْبِي فَوْقَ جَمْرِ مِنَ الْهَوَى
مَضَتْ لَيْلَةٌ لَمْ يَشْهَدْ الدَّهْرُ صَفْوَهَا
وَدَارَتْ كَوْوَسُ الْحُبِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
تَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ بِنَا نَشْوَةَ الْهَوَى
أَتَيْتُكَ لَمْ أَحْفَلْ بِلَوْحِ عَوَاذِلِي
تَذَكَّرْ عَهْودِي واحْتَرَمْ شِرْعَةَ الْهَوَى
فَهَذِي يَمِينِي تُوثِقُ الْعَهْدَ بَيْنَنَا
فَقَلْتُ لَهَا وَالِدْمَعُ مِلْءُ مُحَاجِرِي
رَضِعْتُ لِبَانِ الْحُبِّ مِنْذُ طِفُولْتِي
سَرَى الْحُبُّ يُزْجِي فِي دِمَائِي حَرَارَةً
وَلَوْلَا النَّوَى مَا حَالَفَ السُّهْدُ نَاطِرِي
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
يُسَاهِرُ جَفْنِي النَّجْمَ حَتَّى إِذَا بَدَا
كَسَانِي عَذَابُ الْبُعْدِ ثَوْبًا مِنَ الصَّنَى
طَوَالَ اللَّيَالِي مَكَّنْتُ عِلَّةَ الْهَوَى
كَفَانِي عَذَابًا مَا أُعَانِي مِنَ الْأَسَى
فَجَسَمِي مِمَّا شَفَّهَ كَادَ يَخْتَفِي
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ صَوْتِي لِأَنْكُرْتُ أَنْنِي
فَدَيْتُكَ مَهْمَا قَدْ نَأَى عَنْكَ نَاطِرِي
وَكَمْ وَشَتِ الْعُدَّالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
أَنَا الْعَاشِقُ الْمُضْنَى الْمُقِيمُ عَلَى الْهَوَى
عَقَدْتُ يَمِينِي بِالْوَفَاءِ وَهَا أَنَا
أَسْأَلُ غُيُوثًا مِنْ جَفُونِي تَهْمَعُ
وَعَيْنَايَ فِي رَوْضِ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ
بِأَمْثَالِهَا لَمْ يَحْظُ كَسْرِي وَتُبَّعُ
وَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذُلُّ وَيَخْضَعُ
غَرَامُكَ حَيٌّ لَيْسَ فِيهِ تَصْنَعُ
وَجِنَّتُكَ أَشْكَو مَا أَلْقَى وَأَجْرَعُ
وَكَمْ مِنْ فَوَادٍ شَفَّهَ الْحُبُّ يُخْدَعُ
وَهَذَا فَوَادِي مِنْ فَوَادِكَ يَسْمَعُ
وَقَلْبِي مِنْ وَجْدِ الْجَوَى يَنْقَطِعُ
فَصَارَ دَمِي يَجْرِي بِمَا كُنْتُ أَرْضَعُ!
يُسَعِّرُهَا هَجْرٌ طَوِيلٌ مُرَوِّعُ
وَمَا قَرَّحَ الْجَفْنَ الْمُعَذَّبَ مَدْمَعُ
يَطَارِدُ عَنِي النَّوْمَ كَرْبِي وَيَمْنَعُ
جَبِينُ الضُّحَى مِنْ نَوْرِهِ أَتَشَجَّعُ
لَهُ كُلُّ قَلْبٍ وَآلِهِ يَنْقَطِعُ
بِقَلْبِي فَأَمْسِي حَائِرًا يَنْتَزِعُ
وَمَا لِي سَوَى سُقْمِي وَدَمْعِي مُشْفَعُ
نُحُولًا وَنَفْسِي أَوْشَكَتْ تَنْشَعُ
إِذَا مَا النَّقِينَا وَاقِفٌ أَتَوَجَّعُ
فَطَيْفُكَ حَوْلِي مَا خَلَا مِنْهُ مَوْضِعُ
فَقَلْتُ دَعُونِي إِنْنِي لَسْتُ أَسْمَعُ
فَلَا تَطْلُبُوا مَا لَا يُفِيدُ وَيَنْفَعُ
عَدَوْتُ خِيَالًا يَا هَوَى كَيْفَ أَصْنَعُ؟

فاتنتي ارحمي

بالسيفِ أقسم لحظها
لا بُدَّ مِنْ حَرْبِ الهَوَى
لَمَعَتْ سِهَامُ جُفُونِهَا
وانقضَّ فائِكُ سيفها
يسطو على مُهَج لها
بِدَمِ القلوبِ تَحَضَّبَتْ
طعناتِ حدِّك أخضعتُ
لك صولةً قد حَكَمَتْ
يا لحظُ.. ألامُ الهَوَى
فَتَكُ الغرامُ بمهجتي
بالله فاتنتي أرحمي
السُّهُدُ لآزَمَ جَفْنُهُ

لما تَأَهَّبَ للقتالِ
بيني وأفئدة الرجالِ
لَمَّا تحركت النُّبالُ
كاللَّيْثِ يقتحم الرعالُ
ببريقِ لمعته اتَّصَلَ
يا سيفُ متناك والنصالُ
أفسى القلوبِ إلى الدلالِ
في مهجة الأسدِ الغزالِ
لم تُبْقِ للقلبِ احتمالُ
والبُعْدُ صيَّرني خيالُ
صَبًّا تَمَلَّكهُ الجمالُ
والوَجْدُ زادَ بِهِ اشتعالُ

إلى رقيب!

فَحُسْنُ الحِظِّ أَصْبَحَ من نصيبي!
وتظلمني بِالصَّاقِ العُيُوبِ
مرادك صِرْتِ في أَفْسَى الكُرُوبِ
لأنَّ اللهَ عَلَّامُ الغُيُوبِ
بعيدُ الشُّكِّ عن كلِّ الذُّنُوبِ
وَفَوْقَكَ حَاقَّتْ عَيْنُ الرِّقِيبِ
وحازِرُ وقفةِ اليومِ الرَّهيبِ
تجيبُ عليه في وقتِ عَصِيبِ
فإنَّ اللهَ سَنَّارُ العُيُوبِ
وظلمًا قد حَمَلْتِ على الحبيبِ
مزودةً بِالسِّنَةِ الخُطُوبِ
عمدتِ إلى مُنَاوَاةِ الكُذُوبِ
وما فكرتِ في بَطْشِ الحسِيبِ
ولم تكُ بِالمهذَّبِ واللِّيبِ
وقادتِ مُقَلَّتِيكَ إلى النحيبِ
وَأَنَّ البَغْيَ يَغْلِبُ في الحروبِ
وقد غفلتِ عيونُكَ يارقيبِ
تُسَعِّرُهَا مناجاةُ الحبيبِ
أرَقَّ من النسائمِ للقلوبِ
يدومُ من الشبابِ إلى المشيبِ
تُقَدِّمُهُ إلى صَدْرِ رحيبِ
وَدَمَعُ العَيْنِ في وَجْدِ رهيبِ
بِجَمْعِ السَّمْلِ في وقتِ قَريبِ

هباءُ ضاعَ كيدُكَ يا رقيبِ
تناصبني العداةَ بِغيرِ ذَنْبِ
ولما لَمْ تَتَلَّ بِالبَغْيِ مِنِّي
أراد اللهُ أَن ينجابَ كَرْبِي
عَلِمْتَ بِأَنَّ حُبِّي حُبُّ طُهْرٍ
فخالفتِ الضميرَ بِسوءِ قَصْدِ
فَحَفَّفُ ما استطعتِ أَذاك عَنِّي
سئسألُ في غَدٍ عن كلِّ هذا
فَدَعْ عنكَ الوشايةَ وَاجْتَنِبْهَا
تَوَعَّدتِ الحبيبةَ بِانتقامِ
فأرصدتِ العيونَ بِكلِّ فَحٍّ
ولما لم تَتَلَّ ما كنتِ تبغي
فلفقتِ الأكاذيبَ اختلاقًا
وكم حاولتِ فِتْنَتَنَا خِداعًا
وخانتُكَ المكائدُ ساخراتِ
فَمَتَّ كَمَدًا لِأَنَّكَ شَرُّ باغِ
خلوتُ مع الحبيبةِ في صفاءِ
ودارتِ بيننا زفراءُ وَجِدِ
وقد نَقَلَ الغرامُ لنا حديثًا
قلوبُ العاشقينَ لها حنانُ
يَلُدُّ لها العذابُ وكلُّ صَعْبِ
وودَّعني الحبيبُ ونازُ قلبي
فياليَتِ الزمانَ يَمُنُّ يومًا

أنت بدر

أنتِ بينَ العِيدِ بَدْرٌ
لكِ في عِينِكَ سِحْرٌ
قد حَوَى كَلَّ الجَمالِ
يَجْعَلُ الدنْيا خيالِ

* * *

يا جَفونًا قَلدَتْها
وَلِحاظًا أودَعَتْها
قوَّةُ السِّحْرِ السَّهامِ
أَيُّ الحُسْنِ الغَرامِ

* * *

يا مَهاتي إنَّ قَلبي
قد كَوَّنَهُ نارُ حُبِّي
ذابَ من طوْلِ البِعادِ
فاختَفى طيفُ الرِقاذِ

* * *

كُلُّ شَيْءٍ يا ملاكي
إن حَظي من هِواكِ
ما خَلَا حُبِّي يَهُونُ
كَيْفما شئتِ يَكُونُ

* * *

إنَّ عَفَوْتِ عن غَرامي
أو تَعَمَّدتِ مَلامي
فأَرَقْتُ جِسمي السقامِ
فَعَلَي الدنْيا السَلامِ

يا ليل

مَكَّنْتِ مِنْ قَلْبِي الْهُوَى وَوَقَعْتُ فِي أَسْرِ الْعَيُونِ
بِالنَّارِ يَكُونِي الْجَوَى بِالنَّبْلِ تَرْمِينِي الْجَفُونِ

* * *

يَا لَيْلُ فَبِكِ تَوَجُّعِي سُهْدِي تَحِيْطُ بِهِ الْهَمُومُ
يَا لَيْلُ دَامِي أَدْمُعِي تَرَّثِي لِحَالَتِهِ النُّجُومُ

* * *

يَا مَنْ تَمَلَّكَ حُسْنُهَا قَلْبِي فَأَوْدَعَهُ الْغَرَامُ
وَسَطْتَ مَوَاضِي لَحْظِهَا عَمْدًا فَأَبْعَدْتَ الْمَنَامُ

* * *

جَسْمِي سَرَى فِيهِ الْهُوَى وَالسَّقْمُ صَيَّرَنِي خِيَالُ
لَا تَمْنَعِي عَنِي الدَّوَا يَا مَنْ تَبْنَاهَا الْجَمَالُ

دمعي يخفف كربى

إن تنكري سوءَ حالى
سلى طوالَ الليالى
شَبَّ الغرامُ بقلبى
حاولت كتمانَ حُبِّى
يا ليلُ إن سقامى
ما حيلتِ فى هيامى
يا ليلُ فىك نحيبى
يا ليلُ أينَ طبيبى
دمعى يخففُ كربى
كم عذبَ الحبُّ قلبى
سهدى ووجدى وحزنى
لا شك تذهبُ عنى
أو تجهلى ما جرى لى
ما للسُّهادِ ومالى
والوجدُ فوقِ احتمالى
فأعلنَ الدَّمعُ حالى
لم تُبقِ غيرَ خيالى
يا سهدُ أخشى ملالى
ومدَمعى واشتغالى
يُعدُّ كأسَ الدوالى
يا جفنُ جُدْ بالبكا لى
وأشغلَ البُعْدُ بالى
وما أعد الهوى لى
إذا رضاك بدأ لى

تمنيت شهدك

لو كنت تذكر عهدك
يا من لك الحسن وخذك
تَعَجَّبَ الْوَرْدُ لَمَّا
والحسن تاه دلالات
يا جفنُ شاكي سلاحي
أشكو إليك جراحي
لو كنت تدري سهادي
ما كان مُرْكُ زادي
يا حبُّ عَذَّبَتْ قَلْبِي
لم أدر ما هو ذنبي
رُحْمَاكَ إِن فَوَّادِي
رضاك كلُّ مرادي
ما خفتُ والله صدَّك
لا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ
كشفت في الروض خدك
وأكبر العُصْنُ قَدَّكَ
أعدَّ للحرب جندك
فالقلبُ أصبح عبْدك
أو ذاق جفنك سهدك
وقد تمنيت شهدك
بالنارِ أَضْرَمْتَ وَجَدَكَ
كأنني كنتُ قَصْدَكَ
ما زال يذكرُ عهدك
فَوَفَّ لِلصَّبِّ وَعَدَكَ

لقاء على كأس

فالكأس من فضة والراح من ذهب
عيني فتاهت بها من شدة العجب
والخمر تذهب ما في النفس من ريب
تهتز أعطافها من نشوة الطرب
وتمنع القلب باليسرى عن الهرب
أسرع لقد أن وقت اللهو واللعب
وأطلقته بلا ذنب ولا سبب
ومن فؤادي لتلك الأعين النجيب
فؤاي مما تولى القلب من وصب
ترأف بقلب بنار الوجد ملتهب
وأن دمع جفوني غير منسكب
فكيف لو نظرت قلبي على اللهب
حشاي فعل دبيب النار بالحطب
تجوس صدرًا تبتدى آية العجب
قد شاغلته اللآلى فهى في لعب
وقد تفاخر فيها الحسب بالنسب
لما دهى القلب والعينين من كرب
ووسوس الظن أن الكأس لم تطب
لكنني لم أمكنها من الطلب
والنسر ضم جناحيه من الرهب
كيف اصطباري وقد صرنا على كذب
وكم سمعنا بها في مجلس الطرب
حساتها ما هوى بالطهر والأدب
إن الشراب يواسي قلب مكنتب
ترد طيف الأسى عن فكر مضطرب
أحفل بوقع سهام الظن والريب

إليك أم التداوي وأبنة العنب
قالت وقد أسفرت عن طلعة سحرت
وصير الراخ حديها موردة
تبسمت ودنت والكأس في يدها
تقدم الكأس باليمنى مدلهة
هذا الدواء الذي رد اللقاء لنا
وصوبت سهم عينها إلى كيدي
فقامت الحرب من عيني لوجنتها
كافحت حتى بدا لي الضعف وأنهزمت
وقعت في أسرها دامي الجراح ولم
ظننت بأن فؤادي لم يكن دنفا
لو لاحظت أدمعي تجري دما لبتكت
بيننا لواعج هذا الحب تفعل في
كانت أنامل يسراها بدت عما
تداعب الدر والياقوت لاهية
والكأس ما زالت اليمنى تقدمها
لما تباطأ ثغري عن تناولها
أحس قلب التي أهوى بمشغلتى
فحاولت أن ترد الكأس مسرعة
فانقض كفي على أعنامها رغبًا
يا عادة فتكت بالقلب نظرتها
أتجهلين بأن الخمر معصية
تروح باللب حتى ربما ارتكبت
قالت وورد الحيا قد زان وجنتها
ألا ترى أنها للروح منعشة
بعزمها اجتزت تيار الغرام ولم

وقد تعدى على قلبي فواحرَبي
إلى اقتفاء خيالٍ جدِّ في طلبي
صفراءَ رصَّعها عَفْدٌ من الحَبَبِ
فإنَّ غداً خافقاً لا بُدَّ من سببِ
مَنْ كادَ هَجْرُكَ يدنيه من العَطَبِ
والنومُ عن مُقَلَّتِي قد جدَّ في الهَرَبِ
وأنتِ مَشْغولَةٌ باللَّهْوِ واللَّعِبِ
مليكةَ الحُسْنِ عن أمِّ لها وأبِ
فإنَّ بعدتِ فما في العيشِ من أربِ
تأجُّ الطهارةِ عزَّ اليومَ كالذَّهَبِ!
يغيبُ كلُّ جمالٍ وهو لم يَعبِ
وعاهديني بأنَّ نَبَقِي على كَنَبِ
هوِّنْ عليكِ وخفِّفْ ثورةَ الغَضَبِ
واعملْ لرفعةِ شأنِ الطُّهْرِ والأدبِ

تمكن السُّهُدُ من عيني فأرقَّها
فقداني وَجُدْ قلبي غيرَ واجفةٍ
شاغلُتها ورفعتُ الكأسَ من يدها
لم أستطع كَتَمَ ما بالقلبِ من شَجَنِ
حبيبةَ القلبِ جددتِ الحياةَ إلى
هذا غرامي يذكي النارَ في جسدي
صبرت حِيناً على وَجْدٍ كَلِفْتُ بهِ
حتي قَضَى اللهُ أنْ أحظى بِقُرْبِكَ يا
أنتِ التي مَلَكْتَ قلبي بِعَفَّتِها
هذا هوَ الطُّهْرُ قد حيَّاك مُبْتَسِماً
إنَّ العَفَافَ جمالٌ لا يزول وَقدَّ
لا تَشْرَبِي الحَمْرَ بعد اليومِ فانتنتي
يا لائمي في هَوَى ذاتِ العَفَافِ كَفَى
وإنَّ دَنَا منك صَوْتُ النَّصْحِ فاصغ له

الجزء الرابع

أوبريت و أناشيد مدرسية

تاريخ السلم الموسيقي حنين الأرواح

(محاورة بين يوبال بن قابيل بن آدم عليه السلام مخترع الآلات الوترية والسلم الموسيقي (قبل الطوفان) وبين الحكيم اليوناني مخترع السلم الموسيقي (بعد الطوفان) — هذه القطعة التاريخية خيالية، وهي خاتمة رواية (حنين الأرواح) التي وضعها المؤلف.)

أوبرا

تَحْضُرُ رُوحَ يُوْبَالٍ أَنْعَامَ مُوسِيقِيَّةٍ مُشْجِيَّةٍ مِنْ آلَاتٍ وَتَرْيَّةٍ صُنِعَتْ بَعْدَ الطُوفَانِ. فَتَدْخُلُ الرُّوحَ مُسْتَفْسِرَةً عَنْ صَانِعِ تِلْكَ الْآلَاتِ وَعَنْ وَاضِعِ السَّلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ لِاعْتِقَادِهَا أَنَّ الطُوفَانَ مَحَا أَثَارَ هَذَا الْفَنِّ وَانْدَثَرَتْ آلَاتُهُ.

يوبال:

هَلْ يَقِينُ لَيْتَ شِعْرِي
مُنْذُ كَانَ الْفُلُكُ يَجْرِي
لَمْ أَعُدْ يَا قَوْمُ أَدْرِي
مَا أَرَاهُ أَمْ خَيَالٌ؟
بَيْنَ مَوْجِ كَالْجِبَالِ
أَنَّ لِلدُّنْيَا اتِّصَالَ

* * *

كَانَ جِسْمِي فِي أَمَانٍ
لَمْ يُعَيِّرْهُ الزَّمَانُ
تَحْتَ أَبْرَاجِ الْعُلَا
لَا وَلَا كَفُّ الْبِلَى

* * *

إِنَّ تَارِيخِي الْمَجِيدُ
كَانَتْ مِنْ عَهْدٍ بَعِيدُ
عَاشِقًا فَنِّ الطَّرْبِ
وَالنَّايِ الْحُنُونِ
الْعُودُ وَالْقَانُونُ
تلك آلات النغم

بَاعَثَاتُ لِلشَّجْنِ
كَمْ أَضَاعَتْ مِنْ أَلَمٍ
مُدْهَبَاتُ لِلْحَزَنِ
مُنْذُ أَلْفِ السِّنِينَ

إِنَّهَا صُنِعَتْ بِإيدي

* * *

يَا قَوْمَ قَدْ أَبْعَدَ الطُّوفَانُ مَا اخْتَرَعَتْ
فَكَيْفَ جَاءَتْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ مَا بَلَيْتْ
مَنْ ذَا الَّذِي أَخْرَجَ الْعِلْمَ الْعَجِيبَ لَكُمْ
مَوَاهِبِي ثُمَّ أَفْنَى مَا يَدِي صَنَعَتْ
أَثَارُهَا فِي بُطُونِ الْأَرْضِ وَأَنْدَثَرَتْ
وَمَنْ يَدَاهُ أُصُولُ الْفَنِّ قَدْ وَصَعَتْ؟

(يدخل الحكيم مبتكر السلم الموسيقي)

الحكيم:

أَنَا الَّذِي وَصَعَ النَّعْمَ
كَوْنَتْهُ مِنْ سُلْمٍ
وَأَعَادَهُ بَعْدَ الْعَدَمِ
بِأَدَقِّ تَنْسِيقِ رُسْمٍ

* * *

يوبال:

كَيْفَ ابْتَكَّرْتَ أَسَاسَهُ
وَتَشَرَّتْهُ بَيْنَ الْأَمَمِ؟

* * *

الحكيم:

لَقَدْ رَأَيْتُ خَيْالًا
يَقُولُ هَيَّا فَبَادِرْ
فِي شَاطِئِ الْبَحْرِ كَنْزٌ
إِذَا حَصَلَتْ عَلَيْهِ
قَدْ جَاعَنِي فِي مَنَامِي
إِلَى اسْتِمَاعِ كَلَامِي
مِنَ الْمَوَاهِبِ سَامِي
بَلِغْتَ أَقْصَى الْمَرَامِ

* * *

يوبال:

وَهَلْ أَجَبْتَ نِدَاهُ؟

الحكيم:

إِلَيْكَ مَا قَدْ بَدَا لِي
مِنَ الْفَضَاءِ رَيْنِنَا
مُلْتُّ مِنْهُ حَيْنِنَا
وَكَانَ سَمْعِي أَمِينَا
إِلَيَّ سِرًّا دَفِينَا
وَكَانَ كَنْزًا ثَمِينَا

سَافَتْ إِلَيَّ الْهَوَادِي
قَدْ كَانَ طَرَفًا وَلَكِنْ
مَشَى الْهُوَيْنَا لِسَمْعِي
دَقَاتُهُ قَدْ أَسْرَتْ
أُودَعْتَهُ فِي فَوَادِي

يوبال:

مَلَأَتْ رَأْسِي ظَنُونًا؟

مَاذَا سَمِعْتَ أَجْبِنِي

* * *

الحكيم:

صَوْتًا بِهِ قَلْبِي افْتَنَّ
نَ تَسَاوَتْ فِي الزَّمَنِ
وَضَاعَفْتَ عِنْدِي الْفُطْنَ
وَالْحِظْ بِالْوَقْتِ ارْتَهَنْ

سَمِعْتَ تَنْ تَنْ أَرْبَعًا
دَقَّاتُ مَطْرَقَةٍ وَسِنْدَا
قَدْ مِلْتُ مِنْهَا طَرْبًا
فَسَاوَرْتَنِي فِكْرَةَ

* * *

يوبال:

مَا نِلْتُ مِنْ ذِكْرِ حَسَنِ

قَدْ زِدْتَنِي شَوْقًا إِلَى

* * *

الحكيم:

وَسَمَوْتُ فِي جَوْ الْأَدَبِ
وَالنَّصْرَ يَرْفَعُ مَنْ غَلَبَ
مِقْيَاسَ صَوْتِ اللَّطْرَبِ
فِي قِطْعَتَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ

لَمَّا انصرفت إلى الطَّربِ
وَجْهْتَ تَأَقَّبَ فِكْرَتِي
فَصَنَعْتَ أَعْجَبَ آلَةٍ
ثَبْتُ سَبْعَ صَفَائِحِ

رَتَّبَتْهَا فِي وَضْعِهَا
أَطْوَالِهَا الْمُتَبَايِنَةَ
ضَبَطْتَ مَقَابِيِسَ النَّعْمِ
لِيَكُونَ مَحْفُوظَ النَّسَبِ
لِنَجَاحِهَا كَانَتْ سَبَبَ
وَبِذَلِكَ تَمَّ لِي الْأَرْبُ

* * *

يوبال:

قَدْ جِئْتُ حَقًّا بِالْعَجَبِ
وَوَخَّدْتُ عُشَّاقَ الطَّرَبِ

الحكيم:

نور الهداية قد أثار طريقي
إني ابتكرت من المعادن آلة
والحظ والتوفيق كان رفيقي
سميتها بالسلم الموسيقي!

* * *

يوبال:

إني ليسعدني النجاح وحسبها
أن تُوجِّتَ بالفوز والتوفيق

* * *

الحكيم:

تَمَشَّتْ إِلَيْهَا قُلُوبَ الشُّعُوبِ
لَقَدْ أَبْدَعَ الْفُرْسُ تَصْوِيرَهَا
وَهَدَّبَهَا الْعَرَبُ مِنْ بَعْدِهِمْ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِفَضْلِ الْعَجَمِ
فحازت رضاء جميع الأمم
بدر المعاني ونور الحكم

* * *

يوبال:

حديثك أنعش مني الفؤاد
فَرَدَّنِي سُرُورًا بِتِلْكَ الْهَمَمِ

الحكيم:

وثغر التهاني لها قد بسم
كبار النفوس كرام الشيم
فأوحت إليها بسر النعم
على النابغين جزيل النعم
فصيح اللسان، وأعيا القلم

سمت وارتقت وعلا نجمها
بما نالها من يد الفاتحين
تجلت على الترك روح الأغاني
وكانت تفيض هبات الملوك
وقد أعجز الفن في وصفه

الموسيقى والعليل

وَمَا أَلْقَاهُ مِنْ فَرْطِ الْهَزَالِ
وَأَسْبَحَ بَيْنَ أَمْوَاجِ الْخَيْالِ
وَضَاعَفَ مَا أُعَانِيهِ مَلَائِ
دَوَاءً غَيْرَتِ نَجْوَاهُ حَالِي
تَمَشَّتْ فِي دَمِي فَارْتَاخَ بَالِي
فَمَنْ أَلْحَانِكُمْ تَصْفُو اللَّيَالِي

كَأَنَّ الطَّبَّ أَعْيَاهُ اعْتِبَالِي
فَغَادِرْنِي أَجُوبُ ظِلَامِ يَأْسِ
بَحْتُ عَنْ الدَّوَاءِ فَعَيْلَ صَبْرِي
سَرَّتْ نَحْوِي النَّسَائِمُ حَامَلَاتِ
أَغَارِيْدًا وَأَنْغَامًا وَشَدْوًا
هَلِّمُوا أَطْرِبُوا سَمْعِي وَغَنُّوا

القطع الغنائية بقلم شجرة الدر

القطعة الأولى

يا طيورَ الرّوضِ غنّ
وابدُ يا حلّو التنتي
واملئني الدنيا سرور
بين منثور الزهور

* * *

جددي صفو الليالي
وانظمي دُرّ اللالي
يا عيونًا ساحرات
يا ثغورًا باسمات

* * *

يا ملاك الحبّ يا سرّ الحياة
أنت طيفُ الحظّ ترمي بالمنى
يا سميرَ القلبِ في نجوى مُناه
في ظلام اليأس أو نور النجاة

القطعة الثانية

أيتها البلبُ غرّد
أطربِ السمعَ وجدّد
فوق مياسِ الغصون
صوتك المشجي الحنون

* * *

في أغاريد الهنا والغزل

وأناشيد المنى والأمل

* * *

قد صفا وقتُ الأغاني
وازدهي عيدُ التّهاني
مذ بدتْ شمسُ الجمال
في علًا ذاتِ الجلال

* * *

درة عصماء حلت
هيبه الملك تجلت
في سما بُرج السعود
حين حيّاها الوجود

* * *

صُنْ حَمَاهَا فِي هَذَا الْمُلْكِ الْأَمِينِ

وَأَنْلِهَا مُشْتَهَاهَا يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ

* * *

يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ أَيَّامَ سَعْدِكَ أَقْبَلْتُ
فَاسْتَقْبَلِي الْمَجْدَ الرَّفِيعِ وَشَمْسَ مُلْكِكَ أَشْرَقْتُ

* * *

يَا دُرَّةَ النَّيْلِ الْفَرِيدِ هَيَّا إِلَيَّ ذُرَا الْعُلَا
يَا زَهْرَةَ الْوَادِي السَّعِيدِ وَعَطَّرِي مَجْدَ الْأُلَى

القطعة الثالثة

أَهَيْفَ الْقَنَا أَغْيِدُ رَنَا
فِي حَلَى الْهَنَا مَاسَ وَأَنْتَنَى
سَاحِرَ النَّظَرِ فَاتِنَ الدَّلَالِ

* * *

مَنْعَشَ الزُّهُورِ هَزَّهَ السَّرُورِ
مَخْجَلَ الْبِدُورِ كَوَكَبَ الْقُصُورِ
وَجْهَهُ الْقَمَرِ رَائِعَ الْجَمَالِ

* * *

شَفْنِي الْهَوَى طَبِيبَةَ اللَّوَى
وَالْقَلْبُ أَنْكُوَى قَدْ عَزَّ الدَّوَا
مِنْ طُولِ السَّهْرِ بِالسَّحْرِ الْحَلَالِ

* * *

وَأَفْسُ يَا سِهَامَ رُوحَ يَا سَقَامَ
مَا أَحْلَى الْغَرَامَ! وَاهْجُرْ يَا مَنْامَ

لو تَمَّ الوصال في صَفْوِ السَّمَرِ!

* * *

تِيهِي وانْعَمِي قد تَمَّ المنى
طِيبي واغْنَمِي أيام الهنا

يا ذات الجلال قد شاء القَدَر!

صحوة العلم ونشوة المال

الثري:

أَيْهَا الْبَلْبُلُ هَيَّا عَنْ لِي إِنَّ خَيْرَ الْعَيْشِ سَاعَاتُ الْهَنَا

الموسيقي:

جُدِّي يَا نَفْسُ آمَالِ الْمَنَى وَأَنْفِ عَنِ عَيْنِي يَا طَيْفُ الْعَنَا
هَا هُوَ النَّشْوَانُ مَنِّي قَدْ دَنَا فَاَنْتَصِرْ يَا فُنُّ وَأَحْكُمْ بَيْنَنَا

الثري:

مَنْذُ حَيْنٍ كُنْتُ أَهْوَى أَنْ أَرَى أَهْلَ الطَّرْبِ

الموسيقي:

أَنْتَ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ أَنْتَ فِي أَسْمَى الرُّتْبِ
أَمْطَرْتَ سَحْبُ الْغِنَى فَوْقَ كَفَيْكَ الذَّهَبِ
تُطْرِبُ النَّفْسَ وَتَلْهُو تَحْتَسِي بِنْتِ الْعَنْبِ
أَيَّ شَيْءٍ تَبْتَغِي حَيٍّ وَأَشْكُرُ مِنْ وَهَبِ

الثري:

بِالْمَالِ كَانَ غَرَامِي وَقَدْ بَلَغْتُ مُرَادِي
فَالْيَوْمَ أَصْبَحَ عِنْدِي لَا يَسْتَمِيلُ فُوَادِي

الموسيقي:

كُلُّ حَكْمٍ فِي الْوَجُودِ سَابِقٌ فِيهِ الْقَدْرُ
مَنْ دَنَا مِنْهُ السَّعُودُ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْكَدْرِ

الثري:

دَعْ خيالات الحياة وَأَغْتَمِّمْ وقتَ السَّمَرِ

الموسيقي:

كيف يَنْسَى القلبُ آهَ إنِ في الذكري العِبْرُ

الثري:

إني لأعجب أن تشتكي حبتك المواهبُ أسرارها
وفيك تكامل فنُّ الطربِ ومنك تقرب أهل الأدبِ

الموسيقي:

تدفق حولي بحرُ الفنونِ وأمطر فوقي سحبُ النعمِ
ومن عجب أني كلما نبغتُ أرى البؤسَ في احتكم

الثري:

غريبٌ على مسمعي ما تقول لأنَّ حديثك شيءٌ عجبٌ

الموسيقي:

بألذي أعطاك قل لي كيف يَنْسَى الأغنياءُ
أن في الأموالِ حقاً من حقوق الفقراء؟

الثري:

دع أحاديث الثراء! نحنُ في فنِّ الغناء!

الموسيقي:

لا يبينُ الحقُّ إلا حين ينجابُ الغطاء

الثري:

عشتُ في جوِّ السرورِ
أجنتني أشهى الزهورِ
بين آلاتِ الطَّربِ
من بساتينِ الأدبِ

الموسيقي:

متَّعتَ سمعك بالنَّغمِ
قل لي بحقِّك ما الذي
ورتعت في الرِّزقِ الجَزِيلِ
قدَّمتَ للفنِّ الجميلِ؟

الثري:

أرى فؤادي يحنو
أسعى إليها طروبًا
إلى سماعِ الأغاني
كأنَّ وحيًا دعاني

الموسيقي:

لعلَّ كفاك أسدَّتْ
للفنِّ بعضَ الأمانِي؟!!

الثري:

إنَّ بسطَ الكفِّ طبعُ
يعقبُ التبذيرَ فقرُ
من طباعِ المُسْرِفينِ
بئسَ حالُ النَّادِمينِ

الموسيقي:

إنَّ بذلَ المالِ جوْدُ
نعم أجرُ المُحْسِنينِ

الثري:

لم أجدُ يومًا بمالي
كنتُ أخشى سوءَ حالي
خفتُ من دُلِّ الهوانِ
لو بدا غدرُ الزَّمانِ

الموسيقي:

ليس للدُّنْيَا أَمَانٌ

اكتسب بالمال أَجْرًا

الثري:

سِرٌّ أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ

نلت من سحر المَعَانِي

الموسيقي:

جُدْ كما جَادَ الكرام
فعلَى الدُّنْيَا السَّلام

يا نصير الفنِّ هيا
لو منعت البرَّ عنا

الثري:

حتى أَنزَلْتَ طريقي
للعلم والمُوسيقى

كَلَّفْتَ نَفْسَكَ نُصْحِي
إِنِّي سَأَبْدُلُ مَالِي

مجد مصر

(١)

مذ بدت شمس الأمانى
مجد لا يبىد
ففى عفا الشعب المجد
فوق مجد لا يبىد

* * *

جدى يا مصر عهدا
خلدت علىاه ذكرا
كان من أبهى العصور
لم تغیره الدهور

* * *

فيه جاءت خارقا
أسفرت عن مذهشات
هنا آيات الفطن
بهرت عين الزمن

* * *

كنت للعمران كئرا
ولمجد الشرق عرا
سره العلم العجيب
ذكره دوما يطيب

(٢)

يا مصر أرضك تبرز
يجرى بسهلك نهر
واديك مهد العظا
عذب فسيح فرات

* * *

يا نيل مجراك تسري
ما دام ماوك يجرى
منه لمصر الحياة
فمصر دوما فتاه

(٣)

يا حمام النيل عن
مطربا حلو النشيد

في رُبَا الوادي السعيد

راق للغُصنِ التثني

* * *

أنت مصباحُ الشعوب

أيها الشعبُ المُفدَى

منه تهتَرُ القلوب

نُلتَ في التاريخِ مجدًا

صوت الضمير

آن تبيكيتُ الضمير
وانجلي ليلُ السرور
حينما حلَّ النَّدم
مُذْ بَدَا صَبْحُ الألم

* * *

اعتبر يا ذا الجُود
كلُّ شَيْءٍ في الوجود
إن في الذكري العِبْرُ
تحت أحكام القَدْر

* * *

ليس للدنيا أمان
إن من طَبَعِ الزمان
فهي مرآة العَجَب
ساعة الصَّفْو العَضَب

* * *

صحوةُ العمر خيالُ
لو دنا منه الزوال
بأسمٍ فيه الأمل
لم تُفدْ فيه الحيل

* * *

إنما الطيشُ هَوَانُ
فاحذروا كَيْدَ الحِسانِ
ساقَهُ سُوءُ الأَدبِ
واهجروا بِنْتِ العِنَبِ

* * *

انظروا آلام صَبِّ
واسمعوا أَنَاتِ قلبِ
عاش في اللُّهُوِ سِنينِ
رَاعَهُ فَرَطُ الأَينِ

* * *

حيث ضيعت الشباب
عش ذليلاً في عذاب
كن مدى العُمُرِ حزينِ
إن للذكري حنينِ

أناشيد مدرسية

(١)

إلى العلا	إلى العلا
بلُّغُوا مِصْرَ الْمُرَادِ	يا شباب النَّيْلِ هَيَّا
وارْفَعُوا مَجْدَ الْبِلَادِ	فاصْعَدُوا مَتْنَ الثَّرِيَّا
خَلِّدُوا الْمَاضِي الْعَجِيبَ	مِصْرُ يَا مَهْدَ الْأُوَالِي
فَوْقَ وَادِيكَ الْخَصِيبِ	شَيْدِي صَرَحَ الْمَعَالِي
فِي نَشَاطِ طَائِعِينَ	نَحْنُ لِلْعَلِيَاءِ نَسَعِي
كُلَّ أَوَّابِ أَمِينِ	وَالْإِلَهِ الْحَيِّ يَرَعِي
لِلنُّهَى نُورَ الْيَقِينِ	مَنْ سَعَى لِلْعِلْمِ أَسْدَى
لِلْمُنَى الْفَتْحَ الْمُبِينِ	نالَ تَوْفِيقًا وَأَهْدَى
مِصْرُ يَا ذَاتَ الْجَلَالِ	مِصْرُ يَا كَنْزَ الْعَوَالِي
وارْفَعِي شَأْنَ الْهَلَالِ	جَدْدِي عَهْدَ الْأُوَالِي
أَنْتَ أَمَلُ الْقُلُوبِ	أَيُّهَا الْوَادِي الْمَفْدَى
حَازَ إِعْجَابَ الشُّعُوبِ	قَدْ وَرَثْنَا عَنْكَ مَجْدًا
يَا مِصَابِيحَ الْحَيَاةِ	هَدِّبُوا النَّشءَ تَسْوِدُوا
تَغَنَّمُوا عَفْوَ الْإِلَهِ	وَأَنْشُرُوا الْعِلْمَ وَجُودُوا
فِي عُلَا الْوَطَنِ الْكَرِيمِ	إِنَّ بَدَلَ الرُّوحِ يَحْلُو
ذِرْوَةَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ	مَنْ أَرَادَ الْمَجْدَ يَعْלו
مِصْرُ يَا وَادِي الْكِرَامِ	مِصْرُ يَا كُلَّ الْأَمَانِي
يَوْمَ نَحْطِي بِالْمُرَامِ	حَقَّقِي عَيْدَ التَّهَانِي

(٢)

إلى العلا	إلى العلا
شَبِيبَةَ الشَّعْبِ الْمَجِيدِ	هَيَّا إِلَى رَبِّ الْعُلَا

وعطري ذكرى الألى
يا مصرُ يا أمَّ القرى
لا زلتِ عاليةَ الدُّرا
إنَّ المعارفَ لو سمَّتْ
وقتَ البلادَ وأودعتْ
بالعلمِ تنقأدُ المنى
هبنأ الثقافَةَ ربَّنأ
يا مصرِ يا ذاتِ السنأ
تفدي حماكِ فلوبُنأ
ها نحنُ أبناءُ الألى
أثارهُمُ رمزُ العُلا
فُمنأ لتتقيفِ النُّهى
للنفسِ في تَهذيبِها
ربَّ المشارقِ إنَّنأ
حقَّق لنا آمالنأ
أهلَ الثقافَةِ والهُدى
للعلمِ دُوموا سرَمدا
مصرَ الفريدةَ جددي
حيي بنيكِ ورددي

يا زهرةَ الوادي السعيدِ
يا ربَّةَ المجدِ العظيمِ
مهَّدَ الحصارَةَ والنَّعيمِ
أحيثُ مواهبُها القلوبُ
سرَّ التَّقَدُّمِ في الشُّعوبِ
طوعًا وينجابُ الظلامِ
حتى نرى نورَ السَّلامِ
يا كعبةَ العلمِ العجيبِ
وسبأبُنأ حتى المشيبِ
شادوا الصُّروحَ الخالِداثِ
شَهدتْ لَهُمُ بالمُعجزاتِ
والعلمِ مَطْلَبُهُ جهادِ
شأنُ لإصلاحِ البلادِ
نَسعى إلى نورِ الفلاحِ
وَأمنحُ أمانينا النَّجاحِ
أنتمُ مصابيحُ الحياةِ
ترعاكم عينُ الإلهِ
عهدَ السِّيادةِ وَالجَلالِ
ذكرى انتصاراتِ الهَلالِ

نشيد مدرسة خليل أغا

هَيَّا إِلَى طَلَبِ الْعُلَمَاءِ
سُدْنَا عَلَى كُلِّ الْمَلَأِ
يَا رَبَّنَا هَيِّئْ لَنَا
كُنْ عَوْنَنَا وَارْأَفْ بِنَا
هَبْنَا الْهَدَايَةَ إِنَّنَا
حَتَّى تَتَمَّ لَنَا الْمُنَى
الْعِلْمُ نَبْرَاسٌ بِهِ
مَنْ سَارَ فِي أَضْوَائِهِ
يَا مِصْرُ يَا أُمَّ الْفَرَى
يَا مِنْ لَهَا عَجِبَ الْوَرَى
هَا نَحْنُ أَنْبَاءُ الْأَلَى
فُئِمْنَا إِلَى صَرْحِ الْعُلَمَاءِ
خَيْرُ الْمَعَاهِدِ (دَارِنَا)
ظَفَرَتْ بِغَايَاتِ الْمُنَى
أَعْلَامُهَا أَسَدُوا يَدَا
وَبِفَضْلِ نَهَضْتِهِمْ عَدَا
مَنْحُوا التَّقَافَةَ حَقَّهَا
صَقَلُوا بِلِعْمِهِمُ النَّهَى
يَا مَنْ رَفَعْتُمْ شَأْنَنَا
أَرْوَاحَنَا وَقُلُوبَنَا
يَا صَفْوَةَ الْأَشْبَالِ قَدْ
حَيُّوا الْمُؤَدَّبَ وَاشْكُرُوا

فِي نَهْضَةِ الْفُوزِ الْمُبِينِ
حَمْدًا لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ
مِنْ أَمْرِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ
يَا مِنْ عَلَيْهِ الْأَعْتِمَادِ
نَسْعَى إِلَى نَشْرِ السَّلَامِ
فِي ظِلِّ آبَاءِ كَرَامِ
نَسْمُو إِلَى أَوْجِ الْفَلَاخِ
يَحْظَى دَوَامًا بِالنَّجَاحِ
يَا رَبَّةَ الْوَادِي السَّعِيدِ
أَثَارُ مَجْدِكَ لَا تَبِيدُ
خَضَعْتَ لِبَاسِهِمُ الْأَسْوَدِ
نَبْنِي كَمَا شَادَ الْجُدُودِ
أُولَى الْمَدَارِسِ فِي السَّبَاقِ
وَتَعَاهَدَا أَلَّا فِرَاقِ
لِلْعِلْمِ حُقَّ لَهَا التَّنَاءُ
سَيْرُ الْجَمِيعِ إِلَى ارْتِقَاءِ
وَسَعَوْا إِلَى نُورِ الْيَقِينِ
هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينِ
أَنْتُمْ لَنَا رُسُلُ السَّلَامِ
لَكُمْ الْفِدَاءُ عَلَى الدَّوَامِ
شَمَلْتُمْ نِعْمَ الْإِلَهِ
كَيْ تَغْنَمُوا صَفْوَةَ الْحَيَاةِ

نشيد مدرسة محمد علي

يا نشء للمجد هيا
إلى مناط الثريا
شادوا صرّح المعالي
تشدو بما للأوالي
لمصر في الدهر مجد
باق ولو طال عهد
بالعلم تحيا الأماني
يا مصر عيد التهاني
إنا نفوم الليالي
نرجو سماء المعالي
يا مصر تُربك تبر
يجري بسهلك نهر
يا ملهم الرشدي إنا
تقف نهانا وزدنا
خير المعاهد دامت
أعلام رُشدك قامت
يا قادة النصح نلتنم
تقفنمونا فكننم

قد لاح نجم السعود
إلى مكان الجدود
فوق الرّبا شاهدات
في مصر من ذكريات
مخذ لا يغيب
رمز أجال المهيب
بالعلم تسمو الشعوب
يوم أتلّف القلوب
في همّة وأجتهد
سعيًا لمجد البلاد
وإديك مهد العظام
عذب زلال فرات
نرجو الهدى والفلاح
علمًا وهيبًا النجاج
أنوارك الساطعات
نحو العلاء خافقات
بالعلم أسمى مقام
رسل الهدى والسلام

نشيد مدرسة عابدين

إلى العُلا
وَأَهْتَفُوا بِحَيَا الشَّبَابِ
خَلَدُوا الذِّكْرَ الْمُهَابِ
نحن أشبالُ الأُسُودِ
فوقَ وَايديك شُهُودُ
كلُّ آمالِ الشُّعُوبِ
مُدَّ تَمَلَّكَتِ القُلُوبِ
وَأَتَانَا الفَتْحَ المُبِينِ
يا إِلَهَ العَالَمِينَ
فَوْقَهُ غَيْثُ الحَيَاةِ
دَاعِيَ العَلِيَا دَعَاهُ
سِرُّ إِصْلَاحِ البِلَادِ
أَنْ لِلنَّشِءِ الجِهَادِ
فِي بَسَاتِينِ الخُلُودِ
مَنْ لَهُ كُتِبَ الشُّعُودُ
بِالْكُنُوزِ العَالِيَاثِ
عَرَمَ نَهَضَتِنَا ثَبَاتِ
بِالشَّبَابِ النَّاشِئِينَ
نَعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ

إلى العُلا
سَارِعُوا نَحْوَ العُلَا
جَدِّدُوا مَجْدَ الأَلَى
مِصرُ يَا كَلَّ المَنَى
هَذِهِ أَهْرَامُنَا
أَنْتِ يَا أُمَّ القَرَى
نَلْتِ إِعْجَابَ الوَرَى
هَبْ لَنَا مِنْكَ الهُدَى
نحنُ للذَّيْلِ الفِدا
رَوْضُنَا السَّامِي هَمَى
زَهْرُهُ لَمَّا نَمَا
إِنَّ تَهْذِيبَ النُّهَى
مُدَّ تَجَلَّتْ شَمْسُهَا
إِنَّمَا العِلْمُ الحَيَاةُ
خَيْرٌ مَا وَهَبَ الإِلَهَ
مَهْدَنَا الفَيَاضَ جُدَّ
صُنْ شَبِيبَتِنَا وَرِدَّ
قَادَةَ العِلْمِ اصْعَدُوا
لِلْمَعَالِي جَاهِدُوا

نشيد مدرسة القرية

إلى العِلا
لكلِّ مُجِدِّ سعى لِلنَّجَاحِ
حنانًا طريقَ الهُدَى وَالْفَلَاحِ
وهيَّءْ لَنَا مِنْكَ صِدْقَ اليَقِينِ
فَجِدْ بِالرِّضَاءِ عَلَى النَّاشِئِينَ
ويَبْعَثْ فِي النَّفْسِ رُوحَ الكَمَالِ
كَسَنَها التَّقافَةُ ثوبَ الجَلالِ
قريبُ التَّدانِي لِعِزْمِ الشَّبَابِ
أَدْلُوا الأَسودَ وَساقُوا السَّحابِ
وفوقَ الهِضابِ لَهُمُ مُعْجِزَاتُ
رِوَاسِي رَغَمِ البَلِي خالِدَاتُ
دوامًا من المَهْدِ حَتَّى المَشيبِ
سراجَ هُدَى نُورُهُ لا يَغيبُ
وَأَثْمَرَ فِي النَّفْسِ غَرَسَ العُلُومِ
تُبَارِكُ أَقمارنا وَالنُّجومِ
بدورَ الهِدايةِ رُسُلَ الحِياةِ
صعابُ الأمانِي بِفَضْلِ الإِلهِ
وَهَدَّيْتُمونا فَحَقَّ التَّنْاءِ
وفوزوا كرامًا بِخَيْرِ الجِزَّاءِ

إلى العِلا
تروقُ المَعالي وَتَصْفُو المَنى
فيا مُلْهِمَ الرُّشْدِ هيَّءْ لَنَا
إلى العِلْمِ نَسْعَى فَكُنْ عَوْنَنَا
لكَ الأَمْرُ وَحدَكَ يا رَبِّنا
سُمُو المَواهِبِ يُحْيِي النُّهى
مَنى تَمَّ لِلنَّفْسِ تَهْذِيبُها
إلى المَجْدِ سِيرُوا فَصَرِّحُ العِلا
هَلُمُّوا فَلَبُّوا نِداءَ الألى
لَهُمُ فِي بُطُونِ الثرى آيةٌ
لأثارَهُمُ فِي الوَرى مَنعَةٌ
تُفَدِّيكِ يا مِصرُ أرواحنا
فيا رَبَّةَ المَجْدِ كُونِي لَنَا
زهورُ المَنى فِي النُّهى نَوْرَتُ
وَسَمَسُ العِلا فَوْقنا أَشْرَقَتُ
رجالَ التَّقافَةِ أَعلامنا
صقلنَّمُ نُهانا فَلَانَتْ لَنَا
وَأرْشَدْتُمونا فِإلنا المَنى
فَدُومُوا لِرِفاعَةِ أوطاننا

نشيد مدرسة الشيخ صالح

إلى العُلا
أُولَاكَ بِالنَّعْمِ إِلَاهِ
وَأَشْكُرُ مَصَابِيحَ الْحَيَاةِ
يَدْعُوا إِلَى نُورِ الْفَلَاحِ
لَمَنْ أَعْتَلَى صَرْحَ النَّجَاحِ
وَقَفَّ عَلَى الْعِلْمِ الْمُنِيرِ
فَالِى عُلَا الْوَطَنِ الْمَسِيرِ
يَا رَبَّةَ الْوَادِي الْكَرِيمِ
سَعِيًّا إِلَى الشَّرَفِ الْعَظِيمِ
آثَارُهُمْ رَمَزُ الْخُلُودِ
نَبْنِي كَمَا شَادَ الْجُدُودِ
بِبَنِيكَ أَشْبَالَ الْأَسُودِ
عَلِيَاءَ مَجْدِكَ أَنْ تَعُودِ
تَرَعَاكَ عَيْنٌ لَا تَنَامِ
رَهْنُ الْجِهَادِ عَلَى الدَّوَامِ
وَأَكْتُبُ لَنَا الْفَوْزَ الْمُبِينِ
نَسْعَى إِلَى نُورِ الْيَقِينِ

إِلَى الْعُلَا
يَا مَعَهْدَ التَّعْلِيمِ قَدْ
فُزْ وَانْتَصِرْ وَأَغْنَمْ وَسُدْ
الْعِلْمُ نِيرَانُ الْهَدَى
يُهْدِي الْبَسَالَةَ وَالنَّدَى
يَا مِصْرُ عَهْدُ شَبَابِنَا
حَتَّى تَتِمَّ لَنَا الْمُنَى
يَا مِصْرُ يَا أُمَّ الْقُرَى
لِعُلَاكَ حَاصِمْنَا الْكَرَى
هَا تَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى
فَمَنَا إِلَى صَرْحِ الْعُلَا
مِصْرُ الْعَزِيزَةِ رَحْبِي
حَيِّي شَبَابَكَ وَأَطْلُبِي
أَنْتِ السَّعَادَةُ وَالْمُنَى
أَرْوَاحَنَا وَقُلُوبَنَا
كُنْ عَوْنَنَا يَا رَبَّنَا
هَبْنَا الْهَدَايَةَ إِنَّنَا

نشيد مدرسة مصر الجديدة

رَبَّنَا حَمْدًا وَشُكْرًا
كُنْ لَنَا عَوْنًا وَدُخْرًا
هَبْ لَنَا التَّوْفِيقَ دَوْمًا
وَأَمْنَا الْأَمَالَ عَزْمًا
صَنْ لَنَا الْأَبَاءَ عِزًّا
وَاجْعَلِ الطَّاعَةَ زَادًا
إِنَّ كَنْزَ الْعِلْمِ بَحْرٌ
لِلْعُلَا سَيْفٌ وَبَدْرٌ
اطْلُبُوا الْعِلْمَ دَوَامًا
مَنْ سَعَى لِلْعِلْمِ يَحْظَى
يَا كِرَامَ النَّسْءِ هَيَّا
وَارْفَعُوا فَوْقَ الثَّرِيَّا
نِلْتِ يَا مِصْرُ الْمَعَالِي
فَادْكُرِي عَهْدَ الْأَوْلِي
أَيُّهَا الْوَطَنُ الْمُفَدَى
عَزَّ مَنْ أَوْلَاكَ مَجْدًا
مِصْرُ يَا كُلَّ الْمُنَى
جَدِّدِي الْمَجْدَ لَنَا
إِنَّنَا لِلْعِلْمِ نَسْعَى
وَعُيُونُ اللَّهِ تَرَعَى
مَهْدُنَا مِصْرُ الْجَدِيدَةِ
دَارُ تَهْذِيبِ مَجِيدَةِ
قَدْ حَوَتْ أَتَقَى قُلُوبِ
رُوحِ آدَابِ وَعِلْمِ
يَا رِجَالَ الْعِلْمِ أَنْتُمْ
يَرْجِعُ الْفَضْلُ إِلَيْكُمْ

أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ
يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ
وَاهْدِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ
يَا بَصِيرًا بِالْعِبَادِ
إِنَّهُمْ رَمَزُ الْحَنَانِ
لِلْفُؤَادِ وَاللِّسَانِ
لَا يُهْدِدُهُ النَّقَادِ
نَشْرُهُ يُحْيِي الْبِلَادِ
فَهُوَ مِصْبَاحُ الْفَلَاحِ
بِالْأَمَانِي وَالنَّجَاحِ
صَافِحُوا نَجْمَ السُّعُودِ
مَجْدَ آثَارِ الْجُدُودِ
مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ
وَارْفَعِي شَأْنَ الْبَنِينَ
قَدْ وَهَبْنَاكَ الْحَيَاةَ
وَلْيُدِّمْ فَضْلُ الْإِلَهِ
نَحْنُ أَشْبَالُ الْأَسْوَدِ
فَوْقَ أَبْرَاجِ السُّعُودِ
بَيْنَ جِدِّ وَاجْتِهَادِ
كُلِّ مَنْ رَامَ الْجِهَادِ
مَعْهَدُ الْعِلْمِ الْمُنِيرِ
فَضْلُهَا فِينَا كَبِيرِ
مِلْوُهَا نُورُ الْيَقِينِ
فِي رِجَالِ عَامِلِينَ
لِلْهُدَى رُسُلُ السَّلَامِ
أَحْسَنَ اللَّهُ الْخِتَامِ

أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ
يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ

رَبَّنَا حَمْدًا وَشُكْرًا
كُنْ لَنَا عَوْنًا وَذُخْرًا

الجزء الخامس

مسرحية مترجمة عن تشارفس جارفيس

ربيبية الكوخ

أسهم الشاعر في الحركة الفنية في عصره بتأليف وترجمة بعض المسرحيات، وقد اخترنا هذه المسرحية المترجمة إلى اللغة الفصحى لتكون دليلاً على العمل الفني الذي كان يقدمه.

الفصل الأول

المنظر الأول

[غرفة بكوخ المطحنة بإحدى قرى برنستابل على نهر التو]

(مائدة حولها ثلاثة مقاعد. ليرا جالسة وفي يدها كتاب. تضعه)

ليرا: ما أهنأ هذه الحياة. وما أسعدنى بين هذين الشيخين الجليلين: والد كرس حياته لتهديب ابنته التى انقطع من أجلها عن العالم، وخادم أمين ما ترك لحظة من ثمين وقته إلا نفحها فيها بغوالى نصائحه. فليباركهما الله كما سهرنا على نعيمى. (تقف) أماه! أماه! أين أنت الآن؟ كيف تتركينى فى الربيع الأول من زهرة شبابى؟ يا ترى أين أجذك يا من أسأل الله لك الرحمة؟ أمي! أو ما علمت أن ابنتك تحن إليك كما لو كانت بين ذراعيك. إلهي؟ أين أجدها؟

آدون تشستر (يدخل): تجدينها فى شخصي يا عزيزتي. أنا أمك وأبوك، يا زهرة الربيع. فهل تشكين أماً؟

ليرا (تطوق أباها بذراعيها): كلا يا أبتى. إنما أراني أحن كثيراً إليها. وما خلوت بنفسى لحظة إلا رأيت خيالها الطاهر يبسم لى عن ثغر لعبت به يد البلى. وكثيراً ما شعرت بيمينها تمسح على شعري، كأنها تسألني الصبر على فراقها. فأشعر إذ ذاك براحة. وما هي إلا هنيهة حتى أفيق من خيالي، فأندب سوء حظي.

تشستر (يسقط على الكرسي): يا لها من ذكرى مؤلمة. ليرا!! (بمسح شعرها) تناسي تلك الشواغل. واطردي تلك الخيالات.

جرفت (يدخل): ها قد أحضرت الحطب يا مولاي. فهل من حاجة قبل أن أبدأ فى تجهيز الطعام.

تشستر: نعم. (ينظر إلى ليرا) نسيت نظارتي بجانب الكتاب الذي كنت أطالع فيه على المائدة. فهل لك أن تحضرها يا ليرا (ليرا تخرج).

جرفت! ما أصعب الدين. الدين هم بالليل ومذلة بالنهار.

جرفث: هون عليك سيدى. فر بما ارتفعت الأسهم التي لك فى الشركة، فتننظم لنا أسباب الحياة.

تشستر: هذا كل ما بقى لى من أمل. جرفث! إننى أريد الجريدة. فاذهب إلى پترال وسل جريلى أن تعطيكها، وبلغها تحيتى. (لنفسه) عسى أن يكون فيها تفريج كربتى.

جرفث: سأذهب حالا.

ليرا (تدخل): ها هي النظارة يا أبت.

تشستر: شكراً لك يا ابنتي (يقبلها ثم يقف) هيا بنا إلى الحديقة يا عزيزتى. (إلى جرفث) إنى منتظر.

ليرا (تبقى ويخرج تشستر): إلى أين يا جرفث؟

جرفث: إلى پترال.

ليرا: ولماذا؟

جرفث: لأحضر شيئاً لأبيك، يا عزيزتى.

ليرا: دعني أذهب بدلك، فأنت تعب كما يلوح لى..

جرفث: لا يا مس ليرا. فأنا لا أزال أشعر بقوة شبابي تتضاعف. ذلك لأنى أوقفتها على رعايتك.

ليرا: أنت تثق بحبي إياك. ولو كان فى وسعى أن أقوم بكل شئون المنزل ما توقفت عن ذلك لحظة.

جرفث: شكراً لعواطفك.

ليرا: وتعلم أيضاً أن سعادتى فى ركوبى القارب. فلماذا تمنعنى عن الذهاب إلى پترال حيث أعبى النهر، فأتسلى.

جرفث: ولكن ...

ليرا (تطوقه بذراعيها): لا تعاند من أحببتك.

جرفث: بارك الله فيك يا عزيزتى. سأذهب حالا لأعد لك القارب. (يخرج).

تشستر (يدخل وفي يده كتاب): هل ذهب جرفث يا عزيزتي؟

ليرا: نعم. ذهب ليعد لي القارب يا أبتاه.

تشستر: لك أنت، ولماذا؟

ليرا: لأنى سأذهب بنفسى لإحضار حاجتك من پترال.

تشستر: وهل تعلمينها؟

ليرا: لا. وهل عندي علم الغيب؟

تشستر (بوداعة): وكيف تحضرين ما لا تعرفين؟

ليرا: سأسأل جرفث متى ركبت القارب.

تشستر: ولم اخترت الذهاب بنفسك ومنعت جرفث؟

ليرا: لأنه تعب جدًا يا أبى. وأحب أن أساعده ليستريح قليلا.

تشستر: وهل يسعدك أن تخدميني يا ليرا؟

ليرا: هذا كل مناي يا أبى. هل تثق بخدمتي بعد ذلك؟

تشستر: حسنًا يا ليرا. إنى أريد الجريدة، فقد كانت مسز جريلى تعيرني إياها كلما أردت.

ليرا (تبتسم): نعم. (تشستر يجلس ويقراً).

أسمح لي أن ارتدي معطفي وقبعتي؟

تشستر: لك ما أردت (تخرج). ما أشد حبي إياها إنها لا تعرف شيئاً عن الدين. حسنًا فلنذهب.

ليرا (تدخل بالقبعة والمعطف على يدها): ها أنا ذي.

تشستر: إليّ كي أقبلك (يقبلها. تخرج. لنفسه) إن ذكرى الماضى تؤلم الشيخ. ثروة زالت، وزوجة طاهرة ماتت. يالهل كل ذلك! أو لم تكفني تلك المصائب، حتى أزرع تحت عبء لم أعوده من قبل! الدين! الدين! ما أصعب احتمال هذه الكلمة! بل ما أشد وقعها على سمعي! رحماك يا إلهي! (يدخل جرفث) هل ذهبت ليرا؟

جرفت: نعم.

تشستر: وهل علمت شيئاً عن سبب إحضاري الجريدة؟

جرفت: كلا. إنها لا تعلم عن العالم سوى شيئين.

تشستر: وما هما؟

جرفت: أولهما أنك أبوها. وثانيهما أنني خادمها الأمين.

تشستر: ما أسعدها، وما أشقاني!

جرفت: هون عليك يا سيدي.

تشستر: لتكن مشيئة الله إرض، أنت إلى عملك. وسأحضر إلى غرفة المائدة بعد أن تعود ليرا.

(يخرج جرفت. تشستر يعود إلى القراءة. بعد قليل ينظر في ساعته).

تشستر: عجباً لقد انقضت ساعتان ولم تحضر ليرا. كيف تأخرت إلى هذا الحد والمسافه لا تحتاج

إلى أكثر من نصف ساعة. (يقف ويسير نحو الباب) جرفت! جرفت!

جرفت (يدخل): بماذا يأمر مولاي؟

تشستر: لقد تأخرت ليرا. أليس كذلك؟

جرفت: لعل مسز جربلى ...

تشستر: دعته لتناول الغداء؟

جرفت: ولم لا؟

تشستر: ليس ذلك من عاداتها. وقلبي يحدثني بأن هناك سبباً آخر.

جرفت: لا أظن. فأنا أعرف قلب الطائر الذي أربيه.

تشستر: لقد داخلني الشك فى تأخرها. إذهب أنت إلى عملك. وسأستريح قليلا في مخدعي حتى

تحضر. (يخرج).

لورد أمتاريدج (يدخل مبلل الثياب وليرا معه تمسح الماء عنه بمنديلها، وفي يسراها الجريدة):

أظنني لم أفهم قوانين هذه اللعبة الغريبة.

ليرا: أية لعبة تعني؟

داين: لا أعني شيئاً وأسأل الله أن تكوني سالمة من كل أذى.

ليرا: نعم. إنى سالمة. ولكن ما الذي حملك أنت على الاستحمام بملابسك؟

داين: استحمام! (بدهشة) إنك سليمة النية يا حسناء.

ليرا (بوداعة): لست أفهم معنى ما تقصد.

داين (يعصر كُمَّ قميصه): إنك تعرفين ما يجول بخاطري، يا سيدتي. لقد ظهر لي أنك لم تكوني في خطر، ولكنك كنت تستغيثين.

ليرا: أنا؟ أوافق أنت مما تقول؟ إنني كنت أغرد لأدعب طيور الماء ... أهذه في عرفك إستغاثة؟

داين: تغردين، (بعجب) ما أشد وهمي!. لقد حسبناك تغرقين ... لذلك بادرت إلى إنقاذك بأن قذفت بنفسي في الماء قبل أن أفكر في خلع ملابسي.

ليرا: لقد أخطأ ظنك يا سيدي.

داين: مصادفة عجيبة.

ليرا (مبتسمة): أما أنا فكنت أظنك تغرق ... ولذا أسرعت لنجدتك بقاربي. وكنت أنت تحسبني أغرق فقذفت بنفسك لإنقاذي. فكلانا فعل الواجب عليه.

داين: لقد أصبحت مديناً لك بحياتي يا سيدتي.

ليرا (بنظرة شفقة وحنو): إنه ليسعدني أن أراك دائماً. إن بيتنا هو هذا الكوخ الصغير. أما أنا فأعيش بين شيخين: والد كريم، وخادم أمين..

تشستر (يدخل): لماذا تأخرت يا ليرا، وأين الجريدة؟ (دون أن يلتفت إلى اللورد).

ليرا: لقد أحضرتها يا أبي (مشيرة إلى داين). وقد أوشك أن يغرق.

تشستر (يتناول الجريدة.. إلى داين): أراك مبتل الثياب.

داين: نعم يا سيدي. ولولا ابنتك لكنت الآن من سكان جوف السمك.

تشستر (بدون اكتراث): أتحب أن تجفف ثيابك عندنا؟ (يتردد اللورد بين الشيخ وليرا ولا يتكلم).

ليرا (لداين): لماذا لا تقبل دعوة أبي؟

داين: قبلت دعوتك يا سيدي.

تشستر: تفضل فاجلس. (يجلسون).

داين: أقدم لك نفسي. أنا من أسرة أرمتايدج، واسمي داين.

تشستر: وأنا من عائلة تشستر، واسمي أدون، وهذه ابنتي ليرا، وهذا منزلي.

داين: إني أعرف بعض أفراد هذه الأسرة الكريمة.

تشستر (بلهجة حزن): أما أنا. فلم أرى أحدًا منهم منذ سنين، وكأني ألم من ذكر الماضي (إلى اللورد) إني سعيد بزيارتك.

ليرا: وأنا أيضًا أشارك أبي في هذه السعادة.

داين: شكرا، يا سيدي. وأنت يا منقذة حياتي.

تشستر: من أين أنت قادم، يا مستر داين؟

داين: من لندن للترويج عن النفس، ولقد صدق من قال: إن السفر قطعة من العذاب..

تشستر: وأين كان السفر؟

داين: إني قضيت أكبر شطر من حياتي في السياحة: فجبت فيافي أيسلنده وسهول روسيا، وغابات الهند وسيلان وجزائر الهند الشرقية والهند الغربية. وأواسط افريقية، وهضاب الكونغو والكمرون والحبشة، ومنابع النيل، والنيجر والمزون، والمسيبي وسانت لورنس؛ تلك المناظر التي تأخذ بمجامع القلوب، وكذلك زرت أعظم مدن أمريكا، واستراليا حبا في الوقوف على أخلاق الناس وشغفا بمناظر الطبيعة، ورغبة في الصيد والتسلية.

تشستر (يتقرس فيه بعد أن يصلح نظارته): وهل كنت تستطيع الوفاء بنفقات هذه السياحات الطويلة؟

داين: هذا سهل جدا، لأن والدي يدفع ما أحتاج إليه بسخاء.

تشستر (بإعجاب): إنه على ما يظهر واسع الثروة. وهل كنت سعيدا في سياحتك الأخيرة.

داين: بدون شك.

تشستر: وهل أنفقت زمنا طويلا في رحلتك الأخيرة يا مستر داين؟

داين: نعم يا سيدي، لقد قضيت فيها ثلاث سنين متواليات.

ليرا: وكيف كنت تصبر على فراق أبويك؟

داين: ليس لي غير والد شيخ، لا يترك القلم طرفة عين، وهو الذي حبب إلي السفر رغبة في تهذيب أخلاقي، ونمو معلوماتي، كي أتمكن من احتلال مركزه في المستقبل.

ليرا (بحزن): وأمك، هل فارقتك صغيرا كما فارقتني أمي؟

داين: نعم، تركتني في المهد.

ليرا: إنها... (يقاطعها الشيخ ليغير الموضوع).

تشستر: ومتى عدت من هذه الرحلة يا ضيفنا العزيز؟

داين: منذ شهر.

تشستر: هل رأيت الصين، يامستر داين؟

داين: كلا، لقد كان في نيتي أن أقضي شطرا من حياتي في الصين، واليابان، غير أن صديقا لي دعاني وأنا في كلكتا إلى سنغافورة احتفالا بعيد ميلاده فلبيت الدعوة. وكان الجو في سنغافورة حار جدا، ومع أن البلدة آية في الإبداع والرونق لم أتمكن من المكث بها سوى ثلاثة أيام، ولما عزمتم على العودة إلى برنامجي الأول، من زيارة بكين، ويوكوهاما، وطوكيو، حبب إلي صديقي تغيير هذا البرنامج، والإستعاضة عنه بزيارة منحدرات نياجرا في أميركا. ورأيت أن أوافقه إذا شاركني فيها فكان أنيسي في تلك الرحلة الطويلة. وما مالت الشمس للمغيب إلا وكنا على ظهر الباخرة.

ليرا: واعجبا! إنني لم أسمع مثل هذا الحديث من قبل.

تشستر: وهل رأيت أن صديقك كان محقا في وصفه، أم أنه أسرف في المبالغة.

داين: إن ما رأيته من جلال النظر كان أضعاف ما وصفه لي صديقي: رأيت الجبال هناك يعلوها الجليد الناصع البياض ورأيت، الينابيع ينحدر ماؤها من ارتفاعات هائلة، وشاهدت ماءها المتدفق وكأنه صيغ من سبائك الذهب، وقد تناثرت حولها قصور عشاق المناظر الجميلة.

تشستر: أنت شاهدت، إذا، أجمل مناظر العالم.

داين: تقريبا..

ليرا (لداين): أما أنا فلم أر غير هذا المكان، يا سيدي؛ ولم أعرف مخلوقا آخر غير أبي وجرفت ومسز جربلي جارتنا.

داين: ومن هو جرفت؟

ليرا: هو خادمنا الأمين.

تشستر: هل تسمح لي يا مستر داين أن أذهب إلى مخدعي لقضاء بعض العمل؟ (يقف).

داين (يقف وتقف ليلا): كما تريد يا سيدي.

تشستر: شكرا لك (يخرج).

داين (ينظر إلى ليلا بإعجاب): أرى كوخكم هذا أشبه شيء بصومعة ناسك. لقد انفرد بالجمال في هذه البقعة المنعزلة. مس ليلا! أتعيشين هكذا وحدك؟ إنها لعيشة جافة. ألا تشعرين بذلك؟

ليلا: لم أفكر في ذلك قط. فقد ألفت هذه الحياة منذ طفولتي.

داين: أليس لكم أصدقاء؟

ليلا: ما أظن أن لنا صديقا. أراك تستغرب كلامي، فهل هو غريب حقا؟

داين: لا داعي للغرابة، فيما أظن. ولكن أسعيدة أنت بهذه الحياة المملة؟

ليلا (ببساطة): لم لا أكون سعيدة؟ وكيف تصف هذه الحياة بالملل؟ أنت كثير الأصدقاء؟

داين: إنني كثير الأصدقاء. ذلك لأن أبي كثير الإختلاط بالناس. ألم تسمعي عن آستار منستر؟

ليلا: لم يرد على سمعي هذا الإسم قط. وهل تسكن أنت وأبوك بيتا واحدا؟

داين: أبي يسكن ستار منستر، أما أنا فدائم التنقل. إنه في عمل مستمر، وأنا في فراغ دائم.

ليرا: وهل هو راض عن ذلك؟

داين: كلا.. إننا في نزاع دائم: هو يريد أن أكون معه في مجلس النواب، أو على الأقل أن أخلفه فيه.

ليرا: ولماذا ترفض ذلك المركز العظيم الذي تتمناه النفوس؟

داين: لأنني لست من رجاله.

ليرا: وكيف اتفق ذلك وأنت في نضارة الشباب؟

داين: أميل بطبعي إلى الراحة والسكون. ولا أعشق في هذا العالم سوى (يتوقف) ...

ليرا: سوى ماذا؟ ما بالك تفكر؟

داين: سوى الرحلات والمناظر الجميلة.

ليرا: ولكن ألا تفضل ذلك المركز السامي على تلك الأمانى التي لا تلبث أن تزول؟

داين: ربما فكرت في ذلك فيما بعد.

ليرا: يظهر لي أن أباك من أركان هذا المجلس العظيم.

داين: كان عضوا في البرلمان قبل أن ينتقل إلى مجلس اللوردات.

ليرا: نعم، فهمت. فهو إذن لورد.

داين (يحنى رأسه): نعم. هو لورد آرل ستار منستر. ألم تطعي على شيء من أخباره؟ ذلك لأنه لاتخلو صحيفة في لندن من ذكر اسمه.

ليرا: لسوء حظي أنني لم أعود مطالعة الصحف. لكن لماذا يذكرون اسمه دائما؟

داين: لأنه من الوزراء، ومركزه يقترب بجميع الحوادث العظيمة. (يصمت) عفوا يا مس ليرا، فقد أتعبتك بهذا الحديث الممل.

ليرا (باحترام): لا مستر داين. ولكن عفوا لجرأتي. بماذا يجب ان أدعوك منذ الآن؟ نعم، لقد

اهتديت. لورد داين. (تتحني).

داين (بيتسم): أنا لا أود أن أسمع من هاتين الشفتين الجميلتين سوى داين فقط.

ليرا (بخجل): لك ما تشاء.

داين: هل تعلمت شيئاً من الموسيقى؟

ليرا (باستغراب): وكيف أعرفها، وأنا بين شيخين لا يتكلمان إلا عند اللزوم؟

داين: مسكينة أنت يا ليرا. والتصوير؟ وصيد السمك؟

ليرا: لا هذا ولا ذلك. وهل تصيد النساء السمك؟

داين: إنه من أذ متعهن. ولو كانت هناك قسبة لعلمتك الصيد في ساعة واحدة. فقد علمت ابنة عم لي (يتوقف) فنبغت فيه، ولكنها لم تستمر.

ليرا: لأنها ملت الصيد، أم ألهها شيء آخر عنه؟

داين: لا، بل خطر لها أن الصيد خطيئة. إذ بسببه يقع الظلم على الحيوان المسكين.

ليرا: وكيف خطر لها ذلك؟

داين: في العالم أناس كثيرون لا يأكلون ولا يشربون ولا يتحركون قبل أن يتساءلوا عما إذا كان في ذلك خطيئة. وثيودوسيا ... (يتوقف).

ليرا (تقاطعها): ثيودوسيا! ما أعرب هذا الاسم. لا شك أنه اسم ابنة عمك.

داين: نعم (يدخل تتسستر).

تتسستر: أرجو أن تعفون جرأتي لدخولي عليكما بغير استئذان.

داين (يقف): إن ذلك يضاعف سرورنا.

ليرا: إن سعادتي في أن أراك يا أبي. ألا توافقني على ذلك يا مستر داين؟

داين: وهل في ذلك شك؟

تتسستر: إنا نعتبرك صديقنا من اليوم. فلا تحرمنا من زيارتك كلما سنحت لك الفرص. وأنا على

يقين من أنك ستجد في كوخنا وما حوله من مناظر الطبيعة خير تسلية لك. أليس كذلك يا ليرا؟

ليرا: هذا يحتاج إلى برهان. وأنا أضم صوتي إلى صوت أبي، عسى صوتانا يجدان إلى قلبك سبيلا.

داين: إن لساني ليعجز عن وصف شكري لعواطفكما. وإني أهني نفسي بهذه الصداقة وأسأل الله أن تكون سبب هنائي (ينظر إلى ليرا) وتأكدي يا مس ليرا أنني لا أنسى ما لك علي من جميل. وإني أعدك ألا أترك فرصة تسمح لي بزيارتكما دون انتهازها (يقف) لقد مضى النهار، وأخاف أن يداهمني الليل. والطريق وعر. فأستودعكما الله.

تشستر (يقف): ألا يمكن أن تقضي معنا هنا هذا المساء؟

ليرا (باستعطاف): نعم، ألا يمكن؟

داين: كان يسرني ذلك جدا، لو لم أكن مضطرا أن أصل برنستابل الليلة لدواع مهمة، ويمكنني أن أراكما في صبيحة الغد.

تشستر: حسنا.

ليرا: صحيح هذا؟ أيمن أن أسعد بزيارتك غدا؟

داين: سأبذل قصارى جهدي. (يصافحهما) إلى الغد. وما الغد ببعيد.

تشستر: إلى الملتقى يا مستر داين، إنى على أهبة استقبالك غدا. (إلى ليرا) أنا ذاهب إلى غرفتي، وبعد أن تودعي ضيفنا العزيز ... (يخرج تشستر).

داين (يمسك يدها بيديه): أتظنين أن في صيد السمك خطيئة، كما تتوهم أترابك؟

ليرا: وما اخطيئة في ذلك؟

داين: إذا سأعود غدا لأعلمك الصيد، إلى الملتقى (يخرج).

ليرا: رعتك عين العناية. (لنفسها) ما أجمله! وما أرق حديثه وأعذبه! إنه لورد غني شريف، نعم إنه الابن الأكبر لأيرل استار منستر، وكفاه ذلك فخرا. (تتنهد) أما أنا، أنا ابنة الشيخ تشستر، رببيرة الكوخ. أه. أين هذا الكوخ الحقير من ذلك القصر الكبير؟ ولكن (بشمم) مالي وهذه الأحلام التي تسبح بي في عالم الخيال؟ كيف للأرض أن تساوي القمر في رفعتة؟ كفاني سعادة أن أهبط من

سما منزلته العالية، وقبل أن يتداني فيصادقني.. (تصمت) ثيودوسيا، ثيودوسيا. من هي. أه، إنها ابنة عمه، إنها صاحبة قصر وخدم، غنية ونبيلة. إنها متناسبان وميكافئان ثروة وجاها. ويلاه! ماذا أصابني! أحسد نعمة أسداها الله إلى غيري؟ إن هذا هو عين حماقة. ما أضعف قلب النساء! يجب أن ننتظر الغد... (تقف) وما الغد ببعيد. (تمشي إلى الباب وتخرج).

(تطفأ الأنوار. يتغير المنظر بغاية السرعة)

المنظر الثاني

(غرفة فاخرة بفندق برنستابل. جاك خادم الفندق يرتبها. الوقت ليلا)

جاك: ما أشد هوس هذا السيد! إن انتسابه إلى أسرة ارمتايدج لفلنة من فلتات الطبيعة! (يضحك) شاعر! (يضحك) شاعر مختل الشعور! لا يعي ما يكتب ولا يفهم معنى ما يقول، يسطو على قصائد جونز وبرونتج فيسرق ما يروق له منها وما أسرع ما يغير الغرض ثم ينسب ذلك الجهل إلى نفسه. (يضحك) ومن أقبح ما سمعت أنه يغني! (يضحك ثم يجلس) مسكين شاب، قوي غني غير أنه مرتبك العقل، ضعيف الإرادة، بليد الذاكرة. والأدهى من ذلك أنه جبان، سلبه الجبن كل علائم الشرف.. وهو فوق هذا وذاك رسام و... (يضحك) يدعي انه فنان يصور حقائق الأشكال. والحقيقة أنه يقلب المرئيات كما تفعل عدسة الآلة الراسمة.. (يضحك) فينقش بذلك صوراً لا يفقه ما ترمي إليه إلا هو وحده. (يضحك) ولكن مالي وجهله؟ الدينار هو هدفي. فما دام يحب الألقاب، ويعشق الظهور الكاذب، فسأملأ منه جيوبي ذهباً، وليس له إلا أن أقول: حضر السيد تشاندس. تقضل يا مولاي. الجميلة سألت عن اللورد. ما أجمل هذه الصورة! ما أبدع هذا الخيال! ما أطرب هذا للحن! ما أمتن هذا النظم! إني أسمع وقع أقدام، فمن الزائر يا ترى؟ لعله هو المعتوه. (يجري إلى الباب).

داين أرمتايدج (يدخل داين ومعه أدوات الصيد): أنت هنا يا جاك؟

جاك (ينحني): في خدمة مولاي.

داين: حسناً، خذ هذا إلى غرفتي الخاصة، وأعد المائدة.

جاك (يأخذ الأدوات): هل سيدي اللورد ضيفنا الليلة؟

داين: نعم. (يجلس، يخرج جاك. داين لنفسه) لقد وعدتها بأن أعود في الغد، وما أشد سرورها بذلك. مسكينة، ما أضيعها في ذلك المكان المنفرد! إنها تعيش كراهبة. تصبح وتمسي بين شيخين

يمثلان الفناء بأجلى معانيه. فما أقسى الدهر، وما أعجب أطواره. يجب أن ترى لندن. يجب أن ترى السعادة وترفل في لباس النعمة والهناء.

تشانديس (يدخل وفي يده ورقة وقلم): آه. ابن العم. هل أنت هنا يا لورد؟

داين (بازدراء): أي شيطان حملك إلى هذا المكان؟

تشانديس: شيطان! (يضحك) والله، يا ابن العم، إن من يسمعك الآن يحسبك غير راض عن قدمي.

داين: أو في ذلك شك! ألم تعهد في الصراحة؟

تشانديس: إذن فأنت لا تمزح؟

داين: ومن أدراك أنني أمزح مع المتهوس؟

تشانديس: أمتهوس أنا؟

داين: هذا ما لا يختلف فيه اثنان.

تشانديس (بحدة وهو يجلس): هذه بلاد حرة يا عزيزي، وهذا فندق عام. فما معنى احتقارك لي ونحن متساويان في الضيافة؟ بل يلوح لي أنني أكثر منك مالا.

داين: أنت يلوح لك كل شيء؛ لأن مكروب الخيلاء الذي يملأ فراغ رأسك، وإن كان بطئ العمل، إلا أنه دائم الحركة.

تشانديس: أنا أعتقد أنك تمزح. ولولا ذلك ...

داين (يقاطعه): لهاجت عواطفك (يضحك) أليس كذلك؟

تشانديس: دعنا من الجدال، فنحن يجب أن نكون أصدقاء، لأننا من عائلة عريقة ومن دم واحد فلا داعي إلى التفضيل.

داين: إن هذا لغريب، لقد تركتك في لندن أمس، فما معنى قدمك برنستابل اليوم؟

تشانديس: أتجول باحثاً عن الجمال.

داين (بهزاء): الجمال! ما أخف عقلك! وأية جميلة تعشقك؟

تشاندس: حقا إنك لا تعرف قدرتي يا ابن العم. ألم تسمع بقصائدي التي يتغنى الناس بها في جميع المنتديات؟ إن بعض الفاتتات الجميلات شهدن لي منذ شهر بأبني فقت مشاهير الشعراء.

داين (يضحك): إنك واهم..

تشاندس: أراك تتهكم، ذلك لأنك لم تتعلم الشعر، وإذا سمعته، فكيف يتأتى لك أن تصل إلى المعنى الذي يرمي إليه الشاعر؟ وإن وصلت إلى قشور المعاني، فهناك بون شاسع بين ما تفهمه أنت وما نتشبع به نحن الشعراء.

داين: شعراء! (يضحك) إنك لشديد التمسك بالفن.

تشاندس: لتترك الشعر لمن يفقه معناه، وما قولك في فن التصوير؟ ألسنت الآن من أمهر المصورين؟ والموسيقى؟ ألم أبلغ في الموسيقى منزلة لم يبلغها إنسان؟ صرح بأفكارك! تكلم!

داين (بتهمك): أهنتك بهذا النبوغ. وأسأل الله ألا يجعل شعرك وأحانك وتصويرك سببا في سقوط هذه الفنون الجميلة.

تشاندس: الفنون الجميلة! (ببله) ما أحسن هذا الوصف، وما أقدرك على حسن التعبير! إنك تنجح، إذا علمتك الشعر يا عزيزتي.

داين: كفى، يامعتوه. أتحسب أنك الآن محاط بلفيف من خفيفات العقول اللواتي يحسبن كل كلمة تقولها منزلة.

تشاندس (بسرور): كل كلمة أقولها منزلة. بارك الله فيك يا عزيزي. لقد أنعشتني بهذا الوصف الجميل.

داين (بحدة وغضب): أترك السفسطة يا أحمق، وأخبرني لماذا حضرت إلى هذا الفندق.

تشاندس: حضرت صباح اليوم لأرى مناظر الطبيعة حول ضفاف التو. ولقد شاهدت الغروب ونظمت فيه قصيدة، يا لها من قصيدة ترقص الطير لها في كبد السماء! أتحب أن أسمعك إياها! (يحاول القراءة) اسمع يا لورد.

داين: ما أنحس هذه الليلة، وما ألعن هذه المصادفة!

تشاندس (يطوي الورقة بغضب): إنك شديد التمسك بخرافاتك يا عزيزي داين. ولئن سألتني بعد ذلك أو توصلت إلي أن أسمعك شيئا فسأرفض بتاتا ضاربا بتوسلاتك عرض الحائط! أفهمت الآن يا

لورد؟

داين: لا بأس عليك (بضحك).. أنا أعرف أنك عند نفسك نابغة في كل شيء.. تشاندس: ولماذا تهينني، وأنت تعلم أن نبوعي هذا هو الذي جعلني كثير الكلام؟

داين: هون عليك.

تشاندس (بسرور): شكرا لك إني أحبك وأحترمك، يا لورد.

داين: دعنا من هذا، وأخبرني متى حضرت من لندن.

تشاندس: أمس، في القطار الأخير — وقد مررت بكاسل تروز.

داين: حسنا، أتعلم ماذا حدث لي ليلة أمس؟

تشاندس: لا أعلم شيئا.

داين (بغضب): دخل على خادمي ولفرد، وأخبرني أن امرأة تريد أن تراني.

تشاندس: امرأة! إنك لا شك لم تقابلها. فالمرأة الشريفة لا تزور الأشراف في مخادعهم ليلا.

داين: بل قابلتها رغم ذلك. فإذا بها فاتنة خلاصة المحاسن، وهي فوق ذلك في مقتبل الشباب.

تشاندس: سامحك الله يا عزيزي. وماذا يقول الناس عنك إذا ظهر الأمر؟ إن خادمك ولفرد..

داين (يقاطعه): لا. إني أثق بخادمي.

تشاندس: هذا صحيح. وماذا كانت ترجو هذه الحسنة من مقابلتك على أفراد؟

داين: حالما أبصرتني تفهقت مذعورة. وعندما قمت لأقدم لها مقعدا تستريح عليه، جعلت ترسل إلى أشعة محرقة من نظرها الملتهب وكأن وجهها قد غيرته المفاجأة. فبينما هي عندمية اللون، إذ بالصفرة تضرب على وجهها نقابا تنكمش للونه القلوب. ولما خرجت من الشك إلى اليقين اضطربت إضطرابا شديدا هائلا مريعا، ثم وضعت يديها على وجهها لتستر الخجل الذي تولاها، وهي تقول بصوت خافت ضعيف. أخطأت يا سيدي فاعف عني لجرأتي، ودعني أنصرف. ثم تمت قائلة: إنه ليس هو. وكأنها كانت تنتظر أمري لها بالإنصراف. بيد أنني عوضا من أن أستسلم للدهشة، فهمت أن لها أمرا خطيرا، فدفعتني الفضول إلى الإستمرار، عسى أن أقف على آلام تلك العذراء المسكينة. وأظنك لا تجهل نواذر الفتيات التعيسات اللواتي يلعب بهن طيش

الشباب.

تشانديس: مسكينة تلك المنكودة وهل كانت حكايتها مؤثرة؟

داين: ومدهشة

تشانديس: وأية صدفه عجيبة قادتها إليك؟

داين: إسمع. سأتم لك الحديث قلت لك إنها خجلت وأرادت الإنصراف. غير أنني منعته، مدفوعا بعامل الشوق إلى معرفة مصابها، عساي أن أجد سبيلا لمد يد المساعدة إليها. فامتقع لونها ونظرت إلي نظرة كاد يجمد لها الدم في عروقي، وأنت أنين الملسوع قائلة، والدمع يملأ محاجرها: إن شابا سطا على طهارتها ولكنه أخفي عنها اسمه، وبعد أن وعدها بالزواج أخلف وعده وجد في الهرب.

تشانديس: يا إله السماء إنه لدني سافل.

داين: نعم. دني سافل: وستدهشك جدا معرفته.

تشانديس: معرفته؟ أو أعرف أنا مثل هذا الوحش السفاك!

داين: لاتتعجل. فهو صديقك الذي لا ينفصل عنك طرفه عين، وأكثر بلاغة من هذا الذي يرافك كظلك فلا يفارقك حتى في مخدع نومك.

تشانديس: لا يفارقني حتى في مخدع نومي؟ أظنك واهم يا لورد. إذ أنه ليس لي صديق له عندي هذه الميزة.

داين: لقد خانتك ملكة الشعر هذه المرة ياأحمق. (لنفسه) ليس لهذا المعتوه الذكاء الكافي وأسفاه!

تشانديس: خاننتي ملكة الشعر؟ إن هذه ألغاز لا أفهمها.

داين: لا تفهمها؟ شيء عجيب!

تشانديس: يظهر أنني لم أعر كلماتك تمام الإصغاء. لذلك فاتني فهمها.

داين: ما دمت ضعيف الذاكرة، بليد الفكرة، سأفصح لك عن الأمر بكلمات أجلي..

إسمع: إن ذلك النذل السافل ترك عند الفتاة المسكينة منديلا مطرزا باسم عائلته.

تشانديس: يا له من أحمق. ولكن ما الذي قادها إليك؟ أبلغها أنك أحد القضاة فأنتك هالعة لتنتصر

لها؟

داين: لقد قادها إلي تشابه الاسم، أفهمت؟

تشانديس: أو كان هذا الوحش يدعى داين؟

داين: خست أيها النذل! (يقف) أرمتايدج يا جبان. اسم عائلتي الشريفة. إنك أهنتها بدناءتك.

تشانديس (بخوف): وهل قالت تلك المحتملة أن السالب لشرفها هو أنا؟

داين: أيجسر لسانك على الإنكار، وقد وصفتك من قمة رأسك إلى أخمص قدمك، ولم تترك برهاناً أقوى من دموعها؟

تشانديس (يثب من مكانه): ماذا تقول؟ أنا! ووصفتني أيضاً!

داين: مكانك يا أحمق، ولا تزد على فظاعة الجرم دناءة الكذب. فأنا أعرفك كما أعرف نفسي أيها القديس المنتكر.

تشانديس (بحدة): إنك تهينني يا لورد. ومن يدريك أن لهذا الموضوع شأننا آخر؟

داين: إن مثل هذه الحوادث لا تخلو من المبالغة. ولكني أرى هذه الحادثة خالية من المبالغات. (يقف) أنا داين أرمتايدج وريث أسرة أرمتايدج أتكلم الآن بالإنابة عن رأس هذه الأسرة: لورد أرل أستار منستر أمرك بما يأتي: يجب أن تجعل لهذه الفتاة قدراً شهرياً تتقاضاه منك.. من خزينتك الخاصة، ما دمت في عالم الأحياء.. بذلك وحده يمكن أن تصلح ما أفسدت، فتشتري شرف عائلتك بالمال.

تشانديس (يرتجف): ولكن.

داين (بغضب): لا أريد أن أسمع شيئاً غير القبول.

تشانديس: هدى من روعك، يا لورد، ولكن.

داين (يضرب الأرض بقدمه): لا تتردد، وإلا..

تشانديس: وإلا ماذا؟

داين (يهجم عليه): وإلا قذفت بك من هذه النافذة. أجب: أتقبل أم ترفض؟ لا بد من أحد الأمرين.

تشانس (بخضوع): قبلت.

داين (مشيرا بأصبعه إلى الباب): اخرج (يخرج تشانس متناقلا) إلى الشيطان!

الفصل الثاني

المنظر الأول

(طريق النهر. نور ضئيل. باكورة الصباح)

تشانديس (يدخل من طريق وروبرت رودن من الطريق المضاد): من الذي أرى؟ رودن؟ أنت هنا يا روبرت، وفي مثل هذه الساعة؟

روبرت: لورد تشانديس أرميتايدج في برنستابل؟

تشانديس: صدفة غريبة، ماذا تفعل هنا يا روبرت؟ ألم تزل من رجال الكنيسة؟

روبرت: لقد تركت الهياكل من زمن بعيد.

تشانديس: إذن، ماذا تصنع الآن؟

روبرت: أصنع؟ (باستغراب) حقا إنك لشاعر ايها الصديق. هل تحتاج حالي إلى ترجمان؟

تشانديس: اني لم أقابلك منذ عهد طويل. لذلك لا أعلم عنك شيئا.

روبرت: وفيم كانت تهكم مقابلي، وجيوبك مفعمة بالذهب؟

تشانديس: دعنا من هذا، واشرح لي حالك الان، وماذا تصنع؟

روبرت: قضيت زمنا طويلا أجوب النهار وأقطع الليل باحثا عما أسد به الرمق. وكثيرا ما كنت أفضيهما على الطوى فأعود وقد أنهكني التعب إلى بيتي الحقيير. (يتأوه) فأفترش بساط التعاسة. ولما ضقت ذرعا بحالي، وكبر علي ان أحتمل هذا الشقاء، رجوت صديقا كنت أتوسم فيه الخير أن يمد لي يد المساعدة بأن يجد لي عملا أيا كان.

تشانديس: وماذا قدم لك ذلك الصديق؟

روبرت: أجهد نفسه حتى وجد لي وظيفة صغيرة.

تشانديس: وأي وظيفة وجد لك؟

روبرت: معلم صبيان في مكتب صغير هنا.

تشانديس: لا تقطع الأمل، فربما كانت هذه المقابلة فاتحة السعادة.

روبرت: سعادة! انك سليم النية يا عزيزي! ألا يمكن أن تجد لي عملا عندك، وأنت واسع الثروة؟

تشانديس: سأفكر في موضوعك؛ ومتى وجدت عملا يليق بك، بعثت في طلبك.

روبرت: أشكرك يا صديقي. والآن هل تسمح أن تقرضني قطعة ذهبية. وإني أذكر أن لك عندي قطعتين من عهد المدرسة. (يضحك) لست إخالك تعتذر عن إقراضي.

تشانديس: كفى. (يضع يده في جيبه) تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن! إني في غاية الخجل يا روبرت!

روبرت: أيعتذر الغني الكبير السيد تشانديس وريث أسرة ارمتيايدج العظيمة عن إقراض قطعة ذهبية.

تشانديس: إنها الصدفة، يا روبرت. فليس معي الان سوى تحويل كبير سأصرفه متى عدت إلى مصرف برنستابل. وأقسم لك بشرفي أن أمر بمنزلك فأعطيك أضعاف ما طلبت.

روبرت: إني منتظر، فلا تنسى يا صاحب التحاويل. أنظر تحت تلك الربوة تجد بناء أبيض. هذا هو المكتب. أما منزلي فلا يبعد عنه كثيرا.

تشانديس: فهمت أنت ذاهب إلى المكتب الآن؟

روبرت: نعم. وأراني تأخرت قليلا. وأنت أيها السيد ماذا جاء بك إلى أرض غير أهلة بالسكان، وعهدي بك ميالا إلى الملاهي والظهور؟

تشانديس: قمت من لندن إلى برنستابل، وفارقتها بعد منتصف الليل قاصدا تلك الربوة الجميلة.

روبرت: من لندن إلى تلك الربوة (يضحك) حقا إنك لمدهش. إن من يسمعك الآن يتصور أن هذه الربوة إحدى هياكل الرمان.

تشانديس: إني أعشق المناظر الهادئة الجميلة.

روبرت: إن وقتي لا يسمح لي بأكثر من هذا. وأظنني تأخرت، فإلى اللقاء. (يصافحه) لاتتسى
وعدك!

تشانديس: لا تخف سأوفيه! (يصافحه). يخرجان كل من طريق. الصباح يزداد نورا. وتدخل ليرا من
الطريق الذي خرج منه تشانديس بالقبعة وعلى كتفها رداء أسود).

ليرا (لنفسها): كأن إله النوم يأبي أن يمس جفني بأنامله اللطيفة، وكأن سلطان الكرى قد كبر عليه
أن يرفق بضعفي. فأرقت طول ليلتي. وما سبب لي ذلك سوى وعده لي. ها هو الصبح قد انبلج.
فهل هو موف وعده، أم عاقه النسيان. (تصمت؟ تسمع وقع أقدام فتفرك يديها فرحا) ما أسعدني،
لقد حضر!

داين (يدخل من الطريق الذي دخل منه تشانديس وخرج منه روبرت ويده قصبه الصيد وسله بها
طعام):. صدفه جميلة! أنت على علم بساعة وصولي؟
ليرا: لقد أمحي إلى أنك ستبكر. وها قد صدق الوحي.
داين: ما أظهر قلبك!

ليرا (ببساطة): ما هذا الذي تحمله في يدك؟

داين: إجلسي. (ينزع الرداء عنها ويجلسان) هذه قصبه الصيد.

ليرا: إنها جميلة.

داين: وزادها جمالا أن مستها هذه اليد (يمسك بيدها).

ليرا: وكيف يتسنى لهذه القصبه أن تصيد؟

داين (يتهد): أنعمي النظر. هذه قصبه الصيد، وهذه العلبه بها الطعم.

ليرا: الطعم؟ وما معنى هذه الكلمه الغريبه؟

داين: الغذاء الذي يوضع في الخطاف الحديدي ليبتلعه السمك.

ليرا: وعلى ماذا تحتوي هذه السله؟

داين: خوف اشتداد الجوع، رأيت أن أحضر غذاء خفيفا.

ليرا: حسنا فعلت، يا لورد.

داين: دعينا من الألقاب الآن. وها أنا ذا سأبدأ بشرح الدرس. فهل أنت على استعداد؟

ليرا: إني كلي أذان صاغية.

داين: إن من كانت لها هاتان العينان الساحرتان، وهذا الوجه الصبوح، وهذه الوداعة النادرة لجديرة بأن تمثل أورانيا لدى قدماء اليونان. وهاتور لدى قدماء المصريين!

ليرا: ما هذه الأسماء الغريبة؟ أهذه من درس الصيد أم فاتحة لدروسه؟

داين (يتنهد): لا دخل لهذه الأسماء بصيد السمك، لأنها من دروس صيد القلوب!

ليرا (ببساطة): أصيد القلوب دروس؟

داين: نعم. وستدرسينها متى خفق هذا القلب (مشيرا بيسراه إلى فؤادها).

ليرا: إني لا أفهم هذه اللغة.

داين: ستفهمينها من تلقاء نفسك بدون معلم وبغير درس. إنما لكل شيء أوان.

ليرا: وكيف أتعلم درسا لم أتلقنه عن أستاذ؟

داين: إن الهوى أستاذ قوي الإرادة.

ليرا: الهوى؟ لم أفهم هذا أيضا. إني أنشق الهوى كل لحظة، ومتى أردت.

داين: هذا صحيح، (بسرور) إنك تتشقين الهواء. أما الهوى فشيء آخر (يتنهد).

ليرا: إنك أخرجت مركزي، وجعلتني أعتقد أنني بليدة، ضعيفة الفهم.

داين: أن جهلك بهذه اللغة لأكبر برهان على أنك أشرف ملك في هذا العالم. والآن سنبدأ درس الصيد. ومتى توالى دروسه. تعلمت من خلالها ما تشوقت إليه الآن.

ليرا: لقد زدنتي شوقا إلى الصيد.

داين (يمسك يدها وفيها القصبه): هكذا تبدئين الصيد. (يرمي الخيط).

ليرا: ولماذا تقذف بهذا الخيط؟ وما هي هذه العقدة التي أراها في وسطه؟ (ترفع القصبه) إني أرى

فيها قطعة من الغاب الخفيف.

داين (يمسك العقدة بيمينه ويضغط بيسراه على معصمها): أعيريني كل سمك الآن حينما تجلسين استعدادا للصيد، إبدئي بوضع الطعم في هذا الخطاف على هذه الطريقة. (يضع الطعم).

ليرا: وما فائدة هذا الخطاف الحاد؟

داين: إن السمكة لجهلها تزدرد الخطاف الملبس بالطعم ظنا منها أنه قطعة غذاء واحدة.

ليرا: مسكينة، أنت، ايتها السمكة!

داين: فما تلبث تشعر بأن الذي ازدردته إنما هو قطعة من الحديد حادة الطرفين، فتسرع في إخراجها ولكن يستحيل عليها ذلك فتحاول الهرب غورا في الماء، فيعوقها الخيط عن الهرب، ويكون الخطاف بهذه الحركة قد تمكن من أحشائها فمزقها شر ممزق.

ليرا: يا للفضاعة! هذه هي الخطيئة بعينها. فما أقسى الإنسان!

داين: هذا ما كنت أخشاه.

ليرا (بألم): إني لا أرى سعادة في الصيد.. لقد بدأ يخيل لي أن هذا الوحش الذي يسمونه الإنسان إنما خلق ليكون هولا وبلاء على فصيلة الحيوان.

داين: ولماذا؟

ليرا: ألم تقل إن في الصيد تسلية ولهوا؟

داين: ومن ينكر ذلك؟

ليرا: أنا. إذ كيف يخطر لقلب، مهما كان شعوره، أن يسر بهذا المنظر المريع، (بخوف) بينما تكون السمكة المسكينة تذوب ألما من أحشائها التي تتقطع في يد جلادها الخطاف؟ إني ضعيفة القلب، فلا تعجب مني، لأن هذا فوق مستطاعي.

داين (يتهد): حمدا لله، لقد بدأت تتعلمين لغة القلوب (يمس قلبها).

ليرا: ما زلت لا أفهم شيئا من هذه الرموز.

داين: ستفهمينها فيما بعد، ولنعد إلى تنمة الدرس، قلنا إنك تضعين الطعم أولا ثم ترمين الخيط في

الماء، فينتدلى لى منه ما بعد العقدة، وتسبح العقدة على وجه الماء، تروح وتجيئ طوع إرادته. ما بالك تنتهدين؟

ليرا (تضع يسراها على فؤادها): لا شيء، إني سعيدة جدا بحسن تعبيرك.

داين: وأنا أكاد أطير فرحا بهذه البشرى.

ليرا: وبعد أن تطوف العقدة على وجه الماء؟

داين: لا تلبث أن تهتز كأن يدا مرتجفة تجتذب الخيط إلى جوف الماء، وتتوالى هذه الحركة حتى تغوص العقدة دفعة واحدة، إذ ذاك تسرعين بإجتذاب الخيط، وبنعشك أن تخرجي بيدك الخطاف من جوف السمكة.

ليرا (بدهشة): أنا؟ إني أعتقد أن هذه وحشية، فكيف أقربها؟

داين: لقد أعدت على ذكرى ثيو... (يسكت فجأة).

ليرا: نعم. ثيودوسيا. (تنتهد فيرتفع صدرها وتمسح العرق من جبينها).

داين: يظهر أن جميع الفانتات ضعيفات القلوب، رقيقات العواطف، يعتقدن أن الصيد خطيئة.

ليرا: ربما كان ذلك.

داين: ولكني أقول إن هؤلاء فقط هن طبيبات القلوب. (يلقي القصبه) ألا تشعرين بالجوع؟

ليرا: أنا؟ لا أظن أنني أحتاج إلى شيء ما دمت معي.

داين: شكراً لهذه العواطف. (يتناول السلة) لا بأس من تناول شيء خفيف. (يفتحها ويخرج لقيمات بالجبين). تنازلي بقبول هذه مني.

ليرا (بحياء): شكراً يالورد.

داين: دعيني من يا لورد هذه الآن، فإني في خلوة لذيدة تشمئز من هذا اللقب. معي قليل من الشراب، أسمحين بشيء منه؟

ليرا: أنا لا أشرب غير الماء.

داين: والخمر؟

ليرا: يشربها أبي وجرفث، أما أنا فما تعودتها قط.

داين: إنها تحلو في مثل هذه الساعة.

ليرا: ولكني لا أحتسيها.

داين: ستحتسينها من يدي، أترفضين؟

ليرا (بخجل): كلا، ولو كان سمًا.

داين (يخرج زجاجة خمر وكأسًا واحدة): عوفيت يا عزيزتي، إنني أفخر الآن بصدافتك، وأكاد أحسد نفسي عليها. إنني أخجل أن أقدم لك خمر ستار منستر في مثل هذه الكأس الحقيرة. (يملاً ويناولها).

ليرا (تشرب): إنها لذيذة جدًا. (تناوله الكأس) أتشرب أنت في هذه الكأس أيضًا؟

داين (يتهد): كان يمكنني أن أحضر كأسين. غير أنني تعمدت إحضار كأس واحدة.

ليرا: ولم ذلك؟

داين: إن هذه الكأس قبل أن تمس شفثيك الجميلتين كانت لاتساوي شيئًا. أما الآن فهي تقدر بالملايين.

ليرا (تحني وجهها استحياء): وكيف ذلك؟

داين: أترك الحكم لقلبك، فهو أعدل شاهد وأصدق حكم.

ليرا (تضع يدها على قلبها وتتنظر إلى الأرض): لقد بدأت أفهم لغة القلوب. إنك مخلص، ياسيدي اللورد..

داين (يشرب الكأس): شكرًا لك يا إلهة الجمال. إنني لا أحب الألقاب في مجلس أنس كهذا. ليرا: اسمحي لي أن أسقيك كأسًا بيدي. (يملاً الكأس) ها هي ذي. (بضع الكأس على شفثيها ويسراه تطوق عنقها) إشربي..

ليرا (تأخذ قطرة صغيرة فتتهتز): كفاني الآن، فإني لم أتعودها.

داين: بالله عليك لا ترفضني. (يدني الكأس من فمها).

ليرا (باستعطاف): ياسيدي، تمد يدها إلى الكأس) سأشرب.

داين: بيدي لا بيدك.

ليرا (بخجل): أمرك (تشرب) كفى إنني لا أستطيع أكثر من ذلك.

داين (يلتصق بها): لأجلي. آه لو تعلمين (واضعًا يده على خدها).

ليرا (بخضوع): بحقك لا تحملني ما لا أطيق.

داين (يشرب مابقي في الكأس): لا بأس. فمن الذى يستطيع أن يصل إلى ما وصلت إليه؟ أراني أسعد مخلوق الآن.

ليرا: إنك تتكلم بلساني يا داين. ولكن بماذا أشعر؟ (تتأفف) أشعر أن الهواء بدأ يتغير، فأين معطفي؟ (تقف ويقف اللورد).

داين: هاهو يا ملاكي. (يمسك بالمعطف).

ليرا: عفواً، ياسيدي.

داين: بيدي يجب أن ترتديه.

ليرا: هذا فوق الواجب يا سيدي. وهل يتنازل اللورد بأن يضع الرداء بيده الكريمة على كتفي؟

داين: اللورد في القصور، أما هنا فأنا عبد.

ليرا: إن مقامك عظيم (ترخي يدها لتسحب الرداء) إنك أجهدت نفسك وأخجلتني (وهو يحاول أن يلبسها إياه).

داين (يطوق عنقها من الخلف ويقبض بأنامله على شفتيها ويدني فمها من فمه): آه ما ألد الهوى، وما أفسى الغرام! (يقبلها قبلة حارة).

ليرا (تتنفض وتدفعه عنها باحتقار): إليك عني. (تقف كالصنم شاخصة إليه).

داين (بخضوع): عفواً! معذرة! ليراء، ليراء، مالك لاتجيبين؟ (يدنو منها فتبتعد) إنني أحبك. ما كان يجب أن أعترف لك بغرامي الآن، وفي مثل هذه الساعة. ولكنه الحب. لم أقو على ضبط نفسي. (يدنو فتبتعد) أتخافين مني؟ إنني أفضل أن أموت على أن أخيفك. آه لو تعلمين! ليراء عفواً. لقد

أذنبت، فاغفري. ليرا. الرحمة! إنها نزعة الشيطان وطيش الشباب، فغفواً أيها الهيكل اللطيف.

ليرا (واجمة وصدرها يرتفع وهي تتكلم في معطفها): لا عفو.. ولا مغفرة. الوداع يا لورد!
(تتحني) لا أمل في أن تراني بعد الآن. (تعدو مذعورة، تخرج من الطريق التي دخلت منها).

(يسدل الستار لتغيير المنظر بأسرع ما يمكن)

المنظر الثاني

(غرفة بكوخ المطحنة، وبها جرفث جالساً يطالع).

ليرا (تدخل وترتمي على مقعد): ما أتعس حظي، ياليت أُمي لم تلدني! آه.

جرفث (يهرع إليها): ماذا أصابك يا زهرة الربيع؟ ويلاه! بالله لا تخفي عني شيئاً.

ليرا: لاشيء، بيد أنني قطعت مسافة طويلة على القدم. ولما كنت لم أعود ذلك فقد أنهكتني التعب.

جرفث: إنك بكرت شوقاً إلى تعلم صيد السمك فأين تركت المعلم؟ ولماذا لم يصحبك في العودة؟

ليرا (باضطراب): لقد ذهب.

جرفث: ولم الاضطراب؟ أحدث ما يزعجك؟

ليرا: كلا لم يحدث شيء (تتنهد) لقد ذهب ولن يعود أبداً.

جرفث: لا بد أن يكون في الأمر شيء. فهل لحقتك منه إهانة؟

ليرا: أتظنه وضيعاً حتي يقدم على إهانتني؟

جرفث: : قرأت في وجهه الشرف والأمانة. ذلك ما جعلني أسمح لك بالخلوة معه. ولكني لم أفكر في طيش الشباب. ليرا! إبنتي! إذا كانت قد بدرت لك بادرة سوء، فبماذا يعتذر خادمك الشيخ إلى ضميره إذا لم يرد الإهانة إلى صاحبها ناراً محرقة؟ ليرا (بشهامة) إني وإن كنت أدب على العصا، فإنني لا زلت أمام عدوك شاباً قوي الساعدين..

ليرا: هدّئ روعك. واعلم أنه قضى آخر لحظة من وقته الثمين بكل أمانة وشرف.

جرفث: ولماذا انصرف على عجل؟

ليرا: خاف أن يتخلف عن موعد الباخرة.

جرفث: باخرة! أيفارق لندن؟

ليرا (تتنهد): نعم، إلى اليابان. وقد أرسل أمتعته أول أمس، وسيلحق بها اليوم. (يسمعان صرخة شديدة من الخارج. تقف) إنني أسمع استغاثة. أنصت. إنه يطلب المعونة.

جرفث (يهرع إلى الباب): استريحي أنت، وسألبي نداء المستغيث.

تشانديس (يدخل متوكأ على الباب): آه، أظن أن ساقى انكسرت.

جرفث: يحمله (إلى مقعد) دعني أر.

تشانديس: لا تمسني. فالألم شديد. آه.

ليرا: مسكين! (بشفقة) اعتن به يا جرفث.

تشانديس: شكرًا لك يا سيدتي. (إلى جرفث) أرجوك أن تسعفني بجراح ماهر. آه!

جرفث (يفحص الساق): الأمر بسيط لا يحتاج إلى الجراح الماهر. إن قدمك مصدوعة فقط.

يشانديس: قدمي؟ (يتوجع) ساقى كلها يارجل. إنني أكاد أموت ألمًا — ويلاه إنني سقطت من هذه الرنوة الشامخة.

جرفث: ومن قال لك أن تقف على ربوة رملية ينهار رملها تحت أقل ثقل؟

تشانديس: من قال لي؟ آه، سل الذي خلق هذه المناظر الجميلة، لتكون خلوة للشاعر.

جرفث: عفواً ياسيدي، فالمقام لا يدعو إلى فلسفة. إنك تحتاج إلى عناية.

تشانديس: آه (لنفسه).. كل الناس لا يفهمون.. أسعفني بربط ساقى. (يتوجع) أرجوك.

جرفث: انتظر قليلا (يخرج).

ليرا: هدى من روعك، فستستريح حالا. (لنفسها) مسكين.

جرفث (يدخل ومعه اربطة من الشاش): ها قد احضرت لك ما يلزم.

تشانديس: اسرع، بالله عليك.. آه!

جرفت (بيدأ بالربط وتساعده ليرا): لا تخف. لا تتألم.

تشاندس: او اه لا تضغط.. كن رحيماً.. آه بالله عليك.

ليرا: تجلد ياسيدي، فسيزول الألم.

جرفت: انتهى.

تشاندس: آه إني في غاية الألم.

ليرا: إنك رجل فيجب أن تتحمل الألم مهما كان.

تشاندس (بغرام): إنك ملك هبط من جنات الخلد.

دون تشستر (يدخل): ماذا أرى؟ من هذا؟ أين معلم الصيد؟ (يقف مبهوراً).

ليرا (تتنهد): أتسأل عنه ياأبي؟

تشستر: نعم أين هو؟ ومن هذا الذي يتألم؟

ليرا: رحل إلى اليابان — وهذا كان يستغيث فأغثناه.

تشستر: إلى اليابان؟ حسناً. (بعد قليل) وهذا، ماذا أصابه؟

تشاندس: لقد كسرت ساقى ياسيدي.. آه!

تشستر: لعلك أحسن حالا الآن.

تشاندس: نعم أشعر ببعض الراحة. (يتوجع).

تشستر (يجلس): من أنت! وما سبب هذا الحادث؟

تشاندس: أنا جوفري بارل (يغير اسمه)، مولع بالنظم والموسيقى والتصوير، وولعي بهذه الفنون الجميلة سبب لي ما حدث.

تشستر: وكيف اتفق ذلك؟

تشاندس: شوقاً لمراقبة شروق الغزاة، وحباً في نظم قطعة فنية، حضرت من لندن، وعلوت ربوة رملية. وبينما أنا سابح في بحر الخيال. زلت قدمي، وانهارت الرمال، فهويت. آه!

تشستر (بضحك): إذن فأنت تجيد النظم، يا مستر بارل.

تشاندس: نعم. والموسيقى والتصوير. آه!

تشستر: يظهر أنك بلغت غاية هذه الفنون.

تشاندس: ألم تقرأ شيئاً من نظمي؟ ألن تسمع مقطوعة من الحاني؟ (يتألم) ألم يقع نظرك على صورة من رسمي؟

تشستر: كلا. لم أر، ولم أسمع.

تشاندس: آه لقد فاتك الحظ الأوفر. ولكني أتمس لك العذر. ذلك لأنك في عالم آخر غير عالمنا.

تشستر: إني أحمد الله الذي أقصاني عن عالمكم (يقف) كن مستريحاً فإني لا أحب أن أزيدك الماء.

تشاندس: أرجو سيدي أن يسمح للمس ليرا بالبقاء هنا لمساعدة هذا السيد (مشيراً إلى جرفث).

تشستر (يمشي إلى الباب)، (إلى ليرا): اتسحين بالبقاء ياعزيزتي لتسليّة ضيفنا غير المنتظم الحواس؟

ليرا: ومتى تسمح لي أن أفارقه؟

تشستر: متى سئمت هذيانه. جرفث! جهز الغرفة الشرقية وانقله إليها متى طلب الراحة (يخرج).

ليرا: حسناً، سأفعل.

تشاندس: شكراً لك يا سيدي، وأنت يا سيدتي.

جرفث: سأقوم بهذا يا مولاي.

ليرا (تجلس وتطالع في كتاب): ياترى أين هو الآن؟ (بصوت منخفض) وهل ذهب إلى غير عودة؟ (تتوجع).

تشاندس (لنفسه): إنها تتألم. (إلى جرفث) هل تسمح لي بشربة ماء!

(جرفث يقوم. يخرج)

تشاندس (يلتفت إلى ليرا): سيدتي، هل يؤلمك وجودي؟

ليرا: وكيف تتصور ذلك؟ إنه ليسعدني أن أراك بكامل صحتك وعقلك.

تشانديس: بكامل عقلي؟ شكرًا لك يا حسناء. إن جمالك أنساني ما أنا فيه من الألم، وهام بي إلى العالم السماوي، ويروق لي أن أنظم الآن (بيحث عن مفكرته وقلمه) إنني فقدت مفكرتي.

ليرا (تضحك): الحمد لله.

تشانديس: أتحمدن الله على فقد مفكرتي، وقد خسرت بفقدتها كل شيء؟

ليرا (بسخرية): إن وجود مفكرتك الآن يضاعف ألامك، فخير لك أن تفقدها.

تشانديس: إنك لا تحبين لي الخير، فما سبب ذلك؟

ليرا: إنك سابح في بحر خيالك.

تشانديس: أتوهم كل شيء. (يتوجع) دعينا من هذا، واخبريني. هل تشعرين بوحشة في هذا الكهف المنعزل؟

جرفث (يدخل بالماء ويسمع السؤال الأخير): تفضل يا حضرة الفيلسوف، وسأجيبك أنا على هذا السؤال.

تشانديس (يرتجف): جوزيت خيرًا. (يتأوه).

جرفث (يسترد الكأس ويجلس): كيف تشعر المس ليرا بوحشة، وهي بين شيخين أوقفا البقية الباقية من حياتهما على حراستها وحمايتها وبذلا قصارى جهدهما في دفع الأذى عنها؟

تشانديس: نعم، فهمت، فاعف عني.

جرفث: لا بأس عليك. فما دعاك إلى هذا إلا ميلك الشديد إلى حب الاستطلاع، شأن الشاعر.

تشانديس: هذا صحيح، وإنني لتعجبني منك هذه الشهامة.

جرفث: هاهي مولاتي زهرة الربيع تقوم بحاجتك حتى أعود. (يخرج وفي يده الكأس).

تشانديس (لنفسه): زهرة البيع ما أبهج هذا الاسم! إنه لينطبق عليها تمامًا (لليرا) إنل تشبهين عصفورًا في قفص يازهرة الربيع باعتزالك العالم المتمدين والحياة الصحيحة. (يلتفت خائفًا من جرفث).

ليرا (غارقة في بحر الفكر): ياترى أين أنت الآن؟ (غير ملتفتة إليه).

تشاندىس: أراك منشغلة عن كلامي، وكأنك تسبحين في عالم غير هذا العالم، ياسيديتي.

ليرا: أتظن أن مخلوقاً يخلو من الهم؟

تشاندىس: أنا خال من كل هم وحياتي لا يشوبها كدر ولم أعرف القلق (يتوجع) ولكن لا، إنك صادقة أيتها الحسنة. إنني بدأت أشعر أن قلبي يدق. فلي الشرف أن أقدم نفسي فداء لك إذا احتاج الأمر.

ليرا: شكرًا ياسيدي. إنني لا أحتاج إلى مساعدة إنسان. هل تحب أن تذهب إلى المخدع الذى أعدناه لك لتستريح؟

تشاندىس (بتأوه): وما الداعي للعجلة، وسعادتي في أن أكون معك؟

ليرا: لم أفهم معنى ما ترمي إليه.

تشاندىس: أنت ايتها الروح اللطيفة، لم تخلفي لتعيشي هنا، بل حيث يتجلى ضوءك بين من يعرفون معنى النور.

ليرا (تتأفف): كفى ياسيدي. (تقف).

تشاندىس (يحاول الوقوف فتساعده إلى غرفته): إنك لأظهر ملك وقع عليه نظري حتى الآن. آه (يتوكأ على ذراعها) ليرا!

ليرا: : شكرًا. (تساعده حتى يخرجان. ثم تعود فترتمي على المقعد). آه؟ يالهي إنه ذهب غاضبًا. لم أكن أعرف قبل الآن ما الهوى. أواه! إنه يحرق الفؤاد (تتوجع). ما أقساك أيها الإنسان الظالم لنفسه. أيها الحبيب الذى لا أعلم عن مستقره شيئًا. ترى أين أجذك؟ هل يزورك طيفي، كما لا يفارقني خيالك؟ وهل لا زلت على عهدي أم ضربت صفحًا عن غرامي؟ علمتني كيف أندب سوء حظي، وعلمت مقلتي انهمال العبرات (تقف) داين! داين! وهل بقلبك الآن ذلك اللهب الذى يتأجج نارًا في جسدي، أم تتاسيت تلك التي تتعذب لبعذك، وتذوب شوقًا إليك؟ يا إله السماء! يا أشد ما أنا فيه! يا لهول ما أقاسي من أجله! (تضع يدها على جبينها) ثيودوسيا، أين الرحمة ياربة الغني والجاه؟ أين السماحة والحلم يا أميرة قصر تود زيارته الملايين. (تبكي) يقول إنك طيبة القلب، محبة للخير، ولوعة بالاحسان. فهل تسمحين لي بمن أحب؟ ألم تشفقي على زهرة كادت تلعب بها يد الفناء؟ (تسكت قليلا). كلا لن يكون ذلك أبدًا. الأجل، أنا الفتاة الحقيرة التعسة، تترك من خلقت

من أجله؟ اني أكون ظالمة بهذا الحكم. ومن الحسد أن أرفع نظري إلى مقامكما الأسمى. فما أنا إلا ألعوبة في يد الدهر وأضحوكة في فم التعاسة. اني حقيرة وفقيرة، فمن الجنون أن أطلب المستحيل. إذن فلنطمئن، أيها اللورد. وليتولك إله السماء. (تسقط على الكرسي).

تشستر (يدخل): ليرا! ليرا! ابنتي ماذا أصابك؟

ليرا (تقف مرتجفة): سلمت يا أبي. لا شيء. اني أحتاج إلى الراحة قليلا.

تشستر: هاتي ذراعك يا ابنتي. (يأخذ ذراعها).

(ليرا تمشي متوكئة على ذراع أبيها حتى الباب. تخرج ويبقى تشستر)

تشستر: في حراسة الله (ينادي جرفث) جرفث! (يدخل جرفث) هل أعددت لي الشاي، وهل انتهى عمل المنزل؟

جرفث: الشاي ينتظر أمركم. أما أعمال المنزل فلم تتم بعد.

تشستر: اذهب فاحضر لي الشاي، واستمر في عملك (يخرج. جرفث لنفسه) آه يا إلهي، مالي أرى المصائب لا تكاد تتركني لحظة، ما أشد ألمي، وما أعظم خوفي. ما عساه أن يكون! اني لا أكاد أذكر ليفي حتى يقشعر جسمي بمجرد ذكراه. ويكاد الدم يقف في عروقي.

جرفث (يدخل باضطراب): المستر دجارفن ينتظر أمركم.

تشستر (يقف مذعورًا): دجارفن. ماذا عساه يطلب مني؟ ولم يزورني في مثل هذه الساعة؟ (إلى جرفث) هل يحمل أورافا؟

جرفث: نعم. إن حقيبته مفعمة بالأوراق.

تشستر: أيمكنك أن تنكر وجودي، أو أن تعتذر عن عدم إمكاني مقابلته؟

جرفث: أما إنكار وجودك، يا مولاي، فمستحيل؛ ذلك لأنك لم تعودني الكذب. وأما اختلاقي سببًا للاعتذار فممكن.

تشستر (بكبرياء): جرفث! لا هذا ولا ذاك، دعه يدخل، فقد قضيت ذلك العمر الطويل ولم أجبن أمام أشد الحوادث خطورة.

جرفث: تجلد يا مولاي (يخرج).

تشستر (لنفسه): دقت ساعة الحساب. يا الهي، أسألك المعونة.

دجارفن (يدخل ويتبعه جرفث): عفوًا يا مستر تشستر، ومعدرة لدخولي عليك في مثل هذه الساعة المتأخرة (رافعًا قبعته بشماله ومصافحًا تشستر بيمينه).

تشستر (يصفحه): أهلا بك يا صديقي دجارفن العزيز. هذا بيت صديقك، فيمكنك أن تلجه متى شئت وبغير استئذان. تفضل. (يجلسان).

دجارفن: أشكرك يا عزيزي تشستر.

تشستر (إلى جرفث): اذهب إلى عمالك، يا جرفث (يخرج جرفث) هل من خدمة يا عزيزي؟

دجارفن: نعم، ما دعاني لزيارتك الآن إلا وجوب دفع المال.

تشستر (بدهشة): المال! وأي مال تعني يا عزيزي؟

دجارفن: كان يجب أن تعلم أن ذلك سيقع يومًا فتستعد لمقاومته.

تشستر: لم يخطر ذلك ببالي.

دجارفن: أجل فهذا شأن السادة أمثالك. أما رجال الأعمال فهم دائمًا على استعداد.

تشستر: وكيف ذلك يا سيدي؟

دجارفن: إني أراك غير يقظ يا سيدي.

تشستر: لم أفهم بعد ما ترمي إليه. فأفصح لي عن المسألة.

دجارفن: منذ سبع سنين استدنت مبلغ خمسمائة جنيه من ليفي المرابي.

تشستر: هذا صحيح. وبعده؟

دجارفن: لو كنت تحسب لمستقبل ابنتك حسابًا، لما اقترضت خمسمائة بنس من هذا الرجل.

تشستر (بدهشة): إني لم أعلم عنه شيئًا. فماذا جرى؟

دجارفن: لا تأسف، فقد فات الأوان. أنت استدنت المبلغ ولكن أتعلم كم دفعت في فوائده؟ إنك بلا شك تجهل ذلك. لا تتدم فقد أصابك السهم. (يضحك) إنك دفعت ستين في المائة على أدق حساب.

تشستر: إذن فهو يستبيح شرب الدماء.

دجارفن: وعلى الأخص دماء من لا يقرعون العواقب. ومع هذا فليفلا يفكر أبداً في الدين، لأنه يجدد العقد كلما جاء يوم الاستحقاق. وذلك لأنه يثق في قدرتك على الدفع. ولسوء الحظ لقد انتقل هذا السند إليّ وفاءً لدين كان لي عند ليفي.

تشستر (بارتياح): إذا أنا مدين بالمال لك أنت الآن، لا إلى صاحب الستين في المائة؟؟

دجارفن: نعم، من قال لك إنني لا أطلبك بالأرباح؟

تشستر: إذا لا بأس من تأجيل الدفع، فإني قادر على دفع الربح.

دجارفن: يسؤني جداً أنني مضطر إلى رفض طلبك لأنني في شديد الحاجة إلى المال حتى لا تتوقف أعمالي. وفوق ذلك فإني أريده حالاً.

تشستر: مستر دجارفن، تريده حالاً؟

دجارفن: نعم، إذا قلت أريده، فالمعنى أنني أريده الآن.

تشستر: وإذا كنت لا أملكه الآن؟ ما العمل إذا؟

دجارفن: وما ذنبي أنا، وقد دفعت قيمة السند نقدًا؟

تشستر: ثق أنني لو كنت أملك المال لكفيتك مؤونة طلبه. ولو كان عندي ما يساويه ما توقفت لحظة.

دجارفن (ينظر في الغرفة): يظهر أن مسألتني أدعى للأسف من مسألتك، لأنني أرى جميع أثاث هذا الكوخ وثمانه لا يفي بنصف ما أطلب (يتلفت) الأثاث قديم ولست أرى فيه شيئاً له قيمة، فهل عندك حلّ يا مستر تشستر؟

تشستر (بانزعاج): عندي حلّ؟ إذا أنت تريد أن تتبع أثاثي وأمتعتي وتخرجني من بيتي؟

دجارفن: المضطر يركب الصعب. أتحسب أنني أتخلى عن حقي؟ إنك لا بد أن يكون لك أصدقاء.

تشستر: لا صديق لي وا أسفاه! ليس لي في كل هذا العالم غير ابنتي. ابنتي الوحيدة المسكينة. إنني لا أظنك يا مستر دجارفن تقسو لدرجة طردنا من عشنا الهادئ المطمئن، (يتأوه).

دجارفن: إني حزين لأجلك من كل قلبي.

تشستر: كان لي مال ولكني ابتعت به أسهُماً من شركة الترام الأجنبية، مؤملاً أن أربح ما أسد منه ديني، وهأنذا أترقب الفرصة.

دجارفن: أن هذا لمضحك. أتشتري بكل مالك أسهُماً، وأنت لاتعلم عن هذه الشركة شيئاً؟ إن أسهم هذه الشركة أخذة في الهبوط السريع.

تشستر: نعم، وا أسفاه. فقد طالعت هذا النبأ في صحيفة لندن، ولكن ربما تكون قد صعدت بعد ذلك.

دجارفن: إذن سأمهلك أسبوعين. وتأكد أنني لا أسمح بعدها بيوم واحد.

تشستر: إني أشكر كريم عواطفك.

دجارفن: على هذا أتفقنا. ويلوح لي أنك قبلت. (يقف ويرفع قبعته). إلى اللقاء. (ويخرج).

تشستر (يقف فيشيعه إلى الباب. لنفسه): لقد دنا الأجل، فلا قوة إلا بالله. إلهي، أين أجد المال؟ آه! كيف تكون حياتي إذا طردت من بيتي. مسكينة أنت يا ابنتي، لقد جنيت عليك.

جرفث (يدخل): خفض عليك، يا مولاي، ولا تياس.

تشستر: جرفث. إذا انقضت المدة التي أعارني إياها الزائر ولم أوف الدين، طردت وابنتي من هذا البيت، فواحسرتاه على خاتمتي، ووا أسفاه على شيخوختي!

جرفث: لا تعجل بالحكم يا مولاي. وكم أعطاك من الزمن؟

تشستر: أسبوعين فقط. فإن لم أوف ديني، أصبح هو المالك المتصرف في بيتي وما فيه (يبكي يقف) ساعدني إلى مخدعي، فإني أشعر بإنحطاط قواي، وكأن زورة دجارفن لي كانت نذير الهلاك. (يتوكأ على ذراع جرفث).

جرفث: مولاي، مالي أرى اليأس بالغاً منك غايته؟ إني قطعت معك شوطاً كبيراً من عمرك المملوء بالمصاعب، فلم أكن أشعر باهتزازك أمام كوارث لا تعد هذه بجانبها شيئاً.

تشستر: لقد مات الأمل وقضي الأمر. فلا راحة إلا بالموت، ولكن ليرا (يبكي) إني خلقت لأكون حزنٌ عليها. ليرا! أعف عني يا ابنتي، ولا تلعنيني. أملت لك السعادة، فضاع أملي، وحبط مسعاي.

ابنتي لم يكن هذا بخاطري، ولكن هي مشيئة الله فتجلدي يا ابنتي، واعتصمي بالصبر، وإسألني الله لي الرحمة. (إلى جرفث) جرفث! احتفظ بهذه الجوهرة، انها كبدي، فاسهر على حراستها. (يسقط مغشياً عليه).

جرفث (ينظر إلى السماء): رحمتك، يا إله السماء.

الفصل الثالث

(غرفة الكوخ السابقة.. تشستر يجلس بادی المرض على كرسي كبير، وجرفت بجواره)

تشستر: اليوم موعد الجريدة يا جرفت.. فهل ذهبت ليرا لاستحضارها؟

جرفت: نعم، ذهبت. هل أحضر لك كأس الدواء؟

تشستر: لا. إنتظر حتي تحضر ليرا.

ليرا (تدخل ومعها الجريدة): أبت، (تطوقه بذراعيها) كيف أنت الآن؟

تشستر: أحمد الله يا حبيبتني (يقبلها).

ليرا: هاهي الجريدة، يا أبتاه.

(تشستر يتناول الجريدة بلهفة ويقرأ)

جرفت (يقوم): إني ذاهب لتجهيز الطعام (يخرج).

تشستر (يصرخ فتقع الجريدة من يده، ويرتمي على المقعد): ويلاه ضاع الأمل (يتحسرج صدره).

ليرا (تستغيث وتقف كالمجنونة): المعونة. آه، يا أبت. ماذا أصابك؟ (تركع).. ماذا دهاك؟ (تبكي)

إلهي! (تجري إلى الباب) جرفت! جرفت!

تشاندس (يدخل وهو لا يحسن المشي وينحني على تشستر): لا تخافي يا مس ليرا. لا تضطربي

الأمر بسيط. علي بقليل من الماء (تخرج، لنفسه) السر في هذه الجريدة (يدفعها برجله تحت

المقعد).

ليرا (تدخل ومعها الماء): ها هو الماء يا مستر بارل (باضطراب) ماذا دهاه؟ (تنحني على أبيها)

هل اختبرت نبضه؟

تشاندس: آه، رحماك يا أبي.

جرفت (يدخل منزعًا): مولاي! ماذا جرى يا مستر بارل؟ ويلاه (ينحني على سيده).

تشانديس: لا شيء هدى من روعك. إنه في إغماء وسيفيق بعد قليل.

جرفت (يضع يأذنه على قلبه): مولاي! مولاي! (بيكي).

تشتتر (يتحرك): آه! بماذا أشعر؟

ليرا (بفرح إلى جرفت): إنه يتكلم (تقبل أباه) وافرحتاه!

تشتتر (يمد ذراعيه لابنته ويتأوه): آه، ابنتي المسكينة.

ليرا: ماذا أصابك يا أبت. ماذا جرى؟

تشتتر: آه يا ليرا. لقد قضي الأمر، (إلى تشانديس) أشكرك ياسيدي لحسن عنايتك.

تشانديس: عافاك الله يا سيدي. لا شكر على واجب. (إلى جرفت) يجب أن تنقله إلى مخدعه ولتسرع باستدعاء الطبيب (يحملة جرفت وتساعده ليلا ويخرجان) إني لاحق بكما متى أصلحت رباط ساقى (لنفسه) يجب أن أعرف سر هذه الجريدة (يأخذ الجريدة بتلف) ها هو السر. (يقراً) شركة ترام بانجويلا ليمتد. إن.. إن أسهم هذه الشركة سقطت إلى الصفر. (يقطع الجزء المكتوب ويخفيه في ملبسه). الآن ظفرت بليرا.. فيجب أن أقوم بتمثيل دوري بمهارة (ينادي) جرفت. جرفت (يدخل جرفت).

جرفت (بألم): لا يزال في اغفاء شديد.

تشانديس: إذا أسرع باستحضار أقرب طبيب. (يخرج جرفت مسرعًا).

تشانديس (لنفسه): يجب أن أفاجئها بالخطر الذي يتهدد أباه، وأفهمها أنى الوحيد الذي يستطيع دفع هذا الخطر عنها وعن أبيها، وأعدّها بدفع الدين إلى دجارفن يوم الأجل المضروب. وإذ ذاك أكشف لها عن رغبتى في الإقتران بها. نعم. إنه من السهل جدًا على فتاة مهددة كليرا أن تقبلني زوجًا لها، متى رأت أنى افتديت شرف أبيها بالمال (يجلس) ما أسعد حظي! هذا ما كنت أمني نفسي به! سأدفع مبلغ الخمسمائة جنيه لقضاء لبانتي من هذه الغادة الهيفاء، ثم أطلق ساقى للريح، فأذهب حيث لا تعلم عني شيئًا.

جرفت (يدخل): لقد حضر الطبيب، وهو يعود مولاي الآن. فهل لك أن ترافقه يا مستر بارل.

تشانديس: حسنًا، هيا بنا. (يخرجان).

ليرا (تدخل): لماذا منعي المستر بارل من حضور ما يقرره الطبيب؟ بل لماذا سألني أن أنتظره في ردهة الأستقبال؟ إلهي، ما غرضه، ولم أعود الانفراد به؟ (تجلس) إني أقرأ في وجهه الميل إليّ، وأشعر في نفسي النفور منه. يخيل لي أن هذا الشيطان إنما يضمّر لي الشر. ولكني مع هذا سأنتظره لأعلم منه سر هذه المقابلة.

تشانديس (يدخل): عفواً يا مس ليلا، إني سألتك الخلوة بضع دقائق لأمر ذي بال.

ليرا (بلهفة): ماذا قال الطبيب عن أبي؟

تشانديس: أعيريني سمعك يا سيدتي، أتعلمين ما قاله لي الطبيب عنك؟

ليرا: عني أنا؟

تشانديس: نعم، إنه عندما رآك أشفق عليك من السهر والإهتمام بأمر المريض، وقال إنك تنهكين قواك، إذا واصلت السهر.

ليرا (بأسف): المريض! أنسيت أنه أبي؟ إني ممثلة قوة وشبابًا، فما معنى ذلك؟

تشانديس: إن مرض أبيك لا يعد شيئًا أمام هول المصيبة.

ليرا: المصيبة، وأية مصيبة تعني؟

تشانديس: إنه سر كان يجب أن أكتمه عنك.

ليرا: أراني أقوى على احتمال أشد المصائب، فلا تأخذك الشفقة بي.

تشانديس: إنها عثرة لسان يا مس ليلا، وما كنت أود أن أبوح لك بشيء.

ليرا: لِمَ يا سيدي؟ إني ابنته وليس له في الدنيا سواي.

تشانديس: إني سمعت بعض الحديث بالصدفة.

ليرا (بتوجع): وما هو هذا الحديث؟ لا تردد بالله عليك.

تشانديس: كلا لا أجسر أن أبوح لك بشيء.

ليرا: رحماك!

تشاندىس: هوني عليك يا ليرا، واجلسي بجانبى كي أشرح لك الموضوع.

ليرا (تجلس): عجل.

تشاندىس: إنها مسألة مالية، فهدئي من روعك. (يجلس). لقد اكتشفت من محادثة طويلة دارت بين أبىك ورجل مالي أن أباك اقترض مبلغًا كبيرًا منذ سبع سنين، وكأنه نسي الدين لطول عهده.

ليرا: دين! (باندهاش) أبى يستدين؟ إني لا أظنه فقيرًا.

تشاندىس: لم أكن أعلم عن أسرار أبىك شيئًا، وكنت أظنه واسع الثروة، لذلك أخذتني الدهشة عندما رأيته يبكي أمام المرابي.

ليرا: أبى! (باندهاش).

تشاندىس: والذى ضاعف دهشتي أن المبلغ زهيد جدًا وهو خمسمائة جنيه فقط.

ليرا (بذهول): خمسمائة جنيه. إني لا أصدق ذلك. فأبى غني.

تشاندىس (يضحك): غني؟ وما الذي أخره عن الدفع؟

ليرا (تبكي): وارحمته!

تشاندىس: لا تعجبي من هذا. لم يكن أبوك أول غني زالت عنه ثروته.

ليرا: هل ما تقوله صحيح؟

تشاندىس: نعم. إن الضربة لشديدة. وإنه ليذمي فؤادي أن يطرد هذا الشيخ الجليل من بيته.

ليرا (تصرخ): إلهي هذا فوق ما أحتمل. (تسقط).

تشاندىس (يحملها بين ذراعيه ويجلسها): ليرا! ليرا! الخطب جلل، والمصيبة عظيمة. ولكن أجيلي نظرك فيما حولك، عساك تجدين صديقًا ينفذك.

ليرا: آه، إني عديمة الأصدقاء (تفكر) ولكن لا. ويلاه إنه بعيد (تبكي) بعيد جدًا حيث لا أعلم عن مستقره شيئًا.

تشانندس: بصوت خافت (لنفسه) ويلاه، ألهأ صديق؟

ليرا (تقيق): لا تفكر فيما أهذي به. آه. وآسفاه!

تشانندس: وهل نسيت أن لك صديقًا يتمنى لك أية خدمة؟

ليرا (تقف): أين هو؟

تشانندس: تفرسي فيّ مليًا. ألا يمكن أن تسمحني بمصادقتي؟ مري تجديني عبدًا.

ليرا: وهل تتنازل بصادقتنا، وقد علمت أننا فقراء؟ (تتهجد).

تشانندس: وهل هذا يحتاج إلى شك، أيتها العذراء الشريفة؟ أتعنقدين أن الفقر عار؟ ضعي يمينك فوق صدري تعلمي لمن يخفق الآن.

ليرا (باستغراب): أنحن في موقف غرام؟

تشانندس (بخداع): إنه الحب. ليرا. إني أعبد هذا المحيا النضر. أتشكّين في حبي؟ أعيريني سمعك، واستحضري الرحمة من أعماق قلبك الطاهر، يتجلّ لك صدقي. ليرا! إن كلمة واحدة منك تنقذ أباك.

ليرا: أنت تدفع الدين عن أبي، إذا قبلت حبك وصادقتك؟ (تتهجد).

تشانندس: هذا لا ريب فيه.

ليرا: ولماذا تحتمل بلاءً وقع على غيرك؟

تشانندس: إنه الحب الذي يدفعني إلى ذلك. هل تشكين في حبي، يا مس ليرا، وأنا أنتقض وجدًا بين يديك الآن؟ (بخداع) ليرا.. تصوري أباك وما هو فيه، واذكري مصيره بعد أيام. وقارني بعد عزك اليوم وتعاستك غدًا وثقي أنني أدفع عنك الكارث فأستحق على ذلك الحب منك.

ليرا: لم أفهم مرادك من الحب.

تشانندس: لم تفهمي مرادي؟ ان هذا لعجيب. أقدم نفسي فداء لشرف أبيك، ولا أستحق منك كلمة شكر؟

ليرا: أمرادك مني أن أشكرك؟

تشانديس: ذلك على الأقل.

ليرا: إذا كان هذا غرضك، فإني أقدم لك عني وعن أبي وافر الشكر اعترافاً لك بالجميل، وأقبل صداقتك.

تشانديس: إني أقبل منك هذا. أيتها الفاتنة، وأستزيدك رحمة بي وشفقة علي.

ليرا: إذا أنت تريد أكثر من الشكر والصداقة؟

تشانديس: نعم. يا ليرا أمني أن أقدم حياتي ومالي فداء لك وأبيك.

ليرا: إن شريف عواطفك تضطرنني أن أقبل أكثر مما ذكرت.

تشانديس: عديني أن تكوني زوجتي، وأنا أنقذ أباك من خطر الدين (بتوسل).

ليرا (تهم، وتسحب يدها من بين يديه): ذلك لن يكون، أقام العالم أم قعد؟!

تشانديس: ليرا.. ماذا أسمع؟ أترفضين يد من قَدَم إليك ماله وحياته، أيتها العذراء؟ (يقف) أزيحي قليلاً هذا الغطاء عن عينيك، ينكشف لك عن هول المستقبل وسوء المنقلب. وإذ ذاك تعلمين أنني إنما أردت بك خيرًا. واحكمي بعد ذلك بما تشائين.

ليرا (تقاطعها): كفي، كفي.

تشانديس: إن كلمة واحدة من فمك الطاهر تبعث رسول الرحمة إلى أبيك المسكين. ليرا ... إن السعادة بين شفقتك. تكلمي. مالي أرى جيبك يتصبب عرقًا؟ ألحقتك مني إهانة؟

ليرا: كلا (مرتجفة).

تشانديس: ليرا! إني أنتظر أحد أمرين، القبول أو الرفض.

ليرا (تتنهد): يا إلهي، إنك أخرجتني. (تبكي) مستر بارل، أنقذ أبي وأنا أقبل ما تريد (وتسقط على المقعد واضعة يدها على جبينها).

تشانديس (لنفسه): وافرحتاه! (إلى ليرا) إني سأقوم حالا بوفاء الدين.

ليرا: شكرًا لك. (يتأوه).

تشانديس: إنك الآن تحسنين إليّ وإلى أبيك. (يقترب منها) ما أوفاك في عيني الآن!

ليرا (تبعده بلطف): تمهل. هكذا أرادت مشيئة الله. ابق هنا حتى أخطر أبي وجرفت بذلك، وما إخالهما يرفضان.

تشانديس (برعب): لا تفعل! هذا يا ليلا، إذ يجب أن تخفي ذلك عنهما.

ليرا (بتعجب): لا أفعل؟ أيجب أن أخفي ذلك؟ (بدهشة) إنه من الشهامة إعلان الزواج فهل هنالك سر؟

تشانديس (بخبث): نعم، أعيرني سمعك. إن ثروتي العظيمة تحت إشراف أحد أفراد أسرتي. وإذا أعلن زواجي هذا الآن كان سبباً في ضياع تلك الثروة الكبيرة؛ ونحن في حاجة إلى المال، لأنك كما تعلمين فقيرة.

ليرا (بذهول): زواجي يقضي على ثروتك بالضياع؟

تشانديس: ليس زواجك فقط، بل كل زواج بغير شرط الوصية.

ليرا: أتتشرط الوصية زواجاً خاصاً؟

تشانديس: بلى، ولكن إلى أجل محدود ينصرم بعد سنة. وحينئذ أكون حراً مطلقاً التصرف.

ليرا: إذا نؤجل زواجنا حتى تحصل على ثروتك.

تشانديس (بخوف): والدين؟ أنسيت أن أجله قد حل؟

ليرا: ولم لا تقوم بالسداد ويكفيك مني العهد؟

تشانديس: ومن يضمن لي ذلك، والعداري قلوبهن هواء؟

ليرا: كأنك تطعن في أمانتي.

تشانديس (بغضب): إذا أنت ترفضين، والرفض يفضي بأبيك إلى الهلاك. فهل تختارين له التعاسة والشقاء؟ أنت لا تعلمين الخطر المحدق بكم. إنكم بعد ثلاثة أيام ستطردون جميعاً من هذا الكوخ والمزرعة ويسلب منكم قهراً جميع ما تملكون.

ليرا (تبكي): آه يا إلهي وارحمته!

تشانديس: لا تجزعي يا ليلا، فقد وفق الله لك منقذاً يحبك من كل قلبه.

ليرا: ليكن ما أراده الله.

جرفت (يدخل): لقد طال انفرادكما، فهل لذلك من سبب؟

ليرا (باضطراب): وأبي، كيف هو الآن؟

جرفت (بامتعاض): أبوك! أظن لم يعد يهتمك أمره. وإلا لما تأخرت عنه وهو يناديك في غيبوبته، فلا يجاوبه غير صدى صوته (إلى تشاندس) أبهذا تدعوك المروءة يا مستر بارل؟

ليرا (برجفة): يدعوني أبي فلا يجدني؟ (تجري إلى الباب وتخرج).

جرفت: فيم كنتما تتباحثان؟

تشاندس: كنا نتكلم في أمر العناية بالمريض.

جرفت (بسخرية): المريض بين يدي رحمة الله، وهو في حاجة إلى الدواء، وسأذهب لاستحضاره من بترال. فكن حارس المنزل حتى أعود.

تشاندس: أنت في حاجة إلى مساعدة مالية؟

جرفت (بازدراء): ومن قال لك أننا فقراء؟ (يخرج مسرعاً).

تشاندس (لنفسه): لقد تم مرادي، وحالفني التوفيق، بأن صرفت التحويل. سأشتري تلك الغادة بمبلغ خمسمائة دينار. وإنه بلا شك ثمن بخت. إنني نسيت الكاهن. وأين أجد كاهناً يقبل أن يعقد لي عليها؟ وماذا يكون جوابي إذا علم أنني اختلسها؟ (حيرة) وإذا تم العقد، فهل يتيسر لي الهرب؟ ولو علم داين بذلك فكيف يكون موقفي أمامه؟

جرفت (يدخل): مستر بارل، إنني لم أكد أبتعد عن المنزل حتى اعترضني رجل وسألني عنك.

تشاندس (برجفة): عني أنا؟ وبماذا أجبتة؟ وهل ذكر لك اسمه؟

جرفت: نعم، علمت أن اسمه روبرت رودن.

تشاندس (بدهشة): روبرت رودن؟ وكيف علم هذا الرجل إنني هنا وبماذا أسماني؟

جرفت (بتعجب): بماذا أسماك؟ وهل لك اسم غير دوجرفري بارل؟

تشاندس: كلا.

جرفت: إنه وصفك دون أن يسميك.

تشانديس (باطمئنان): كيف وصفني؟ وما ملخص هذا الوصف؟

جرفت: سألني عما إذا كنت من سكان هذه الناحية، وعما إذا كنت أعرف العائلة التي تسكن هذا الكوخ، فأجبتته بقولي أنا من سكان هذا الكوخ. فعلى من تسأل؟ فأردف قائلاً: أسأل عن سيد بلغني أنه نزل ضيفاً على أهله. إثر حادث ألم بساقه وأزيدك إيضاحاً أنه شاعر وموسيقي فعلمت أنه يسأل عنك.

تشانديس (باهتمام): وماذا كان جوابك؟

جرفت: قلت نعم، إنه لا يزال عندنا.. أتحب أن تراه؟

تشانديس: لا بأس، دعه يدخل. واذهب في قضاء حاجتك.

جرفت: إني عهدتك شريعاً. لذلك سأذهب مطمئناً (يخرج).

تشانديس (لنفسه): هاقد حضر الشقي روبرت. فلأستخلصه لنفسي. إنه شيطان رجيم. وهو نعم الكاهن المطلوب.

روبرت (يدخل): المعذرة، ياسيدي تشانديس (رافعاً قبعتة) إذا جاءت زيارتي على غير دعوة منك.

تشانديس: أهلاً بك يا روبرت.

روبرت: لقد دعنتي إليك الحاجة الشديدة، يا لورد.

تشانديس: وأنا لا أنكر الوفاء بوعدتي.

روبرت: لقد أوشك الدائنون أن يسدوا في وجهي كل الطرقات.

تشانديس (يضحك): إنك داهية، يا روبرت. أخبرني كيف علمت أنني هنا؟

روبرت: انتظرتك طويلاً، فلما لم تشرفني بزيارتك، كما وعدت، تنسمت أخبارك.

تشانديس: حسناً، لقد كنت أفكر فيك قبل دخولك عليّ ببضع دقائق؟

روبرت (بدهشة): عسى أن يكون الأمر خيرًا.

تشاندس: رأيت أن أنفحك بمبلغ كبير ليكون لك رأس مال يضمن لك حسن المستقبل.

روبرت (بدهشة): مبلغ كبير! إنك بذلك تبرهن على مجد لأجدادك.

تشاندس: سأنتدك خمسين ذهبًا.

روبرت (بدهشة): خمسين ذهبًا؟ إني لا أكاد أصدق ذلك.

تشاندس: إنها الصداقة تدفعني إلى مساعدتك، يا عزيزي روبرت.

روبرت: سأتمكن بهذا المال من القيام برحلة تعود عليّ بالثروة.

تشاندس: وسفرك إلى بلادك ثانية هو جل مرغوبي.

روبرت (بدهشة): جل مرغوبك! إن هذا لعجيب.

تشاندس: إني أتمنى لك السعادة والخير من وراء ذلك السفر.

روبرت: لقد عدنا إلى الفلسفة، إذ يرييني منك هذا العطاء.

تشاندس: إنه يهمني أن يكون صديقي غنيًا، فأبعد عن رأسك سوء النية.

روبرت: الآن صرت على تمام الثقة، فهل يمكنك أن تدفع لي الآن شيئًا على الحساب؟

تشاندس: لا شك.

روبرت (بدهشة): إنك تعاملني اليوم معاملة ما كنت أتوقعها. ويغلب على ظني أنك ستطلب مني قضاء مهمة.

تشاندس: لا تكن كثير الفضول، ياروبرت، فستصبح سعيدًا.

روبرت: إنك أسرتني بلطف معاملتك. وستجدني طوع أمرك من الآن.

تشاندس (بدهاء): ولولا ثقتي بك ما اخترتك (يضع يده على كتفه) روبرت! أتذكر عهد المدرسة؟

روبرت: نعم.

تشاندس: استجمع ذاكرتك. واذكر السنة الأخيرة من دراستنا، وأخبرني هل تتمثل أمام عينيك الرواية التي مثلناها في ذلك العهد؟

روبرت: نعم وأتخيلها الآن. وكنت فيها تجيد تمثيل البارون أليس كذلك؟

تشانديس (يضحك): ونسيت أنت الدور الذي كنت قائمًا بتمثيله، وأحرزت فيه السبق على جميع الممثلين.

روبرت (يضحك): نعم. القس.

تشانديس: منذ ذلك العهد شاهدت روايات عديدة. ولم أوفق لرؤية ممثل أجاد دور القس إجادتك إياه لذلك أطلب منك تمثيل هذا الدور غدًا في التاسعة صباحًا!

روبرت (بدهشة): غدًا في التاسعة صباحًا!

تشانديس: نعم لتتعد زواجًا بين شاب وفتاة.

روبرت: لا شك أنك تمزح، إذ كيف يكون العقد محترمًا أمام القانون؟

تشانديس: دعنا الآن من القانون، وافترض أنك تمثل ذلك تمثيلًا..

روبرت: الممثل غير مسؤول يا لورد.

تشانديس: لك ذلك.. فأجبني: هل تقوم بهذه المهمة فتستحق الذهب، أو ترفضها فأضطر لمساومة سواك؟

روبرت (باهتمام): وأين يكون العقد؟

تشانديس: في كنيسة القديس مرقس القديمة.

روبرت: على الضفة اليمنى من نهر التو.

تشانديس: إذاً يجب أن تكون هناك قبل الساعة العاشرة من صبيحة الغد.

روبرت: ومن هما؟

تشانديس: أما الشاب فهو أنا.

روبرت (بدهشة): أنت نفسك؟

تشانديس: نعم، ألم أقل إنها اللعبة؟

روبرت: وهل هي راضية، وتعلم سر الموضوع؟

تشانديس: عليك أن تقوم بواجبك كقس حقيقي. سلها أراضية هي أم لا، وسوف تجيبك.

روبرت (بانزعاج): إسمح لي أيها السيد أنني أشعر بأن هناك سرًا، وأخشى أن يكون خطرًا عليّ.

تشانديس: إطمئن، فلا خطر عليك.

روبرت: ومن هذه الفتاة؟

تشانديس: هذا ليس من شأنك.

روبرت: وهل سنكون وحدنا في الكنيسة؟

تشانديس: خوفًا من افتضاح أمرك، سأحضر معها فقط. فهل أنت على استعداد؟

روبرت: تنقني ملابس القس، وسأستأجرها اليوم.

تشانديس (يضع يده في جيبه ويخرجها بالذهب): خذ هذا على الحساب. يجب ألا تستريب بك الفتاة.

روبرت: كن مطمئنًا (يعد الذهب) والباقي من الخمسين؟

تشانديس: سأدفعه بعد تمام العقد.

روبرت (يمد يده): إلى الملتقى.

تشانديس (وهو يصفحه): غيرت إسمي هنا، فأصبح دجوفري بارل. (بصوت خافت) فإذا صادفك الخادم الشيخ وسألك فلا تنسى.

روبرت: فهمت دجوفري بارل (يخرج).

تشانديس (لنفسه): لقد تم كل شيء. وأصبحت ليرا لي، ألهو بها ما شئت. فيالسعادتي!

جرفث (يدخل ومعه الدواء): لقد أحضرت الدواء.

تشانديس: حسنًا. أسرع إلى المريض. (يدخل جرفث إلى مخدع المريض).

تشانديس: سأمثل دوري الأخير، متي حضرت ليرا.

ليرا (تدخل متلفتة): يخيل إليّ أنني كنت أسمع محاوره هنا. كانت تدور بينك وبين رجل آخر.. فهل أنا على يقين؟

تشانديس (باهتمام): هل وصل إلى سمعك منها شيء.

ليرا: كلا إنني كنت منصرفه بكليتي إلى العناية بأبي.

تشانديس: أسأل الله له تمام الشفاء.

ليرا: شكرًا، يا مستر بارل.

تشانديس: لقد دعيتي حوادث مهمة وظروف حرجة إلى المبادرة بإتمام عقد زواجنا قبل فوات الوقت.

ليرا: إنك غريب الأطوار يا سيدي. ما هي تلك الدواعي المهمة؟

تشانديس: هنالك سببان قويان. أولهما أنه وردت الآن رسالة إلى أبيك من مستر دجارفن الدائن يطلب فيها وجوب وفاء الدين بعد غد، وإلا اضطر إلى تنفيذ ما اتفقا عليه ورفقًا بحال أبيك، سأخفي عنه ذلك.

ليرا: ويلاه! (مرتجفة) أين هذه الرسالة؟

تشانديس: هاهي معي لأبرهن بها على صداقتي وحسن نيتي (بههم بإخراجها ليوهمها أن ذلك حقيقي).

ليرا (بسداجة): دعها إنك صادق. تكفيني منك الصراحة.

تشانديس: أما الثاني، فقد حمل إليّ الرسول الذي كان هنا الآن نبأ مزعجًا، ألا وهو أن عمتي البارونة في فراش النزاع، وهي لا وريث لها وتسالني العودة حالًا لأستلم الوصية.

ليرا (تتنهد): إذا ستسافر حالًا؟

تشانديس: يمكنني تأجيل السفر إلى ما بعد إتمام العقد غدًا.

ليرا: ولم هذه السرعة؟

تشانديس: لأدفع المبلغ مطمئنًا هادئ البال.

ليرا: وماذا عليك لو دفعت المبلغ وسافرت، وبعد عودتك يتم ما أردت، وربما تماثل أبي للشفاء،
فيشترك معنا في هذا الزفاف؟

تشانديس: كان بودي أن أقوم بجميع أوامرك. غير أنني أخشى تغيير رأيك.

ليرا: أتخشى أن أنقض عهدك؟ أقسم لك بأبي وأمي...

تشانديس: لا داعي للقسم، وخير البر عاجله.

ليرا: آه، ولكن ...

تشانديس: لا تترددي وتشجعي.

ليرا: أتشتريني بالمال، يا مستر بارل؟ إنني أعتبر هذا قسوة منك.

تشانديس: كفي. ها أنا راحل عنك. آسف لرفضك يدي.

ليرا (تبكي): إرحم دموعي، يا مستر بارل، أيسمح شرفك أن تترك هذا الذي وضعك في منزله
واعتنى بك أيام آلامك لكي يذهب ضحية المال؟

تشانديس: كفى أيتها العذراء. فإنقاذ أبيك يتوقف على كلمة منك.

ليرا: آه! أيها القاسي ألا تزال مصمماً. (تتنهد).

تشانديس: لن أتحول قيد شعرة عن عزمي. وأقسم لك بشرفي أنك إن لم تدعني لأمرني ارتحلت
عنكم حالاً. إن كلمة واحدة تزف إليك السعادة.

ليرا: أليس للرحمة سبيل إلى فؤادك؟

تشانديس: لا أمل في استعطافي، أيتها العذراء. واحد من اثنين إجابة أم رفض.

ليرا (بجنون): تمهل. انتظر يا صاحب المال. نج أبي، وافعل ما شئت (تبكي).

تشانديس (يعود عودة الظافر): إنك الآن تستحقين حبي، يا مس لييرا. فهل أنت راضية عن زواجنا؟

ليرا: والمال، أتدفعه حالاً متى قبلت؟

تشانديس: بلى، وها أنا على قدم الاستعداد. فغداً صباحاً يعقد العقد ويدفع المال.

ليرا (برعب): ويلاه. غدًا يتم هذا الزواج العجيب!

تشانديس: في كنيسة مرقس القديمة.

ليرا (بذهول): يا آلهة السماء! (لنفسها) أأدس هيكلها المقدس! أه. كيف أطرده خياله عني. يا آلهي. (تسقط).

تشانديس (يساعدها على النهوض): ماذا أصابك؟ (لنفسه) بماذا كانت تتمم كأنها مأخوذة! لا بد أن يكون لها سرٌّ سأكتشفه بعد. (إليها) انهضي يا ليرا.

ليرا (تفريق قليلا. وهي تهذي): زواج؟ هيكل القديس مرقس؟ كهف صباي؟ لا! لا!

تشانديس: ليرا! عودي إلى رشدك.

ليرا (تمسح جبينها): نعم. (تقف) أنقذ أبي. واعلم أن ليرا العذراء باعت نفسها لتفدي شرف أبيها.

تشانديس: مسكينة أنت، يا ليرا. (يضع يده على كتفها) أعيريني سمعك، سأذهب إلى برنستابل الآن لأستحضر المال. وأعود في الثامنة صباحًا إلى الكنيسة مصحوبًا بالأب المحترم. فيجب أن نجدك. ولن يكون لنا رابع أفهمت؟

ليرا: نعم، فهمت.

تشانديس: وماذا أنت قائلة؟

ليرا (تنتحب): لا شيء. وإن لم يتيسر لك الحصول على المال، فماذا يكون العمل؟

تشانديس: التحويل معي، فاطمئني جدًا. إلى الغد (يخرج).

ليرا (لنفسها): ما أشد ما أقاسي! (تسقط على الكرسي) أه. أين أنت يا أماه؟ إنني أكاد أرى روحك الطاهرة تحلق بأجنحة رحمتها فوق غصن شبابي الذابل. أماه، كيف تتركيني فريسة هذا الوحش القاسي، ينشب مخالب قسوته في هيكل ابنتك المقدس؟ أبت، أين أنت لتذود عن ابنتك؟ لقد ضرب سوء طالعي حولك سورًا من حديد.. (تقف) ويلاه بماذا أشعر؟ ماذا أرى؟ أفي يقظة أنا أم في منام؟ لورد داين، أيها الحبيب! أين رحلت عني شهامتك في وقت الحاجة إليها؟ عفوَ أيها الشريف، إنني مرغمة. ترى أين أجدك الآن قبل أن يفوت الوقت؟ (تنتهد) إلهي أنت وحدك القادر على الأخذ بناصري. فإليك أضرع وبك أستجير. إلهي أترضى أن أبيع نفسي كالمسلعة؟ أقدرت علي العذاب، وكتبت لي الشقاء؟ أنا لم أقترف ذنبًا أستحق عليه هذا الجزاء. فلم كتبت علي التعاسة والشقاء؟

(تبكي) إلى اي حمى غير حماك ألتجئ؟ وبأي قدرة غير قدرتك أتوسل؟ كنت أكل أمري إلى أبي وحببي، بيد أن مشيئتك أقصتني. (تبكي) إلهي إني أكاد أجن من هول هذه الضربات المتواليات. أه، ماذا أرى؟ (بحزن) وحقك يا ملك الموت (تركع) رفقا به، رحمة بأبي. أتوسل إليك، اتركه لي. (تبكي). أيتها الروح الطاهرة، أتوسل إليك بدموعي (تحقق ببصرها وترتجف فاتحة ذراعيها). أماه! أماه! يا من أرى سعادتي في قربها، هل أنت راحلة كسابق عادتك، أم اخترت البقاء لحماية ابنتك؟ ويلاه! إنها حانقة علي. أماه رفقا بابنتك. لم أجن ذنبا إني بريئة. ما رضيت إلا كرها، وما قبلت الأمر إلا مرغمة. اختفى عني من كان يستطيع إنقاذي، لو علم. أبي يحتضر، المرابي لا يرحم، الدين يجب أن يدفع بعد غد. (تجهش بالبكاء) أماه، إنقاذا لشرف أبي قذفت بنفسي إلى الهاوية. نعم، سأكون بالكنيسة في الأجل المضروب. (تسقط على الأرض وهي تلفظ أ ... ما ... ه ... إ ... ني لاحقه ... بك).

(تسدل الستار على مهل أثناء نطق الجملة الأخيرة)

الفصل الرابع

المنظر الأول

(طريق النهر)

(تدخل ليرا بملابس سوداء وعلى رأسها القبعة متأهبة للسفر)

ليرا: أخشى أن يفوتني القطار، ومسز ليزلي في انتظاري. لماذا لم يحضر جرفث، وقد وعدني ألا يتأخر؟ (تتأمل) كفاني أيها الدهر، أصبحت خيالاً. (تبكي) مات أبي، نعم قضي من كان يحيا من أجلي. أيتها السماء، أمطري قبره غيوث رحمتك، ومري ملائكة الرحمة أن تبارك جسده الطاهر. (تبكي) أيها الوالد الشهيد، إن ابنتك قامت بالواجب عليها، ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان. فلا تلعني، واشفق علي لقد قبلت بغير علم منك، وذهبت معه إلى الهيكل بدون مشورتك. نعم هذا عقوق. إنني لم أحترم أبوتك التي أقدسها، ولكنني كنت مرغمة. ولو علمت السبب لغفرت لي ذنبي. (تبكي) ترى أين ذهب ذلك الوحش المفترس، إنه كان يحسبني أبيع شرفي. لذلك أبي أن يسلمني المال الذي تعاهدنا عليه حين علم بموت أبي المسكين. إنه لنذل دنيء.

جرفث (يدخل ومعه حقيبة السفر): ألا تزالين مصممة على السفر؟

ليرا: نعم وأشعر أن فيه سعادتني.

جرفث (يمسك يدها ويضع الحقيبة على الأرض): ليرا، يحزنني جداً أن أراك تقذفين بنفسك بين أمواج عالم لم تتعوديه من قبل. وكيف تظنين أن هناك السعادة، وشيطان الشر كثير الجنود؟ ليرا، أنعمي النظر جيداً في خادمك الأمين، ولا يربك منه شعره الأبيض. هاهو لا يزال أمامك يشعر أن قوة شبابه تعاوده، ويخيل إليه أن ما أصابه من البلاء بموت أبيك وضياع الكوخ ...

ليرا (تقاطعها): نعم لقد خسرتنا كل شيء. (تبكي).

جرفث (يستطرد): كل ذلك طرد عني ضعف الشيوخة، وأرجع إلي شرخ الصبا وفتوة الشباب، حتى أراني الآن أنافس ابن العشرين جلدًا على العمل. فلماذا لا تتقين بقوة ساعدي، وقد أوقفت حياتي على خدمتك منذ نعومة أظفارك يا ليرا؟ أنسيت أن شخص أمك وروح أبيك يتمثلان الآن في

شخصي أنا؟ فلم تطوحين بغضّ شبابك اليانع بين براثن ذلك الدهر القالب؟ أما تخشين ما عساه يخبئه لك القدر؟ إرجعي إلى صوابك، يا أبنتي، واختاري البقاء معي في كوخنا الحقير.

ليرا: في كوخنا الحقير؟ هل أرجعه لنا دجارفن بعد أن سلبه منا أمس؟

جرفت: لقد تنازل لي عن ايجار الغرفة التي كنت أتخذها مخدعًا لي.

ليرا: أما تعلم أنّ هذا التنازل في نظير حراستك أملاكه الجديدة؟ (تبكي).

جرفت: إن هذا يقطع كبدي. فهوني عليك، وأخبريني علام عولت، إذًا. ألا تزالين على عزمك؟

ليرا: هذا لا شك فيه. سأذهب حالا إلى برنستابل، ومنها إلى لندن لأقابل صاحبة العنوان مسز لزلي، وإني لأظنها ربة قصر تروز.

جرفت: نعم إنها رئيسة حاشية القصر، وهي المكلفة من قبل الليدي بانتخاب الوصيفة.

ليرا: حسنًا إنهم يريدون فتاة يتيمة (تبكي) تحسن القراءة ومن أسرة شريفة، تعيش في القصر لغير أجل محدود. وقد توفرت في كل هذه الشروط، وقلما تتوفر في سواي، لذلك أراني مطمئنة لهذه الوظيفة الجديدة.

جرفت: إنك هكذا يا ليرا، فعلى الطائر الميمون يا ابنتي العزيزة، واذكري أنك تركت شيخًا أحنى ظهره الكبير، وأضعف بصره الهرم، حملك طفلة بين ذراعيه، وكان يحنو عليك حنو الأم، ويرضعك لبان الأدب، حتى نشأت مثال الطهارة والعفة، وساعده على ذلك أنك سليلة النبل والشرف (بيكي). تذكري هذا الهيكل الفاني يا ليرا، وإذا ما وانتك لحظة يمكنك فيها أن تكتبي فلا تدعيها تمر عبثًا، وإذا شعرت بوحشة فأسرعي بالعودة إليّ لأفتح لك ذراعي وأضمك إلى قلب يتقطع لفراقك، ولأستنفد آخر نقطة من دمي في الذود عنك، باذلاً قصارى ما وهبني ربي من القوة في حمايتك من غائلة الفاقة يا ليرا، لا زالت لدى القوة الكافية لكسب ما يطرد عنا ألم الجوع، فلم العجلة؟ أما كان يجدر بك انتظاري حتى أوارى لحدي؟ وما ذلك اليوم ببعيد، إذ ذاك أموت قرير العين وأرقد هاديء البال.

ليرا (تبكي): إنك تقطع أحشائي بتوسلاتك المرة، ولكن فات الأوان؛ إنني فقدت كل شيء، أصبحت لا أجد مخلوقًا يحنو علي سواك، ولما كانت راحتك غاية مناي، فقد آليت على نفسي الشقاء والعمل، فابق أنت، واعلم أنني أسعى ليعيش كلانا آمنًا على نفسه من الفقر. جرفت! هون عليك أمر فراقي، وثق أنني لن أنساك ولن أتتاساك، يا من أضعت زهرة حياتك في الدفاع عن عفتي وشرفي؛ إنني أعترف لك بالفضل، وأشكر لك حسن الصنيع؛ ولما كنت آخر مخلوق له عليّ حق التصرف،

وله وحده ميزة الرعاية، فما أنا ذا لا أخطو خطوة واحدة إلا بأمر منك، وإنني لا زلت ربيبتك المطيعة.

جرفت (بيكي): إنني لا أحب أن أكون حائلا بينك وبين السعادة، فما دمت تشعرين بالهناء لسفرك هذا، فإنني ألزم الصبر مرغمًا، وأوصيك خيرًا بشخصك المحبوب وبشيخوختي الفانية.

ليرا: كن مطمئنًا فإنني سأجعل طريق المراسلة مفتوحة بيننا ولن أوصدها ما دمت أنسم هواء الحياة، وسأبعث لك بكل مرتبي الشهري لتقتصده عندك، حتى إذا اضطرتني الحياة أن أهجر لندن عدت إليك فنعيش ما بقي لنا من العمر آمنين طوارئ الدهر.

جرفت: أه يا ليرا، إنك طيبة القلب (بيكي) إلهي! أقدرت لي أن أراها ثانية!

ليرا: هديء من روعك، فالحياة كلها شقاء. وأخبرني، هل أصبت الشقي حين أطلقت النار عليه؟

جرفت: أي شقي؟ نعم، تذكرت: دي جوفرى بارل المعتوه، أليس كذلك؟

ليرا: نعم، هذا الوحش المفترس.

جرفت: كلا، إنه نجا بأعجوبة، ذلك لأنه توارى عن نظري بين ملتف أغصان الغابة فأخطأته، ولكني أعدك أنه هالك من يدي متى وقع بصري عليه، وسأنتبع آثاره ولو تعلق بأهداب الرياح، إنه جني علينا جناية ما أظنها تغتفر؛ ذلك لأنه كان السبب في موت أبيك، لأن ذهابك معه إلى كنيسة القديس مرقس كان شؤمًا على سيدي، إذ ظن ما لا أحب أن أطلعك عليه.

ليرا: أبي ظن بي السوء؟ (تبكي).

جرفت: ومع هذا، أخذت أبرهن له جهد مستطاعي، فلم أفلح. (بيكي) مسكين لقد قتله بارل باختطافك من يده وهو على فراش النزاع. أنظري يا ابنتي، كيف مات أبوك وهو يتوسل إلي أن أنقذ عفتك من الضياع.

ليرا: أبي! (يحزن) أشهد الله أنني طاهرة بريئة. نعم، نم هادئًا، وستعلم في قبرك أن ابنتك دافعت عن نفسها أحسن دفاع. (تبكي) إنه غشني وكفى. فاترك لله عقابه.

جرفت: إنني حتى الآن لم أعلم شيئًا عن هذا السر الذي أخفيتته عني فهل لك أن تطلعي علي حتى يستريح ضميري؟

ليرا: أه، يا جرفت. لست أستطيع ولساني لا يجسر أن يفوه بكلمة. وكفاني تغذيًا ولكن اطمئن

فسأجعل اعترافي لك على لسان الرسائل. والآن أخاف أن يفوتني القطار، فأستودعك الله؟

جرفت: رغم تبكيت ضميري سأنتظر.

ليرا: وداعاً يا جرفت. وستراني إن شاء الله بارة وفية.

جرفت (يضمها إلى صدره ويقبلها بحرارة): إلى الملتقى يا ليرا. تجلدي يا ابنتي. واعتقدي أن الله سيتكفل بحراستك بعينه التي لا تنام. فلن تصل إليك يد الشر، مهما كانت قوية. ليرا! سأعود إلى غرفتي فأوصد علي بابها، وأمتنع عن رؤية العالم بأسره واضحاً أمام عيني الضعيفتين صورتك المحبوبة. ويخيل إلي أنني لن أرفع نظري عنها إلا متى تناولت منك الكتاب الأول مبشراً بسلامة الوصول. فبالله عليك لا تتركيني فريسة الإنتظار، وأعلمي أنه لا سلوان لي، أنا الشيخ الفاني، سوى الرسائل.

ليرا: هون عليك، يا ولدي المحبوب. واسمح لي أن أدعوك بوالدي منذ اليوم (تعانقه وتبكي).

جرفت: بارك الله فيك يا ابنتي. (ينظر في الساعة) لقد أذنت التاسعة. فعلى الطائر الميمون. ليرا! ها أنا ذا أضرع إلى الله أن يسمح لي برؤيتك قبل أن أموت.

ليرا: أستودعك الله. (تبكي) جرفت! أسألك الصبر والجلد. (تعانقه بحرارة) إلى الملتقى أيها الأمين (تخرج).

جرفت (لنفسه بذهول بينما يمسخ دموعه): إلى الملتقى يا من نزعت الروح عني بفراقك (يبكي) إلهي لقد مات تشستر، وسافرت ليرا، وبقيت انا، فلم اخترت هذا؟ ولم لم تترك الوالد لابنته، حتى لاتضطر الفتاة العذراء إلى ماأضطرت إليه الآن؟ سبحانك. ويا إلهي، كن معها أينما حلت، وهيء لها الخير أنى توجهت، وأبعد عنها الأذى (يمشي. إلى الباب ببطئ وتفكير).

(يغير المنظر بعد أن تطفأ الأنوار بغاية السرعة)

المنظر الثاني

(غرفة فاخرة بقصر كاستل تروز. بها مكتب وبيانو على الجانبين)

(ليدى تيودوسيا هاينلت جالسة على مكتبها وأمامها أوراق تفحصها وأمام المكتب قسان: مارتن فاترو والفرد، وعلى الجهة اليسرى امرأة في سن الأربعين، مسز ليزلي)

تيودوسيا (تكتب ثم ترفع رأسها): ألم يتأخر أحد الأعضاء أمس؟

فانشو: كلا يا حضرة الليدي، وقد قرأت له ورقة الاعتذار المقدمة منك.

تيودوسيا: وهل وافقت قبولا؟ (تعاود الكتابة).

فانشو: نعم (يدخل داين أرمتايدج).

(داين يحيي القسيس برأسه ويبتسم لتيودوسيا ويجلس بجانبها)

فانشو (ينظر إلى اللورد بامتعاض): متى شرف حضرة اللورد؟

داين: الآن.

تيودوسيا (ترفع رأسها فتري اللورد): داين، أهلا بك ياأبن العم، نحن في اجتماع كما ترى، وأنت سيد القصر فاختر لنفسك أي مكان تستحسن ريثما ينفذ الاجتماع.

داين: حسنا (يظل جالسا ينظر إلى فانشو من طرف خفي).

فانشو: يلوح لي أن سيدي اللورد يفضل أن يحضر الاجتماع.

داين (بسخرية): إن هذا يشجعني على عمل الخير.

تيودوسيا: يا حبذا لو صح ذلك! (تستطرد وهي تكتب) ستة وثلاثون ياردة من الفلانيل بحساب شلن وخمسة بنسات للياردة الواحدة (ترفع رأسها فتري داين).

داين: أنا لا أظن أنني كنت كاتب حسابات.

تيودوسيا: عفوا، أنا لم أوجه إليك عملية الحساب.

فانشو (عابسا): جنيهان وأحد عشر شلنا فقط.

تيودوسيا (تكتب): نعم، جنيهان وأحد عشر شلنا بالضبط، وكم عدد الأعضاء؟

فانشو (ينظر في الأوراق): ثمانية وعشرون عضواً.

تيودوسيا: وكان كل عضو يدفع قيمة اشتراك قدرها بنس في الأسبوع، فبعد كم من الزمن يدفع الثمن؟

داين (بسخرية): بعد مائة سنة.

فانشو: دع عنك المزاح بالورد، أنسيت أن اجتماعنا هذا لصالح الفقراء؟ فلم التهكم؟

داين: معذرة يا حضرة المحترم، أنا لا أتهكم.

فانشو: لا داعي للسخرية بنا يا حضرة اللورد.

تيودوسيا: أتجهل أهمية هذا العمل يا عزيزي داين؟ إنا نجتهد في تأليف قلوب جماعة من الموسرين لنحصل منهم على مبالغ من المال يكفي لشراء ملابس للفقراء تقيهم قسوة البرد.

داين: أما أنا فأني على استعداد لدفع هذا المبلغ فوراً، ولا داعي لهذه المشاغل.

تيودوسيا: ليس هذا هو الغرض، إنما الغرض هو الاستمرار في عمل الخير. فلو لم تشكل جمعية تقوم بكل ما يطلب منها من المعونة دون ارهاق، أعني بدفع مبلغ زهيد في كل أسبوع، لأستحال على فرد واحد أن يقوم بأي عمل خيري مستديم.

داين: وإذا لم يتيسر جمع المبلغ من حضرات الأعضاء، فلا شك أن العقاب سيقع على الفقراء المساكين.

فانشو (بغضب): إني أستحسن أيتها الليدي المحترمة أن تؤجلي هذا الإجتماع إلى فرصة أخرى.

داين: هل أزعجكم وجودي؟

فانشو: كلا بالورد، فقد أضعنا من وقت حضرة الليدي زمنًا طويلاً في هذا العمل، وهي الآن تحتاج إلى الخلوة والراحة. فلنؤجل هذا الإجتماع إلى ما بعد الغد إن أمكن ذلك. (يقف).

تيودوسيا: رأى موفق. (تقوم وتصافح القسين) إلى ما بعد غد.

فانشو: إلى الملتقى يا حضرة اللورد. (يصافحه).

داين (يمزح): أتحب أن أكون أحد الأعضاء في الإجتماع القادم؟

فانشو: أنت السيد الأمر. (يخرج ورفيقه).

تيودوسيا (إجلس يا داين): لماذا لم تسألني عن صحتي كما هي عادتكَ؟

داين: لأنني وجدتك مشغولة (بجلس) وأحببت ألا أصرفك عن المهم.

تيودوسيا: أو تحتقر عملنا هذا يا لورد؟

داين: كلا يا عزيزتي. إما أستسهل دفع المبلغ عن جمعه في سنوات.

تيودوسيا: إن دفع هذا المبلغ وأضعافه صفقة واحدة لمن السهل جدًا على فرد غني، ولكن من المستحيل أن يستمر ذلك.

داين: إنني أنظر إلى هذا الموضوع من وجهة نظري تخصني وحدي. ومعنى ذلك أنني أفضل دفع ألف شلن عن أن أشتغل بعمل كهذا نصف ساعة.

تيودوسيا: إنك مخطئ جدًا يا لورد — وياليت المصور أبدعك في القالب الذي أفرغت أنا فيه.

داين: أعوذ بالله (يضحك) أصبح عاشقًا للمحابر والأوراق؟

تيودوسيا: وهل في هذا عار عليك؟

داين: كلا. ولكني أميل إلى الهدوء والسكينة.

تيودوسيا: دعنا من هذا، واشرح لي أين كانت سياحتك. وهل، كنت تشعر فيها بالسعادة؟

داين: نعم كنت في سعادة وهناء، غير أنني لم أكن أعلم شيئًا عن أستار منستر، ولا كاستل تروز. ذلك لأنه يندر أن تمس يدي صحيفة. ولا تتسى ذلك الجهل.

مسز ليزلي: حماك الله من ذلك يا لورد! كيف تنسب لنفسك ما ليس فيك؟

تيودوسيا: إنك بذلك تفتحين لي سبيل التمادي في معتقده، يا عزيزتي ليزلي.

داين: أصبت المرمى يا ابنة العم. فلا عدمتك أبدًا.

تيودوسيا (إلى ليزلي): كان يجب عليك مساعدتي لفتحني لعينيه طريق الخير فيسلكه.

داين (يضحك): لقد انقضت جلسة الحسنات، وبدأت جلسة السيئات. ولكني مع هذا أراك ملكًا مصلحًا أيتها القديسة المحسنة.

تيودوسيا: إن آراءك هذه تبرهن على أنك لا تدرك كنه مركز العظيم، ولا تشعر بمقامك الرفيع. إن شابًا في صحتك وثروتك وجاهك يجب أن يمد يد المساعدة إلى المحتاجين؛ فيطعم المسكين، ويكسو اليتيم، وينتشل البائس من مهاوي الفاقة، ويأخذ بناصر من أحنى عليه الدهر.

داين (غارقًا في تأملاته): أترضي مكارم أخلاقك، أيتها الواعظة الحسنة. سليلة أسرة هاينليت، أن

تصميني هذه الوصمة؟

مسز ليزلي (إلى تيودوسيا): يظهر أن حضرة اللورد كان في تفكير عميق، وكانت وجهته غير كاستل تروز، وإلا ما كان قد فهم ما فهم.

داين (لليزلي): شكرًا لك أيتها الأمانة. لقد كنت أحسبك أكثر محبة لي مما بدا الآن.

تيودوسيا: إنها تقول الصراحة، فما معنى التهكم؟ إنني أستحلفك بشرفك أن تخبرني هل كنت مصغيًا إلى كلماتي الأخيرة؟

داين: لا أنكر عليك أنه فاتني منها شيء.

تيودوسيا: وكيف استنتجت هذا الحكم الجائر عليّ وعلى صديقتي العزيزة؟

داين: أنه أوحى إليّ به من صيد السمك. فما أسعد الذين ينقطعون للصيد!

تيودوسيا (بأسف): دعنا مما لا فائدة فيه، واشرح لنا شيئًا من سياحتك الأخيرة.

داين: لقد طفت بجميع المدائن والقرى الواقعة على ضفتي نهر التو، وصادفت المعتوه في فندق برنستابل.

تيودوسيا (بدهشة): ومن هو هذا المعتوه؟

داين: شاعر، ومصور، وموسيقي العائلة.

تيودوسيا (تضحك): لقد فهمت (إلى ليزلي) إنه يعني تشاندس ارمتايدج.

داين: نعم هو ذلك الأبله. ولقد وقعت بيننا مشاجرة عنيفة أدت بي إلى طرده من غرفتي.

تيودوسيا: إنك تمقته مقنًا شديدًا يا لورد. فهل من سبب؟

داين: لا داعي لذكر السبب الآن، لأنه مشين ومخجل. (يستطرد) ولما انقضت تلك الليلة المشؤومة بكرت أتمم سياحتي حول النهر. فأعجبتني بقعة أرض هناك كأنها روضة من رياض الفردوس (يتهد) فأحببت أن أستظل تحت وارف ظلالها. وما أستقر بي الجلوس لحظة حتى ذكرت ساعة صيد السمك (يتهد) وزن في أذني أن الصيد خطيئة.

تيودوسيا: إذن ماذا صنعت؟

داين: بدأت أصيد. (يتذكر) وما هي إلا هنيهة حتى هبت ريح عاصفة كادت تقتلع أشجار الوادي، فارتديت معطفي. وسرعان ما فارقت تلك الروضة الأنيقة (يتهد) التي سلبتني عقلي لما أبدعته فيها الطبيعة من الرونق والجمال.

تيودوسيا: أو تستنيك روضة، يا لورد؟

داين: إني بدأت أن اتعلم الغزل.. (يتأوه) ولكن آه! فارقني حسن الحظ.

تيودوسيا: إنك تتكلم بلغة تستر تحتها أسرارًا غامضة.

داين: لا وحقك، يا ابنة العم. إني خلو من الأسرار الغرامية، إذا كنت ترمين إلى ذلك.

تيودوسيا: لا بأس. ألم تر تشاندى منذ تلك الليلة؟

داين: كلا ولا أحب أن أراه.

تيودوسيا: لقد كتب إلي منذ شهر لأقبله عضوًا عاملاً في جمعيتنا الخيرية، فقبلناه. وقد طلب مابقي له من إيراد هذه السنة، فأرسلت إليه تحويلًا بمبلغ خمسمائة جنيه. وعلمت منه أنه نزل ضيفًا على عائلة فقيرة في طريق برنستابل. دون أن أعرف السبب. ومنذ ذلك الحين انقطعت عني أخباره تمامًا.

داين: نزل ضيفًا على عائلة فقيرة في برنستابل؟ هذا ما لا أصدقه (لنفسه) إنها ليست فقيرة. (يستطرد) ولكن مالنا ولهذا الأبله!

تيودوسيا: ما عهدتك على هذه الدرجة من الكراهية له قبل الآن. أنسيت أنه يحمل لقبك؟

داين: إنه لا يستحق هذا اللقب. (يصمت قليلاً) نسيت أن أسألك عن صحة حضرة الإيرل المحترم، والدي.

تيودوسيا: بخير.. يواصل عمله بهمة لا تعرف الملل ساعات متواليات.

داين: إني أشعر بألم الجوع.

تيودوسيا (إلى مسز ليزلي): مري يا عزيزتي بإحضار المائدة.

ليزلي (تقف): هل نسيت مولاتي موعد قصر جاردن سكوير في لندن؟

تيودوسيا (تتظر في ساعتها): يجب أن تسافري بعد الطعام مباشرة؟ هل بعثت بالعنوان الكافي لوصيفتها الجديدة؟

داين (إلى تيودوسيا): أبعثت في طلب وصيفة جديدة؟

تيودوسيا: نعم، لأترك شؤون القصر إلى ليزلى. وأختص بها لنفسي.

ليزلى: نعم أمرتها أن تصل إلى محطة واترلو، حيث تكون العربة في انتظارها. وسأقبلها في قصر مولاتي بلندن، ثم أرافقها إلى هنا.

تيودوسيا: أسرعى بتنفيذ ذلك بعد فراغك من المائدة مباشرة.

(ليزلى تتحني وتخرج)

تيودوسيا (إلى داين): ألم تعلم أن أباك سيشرفني بزورته اليوم، يا لورد، فلقد تناولت كتابًا منه أمس وعدني فيه بأنه سيشرف قصرى اليوم. فما أشد سروره برويتك هنا!

داين: كان يدور في خلدي أن أترك كاسل تروز إلى استار منستر اليوم حيث أشرف بمقابلة. أما وقد صار على وشك الوصول، فمن الواجب انتظاره هنا.

شارل (ينحني ويدخل): المائدة في انتظار مولاتي.

تيودوسيا: ومسز ليزلى؟

شارل: تجهز أمتعة السفر.

تيودوسيا (تقف): إلى المائدة بالورد.

داين (يقف): هات ذراعك يأبنة العم. (يخرجان).

شارل (لنفسه وهو يرتب الصالون): ما أسعد حياة الأغنياء وما أهنأها!

وليم (من الداخل): شارل! شارل! (يظهر وليم بالباب) شارل! لقد وصل مولاي الإرل.

شارل (يسرع الخطى إلى الباب ليستقبل الإيرل): أوصلت العربة إلى باب القصر؟

وليم: استعد، فهو الآن على الدرج.

الإيرل (يدخل فينحني شارل ووليم): أين مولاتكما؟

شارل (ينحني): على المائدة.

الإيرل: ألم تصلكم أخبار عن ولدي لورد داين؟

شارل: مولاي اللورد هنا في القصر من صبيحة اليوم.

الإيرل (بدهشة): داين هنا في كاستل تروز؟ (لنفسه) ولم لم يصل رأسًا إلى أستار منستر؟ (إلى

شارل) إذن هو على المائدة الآن؟

شارل (ينحني): نعم، يا مولاي.

الإيرل: حسنًا، لا تعلن خبر قدومي إلى الليدي إلا بعد انتهاء المائدة.

(شارل يدخل ينحني ويخرج ووليم)

الإيرل (لنفسه): أحمد الله، فقد وصل سالمًا بعد رحلته الطويلة (ينادي) شارل!

شارل (يدخل وينحني): مولاي!

الإيرل: إني أسمع الأميرة تودع انسانًا، وأخشى أن يكون اللورد.

شارل: إن مولاتي تودع مسز ليزلي. لتلحق بقطار لندن كي تحضر وصيفة جديدة.

الإيرل: إنك شديد النباهة يا شارل.

تيودوسيا (تدخل ومعها داين): لقد شرفتني بزورتك قصري، يا سيدي الإيرل. (تصافحه).

داين (يصافح الإيرل): تحيتي إلى الوالد المحترم.

الإيرل: أهلا بكما يا ولديّ. (يجلسان. داين عن يمينه وتيودوسيا عن شماله).

تيودوسيا: أهلا بك من كل قلبي، يا سيدي اللورد الأكبر.

الإيرل (لتيودوسيا): أشكر لك هذه العناية. (لداين) وأين كانت سياحتك الأخيرة؟

داين: إنني بفضل رضاء سيدي الوالد المحترم أتمتع بالصحة والهناء في كل مكان.

الإيرل: وهل كنت سعيدًا في تلك السياحات الفريدة؟

داين: نعم، وكنت أمتلئ قوة ونشاطًا.

الإيرل (مبتسمًا): أو كان قلبك يذكرني، وأنت في سرورك ولهوك؟ ما ظننت ذلك؟

داين (بحياء): أما في سروري فنعم، وما أظني ألهو الآن.

الإيرل: بارك الله فيك يا ولدي، أعرنني أذنًا صاغية. (إلى تيودوسيا) أسمحين بمشاركتنا يا عزيزتي الليدي؟ (إلى داين) أما أن لك أن تفكر في مستقبلك؟

داين: يسعدني أن أكون مشمولاً من سيدي الوالد بالعطف، أما مستقبلي فهو ما يوجهني إليه حظي.

الإيرل: أعددت لك مركزًا ساميًا لا يحتاج إلى اجهاد، وسترى أنه سيحسدك عليه كل شريف.

تيودوسيا: ستملاً قلبي ابتهاجًا بقبولك، يا عزيزي داين.

داين: إن رحلاتي الكثيرة في معظم مدن الدنيا المتحضرة زادت ثقافتني وأكسبتي خبرة واطلاعًا، وإني آنس في نفسي القدرة على القيام بكل ما يسند إلي من الأعمال.

تيودوسيا (بشفقة وحنو): عزيزي داين، إنك ترفع دعائم بيتك العريق بحسن ثقتك بنفسك.

الإيرل: لو أنعمت النظر، يا ولدي، فيما نطقت به الليدي، لعلمت مقدار حبها لك وشغفها بحسن مستقبلك.

شارل (يدخل وينحني): مولاتي الليدي!

تيودوسيا (باهتمام): ما وراؤك يا شارل؟

شارل: إن جمعية ملجأ الأيتام الجديد التي شرعت مولاتي في إنشائه قد تكامل أعضاؤها، وهم في انتظار حضرة الرئيسة.

تيودوسيا: ألم تعلم أن حضرة الإيرل هنا، وهو ضيفنا اليوم؟

شارل: أعلم ذلك يا مولاتي.

تيودوسيا: ولم لم تستعمل عقلك حين الحاجة إليه؟ كان يمكنك أن تقدم أعذارني، أو أن تنيب عني حضرة القس.

شارل: حاولت إنابة حضرة القس المحترم فلم أفجح، وقد ألح عليّ أن أعرض على مولاتي الأمر أولاً، فإذا صدر أمرك السامي بإنابته، قبل مرغماً.

تيودوسيا (بدهشة): مرغماً؟ وما معنى ذلك يا شارل؟ (بحدة).

شارل: إن بعض الأعضاء غير راض عنه، هذا هو سر الخلاف.

تيودوسيا: وكيف علمت ذلك؟

شارل: رأيتهم يتغامزون، وسمعت الناقلين عليه يتهايمون، فتجلت أمام عيني نار الحقد التي تشتعل في صدورهم، وخفت سوء العاقبة. لذلك أسرعت لعرض الأمر.

تيودوسيا: إذاً يجب أن أتلافى الموضوع بنفسه قبل أن يستفحل. (إلى الإيرل) أيسمح لي سيدي الإيرل بوضع دقائق؟

الإيرل: لقد أعجبتني شهامتك، يا عزيزتي. لك ما تشائين.

تيودوسيا (إلى شارل): شارل. أعلن قدومي. (ينحني ويخرج. تقف) لا تقلقا لغيابي (تخرج).

الإيرل: في حراسة الله (إلى داين) إنها أشرف فتاه كللت تاريخها بأكليل المجد. ولقد أضافت إلى أسرتنا أحسن ذكرى بما خلدت من آثارها من الحسنات.

داين: الحق معك يا والدي العزيز. إنها مثال الفضيلة والخير.

الإيرل: إني أخلو بك الآن. فهل تحب أن نتكلم في شأنها؟ وما هو رأيك؟

داين: نتفاوض في شأنها؟ وكيف أعلن لكم رأيي في شأن لا علم لي به؟

الإيرل: ألعك نسيت الخطبة التي أرتببت بها منذ حدثتك؟

داين (باضطراب): إني لم أفكر في هذا الشأن قط.

الإيرل: ولكنني أهتم بسعادتك. أتجهل أهمية هذا الموضوع، وما يقع كالنا فيه إذا فصمت عراه لا قدر الله.

داين: نعم أعلم ذلك.

الإيرل: لقد أرحت ضميري بها التصريح. وكان يخيفني أن تكون أصبحت قليل العناية به.

داين: وكيف لا أهتم بما أنت مهتم به. وغرضك الهناء والراحة لي.

الإيرل: أحمد الله الذي وفقك إلى معرفة الواجب عليك.

داين: إنني أحترم رأيك، يا ولدي المحبوب، وأقدس طاعتك. بيد أنني أخول لنفسي الحق في شيء واحد.

الإيرل (يقاطعه): هو الزواج. أليس كذلك؟ إنني لمحت غرضك بمجرد الإشارة.

داين: نعم. أحب أن أطلق لنفسي فيه حرية الاختيار، حيث أرى السعادة والشقاء مقرونين به.

الإيرل: أنت محق يا داين. وأضف إلى ذلك أنني أبوك. فلا تقطع صلة أبوتي واحترم مقامي.

داين (بخجل): احترام مقامك واجب مفروض علي. ولا يجرؤ أقوى عامل في الحياة أن يعيبث به أو يززع من مركزه. ورأيك فوق ما تحب أن يكون. غير أنني في هذا الموضوع أميل بطبعي إلى دقات قلبي، وأنصاع إلى نداء ضميري. فبالله عليك، يا والدي، دعني وشأني في أمر زواجي. ولا تزف بيديك، التي ما تعودت غير الرحمة والعدل، التعاسة والشقاء لوحيدك الخاضع المطيع (يتهدد) والدي العزيز! لقد عودتني الجرأة، وعلمتني الصراحة، فلا يغضبك أنني استعملتها في حضرتك وأمام شخصك المحترم.

الإيرل (يتهدد): لقد سال منك دم الشرف على أسنة الطيش، إذ سولت لك نفسك مخالفة أبيك، فرضيت له الإهانة، وقد بلغ هذه السن.

داين: رحماك، والدي!

الإيرل: إنني تعاهدت ولورد هاينلت على ذلك — فكيف يسوغ لك أن تسفه رأيي، وأنا نافذ الكلمة. إنك بذلك الرفض تمزق أحشائي، وتصم أسمى بوصمة عار لا تمحي. أأختم حياتي بهذه النتيجة؟ ومن المحزن أنها لا تصدر إلا عنك أنت!

داين (بخشوع): هدى روعك، يا أباي، وأسمح لي بتقبيل يدك اعترافاً مني بالخطأ، (يقبل يده) وجباً في طلب العفو، (باستعطاف) يا والدي العزيز، أعلن أنني طوع أمرك.

الإيرل (بارتياح): أرضيت أن تكون زوجاً لليدي تيودوسيا هينلت؟

داين (ينظر إلى الأرض باضطراب): نعم قبلت، ولكن أمهلني ريثما أكون على استعداد.

الإيرل: لك مني ذلك. ولكن ضع نصب عينيك تنفيذ رغائبي. وتعهد لي من الآن ألا ترفض يدها مهما كانت الأسباب.

داين: إني أعاهدك يا والدي الأعز على احترام رأيك، واتباع مشورتك.

الإيرل (يضع يده على كتفه): بارك الله فيك. وآمل أن أبين استار منستر لا ينقض عهده.

داين: أبت لا تسترب بعهدي لك.

الإيرل (ينظر في الساعة ثم ينادي): شارل!

شارل (يدخل وينحني): مولاي!

الإيرل: إني تركت أوراقاً هامة في حقيبتني الصغيرة، فسل خادمي أن يسلمك الحقيبة بما فيها وأنتي بها.

(شارل ينحني ويخرج) لك أن تساعدني في ترتيب أوراق يهمني إنجازها اليوم. ولقد اخترت لك ذلك حتي لا تسأم وحدتك هنا.

داين: إني طوع الأمر.

شارل: يدخل فينحني ويضع الحقيبة أما الإيرل.

الإيرل: حسناً، ها هو العمل يداين فهيا بنا إلى غرفة المكتب.

داين: هيا بنا (يتناول الحقيبة. يقف).

الإيرل (إلى شارل): شارل! إذا انتهت حضرة الليدي من عملها قبل أن نترك غرفة المكتب وسألت عني واللورد، فعرفها أننا ندرس أوراقاً هامة، يجب أن ننتهي منها الليلة. (يخرجان).

شارل (ينحني. يرتب البهو): يندر وجود شيخ بهذا النشاط.

وليم (يدخل لمساعدة شارل): شارل! ما رأيك في هذا الشيخ الجليل؟

شارل: هذا هو الرجل العامل النافع اليقظ.. ويا حبذا لو حدا لورد داين حدوه.

وليم (يمسح البيانو ويفتحه ويلعب بأصابعه عليه): إنها العوبة منعشة (يعزف بأنغام رديئة) غريب! يظهر أن الأصابع التي تدق على هذه الآلة (ينظر إلى أصابعه) هي أصابع الأغنياء والجميلات

فقط، لذلك أرى أصابعي تخونني، لأنني ألتمس ما ليس من شأنني.

شارل (يسرع إليه ويغلق الآلة): اسكت يا متهوس. متى تترك الرعونة أيها الأحمق! ماذا يكون عقابك لو داهمتك مولاتي الآن؟

وليم (غاضبًا): إنك تهينني، يا شارل، وسأطلب من مولاتي ألا أكون معك في عمل واحد منذ اليوم. (يخرج).

شارل (لنفسه): إنني أتعذب جدًّا في إصلاح هؤلاء الخدم، فلا بد من استبدال غير النافع منهم. (يخرج).

(سكوت طويل. تظلم الأنوار تدريجيًّا. تدق الساعة ٦ دقائق)

مسز ليزلى (تدخل وتتبعها ليرا ووراءهما وليم): مالى أراك غاضبًا يا وليم؟

وليم: لست على وفاق مع شارل، وسأنتظر ريثما تنتهي مولاتي من اجتماعها، فأبسط إليها شكائتي. ليزلى: كن واسع الصدر يا وليم.

وليم: إن شارل اهانني.

ليزلى: إنه يمزح معك، وهو أكبر منك سنًا وأطول عهدًا في خدمة مولاتنا الليدي. فلا تتعجل في عمل ما عساه يعود عليك باللائمة والتعنيف.. أقدم لك الانسة ليرا تشستر وصيفة مولاتنا الجديدة.

وليم (ينحني): لقد شرفت كاسل تروز.

ليرا: شكرًا، يا وليم.

ليزلى (إلى ليرا): استريحى، يا عزيزتي. فقد صرفنا وقتًا طويلًا في السفر. (إلى وليم) إذهب بأمتعة الأنسة ليرا إلى مخدعها الخاص.

(وليم ينحني. يهم بالخروج)

ليزلى: انتظر! لم تخبرني أين مولاتنا الليدي؟

وليم: مولاتي في إجتماع أظنه أوشك أن ينتهي وأرى أنها لن تنتظر أكثر من ذلك.

ليزلى: حسنًا، اذهب، ومر خادمة الغرفة أن تجهزها، (يخرج وليم) إنني سعيدة بك يا عزيزتي ليرا.

ليرا: إن شفقتك على ياسيدي، جعلتني أسيرة احساسك الشريف.

ليزلى: أشكر لك هذا العطف وأزيدك علمًا بأن مولاتنا مثال المروءة ومكارم الأخلاق.

ليرا: والله إن قصرًا يحويك بين جدرانها لخليق بأن يكون معبدًا مقدسًا، فإذا كنت أنت بهذه المكارم، فما بال سيدة القصر؟

ليزلى: شرحت لك، يا عزيزتي، ما يجب اتباعه لمولاتنا من الواجبات، فإذا اتبعت ما رسمت لك، كنت سعيدة.

ليرا: إني وعيت كل شيء، فاطمئني.

ليزلى: بارك الله فيك يا ليرا. (تنصت) ماذا أسمع؟ الخدم يهرجون.

شارل (يدخل بعجلة): أين وليم؟ ولماذا لم يوقد الشموع وقد هجم الظلام؟

ليزلى: ما بالك يا شارل؟

شارل (ينحني): عفواً يا حضرة الرئيسة (يجرى إلى الباب وينحني) مولاتي اللیدی!

الليدي (تدخل): أهلا بك يا ليزلى (مشيرة إلى ليرا) ليرا تشستر؟

ليزلى (تتحني): أجل يا حضرة الليدي، لقد وصلت إلى جاردن سكوير في الموعد، ولم نلبث أن قمنا إلى كاسل تروز.

الليدي (تجلس): إني سعيدة جدًا برويتك يا مس ليرا، وأتعشم أن تكوني صديقة لا وصيفة.

ليرا (بابتهاج): إن هذه أسعد لحظة مرت بي منذ تتسمت الحياة.

الليدي: اجلسي بجانبني يا أميرة الكوخ، وقصي عليّ أدوار حياتك موجزة. (إلى ليزلى) اجلسي يا ليزلى.

ليرا (تجلس بجانب الليدي): إن قصتي محزنة.

ليزلى: لقد أهاجت عواطفني منذ أول نظرة وقع بصري عليها في جاردن سكوير.

الليدي: من هو أبوك يا ليرا؟ ومن أي أسرة؟

ليرا (تتنهد): أبي آدون تشستر، كان شريفًا غنيًا، سكن أمريكا وأثرى فيها، ولكن خانة الحظ، وأظنه فقد ثروته فعاد إلى إنجلترا يحملني طفلة بعد أن ماتت أمي، وكنت في الربيع الأول (تبكي).

الليدي: لا تجزعي يا عزيزتي، وثقي أنك أصبحت منذ اليوم في أحضان أخت وأم معًا.

ليرا: عاد أبي إلى برنستايل يحملني رضية، وابتاع كوخًا صغيرًا على ضفة نهر التو أمام كنيسة القديس مرقس القديمة، وكان يقوم بترببتي شيخ أمين (تتنهد) ظل في خدمة أبي أربعين عامًا، ولقد قام بتهذيبي خير قيام، وكان يحنو عليّ حنو الأم، فيدراً عني كل مكروه حتي ترعرت لا أعلم عن الدنيا غيره ووالدي، ولم أصادق رجلاً غيرهما لأننا كنا في معزل عن العالم (تتنهد) ومنذ أيام قلائل داهمتنا مصيبة يالهلها (تبكي) أوقعت الفشل في ذلك العش الهاديء المطمئن وشتت شمل ساكنيه (تبكي).

الليدي: يا إلهي (بحزن) وما موضوع ذلك المصاب؟

ليرا: فوجئنا بدين كان على أبي منذ بضع سنين. وكان لمراب غليظ القلب جامد العواطف، وكان ذلك المرابي قد شعر بعجز أبي المسكين عن وفاء دينه. فبعد أن كان يقنع سنويًا بالفائدة، جاء يسأله دفع الدين صفقة واحدة، وإلا سلب منا جميع ما نملك، وطردها من الكوخ. (تبكي).

الليدي: يا إله السماء (بشفقة) ليتني علمت ذلك في حينه! مسكينة! وكم كان مقدار ذلك الدين؟

ليرا (تتنهد): خمسمائة ذهبًا.

الليدي: فقط! نعم، لقد كان عظيمًا عليكم لأنكم لا تملكونه.

ليرا: أجل يا مولاتي — لقد تصدى لنا ذلك المرابي الصخري القلب، وأقسم أن يسلبنا كل ما نملك، إذا انقضى أسبوعان ولم نوفه دينه. فهوى أبي الشيخ مصعوقًا (تبكي) على فراش الألم. وظل ينزع حتى بقي من الأجل المضروب يوم واحد (تبكي) فلم يجسر على رؤية شمس ذلك اليوم الرهيب، فاستغاث بملك الموت، فأغاثه. (تبكي) نعم، لقد لفظ النفس الأخير وهو يباركني. وتركني أتخبط في ديجور الشقاء. (تخنقها العبرات) آه! إنها ذكرى يقشعر لها بدني، يا سيدتي. (يغمى عليها) آه! رحماك أيها الوالد المسكين.

الليدي (بحزن واهتمام): شارل! على بالمنعشات. مسكينة أيتها الفتاة. (يخرج شارل).

ليزلى: إنها قطعت نياط قلبي بحديثها المؤلم.

شارل (يدخل على عجل بالمنعشات): هاهي يا مولاتي.

الليدى (وتتناول الكأس. لليزلي): بيدي أنا لا بيدك يا عزيزتي.

ليزلى: إنك رحيمة يامولاتي.

الليدى (ترش ماء الزهر على وجه ليرا): انتظري ياليزلي، إنها ستكون أسعد فتاة في كاسل تروز، وربما كانت أسعد مني.

ليرا (تستفيق): عفوا ياسيدتي. (تحاول الوقوف فلا تتمكن) إني خادمة.

الليدى (تجلسها بيدها): كلا إنك أميرة هذا القصر، يا ليرا، فاستقبلي السعادة والهناء وإذا كان الدهر قد لعب معك دورًا محزنًا، فأنا أرغمه على أن يزف السرور إليك كرهًا لا اختيارًا.

ليرا (بسرور): أنت جديرة بالعبادة يا مولاتي، فلا عدمتك أبدًا. (تتنهد) مات أبي وهجم علينا ذئب المال فأجلاني وخادمي الشيخ عن الكوخ. ولما سألت عبراتي على يديه وأوسعتها ثقيلًا، هبط رسول الرحمة إلى قلبه الصلد، فتنازل لنا عن أجره سكنى غرفة خادمي نظير حراسة الكوخ. (تتنهد) مسكين أنت يا جرفث! فظللنا بها إلى أن أراد الله أن أكون تحت رعايتك؟

الليدى: لا تحزني. فأنا أمك وأبوك يا ليرا. وماذا صنعت بخادمك المسكين؟

ليرا: تركته في غرفته بين لفراقي حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا. (تتاوه).

الليدى: إن هذا لمحزن (تشعر بأن الصالة مظلمة، تنادي شارل) مالي أراكم أهملتم الواجب هذا المساء؟ لم توقدوا الشموع كالعادة؟ أين وليم؟

شارل (ينحني): هذا من واجب وليم يا مولاتي. واني أراه غائبًا.

ليزلى: لقد ذهب إلى مخدع مس ليرا.. ليرتب أمتعتها.

الليدى: وأنا بنفسى يجب أن أرتب لها غرفة النوم. فهلم بنا يا عزيزتي لأوصلك بيدي إلى مخدع هنائك الجديد (تقف الليدى وليرا وليزلي).

ليرا: إنك تعجزين لساني عن الشكر، يا مولاتي.

ليزلي (إلى شارل): سأرسل لك وليم يساعذك على إنارة البهو ليكون في استعداد لإستقبال حضرة الليدى بعد قليل.

الليدى: شارل! لقد نسيت أن أسألك عن حضرة الإيرل واللورد، فأين هما؟

شارل (ينحني): في غرفة المكتب. لقد شدد على مولاي الإيرل ألا يزعجه، لأن عمله هام جدًا. وإذا رغبت مولاتي أن تشاركهما فيه فلتفضل.

الليدى (بسرور): وهل قبل اللورد أن يشترك مع أبيه في العمل؟

شارل: نعم.

الليدى (بارتياح): إنها لمعجزة مدهشة. دعهما في عملهما، لأنني أرافق مس ليرا إلى مخدعها. وعليك أن تصدر تنبيهًا عامًا إلى جميع خدم القصر أن يكون احترام مس ليرا من احترامي! أفهمت.

شارل (ينحني): سأنفذ أمر مولاتي. (تخرج الليدى و ليرا و ليزلي. يبدأ بإيقاد الشموع).

وليم (يدخل): لماذا بعثت في طلبي؟

شارل (يضحك): ها.. لقد عدت يا أحمق. أنسيت أنني أقوم بواجبك الآن؟

وليم (بذهول): ولكني غاضب منك، فما رأيك؟

شارل: أنا رئيسك، فيجب أن تطيعني. ونحن أمامي من الآن وإلا ...

وليم (بغضب): أنحني أمامك من الآن؟ ومن أنت؟ أصبحت مولاتي؟

شارل (يضحك): إنك ظريف جدًا يا وليم. هل أنت غاضب مني؟ إنني كنت أمزح معك.

وليم: قبلت اعتذارك. وأرجوك ألا تكثر مزاحك لأنني سريع الغضب.

شارل: هل رأيت الوصيفة الجديدة؟ وهل بلغتك الأوامر؟

وليم: رأيتها، ما أجملها. ولكن لم أستلم أوامر؟

شارل: صدر أمر مولاتنا الليدى أن تخاطب الوصيفة الجديدة بيامولاتي بعد الإنحناء.

وليم (يضحك): ومن بلغك هذا الأمر الجديد؟

شارل: مولاتنا الليدى نفسها. فاذهب وادع جميع الخدم لأصدر إليهم الأوامر الجديدة.

وليم (ينحني): لك الطاعة يا مولاي (يضحك ثم ينحني ويخرج).

شارل: إنه خفيف العقل والروح معًا (بيتسم). يدخل الخدم جميعًا ويقفون حول البهو) هل بلغكم أمر مولاتكم؟

الجميع: لا يا حضرة الرئيس.

وليم (غاضبًا): كيف لا، أيها الأغبياء؟ أنسيتم الإنحناء؟ (ينحني) ألم انبهكم معشر البلداء؟ (يضحكون).

شارل: اسمعوا (يصمتون) لقد نزلت بقصرنا اليوم أنسة جديدة تدعى ليرا تشستر، فصدر أمر مولاتنا أن يكون احترامها من احترام مولاتنا. أفهمتم؟

الجميع: نعم.

وليم (يجرى إلى الباب ثم يعود مسرعًا وينحني): الأميرة!

الليدي (تدخل ومعها ليزلي و ليرا فينحني جميع الخدم): أقدم لكم مولاتكم الجديدة مس ليرا تشستر، فيجب احترامها كشخصي في كاسل تروز، ولقد أصبح لها حق التصرف في شؤونكم جميعًا ... أفهمتم؟

الجميع (بانحناء): لتحي الأميرة.

الليدي: اذهبوا إلى أعمالكم، وليبق شارل ووليم بالباب. (يخرج الخدم، وتذهب الليدي إلى جهة المعزف) ليزلي! ألك أن تطربينا قليلا احتفالاً بليرا؟

ليزلي: لك الطاعة، ياربة الإحسان. (تجلس وتعزف).

الليدي (تجلس بجانبها): اجلسي يا ليرا. أتجيدين التوقيع على هذه الآلة الشجية؟

ليرا (بخجل): كلا، ياسيديتي. وما وقع نظري عليها قبل اليوم (تضع يدها على جنبها).

الليدي: ما بالك؟ أتشعرين بألم؟

ليرا: إن شدة سروري سببت لي دوارًا خفيفًا.

الليدي: لا بأس عليك. إنه سيزول حالًا متى استرحت قليلا، فاجلسي (تجلس ليرا).

ليرا: إن السعادة التي أشعر بها الآن أنستني كل آلامي. فلا عدمتك يا إلهة المكارم.

الليدى (بسرور): إنك بدأت حياة جديدة، فاصرفي عنك الهم.

شارل (يدخل وينحني): مولاي اللورد.

داين (يدخل مسرعًا): هل أنتم محتفلون بأبي؟ (يذهب إلى الليدى) تركته وأسرعت بالهرب. (يضحك).

ليرا (تصرخ وترتمي): آه! (تتمتم). هو بعينه. إذا هي تيو... (يغمى عليها).

داين (يرى ليلا): ويلاه! إنها هي (يتراجع) ليلا (يمسح جبينه) افتحوا النوافذ. إنني أكاد أختنق. بماذا أشعره؟ آه! (يرتمي على مقعد).

الليدى (تقف مشدوهة وتسكت ليزلي عن العزف): أسعفوها بالمنعشات (تتظر إليها تارة وإلى اللورد أخرى) انتظروا، احملوها إلى غرفتها (يحملون ليلا ويخرجون) لورد (تذهب إلى داين) لورد! ماذا دهالك؟ (شارل) إلى بطبيب القصر حالا. (يخرج شارل) هل أصابك شيء؟ (تجلس بجانب اللورد) تكلم يا داين. ماذا اعتراك يا عزيزي؟ لماذا لا تتكلم؟ ويلاه! (بقلق) لماذا لم يحضر الطبيب؟ لقد تأخر.

الطبيب (يدخل مع شارل): بماذا تأمر الليدى؟ (ينحني ويرفع قبعته) ماذا أصاب اللورد؟ (يهتم به جدًا).

الليدى: لا أعلم سوى أنه دخل البهو ونحن في شبه احتفال، وما إن توسط القاعة حتى انتابه ما ترى.

الطبيب (يعالجه فيفوق): لا بأس عليه ... لقد ثاب إلى رشده.

داين: أين أنا؟ الطبيب! ليدى هاينلت! (يتلفت على ليلا) ماذا أصابني أيها الطبيب؟ (يتمتم) أين هي؟

الطبيب: إنك في إغماء بسيط يا لورد لن يلبث أن يزول تمامًا. وأنصح لك أن تذهب لتستريح في غرفتك.

داين (يساعده الطبيب على النهوض): نعم يجب أن أستريح. ولكن مالي أراني ضعيفًا؟

الليدي (تقف): شارل. وليم.

الخدامان (يدخلان وينحنيان): بماذا تأمر الأميرة؟

الليدى: ساعدا اللورد حتى مخدعه، وافتحا جميع النوافذ. ولا تزعجا حضرة الإيرل.

الطبيب: نعم، سيعود إلى رشده تمامًا بعد نصف ساعة (يخرج الخدامان باللورد).

الليدى (للطبيب باهتمام): ما رأيك فيما اعتري اللورد من الإغماء؟ وما هي أسبابه؟ (تصمت قليلا) أعرنى سمعك، فسأطلعك على سر صغير شاهدته بعيني الآن. (تتنهد) لقد دخلت في خدمتي وصيفة جديدة. وهذه الليلة هي أول عهدا بالقصر. ولم يقع نظر اللورد عليها سوى هذه اللحظة التي فارق فيها شعوره. ولقد أصابها ما أصابه في نفس الزمن. فأمرت بنقلها إلى غرفتها في الحال، فماذا ترى في هذا الإتفاق الغريب؟ إن قلبي يحدثني أن هناك صلة قديمة بين اللورد وهذه الفتاة، ويزيد من هذا الشك أنه تتمم باسمها وتمتت باسمه. فما هو رأيك؟

الطبيب (بدهشة): لم أر، حين اختبرت قلب اللورد، ما يدل على ذلك. بل كل ما عنده نتيجة إفراطه في عمل أجهد فيه نفسه. فهل كان مشغولا قبل أن يدخل البهو مباشرة؟

الليدى: صدفة غريبة. نعم كان في عمل مع حضرة الإيرل، ومكث مدة طويلة، ولقد سئم العمل فهرب مسرعًا.

الطبيب: هذا سبب إغمائه، فإن كثرة العمل العقلي مع شدة الضوء والإكثار من التبغ، كل هذا يسبب الإغماء السريع.

الليدى: عليك إذا أن تعود الوصيفة الآن في مخدعها، ثم تطلعي على النتيجة. وها قد شرحت لك ما يحدثني به قلبي، وإني في انتظارك هنا حتى تعود، وإذا كانت تهذي فراقب كل كلمة تخرج من فيها.

الطبيب: سأعمل الواجب على. (بيتسم) أريحي ضميرك، ولا تسرعي بنقمتك، فربما كانت الفتاة مظلومة. (يخرج).

الليدى (حانقة): ما أغرب طوارئ الحدثنان! لقد بدأت أشعر بحركة جديدة، أنا التي ما تعودت غير السعادة والصفاء. داين. يابن ستار منستر: حذار أن تكون قد نقضت عهدي، فتكون بذلك قد وصمت أسرتك بعار لا يمحي. (تفكر) ولكن كيف ذلك؟ أي ذنب جنت تلك المسكينة، إذا كان قد أوقعها سوء حظها في حبه وكان ذلك منذ عهد طويل؟ أترضى مكارمي أن أفرق بين عاشقين تعاهدا في الحب والوفاء؟ أنا التي أوقفت حياتي على البر والإحسان. كلا! (بشفقة) أسباب المصائب لفتاة تعسة منكودة الطالع، جرعه الدهر مر عذابه، ورمها بسهم نقمته وغضبه؟ أفقدها أمها

رضيعة، واختطف أباهما فجأة، وسلب مالها ونعيمها، وطردها شريفة من عشها الهادي. كل ذلك بغير ذنب جنت. أليق بي أن أنتزع منها آخر أمل لها في تلك الحياة المحزنة؟ وإذا كانت قد أحبته وأحبها. فمن الظلم أن أفرق بينهما. (بشهادة) أيتها الفتاة، قري عيناً فسأزفه إليك بيدي إن كان هذا متمناك. ليرا لقد أحببتك لأول نظرة، فمن الشرف والمروءة أن يظل حبي لك كما هو. ليرا.

شارل (يدخل وينحني): الطبيب يامولاتي.

الليدي: ليدخل. (يخرج شارل).

الطبيب (يدخل مبتسماً وفي يده ورقة صغيرة كتب فيها ما سمعه من ليرا): لقد علمت كل شيء. الفتاة في إغماء طويل، وهي تهذى فتذكر ألفاظاً لا دخل لها في الموضوع، لقد سمعتها تلفظ أماء، مسكين أنت يا والدي، رحماك يا مستر دجارفن. تتح عني يا بارل، هون عليك يا جرفث، إني أكاد أختنق، ترى أين أجدك أيها النائي عني؟ (يقرأ هذا في ورقة) وتغمغم فيما بين ذلك ألفاظاً غريبة، فعلمت أن هذه الفتاة قد أصابها الدهر بضربة قطعت نياط قلبها، فهي في بؤس لا غرام، لأن الفاظها هذه تشف عن آلام نفسانية، وهياج عصبي شديد، وظهر لي أنها قروية لم تطأ قدمها القصور قبل اليوم، فكثرة الأضواء واختلاف ألوانها وشدة السرور بعد نهاية الحزن، كل ذلك سبب لها الهياج الدموي الشديد، فهي بريئة من حب اللورد، كما أنه بريء من حبها، إذ لا علاقة بين لورد عظيم وفتاة قروية مسكينة، فاصرفي ما عندك يا مولاتي واعتقدي في براءتها.

الليدي: لقد اقتنعت الآن، هل أمرت لها بالدواء؟

الطبيب: نعم وأعطيت التعليمات الكافية إلى خادمتها.

الليدي: واللورد أتركه بغير عناية؟

الطبيب: وهل يليق ذلك؟ إن دواءه النوم، فمتى أغمض جفنه ساعة، حصل على تمام الشفاء، ولكن ذلك لا يمنع أن اعوده الان.

الليدي: حسناً، إني أقدم لك شكري لجليل خدمتك.

الطبيب (ينحني): لا شكر على واجب (يخرج).

الليدي (لنفسها): إن الحوادث التي صادفتني اليوم لخليقة بالإعجاب.

شارل (يدخل وينحني): لقد نام هادئاً يامولاتي.

الليدى: هل كان يهذى في نومه؟

شارل: كان مضطربًا يغمغم ألفاظًا ما فهمت منها شيئًا.

الليدى: ومولاتك الجديدة، هل زرت مخدعها؟

شارل: كلا يامولاتي.

الليدى: اذهب فادع مسر ليزلي إلى هنا (يخرج) لابدَّ أن تكون ليزلي قد علمت منها أكثر من الجميع.

الإيرل (يدخل): أتأذن لي حضرة الليدى بالدخول؟ (بابتسام).

الليدى (تقف): أهلا بك يا حضرة الإيرل المحترم.

الإيرل (بسرور): لقد شغلته مدة طويلة، ولكنه غافلي. تركني أمعن النظر في موضوع هام وهرب (يضحك) لا بأس، سأعوده شيئًا فشيئًا (يجلس وتجلس الليدى) حالما تركني وخرج، سمعت جلبة وضوضاء سكت على أثرها صوت المعزف، ثم ساد سكون غريب ... في القصر. فهل هذا صحيح، أم كنت واهمًا؟

الليدى: نعم حدث ذلك، إثر مصاب ألم بالقصر ومن فيه.

الإيرل (بدهشة): إثر مصاب؟ وماهو؟

الليدى: أجل. لقد خرج اللورد من غرفة المكتب إلى البهو، فألفانا في شبه احتفال بتشريفكم وكانت الوصيفة الجديدة وصلت القصر منذ أكثر من ساعة، فما توسط البهو، ونظر إليها، حتى سقط في إغماء.

الإيرل (باضطراب): داين؟ ولدي؟ يغمى عليه لرؤية خادمة؟ ما معنى ذلك؟ إنك بلا شك واهمة يا حضرة الليدى.

الليدى: ومن غريب الإتفاق أن هذه الفتاة ما إن وقع بصرها عليه حتى سقطت مغمى عليها أيضًا! فماذا ترى في هذا الإتفاق المدهش؟

الإيرل (بغرابة): وأيضا الفتاة؟ إن هذا لغريب إدا، كيف اتفق ذلك؟ وماذا قال الطبيب؟

الليدى: لقد اهتم بهما اهتمامًا عظيمًا. ولشدة دربته أسند إغماء اللورد إلى كثرة عمله العقلي وشدة

الضوء والتدخين، وأسند إغماء الفتاة إلى سرورها الفجائي بعد حزنها العظيم، وإلى الانقلاب الذي شمل حياتها المضطربة، فأخرجها من حقارة الأكواخ إلى جلال القصور.

الإيرل: نعم الطبيب. لقد أجاد التعليل. وأين داين الآن؟

الليدى: في مخدعه ينام نومًا هادئًا. فاطمئن عليه. ولقد أفهمني الطبيب أن دواءه النوم.

الإيرل (يقف): يجب أن أراه.

الليدى: إنه سيفيق بعد ساعة، فمن الحكمة أن ننتظر حسب أمر الطبيب.

الإيرل: سأراه بعيني فقط، ولن أكون سببًا في إقلاق راحته. فهل لك أن ترافقيني يا عزيزتي؟

الليدى (تقف): سألحق بك متى حضرت مسز ليزلي، لأنني أرسلت في طلبها الآن. (يخرج الإيرل. لنفسها) إنه شديد المحبة لولده، ويهمه ألا يكون اللورد عاشقًا.

شارل (يدخل وينحني): مسز ليزلي يامولاتي. (تدخل ليزلي).

الليدى: كيف حالها الآن، يا عزيزتي ليزلي؟

ليزلى: لقد تحسنت، بيد أن إغمائها الطويل جعلها تنفوه في هذيانها، بما يصدع الأفئدة حزنًا عليها.

الليدى: وما رأيك في هذا الإتفاق المدهش؟

ليزلى: إن رأي يعزز رأي الطبيب، يا حضرة الليدى. وأنا أثق من براءتها وثوقي من نفسي..

الليدى: لقد آليت على نفسي ألا أكون حجر عثرة في سبيل هنائها، إذا صح ظني.

ليزلى: إنك أسمى من أن تتغصي حياة فتاة مسكينة. إنها احتمت بنا، فمن المروءة ألا نتخلى عنها في أونة الشدة، وفوق ذلك فإن قلبي يحدثني أنها بريئة.

الليدى: لقد اقتعت برأى الطبيب.

ليزلى: ومولاي اللورد، كيف هو الان؟

الليدى: انه بخير. ولقد أقر الطبيب أن علاجه النوم. ومنذ برهة خرج حضرة الإيرل من هنا ليعوده، ووعدته أن ألحق به. فاذهبي أنت للعناية بليرا.

ليزلى: سأقوم بواجب المروءة خير قيام. (تخرج).

الليدى (لنفسها): سوف ينكشف الغطاء، ولكني لن أنقض عهدًا نطقته به. إني أعتقد في قدرة الله. داين، لورد ارمتايدج! كن كما تحب أن تكون. إني وهبتك مالي ونفسي، فإن أحببت كنت لك قرينة صادقة، وإن أبيت كنت لك صديقة مخلصه. وأنت أيتها الفتاة المسكينة، لا يخفك انتقامي. إني سأكون لك درعًا متينة. تدرأ عنك الأذى، وتقيك شر حوادث الدهر. فكوني هادئة مطمئنة، واستقبلي السعادة والهناء.

الفصل الخامس

(غرفة فاخرة بقصر أستار منستر، لإقامة حفلة شائقة)

(ولفرد خادم لورد داين ارمتايدج يرتب البهو)

ولفرد: ما أعجب حوادث هذا الدهر! (بيتسم) لقد أصبح مولاي اللورد مغرمًا، أيها اللورد! يا لسعادة من بها كلفت! غريب! من كان يظن أن داين ارمتايدج رب أستار منستر العظيم تستببه وصيفة؟ أيسمح شرفه العظيم أن يفصم عرى الخطبة التي ارتبط بها مع ليدى تيودوسيا هاينلت الشريفة الغنية؟ وكيف يكون مركز مولاي الإيرل، لو تم ذلك؟ (بعجب). لقد بات القصر، ولا حديث فيه غير غرام اللورد. وما أظن هذا بخاف عن مولاي الإيرل، ولا عن الليدى نفسها. أصدق أصدقائه، لورد سانت أوبن يعزز له هذا الحب، ويساعده على إشتهاره. من يجسر أن يحول قلب العاشق إلى غير من يهوى؟

بول (يدخل): هل بلغك خبر الحفلة، يا ولفرد؟

ولفرد: أي حفلة تعني؟

بول: الحفلة الشائقة التي ستقام هذا المساء في القصر. ولقد أوفد اللورد رسولا إلى ليدى تيودوسيا أميرة كاسل تروز ومسز ليزلي ومس ليرا تشستر ليحضروا هذه الحفلة. وسيكون لوجود مس ليرا شأن عظيم في هذا الإجتماع.

ولفرد: أي شأن ياترى؟

بول: ربما أصبحت مس ليرا تشستر ليدى داين ارمتايدج؟

ولفرد: ويحك! كيف تجرؤ على هذا التصريح، ومن أفضى إليك بذلك؟ أواثق أنت مما تقول؟

بول: إنه اتفق لي أن سمعت محاورة بين مولاي اللورد، وبين لورد أوبن، علمت منها ما تتبأت به الآن.

ولفرد (بدهاء): لا تتطق بكلمة واحدة مما سمعت لأي إنسان في القصر، وإلا اعتبرت خائناً.

بول: أليت على نفسي ألا أنطق بحرف مما سمعت.

ولفرد (بخداع): اجتهد أن تتسى كل حرف فاه به مولاك. أفهمت؟

بول: نعم. لك مني ذلك.

ولفرد: ومن يؤيد لي ذلك؟

بول: يمكنني أن أسر لك ماسمعت. وإذاك يكون السر بيني وبينك. فإذا أذيع هذا السر، كنت أنت الواشي.

ولفرد (بانتصار): حسناً إنني أوافق على هذا الرأي. اجلس. (يجلسان).

بول: كان مولاي بغرفة المكتب على موعد مع صديقه لورد سانت أوبن. وما أن دخل الصديق، حتى أسرع مولاي فأوصد الباب. وكنت إذ ذاك في الغرفة المجاورة أرتبها، فسمعت مولاي يتأوه، فاستفزني الفضول أن أنصت عساي أعلم شيئاً من سبب آلامه فأفتديه بمهجتي إذا لزم الحال، وبينما كانت تساورني تلك الشواغل، إذ سمعت مولاي، بعد أن، تنهد، يقول: صديقي الأعز! سألتك أن أراك في خلوة كي أشرح لك ما صادفني في رحلتي الأخيرة. فأجاب اللورد: إنني مصغ لك، يا عزيزي، وستجدي أجود بدمي راضياً في سبيل هنائك! فأجاب مولاي: هذا أمني فيك أيها الصديق! واستطرد: لقد اتفق لي أن رأيت عادة يتلاعب بها قارب صغير في مياه التو أمام كنيسة القديس مرقس القديمة. وخيل إليّ أن الفتاة تحاول إنقاذ نفسها من الغرق، فألقيت بنفسي في الماء، وكدت أغرق لو لم تسعفني بقاربها. وسرعان ما انتشلنتني من الماء. وهنا توقف مولاي قليلاً وتنهت من أعماق قلبه، ثم أردف: وصل بنا القارب إلى الشاطئ، فساعدتني حتى عشاها الجميل، وهو كوخ صغير آية في الإبداع، وقدمتني إلى أبيها، وهو شيخ جليل عليه سيما الوقار. فاستضافني حتى جفت ثيابي، ولسوء حظي كانت المدة الوجيزة التي لا تيرح ذاكرتي كافية لولوعي بتلك الحساء. نعم إنها جديرة بحبي، إنها فتاة عفيفة حوت وحدها نصف جمال العالم، تعيش بين شيخين أحنى ظهرهما الكبر: أب وخدام أمين. وهنا اشتد تأوه مولاي، فخاطبه اللورد قائلاً: وهل تبادلتما نظرات الحب؟ فأجاب مولاي بتأوه: نعم ولكن وأسفاه! وعدتها أن أعلمها صيد السمك في صبيحة اليوم التالي، وما بزغت شمس ذلك اليوم حتى أسرع إليها وفاء لوعدي. ثم أردف: ليت شمس ذلك اليوم ما طلعت! فلقد كانت سبب بلائي، إذ دفعني طيش الشباب إلى اختلاس قبلة، يا لهول ذكراها! فانتصبت جامدة كأنها تمثال، وأرسلت إليّ نظرة أنخلع لهولها قلبي، ثم فرت شاردة كالظبي دون أن تعير توسلاتي أقل التفات، فطار صوابي، ووقفت جامداً كالصنم أشيعها بنظرة الندم حتى توارت عن عيني الدامعتين. وهنا أفاض العبرات، وأردف قائلاً: فرجعت وأنا أعض بنان الندم في

يأس وأسف. وهنا سمعت مولاي الإيرل يستأذنها في الدخول، فانقطع الحديث ولم أعد أسمع شيئاً. إنني أسمع وقع أقدام. (يجري إلى الباب) يقف ولفرد.

داين (يدخل داين وبجانبه لورد سانت أوبن إلى ولفردوبول): ستشرف القصر بعد قليل ليدي تيودوسيا، فيجب أن يكون قصري على تمام الإستعداد. انصرفا. (يخرجان بعد أداء التحية إلى سانت أوبن) أجلس يا عزيزي. (يجلسان) عدت إلى كاستل تروز فعلمت عزم حضرة الإيرل على زورة القصر في ذلك اليوم، فرأيت وجوب انتظاره. (يتنهد) وما حضر حتى خلق لي عملاً شغلني. ولما سئمته خرجت إلى ردهة الإستقبال، وما توسطتها حتى جمد الدم في عروقي، ذلك لأنني فوجئت برؤيتها.

سانت أوبن (بدهشة): ومن جاء بها إلى كاسل تروز؟

داين (يتنهد): إنها دخلت في خدمة ليدي تيودوسيا على إثر حادث مؤلم أفقدها أباه، وأقصاها عنوة عن عشاها الهاديء الجميل.

سانت أوبن: حديث مؤلم. وماذا حدث حين وقعت العين على العين؟

داين: شعرت أن الأرض تموج تحت أقدامي، وكأن سماء البهو تهبط فوق رأسي، وما لبثت أن سقطت لا أعي شيئاً وتصادف أن غشيها ما غشيني، فأسرعوا بنقلها إلى مخدعها. ولقد دخل الشك قلب الليدي، بيد أن الطبيب أزال هذا الريب. ولما افقت بادرت إلى غرفتها واعتبيت بها بنفسني (يتنهد).

سانت أوبن: ذلك الذي ولد الشك ثانية في قلب الليدي، وأكثر اللغط بين الخدم.

داين: أجل، ولكن تم ذلك على رغم إرادتي، ولم أحفل بكل ما أذيع عنا في القصر. بل ظللت بجانبها حتى أفاقت تمامًا. ويظهر أن الليدي تباحثت في الأمر مع حضرة الإيرل، فبرح القصر دون أن يراني، فساعني ذلك جدًا، وعرفت أنني لن أدخل أستار منستر ما حبيبت. غير أن حضرة الإيرل لاحظ خطأه، فبادرني برسالة سألني فيها سرعة الوصول لأمر جلل، فلم أر بدأ من الطاعة. حاولت أن أخلو بالفتاة لأشرح لها الأمر، فلم أفلح بادئ ذي بدء، إذ رفضت بتأتًا أمر اجتماعنا. خلوت بها فترة قصيرة بعد جهد جهيد، فوجدت منها نفورًا جعلني أرتاب فيها. كانت تسمح دمعها المتناثر فوق خديها كأنها تكتم سرًا غامضًا تندلع نيرانه في فؤادها، فأنبريت إلى التوسل، فلم يجد نفعًا. (يتأوه) لم أتمالك أن فاتحتها في أمر الزواج. فنظرت إلى نظرة ملؤها الرعب ووثبت من مكانها كالمأخوذة. كانت دموعها أكبر شفيح لها عندي، فأصبحت كالمصعوق تكاد رأسي تحترق. سألتها عن سبب ذلك الإعراض وقد وضعت تحت أقدامها ثروتي ولقبي وحياتي، فأجابتي وهي

ترتجف وقلبا يكاد يفارق صدرها من هول ما هي فيه من الإضطراب: إليك عني، فلم أعد لك. وتولت حياء بعد أن سترت وجهها بيديها ثم وقفت وأرسلت إليّ نظرة لن تبرح مخيلتي إلى الأبد. ثم صاحت: وداعاً يا لورد إنك لن تراني بعد الان. ولا أمل في خلوتك بي بعد ذلك. ثم غمغمت بصوت خافت: قائلة لبتك علمت، وياليتني رأيتك في حين الحاجة إليك، ثم اختفت وهي تقول: مات الأمل. (يتأوه) ماذا تراه يا صديقي في كل ذلك؟

أوبن: يلوح لي أن ما أشقى الفتاة أنها كملت قلباً وقلبا، فيا لسعادة من كانت له!

داين: هذا كل ما أشقى من أجله. ولقد قضيت ليلة الأمس حتي انبلج الصبح وأنا أقنع والدي الإيرل بوجوب زواجي منها، فهاله الأمر، وشق عليه احتمالها. فأخذ يعنفني، ولكنه كان يضرب في حديد بارد. ولما أنس في نفسه اليأس، لجأ إلى إرهابي والغضب متمكن منه.

أوبن: وبعد؟

داين: لم يثن ذلك من عزمي وصممت على فصم عرى الخطبة التي بيني وبين تيودوسيا، وأن أعود فأتوسل إلى ليرا.

أوبن: وهل أطلعت حضرة الإيرل على ذلك التصميم؟

داين: نعم بعد عناء طويل.

أوبن: وهل وافقك أخيراً؟

داين: وافقني مضطراً، ووعدني مكرهاً، ولم يقبل إلا بعد أن تولاه اليأس.

سانت أوبن: وعلى ماذا عولت، حين تحضر الليدي هنا؟

داين: أترك كل شيء لوالدي، فقد أخذ على عاتقه ذلك.

سانت أوبن: ومن تظنه يتقدم ليطلب يد الليدي تيودوسيا هاينلت؟

داين: لقد قضت السنين الطويلة في صحبة رجل تقول إنه مثال التقوى، رجل خلق ليكون لها، كما انها لم تخلق إلا له، انقطعت إليه بكليتها، فهو لا يفارقها لحظة واحدة بدعوى أنه مساعدتها في عمل الخير.

سانت أوبن: ومن هو؟

داين: مارتن فانشو.

سانت أوبن (بدهشة): القس؟

داين: هو بعينه!

أوبن: إذا صحَّ ذلك تَمَّ ما أردت.

ولفرد (يدخل. وينحني): سيدي الإيرل.

الإيرل (يدخل إلى سانت أوبن): هل أنت هنا. يا أعز الأصدقاء؟ (يخرج ولفرد).

أوبن (يقف وداين): نعم منذ ساعة، يا سيدي الإيرل.

الإيرل: هل صرح لك داين بألامه ونواياه؟

أوبن: نعم.

الإيرل: وما رأيك الخاص في موضوعه الهام؟

أوبن: إن صديقي محق في كل ما صمم عليه.

الإيرل: حتى وفي رفض يد الليدي تيودوسيا؟

أوبن: أجل يا سيدي الإيرل، فإنه إن لم يرفض يدها اليوم، وسترفض هي يده غدًا.

الإيرل (بغرابة): ومن أين أوحيت لك تلك النبوءة المستحيلة؟

أوبن: لم أتنبأ، بل هي الحقيقة. إن ليدى تيودوسيا هانيلت على وفاق تام مع حضرة القس مارتن فانشو. لا تعجب يا سيدي الإيرل، هذا هو الواقع، وهي التي تفكر في إيجاد الطريقة التي تسوغ لها قطع علائق تلك الخطبة التي تربطها باللورد. لقد أن لك يا سيدي الإيرل أن تعرف كل شيء، فإن كان صديقي (مشيرًا إلى داين) يفكر في إيجاد طريقة يقطع بها تلك الخطبة، فهذا نفس ما تفكر فيه الليدي الآن.

الإيرل: إنك اليوم غيرك بالأمس، يا عزيزي أوبن. فلم التحامل على الليدي؟

أوبن: حاشاي أن أتحمّل على من أقدم احترامها. إنها أشرف أميرات هذا العصر.

الإيرل (يألم): إني كنت أدخرها لولدي.

أوبن: أيقوى سيدي على معاندة القدر؟ إنها أصبحت والهة بحب فانشو، وكذلك هو.

الإيرل: إني لم أكن أنتظر ذلك.

أوبن: أما وقد علمتم كل شيء، فقد وجبت عليكم مساعدة صديقي (مشيرًا إلى داين).

الإيرل: إن استطعت ما تأخرت.

أوبن: وكيف لا يستطيع سيدي الإيرل، إذا كان يريد؟

الإيرل: ذلك معناه إني كنت لا أود..

سانت أوبن (باستفهام): زواج الأنسة ليرا تشستر من صديقي اللورد؟ (مشيرًا إلى داين).

الإيرل: أجل.

أوبن: لأنها فقيرة، أم لكونها فقدت والديها؟

الإيرل: لا هذا ولا ذلك. بل لأنني لا أعلم شيئًا عن سر مولدها، ولا عن أسرتها.

أوبن: كيف لم تمر بذاكرة سيدي الإيرل أسرة تشستر في لوكشير، وهو يعلم كل شيء عن جميع الأسر الكبيرة؟

الإيرل (يفكر): أسرة تشستر في لوكشير؟ نعم إني أعلم أشياء كثيرة عن هذه الأسرة، إن أملاكها تتأخم أملاكنا في لوكشير. إنها أسرة كبيرة فهل مس ليرا منها؟

أوبن: نعم. وهي ابنة أكرم رجل في تلك الأسرة.

الإيرل: نعم الفتاة. إني قبلتها عروسًا لداين.

داين (بفرح شديد): لا عدمتك، ياوالدي الأعز.

الإيرل: إني أسعى وراء سعادتك يادايين، وأنت تعلم علم اليقين أنني واسع الثروة وأنها ستؤول من بعدي إليك، فما دمت تحب ليرا تشستر، فما هي ثروتني بين يديك، وهي تضمن لك ولزوجك السعادة عن سعة. طب نفسًا واجتهد في أن تزف ليرا تشستر إليك.

ولفرد (يدخل وينحني): لقد وصلت مولاتي اللیدی یا مولای.

الإیرل (إلی داین): أسرع فی استقبال اللیدی یا داین؛ (لسانت أوبن) وأنت إذا سمحت یا لورد (یخرجان وولفرد).

الإیرل (لنفسه): إنه یهواها، ولیس لی أن أسیطر علی القلوب. تیودوسیا، إنه لم یخنك، ولكنك انشغلت عنه، وأهملت الإتصال به، فلیست لك علیه من حجة (یسمع ضوضاء) هاهی اللیدی!

ولفرد (یدخل وينحني): مولاتي اللیدی!

اللیدی (تدخل وبجانبها سانت أوبن ومن ورائها داین ولیرا ومن خلفهما القس فانشو ومسز لیزلی): تحيتي إلی سیدی الإیرل المحترم.

الإیرل (یقف): أهلا بك یا ابنتي العزیزة. (یصافحها) لقد شرفت استار منستر یا أمیرة كاسل تروز. (یصافح لیرا ومسز لیزلی) إني سعید جدًا بتشریفكن قصری.

اللیدی: إني بلسانها أقدم إلی السید الإیرل شكرًا عظیمًا علی هذه العواطف السمحاء. (مشیرة إلی فانشو) وأقدم لكم حضرة القس مارتن فانشو المحترم.

الإیرل (یصافح فانشو): أهلا برجل النقوی. لقد حملت إلی قصری بزورتك هذه ملائكة الرحمة وآیات الغفران.

فانشو (ینحني): أعز الله سیدی الإیرل.

داین (لتیودوسیا بفرح): إني أرى كل شيء بیبتسم.

تیودوسیا (بسرور): إني سعیدة جدًا برویتك، یاأبن العم.

الإیرل (یجلس): تفضلوا بالجلوس (یجلسون، إلی لیرا) لقد آنت استار منستر یا سليلة أسرة تشستر العظیم!

داین (یفرک یدیہ من شدة الفرح ویهمس إلی داین): إنه رفع مقامها فی عین اللیدی.

لیرا (تبتسم بفرح): إني بالإنابة عن مولاتي اللیدی اشكر عواطفكم السامیة یا مولای.

اللیدی: هل تعرف أسرة مسز لیرا، یاحضرة الإیرل؟

الإيرل: نعم، وهي من أجد الأسر القديمة، ولا تزال أملاكها تتأخم أملاكنا في لوكشير.

الليدى (بعجب): في لوكشير؟

الإيرل: نعم، ولا غرابة في ذلك فأنا أعرف رؤوس هذه الأسرة الكبيرة، وكأنه يلوح لي منذ عشرين سنة إني سمعت عن كبير تلك الأسرة الشريفة إنه رحل إلى أمريكا، هاجرًا بعض أفراد أسرته، فأثرى هناك وأصبح من كبار الماليين.

ليرا (باهتمام): أتذكر يا مولاي اسم هذا الشريف؟

الإيرل (يتذكر): أظنني لا أستطيع ذلك الآن لأن مشاغلي العظيمة أبعدت عن ذاكرتي مثل تلك الروايات. (يصمت قليلاً). ها قد فطنت، إنه بلا ريب السيد أدون نشستر.

ليرا (تبكي): هو والدي، يا مولاي.

الجميع (باندعاش): أبوها!

الإيرل (بسكون): أبوك، أنت، يا ابنتي؟

داين (بفرح واهتمام): نعم يا والدي، وقد سبق لي أن تعرفت به في سياحتي إلى برنستايل، وتناولت الشاي في بيته، وهناك رأيت المس ليرا تشستر لأول مرة.

الإيرل (باهتمام): ولم لم تخبرني عن هذه المصادفة الغريبة، يا ولدي؟

داين: لم أكن أعرف شيئًا عن ذلك ياسيدي الوالد.

الإيرل (إلى ليرا): وما السبب في عودتكم من أمريكا، يا ابنتي العزيزة؟

ليرا: لا أعرف السر في ذلك، وربما عرفه خادمي الأمين، جرفت.

الإيرل: وأين جرفت؟

ليرا: يسكن كوخنا، لا يزال في برنستايل.

الإيرل: وهل هو مسن؟

ليرا: نعم، إنه أكبر من والدي سنًا. (تتأوه) لقد كان ساهرًا على حراستي وهو طيب القلب.

الإيرل (يتذكر): نعم، إني رأيتَه مع أبِيك غير مرة في المزرعة. ولقد أعادت هذه الذكرى إلى ذاكرتي أشياء كثيرة عن هذه الأسرة التي ربما تكونين أنت وريثتها الوحيدة.

ليرا (بفرح واهتمام): أفي يقظة أنا أم في منام؟

الإيرل (بسور، يضحك): في اليقظة يا عزيزتي، وسأرد لك ما سلبك الدهر، وأزف بيدي هذه إليك الهناء والسعادة.

ليرا (بفرح عظيم): كم أنت كريم يا مولاي!

ولفرد (يدخل وينحني): المائدة على استعداد.

الإيرل (يقف): هلموا إلى المائدة (إلى الليدي) تفضلي يا ليدي.

الليدي (باندهاش): تفضل ياسيدي الإيرل (تقف).

داين (إلى الجميع): إن قصر استار منستر يتلأ نورًا بضيوفه هذا المساء (يتأبط ذراع الليدي يخرجون).

بول (يدخل ليرتب البهو): حقًا لقد أحسن رئيسي ولفرد في اقتراحه عدم التدخل في شئون الأمراء. نعم إني لست سوى خادم ضعيف يمكن استبداله من أجل هفوة، فكيف أجد هذه النعم، ولا أشكر الله عليها؟

الإيرل (يدخل متوكلًا على ذراع ليرا): رغبة في الخلوة بك، دعوت الليدي إلى قصري هذا المساء، وسألتها بإلحاح أن تصحبك بمعيتها. (يجلس) اجلسي إلى جانبي يا ليرا، وأعيريني كل التفاتك.

ليرا (تجلس): ها أنا ذي خاضعة لأمرك يا مولاي.

الإيرل: أتعلمين إني عظيم الثروة، وليس لي وريث شرعي غير وحيدي اللورد داين، وهل تعلمين أيضًا كم أحبه؟

ليرا (تنتهد): نعم أعلم ذلك.

الإيرل: وكنت قد تعاهدت وأخي لورد هاينلت أن تزف تيودوسيا إلى داين متى عرفا معنى الحياة. وكانا إذ ذاك في المهده. ولما ترعرعا شرحت لهما إرادتنا فوافقا عليها. غير أن الدهر أبى أن تتحقق تلك الأمانى، ووقع داين في حب غادة شريفة سواها.

ليرا (باهتمام): ومن هي هذه الغادة التي كلف بها اللورد؟

الإيرل: أظنك لا تتسين صيد السمك على ضفة نهر التو.

ليرا (تخفي وجهها بين يديها): أبلغ مولاي السر؟

الإيرل: نعم، أعلم كل شيء. (يمسح شعرها بيمينه) كوني مطمئنة فلم يخرج السر من لسان الولد إلا إلى صدر الوالد.

ليرا: يامولاي!

الإيرل: اطمئني فقد اخترتك عروسًا لولدي ولم يبق إلا كلمة القبول من فمك.

ليرا (بانزعاج): أنا؟

الإيرل: وهل في ذلك شك؟

ليرا: ولكن ... (في تفكير عميق).

الإيرل: ولكنك فقيرة، أليس كذلك؟ أتظنين، يا أبنتي، أن الفقر عار؟

ليرا: لا، يا مولاي (بدهشة) ولكن ...

الإيرل: ولكن ماذا يا عزيزتي؟ أراك مرتبكة فهل يؤلمك سر اعتراك في حياتك الأولى؟

ليرا (ترتجف): آه، يا مولاي! (تبكي).

الإيرل: تبكين أيضًا؟ أرفضة أنت طلبي، يا ليرا؟

ليرا: إن المضطر يركب الصعب يامولاي.

الإيرل: وهل يضطرك شيء إلى رفض طلبي؟

ليرا (بخجل): ربما كان ذلك، ياسيدي، وأراني مرغمة.

الإيرل: أتبخلين عليّ بشرح ما يؤلمك؟

ليرا (بالأم): لا يجسر لساني على النطق، يا مولاي.

الإيرل (يمسح شعرها بيمينه): أنظري مليًا في المسألة، وأعلمي أنني أريد لك الخير.

ليرا: كان يسعدني ذلك، لو استطعت.

الإيرل: إنه ليدهشني رفضك يد اللورد، مع أنها تسعد أغنى شريفة في لندن.

ليرا: هذا صحيح، يا مولاي.

الإيرل: إذا، كيف ترفضينها؟ وفوق ذلك فهي يد من يهواك لدرجة العبادة.

ليرا: يا إلهي! (بحزن) إن رفضي يد اللورد يقذف بي إلى هاوية الهلاك أيامًا قليلة، ثم يبعث بي إلى عالم الأبدية، حيث أرقد هادئة بعيدة عن تلك الآلام التي يصعب عليّ احتمالها.

الإيرل: لا بد أن هناك سرّ تدفينه على صدرك الكتوم. ولكن مهما كان هذا السر فلا أظن أنه يحول دون قبولك الإقتران باللورد.

ليرا (تبكي): مولاي، أستحلفك بكل عزيز أن تغير موضوع هذا الحديث!

الإيرل: تطلبين محالا ياأبنتي؛ لأنك بهذا العمل تزعجين حياة شاب أوقفها لحبك. وأقسم بشرف أسرته ألا يتزوج سواك.

ليرا (ترتجف): مولاي، رحمتك! واذكر أنني فتاة ضعيفة.

الإيرل (باستغراب): من منا يطلب الرحمة؟ واذكري أيضًا أنني إيرل أستار منستر أطرح تحت أقدامك ثروتي وسعادة ولدي، وأنت ترفضينها! فيالك من قاسية!

ليرا (تنتحب بشدة وتتنظر إلى السماء): إلهي، رحمتك أسألك، المعونة!

الإيرل (يحنو): ليراء، اذكري أنني شيخ يلعب بي الفناء، فلا تكذري عليّ صفو لحظاتي الأخيرة.

ليرا (تمسح جبينها إثر دوران شديد): ارحمني، يا مولاي، فإني أكاد أختنق. واسمح لي بالإنصراف لأنشق الهواء، وأمامنا متسع كبير من الوقت نعاود فيه الحديث، (تقف ببطء فتخونها رجلاها، فتسقط) أنقذني، يا سيدي، وأسعفني بالهواء ... الهواء!

الإيرل (يسرع إلى النافذة فيفتحها): لا بأس عليك يا عزيزتي. (باهتمام) كيف أنت الآن؟

ليرا (بكلام متقطع): أحمد الله ... إن الهواء أنعشني ... فشكرًا لك يا سيدي الإيرل.

الإيرل: سأتركك قليلاً، يا عزيزتي، لمفاوضة الليدي في فصح عرى الخطبة، كي أرف إليكما السعادة. (يخرج).

ليرا (لنفسها): إلهي! أمي! أبي! أين أنتم؟ لماذا لم تسرعوا لنجدي من هول ما أنا فيه؟ دابن! حبيبي! إني أحبك لدرجة العبادة. ولكن ما حيلتي وقد رمانى الدهر بنكبة لا مخرج لي منها، وقيدني بأغلال لافكاك لها؟ (تقف) دى جوفرى بارل! ليت شمس اليوم الذى عرفتك فيه ما طلعت، بل ليتني مت قبيل أن أضع يميني البريئة في يدك الخائنة أونة ذلك اليوم المشؤم. إلهي! كيف سمحت لهذا الوحش المفترس أن يرتبط إلى الأبد بفتاة يتيمة بائسة! مات أبي الذى كان يرعاني، ورحلت أمي التي كانت ترحم دموعي، وفارقت خادمي الأمين الذي أوقف حياته لحراستي. ويلاه! أتلفت حوالي فلا أرى منهم أحداً. (تنظر إلى السماء) لم يبق لي سواك ياخالق الرحمة. النجدة، يا إله السماء.

(في هذه الحالة يسمع صوت ينادي: مولاتي! فتلفت لتجد ولفرد منحنيًا وفي يده طبق فيه كتاب)

ولفرد (يدخل وفي يده طبق فيه كتاب): مولاتي! (ينحني).

ليرا (بانزعاج): ما وراؤك؟ (لنفسها) إنه سمع كل شيء.

ولفرد: كتاب برسم مولاتي المس ليرا تشستر بقصر كاسل تروز.

ليرا (تتناول الكتاب بيد مرتجفة): برسمي أنا؟ تنظر العنوان برنستابل (بفرح) لاشك أنه من جرفث. (تقبله).

ولفرد: هل من خدمة يا مولاتي؟

ليرا: هل وقع نظر مولاتي الليدي على هذا الكتاب؟

ولفرد: نعم، وهي التي سلمتني إياه وأمرتني بتسليمه إليك متى وجدتك في خلوة.

ليرا (بدهشة): في خلوة؟ ولم ذلك؟

ولفرد: هكذا أمرت، ولم أعلم السبب.

ليرا: حسنًا. أنا لا أحتاج إلى شيء. (ينحني ويخرج. تفتح الكتاب باهتمام) إنه وصل متأخرًا. (تنظر في التوقيع) جرفث. (تقبل الاسم) ما أطيب قلبك الطاهر! (تجلس وتقرأ) «سيدتي وابنتي الوحيدة، رعاك الله في غربتك. لقد انقطعت عني أخبارك منذ سفرك. إنه ليزعجني ذلك لأنني لا

أعلم السبب. هل أنت سعيدة كما أتمنى، فأشكر إلهي لقبوله توسلاتي أم تتألمين فأعد ذراعي إلى ضمك إذا أحببت العودة؟ أو أطيّر على أجنحة الرياح إليك إذا فضلت البقاء؟ ابنتي، لقد شاهدت حادثاً أمس يهكم الاطلاع عليه...». (لنفسها) يهمني الاطلاع عليه! ماذا عساه يكون؟ (تعيد القراءة). «بينما كنت أتصيد بجانب المغارة، أبصرت جماعة على ضفة النهر يهرجون، فعبرت النهر إليهم، فإذا هم مجتمعون حول جثة رجل حملها الماء إلى الشاطئ، ولكنها مشوهة جداً وممزقة الثياب. فلم يتمكن أحد منا من معرفة صاحبها، فساعدتهم على حملها إلى المغارة ولقد حانت مني إلتفاتة، فألفيت على القطعة الباقية من معطف الغريق زراً من الأزرار اللامعة المصنوعة على شكل كوكب والتي كنا نراها على معطف دي جوفري بارل...». (لنفسها) ياالله، أيمكن أن يكون هو الغريق؟ (تواصل) «... ولما خلعنا المعطف عن الجثة، وجدنا في جيب الصدر الداخلي دفترًا تذكرت أني رأيت مثله معه ولما فتحناه لم نتمكن من قراءة شيء، بل عثرنا بين طياته على أوراق مالية قيمتها خمسمائة جنيه...» (لنفسها) خمسمائة جنيه! هذا سر لا يعلمه أحد غيري أنا وحدي. (تواصل) «... أخذني الفضول فبحثت الوجه جيدًا، فرأيت فيه علامات دللتني على أن الغريق إنما هو دي جوفري بارل بعينه...» (لنفسها) وافرحتاه! (تقبل الكتاب تقرأ) «... لقد مات من كنت تخشينه، يا عزيزتي. فكوني هادئة، وأطمئني. وإني أهنتك على خلاصك من التصورات المؤلمة التي سببها لك هذا الوحش القاسي. أنا لا أعلم السر في رعبك منه للدرجة التي شاهدتها...» (لنفسها) نعم، إنه لا يعلم. (تقرأ) «... صحتي جيدة. ليس لي شاغل سواك. سأحضر متي حانت الفرصة. مني إليك قبلتي الأبوية. المربي جرفث» (تطوي الكتاب وتضعه في صدرها) الآن أشرق نجم سعادتي، فشكرًا لك يا إلهي..

ولفرد (يدخل وينحني): مولاي الإيرل.

الإيرل (يدخل): لعلك أحسن حالا الآن يا ابنتي.

ليرا (تتحني): شكرًا لعواطفكم الرحيمة، يا مولاي.

الإيرل: لقد تم كل شيء، وقبلت الليدي عن طيب خاطر، وستجهز لك بيدها ملابس العرس. إنها طيبة القلب، ولم يبق لي الآن إلا أن أسمع كلمة القبول منك.

ليرا (بفوز): إني مطيعة يا مولاي.

الإيرل: بارك الله فيك، يا أبنتي، إذا كنت راضية.

ليرا (بخجل): نعم رضيت. وإني رهينة أمر مولاي.

ولفرد (يدخل وينحني): سيدي اللورد وصديقه لورد سانت أوبن.

الإيرل: ليذخلا. (يدخل داين وسانت أوبن).

سانت أوبن: نرجو ألا نكون قد أزعجنا سيدي الإيرل ومس ليرا.

الإيرل (يضحك): إنه يسرني حضوركما، لأنه جاء في الوقت المناسب. (ينظر إلى داين) إني أهنك يا ولدي العزيز بعروسك (مشيرًا إلى ليرا).

سانت أوبن: وأنا أيضًا أقدم تهنئتي القلبية لصديقي الأعز.

داين (بفوز): أحمد الله، وأشكر لسيدي الوالد هذا العطف الكبير.

الإيرل: اجلسا يا ولديّ. (يجلسان).

سانت أوبن: إن ليدي تيودوسيا قابلت هذا النبأ بكل سرور.

الإيرل: يسرني أن تكون سعيدة، لأن لها في قلبي مكانة الإبنة.

ليرا: إنك أتقلت كاهل الجميع بحسناتك المتواليات، يا سيدي الإيرل.

الإيرل: لم أفعل غير الواجب عليّ كما لو كنت ابنتي. هيا بنا يا عزيزتي إلى مكثبي الخاص. (تقف فيقف الجميع ويتأبط ذراع ليرا) أيسمح لنا ولدي؟ (ينحني داين وسانت أوبن).

ولفرد (يدخل وينحني): مولاتي الليدي أمرت بإعداد المركبة.

داين: إلى كاسل تروز؟

ولفرد: نعم.

داين (إلى سانت أوبن): يجب أن تشيعها، يا لورد.

سانت أوبن: حسنًا هيّا بنا. (يخرجان).

ولفرد (يرتب الأثاث): لاشك أن هذه العذراء الجميلة تقربت إلى الله بثوب العفاف والطاعة حتى أن الله زف إليها هذه السعادة التي كانت تتمناها أجمل وأثرى النبيلات.

بول (يدخل): هل من خدمة يا حضرة الرئيس؟

ولفرد: هل تحمل أخبارًا عن عراك القلوب الذي يدور اليوم في قصرنا الذي ظل هادئًا السنين الطويلة؟

بول: لقد لاحظت أن سيدتي الليدي قد سرها فصم عرى الخطبة التي تربطها بسيدي اللورد ويظهر أنها ستستعويض عنه بحضرة القس المحترم، لأنها — على ما سمعت — تميل إليه كل الميل، وأنا لا أنكر أنني قرأت في وجهه علائم البشر والإرتياح، إذ سمعته يقول لها وهو يكاد يطير فرحًا: إنه بدأ يشعر منذ اليوم بالأمل والسعادة الدائمين.

ولفرد: حسنًا، وسيدي اللورد، علام عول إذا؟

بول: إنه بلا شك سيتزوج الحسنة صاحبة القصة التي عنفتني على سماعها.

ولفرد: إنك بعيد النظر، شديد الذكاء، يا بول. اني أسمع جلبه، فمن القادم يا ترى؟

بول: لا تشغل بالك، فحركة القصر اليوم غير عادية. (يدخل داين وفانشو وسانت أوبن).

داين (إلى ولفرد): هل لا يزال مولاك الإيرل في مكتبه مع مس ليرا؟

ولفرد: أجل، يا مولاي.

داين: ليطمئن في خلوته (إلى ولفرد) انصرف. (يخرج ولفرد وبول.. إلى صديقيه) تفضلا بالجلوس (يجلسون. لفانشوا) لم رفضت الليدي أن نصحبها إلى كاسل تروز؟

فانشو: لم تكن وجهتها كاسل تروز. إنها أسرع لتراأس اجتماعًا خيريًا هامًا.

داين: ولم لم تستصحب حضرة المحترم، كما هي عاداتها؟

فانشو: لقد أنابنتي في رئاسة اجتماع آخر لم يحن وقته بعد، فأثرت البقاء معكم ريثما يأتي الوقت المناسب. (بدهشة) وهل يسوؤكم وجودي؟

داين: استغفر الله. إن وجودكم بيننا يضاعف سرورنا.

فانشو: أشكركم.

ولفرد (يدخل حاملا بطاقة صغيرة ويقدمها إلى فانشو): حامل هذه يلتمس مقابلة سيدي شخصيًا.

فانشو (يتناول البطاقة وينظر فيها. بدهشة): مُرّه بالدخول (ينحني ويخرج).

ولفرد (يدخل): أرجوكم المعذرة ياسادة (إلى فانشوا) عندنا رجل يحتضر، وقد ألح كثيرًا في طلبكم شخصيًا للإعتراف. ومن غرائب ما شاهدت منه أنه يغمغم بين آن وآخر بكلمة ارمتايدج ولم نعلم لذلك من سبب.

داين (باهتمام): ارمتايدج؟ إن هذا عجيب. من هو يا ترى هذا المحتضر؟ أعلمت ما اسمه؟

ولفرد: نعم، لقد قال أن اسمه روبرت رودن. ويظهر أنه كان من رجال الكنيسة، لاحظت ذلك من ترتيله في صحوته أناشيد الهياكل الكهنوتية وبعض المقدمات.

داين (يجهد ذاكرته): روبرت رودن؟ إنني لا أعرف عن هذا الإسم شيئًا، ولكن من يدري، فربما كانت له علاقة بذلك الأحمق تشاندس؟

فانشو (إلى ولفرد): ها أنذا ألبى نداء الواجب المقدس. (إلى داين وسانت أوبن) أسمحان لي بالانصراف لتأدية هذه الخدمة الدينية (يقف اللورد وسانت أوبن).

داين: أيمن أن نصحبكم؟ وهل يجوز ذلك؟ أراني مدفوعًا بعامل حب الإطلاع إلى سماع اعتراف هذا المحتضر.

فانشو: هذا شأن يتعلق به وحده، فإن شاء كان، وإن رفض استحال.

داين: ما دام يذكر ارمتايدج، فهو لا شك يرتاح لوجودي.

فانشو: هلموا بنا، وسننظر في ذلك متى وصلنا..

داين (إلى ولفرد): هيثوا لنا العربية. (يخرج ولفرد. خرجون، تدخل ليرا في ثوب أبيض).

ليرا: ما أطيب قلب ذلك الشيخ! إنه يذكرني بوالدي. (تجلس) إن حنانه ضاعف في قلبي من حب داين، ليته يعيش طويلا كي أنسي بقربه فقدان أبي. (تصمت قليلا ثم تمسح جبينها) رباه، بماذا أشعر! إن دقات قلبي تتذرنني بحدوث أمر، فما هو يا ترى؟

ولفرد (يدخل وينحني): مولاتي، وصل إلى القصر شيخ طاعن في السن، فسأل عنك. ولما علم بوجودك هنا، طلب مقابلتك في خلوة، فدهشت من ذلك الطلب، ولما رأيته متردداً، قال: لا بأس عليك، اذهب إلى مس ليرا، واذكر كلمة جرفت.

ليرا (تصرخ بإندهاش): جرفت! جرفت! هل حضر؟ أحقًا ما تقول؟ إنني لا أكاد أصدق. ليدخل! (بدهشة) وافرحتاه ... لا تعجب.. إنه أبي. ما أشد سروري! (يخرج ولفرد).

جرفت (يدخل ممتلئاً سروراً): حملني الشوق إليك، يا ابنتي.

ليرا (تجري إلى الباب وتطوقه بذراعيها وتقبله): جرفت؟ جرفت! هذا أنت؟ أهلا بك. أفي يقظة أنا أم في منام!

جرفت: هأنذا، يا ابنتي العزيزة! أنت سعيدة؟

ليرا: تمت سعادتي بوجودك الآن.

جرفت (بانسراح): ضاعف الله سرورك. (يجلس وتجلس ليرا بجانبه) كنت أعرف أنك تسكنين كاسل تروز مع ليدي تيودوسيا هاينلت. ولما وصلت إلى القصر علمت أنك انتقلت إلى ستار منستر فما سبب هذا الانتقال؟

ليرا: نعم (تتأوه) إن الحوادث التي مرت بي والمصائب التي تقلبت في أحضانها، تذوب لهولها صم الصخور.

جرفت (بدهشة): أتتكلمين عن شخصك المحبوب.

ليرا (بتوجع): نعم، عن نفسي أنا.

جرفت: أما كفي ماجرى حتى تضاعفي أحزاني بحر شكائك؟ ابنتي، بالله عليك ما سبب هذه الآلام؟

ليرا: فارقتك بعد المصاب الفادح إلى كاسل تروز، مصحوبة بمسز ليزلي التي أروضعتني لبلان نصائحها، وبالغت في مواساتي. (تتنهد) وعندما دخلت القصر قابلتني ربة الإحسان وسيدة كاسل تروز، ليدي تيودوسيا، بكل حفاوة وترحيب ورفعت مكانتي بين حاشية القصر، حتى أصبحت مكانتي لا تقل احتراماً عنها. وقد مزقت بأيديها البارة الكريمة تلك الحجب الكثيفة التي كانت تخيم حول سعادتي؛ وأقصت عن قلبي المتوجع جميع الهموم والأحزان. (تتأوه) ما أطيب قلبها يا جرفت!

جرفت (باهتمام): وبعد؟

ليرا: كنا نحتفل باللورد الأكبر إيرل ستار منستر. وقد أخذ القصر زينته. وكنت موضع إعجاب الجميع، وما هي إلا لحظة (تتنهد) حتى رأيته يدخل فجأة (ترتعش) ويلاه! (تسكت).

جرفت (بغرابة): من هو؟

ليرا (تتهد): بربك، كفى! لا تضطرنى إلى ...

جرفث (بشغف): إلى، إلى، ماذا؟ أتخفين عني ما يؤلمك؟

ليرا (بحزن): كلا. (بخجل) ولكن ...

جرفث: أنا أبوك.

ليرا: نعم. أنت وحدك الذي يهكم شأني (تبكي) لورد داين أرمتايدج.

جرفث (بيتسم): فهمت، الذي علمك صيد السمك، أليس كذلك؟

ليرا: نعم هو بعينه. (تتهد، فيرتفع صدرها).

جرفث: لا شك أنك تحبينه. أقرأ في عينيك.

ليرا: نعم، أحببته منذ ذلك الحين.

جرفث: وماذا حدث عند دخوله؟

ليرا: لما وقعت العين على العين انتابني إغماء شديد، فسقطت على الأرض فاقدة كل حس. ولم أعلم ماذا جرى بعد ذلك. (تتهد متوجعة) ولما أفقت وجدتي في سريرى وبعض الخدم يعتنون بي، وعلمت في صحتي أن داين أصابه ما أصابني في نفس الوقت ونقل إلى سرير الليدى، وظل الكل حوله حتى أفاق.

جرفث (بدهشة): اتفاق غريب. (يدنو من ليра).

ليرا (بخجل): شاع على الألسنة منذ ذلك اللحظة أن حبنا متبادل وقديم. نعم، (بحنان) إنى وهبته كل قلبي منذ أول نظرة. وثق أنه خيل إلي أن الليدى أخذتها الغيرة، إذ أن الجميع كانوا يعتقدون أن ليدي تيودوسيا ولورد داين قد خلق كل منهما للآخر. وبهذا كانت تتم رغبة الإيرل وأخيه لورد هاينلت.

جرفث (باهتمام عظيم): هل نالك من غيرتها أذى؟

ليرا (بحنو وعطف): حاش لله أن تمد ليدي تيودوسيا يدها بإساءة إلى مخلوق، مهما نقتت عليه، إنها مثال العفو والإحسان.

جرفت (بانشرأح): إءآ؁ كلف ءخلف أن الؤفره ءسرفب إلفها؟

لفرآ: ءؤسم لفر ذلك من اءءمامها واسءءعائها الطفبب؁ وسؤاله عن سبب الإؤماء؁ وكلف أءفق أن فقع فر وقء واءء ولأول مقابله. (ءءءهء).

جرفء: ءسناً؁ وماذا ءم بعء ذلك؟

لفرآ (ءءءهء): لم فقو اللورء على إءفاء ما فءالؤ نفسه ءءرف؁ فكاشففر بؤبه؁ ورفانفر أن أقبل فءه فأكون عروساً له؁ فلم أقبل.

جرفء (بؤرابه): عروساً له؟ ولم لم ءقبلفر؟

لفرآ: ولما فئس من قبلفر لؤأ إلف ءضرة الإفرل والءه؁ فقضفرنا الساعاء الطوفله وهو فرؤونفر بالءاؤ؁ وأنا مصممة على الرفض.

جرفء (بءهشه وءزن): إنفر لا أؤء سبباً لامءءاعك. فهل لذلك من سبب؟

لفرآ (ءءأوه بألم شءفء): وفلاه! (ءفرك على فءفها) إنك لا ءعلم ...

جرفء: لا أعلم؟ (بالءؤراب) أءءء لك هنا شفر مؤلم؟

لفرآ (ءبكر بءزن): هنا؟ (ءءنفض) أما هنا؁ فلا؟

جرفء (بفرؤ وؤضب): إءآ هناك؁ قبل أن ءبرؤف العش.

لفرآ (بوجل ورفب): نعم هناك. (ءصء قلفلأ) فالفها من ءكرف مؤلمة ...

جرفء: إنك قء صوبء سهماً إلف صمفر قلبفر. نعم لؤء ءءقءء هو اؤسفر. إنفر كءء الأءظ علىك فرم سفرك أنك ءكءمفر عنفر آلاماً كائء ءرءسم على مءفاك؁ وءوسءء إلفك أن ءصارؤفرنفر؁ فالفءمء الصمء. (بءململ وأسف) ولكن ما علاقه كوؤ المءءنة بقصر سءار منسءر؟

لفرآ (ءمسؤ ءموعها): مسكفر أنت؁ فر جرفء. إنك لا ءعلم شفرأ. نعم؁ أءففر عنك كل شفرء.

جرفء (بالءمام): كلف سولء نفسك هذا؟

لفرآ (بءوسل): رفماك؁ فر إلهفر! (ءءءهء).

ولفرء (فءءل وفنؤفر): مولافر الإفرل فر ءاؤة إلف رؤفة مولاءفر ءالاف.

ليرا (تقف مذعورة): الإيرل؟ (إلى جرفث) هلم معي لأقدمك إلى سيد القصر، ولنؤجل ما نحن بصدده حتي نعود. (يقف جرفث ويخرجان).

ولفرد (يرتب المقاعد): إنها ملاك، فليهنأ بها مولاي اللورد. يلوح لي أن هذا الشيخ الذي يتجسم الشباب في سواعده، ويتجلي الإخلاص. تحت جبينه المتجدد، وتسطع الشهامة حول شعره الأبيض، قد أفرغ كل ما وهبه الله من حكمة في تربية هذه الزهرة حتي أينعت.

داين (يدخل ومعه فانشو وسانت أوبن. إلى ولفرد): هل لا تزال مس ليرا تتشرف بصحبة الإيرل؟

ولفرد (ينحني): ذهبت الآن مع جرفث، بناء على طلب مولاي الإيرل.

داين: من هو جرفث؟

ولفرد: خادمها الشيخ. لقد حضر اليوم من برنستابل.

داين (باهتمام): حسنًا، إذهب وهيء الغرفة المجاورة لهذا البهو. إني أريد أن أسمع بأذني كل كلمة تدور بين هذا الشيخ ومس ليرا. أفهمت؟ (ينحني ولفرد ويخرج).

داين (إلى فانشو وسانت أوبن): ما رأيكما في اعتراف روبرت رودن؟ (يجلسون).

فانشو: إنه غاية في الغرابة.

سانت أوبن: إني لا أكاد أصدق ما سمعت.

داين: إن ما يدهشني قبولها يدي، وهي تعلم ما بينها وبين تشاندس من العلاقات.

فانشو: هذا الموضوع غريب في بابه، فلا بد أن يكون قد وصلها عن تشاندس أخبار تأكدت منها أنه لن يعود، وبعد ذلك قبلت يد اللورد، ومع هذا فهي بريئة، أَلقت بنفسها بين مخالب ذلك الوحش تحت تأثير حادث مؤلم سوف نعرف حقيقته.

داين: أحب أن أسمع كلمات روبرت رودن الأخيرة، فأين الورقة؟

فانشو (يخرج الورقة): هاهي (يقرأ) «.. جاءني يومًا صديق لي عرفته في المدرسة، وسألني أن أساعده في تمثيل رواية، وكان يعلم ماضيّ وأني كنت من خدمة الكنيسة، فعرض عليّ أن أمثل دور قس. وكنت حين ذاك في أشد حالات الضيق لتراكم الديون عليّ، وكنت سكيرًا، فسقاني وشرب معي حتى نزع عني البقية الباقية لي من الضمير، ثم أخرج المال، فألجأني الفقر إلى

موافقته. إن هذا الرجل كان شيطانًا، فزين لي المستقبل، وكان غرضه أن أمثل عقد قران نظير إعطائي مبلغًا كبيرًا من المال. فاتفقنا على أن يحضر هو والفتاة إلى كنيسة خربة، فأعقد له عليها
«...»

سانت أوبن: لا شك أنه زواج باطل.

فانشو (مستأنفًا): «.. في اليوم المعين ذهبت إلى الكنيسة المهدامة، وآسفاه! ويلاه، إنني أشعر الآن برهبة ذلك المكان الموحش! وبعد قليل أقبل هو والفتاة، وكنت أتوقع أن أرى فتاة عادية، فإذا بي أرى عادة خلاصة المحاسن لها سذاجة الأطفال، تغلب عليها معاني الطهارة والشرف...».

داين: ويل لذلك النذل، إن انتقامي سيكون شديدًا.

فانشو (مستمرًا): «... ومع أن ذلك الرجل الشيطاني كان يؤكد لي أنها جاءت مسوقة بإرادتها فإنه لم يظهر عليها ما ينم عن ذلك، كان يلوح لي أن حزنًا عميقًا، أو مصيبة عظيمة دفعتها إلى ذلك المكروه...».

سانت أوبن (لداين): أرايت يا عزيزي أنها كانت مسوقة رغم إرادتها؟

داين: سننظر في ذلك يا لورد.

فانشو (يوصل): فلم أقو على ضبط نفسي، ولكن الشيطان كان يبسط إليّ كفيه، فأرى الذهب يلمع، فيصل بريقه إلى أعين الفاقة التي كانت تحيط بي من كل مكان، فسولت لي نفسي الطامعة أن أقرأ كلمات الإكليل. رحماك يا إلهي! وبعد أن تم ذلك أخذت المال وسافرت إلى أستراليا، إلا أن خيال تلك المسكينة المنكودة الحظ كان يطاردني أينما ذهبت، ففررت إلى الهند، ثم جيت بلادًا كثيرة أملا في أن يختفي عن عينيّ شبح تلك الفتاة الطاهرة. ولكن عبثًا كنت أحاول. ولقد داهمتني الأمراض حتي رمتني الأقدار بين أيديكم. إنني أحتضر الآن.. وهذا يريحني؛ إذ به أتخلص من رؤية ذلك الشبح المخيف. اسمي روبرت رودن واسم الفتاة ليرا، والإسم الحقيقي للرجل تشاندس ارمتايدج، واسمه عند الفتاة دجوفري بارل. واسم الكنيسة القديس مرقس، بيرنستايل قرب النهر. إذا كانت لكم معرفة بالفتاة أو أمكن أن تعثروا عليها، فاسألها الصبح والمغفرة.

داين (بألم): إن حواسي تضطرب. فما الرأي؟

ولفرد (يدخل وتتحني): مس ليرا وخادمها الشيخ قاصدان البهو.

داين (يقف وسانت أوبن وفانشو): هلموا بنا إلى الغرفة التي هيأها لنا ولفرد. (يخرجون من باب

داخلي).

ليرا (تدخل وجرفت يتوكأ على ساعدها): إنه يحبني، كما لو كان أبي حيًا. رأيت كيف أكرمك وطلب إليك ألا تفارقنا أبدًا؟

جرفت: إن لساني ليعجز عن وصفه.

ليرا (بألم): إني وعدته، فكيف العمل؟

جرفت (بدهشة): ما معنى هذا؟

ليرا: أنصت إليّ سأطُلعك على الحقيقة، وكنت أتكتمها حتى الآن، ولم أبح بحرف منها لمخلوق.

جرفت (باهتمام): ماهي هذه الحقيقة؟ اشرحها حتي أسدي إليك نصيحتي فيستريح ضميري.

ليرا: ارجع قليلا إلى الكوخ، وفكر، في حياتنا الأولى. لقد حضر معي شاب كاد يغرق وانتشلتته من الغرق. وفي اليوم الثاني حضر ليعلمني صيد السمك. هذا هو اللورد داين ارمتايدج ابن الإيرل. وهو المخلوق الوحيد الذي أحببته منذ أول نظرة. (تبكي).

جرفت: ولم البكاء، وقد أصبح قرانكما مؤكّدًا.

ليرا: إسمع. بعد أن سافر داين (تنتهد) حضر إلى كوحننا ذلك الشيطان دجوفري بارل، الذي استضفناه مدة طويلة.

جرفت: إطمئني، فأنا ما حضرت إلى هنا إلا بسببه.

ليرا: لقد أفهمني أن أبي مدين في خمسمائة ذهبًا، وأن صاحب الدين هددنا بطردنا من الكوخ واستيلائه عليه وعلى مزرعتنا الصغيرة. وجسم لي مصيرنا ونحن نتسول في الشوارع، وبرهن لي على ذلك حتى أقنعني أن هذا صحيح. وفعلا كنت أقرأ على وجه أبي علامات الضجر والخوف كلما قرب أجل الدفع. ولما زادت العلة على أبي تمكن مني الشيطان، وأكد لي أن نجاته في دفع الدين. وتوسلت إليه وأنا في حالة اليأس، أن يدفع هذا الخطب عنا، إذا كان ذلك في مقدوره. فأخبرني أن المال موجود، ولكن هناك شرط يجب أن أقبله، فسألته مطمئنة، فقال إنه يدفع الدين، إذا قبلت أن أتزوجه (تتأوه بألم).

جرفت: يا للشيطان! وبعد؟

ليرا: حاولت تارة بتوسلاتي وطورًا بدمعي أن أثنيه عن غرامه، فلم أفلح. وكنت كلما أبصرت أبي يتوجع، طار قلبي شعاعًا وانفطر هلعًا. فجتوت على أقدامه متوسلة أن يدفع المال وينقذ شرف والدي، فأبى إلا بالقبول. ولما رأيت أن أبي هالك، وتحققت ألا نجاة إلا بقبولي. (متتهدة) قبلت ...

جرفت (باهتمام عظيم): ليра، ما هذا الذي أسمع؟

ليرا: عندها أخبرني أنه ذاهب حالًا إلى بترال ليصرف المبلغ ويحضره معه، وطلب مني أن أكون في صباح اليوم التالي في كنيسة القديس مرقص القديمة على ضفة النهر حيث يكون في انتظاري مع القس (تتهد) أدهشتني هذه السرعة، فسألته عن سببها فأجاب بأنه سيسافر في أقرب فرصة للحاق بعمته المريضة. ولما سألته عن سبب تكتم هذا الزواج. قال: إن عمته لم علمت بزواجه حرمته من الوصية. (تتاوه) مضت تلك الليلة.

جرفت: ياللمصيبة! ليتني علمت منك هذا في حينه.

ليرا: ذهبت إلى الكنيسة (بتوجع) فألفيته والقس روبرت رودن في انتظاري والإضطراب باد عليهما، إذ كنت أقرأ في عيني القس علامات الخوف والتردد كأنه كان يخشى أن يفاجأ، أو كأنه كان مسوقًا رغم أنفه إلى عمل ياباه ضميره. وبعد تردد تلا كلمات الإكليل وهو يرتجف ولسانه يتلعثم. ومد دجوفري بارل يده إلى القس بقبضة من الذهب. فتناولها القس وخرج يعدو. وكأنه لص يتوارى عن أعين لاحقيه. (تبكي).

جرفت: يا للخيانة! إنه عقد باطل، لأن هذا القس لم يكن سوى لص مأجور، لتتوهمي أن هذا صحيح. كفكفي الدمع يا ابنتي، وكفى فقد انتقم الله لك من عدوك.

ليرا: حاول أن يظفر مني ولو بابتسامه، فشردت عنه ولم أمكن يده الدنسة أن تمس حتى طرف ثوبي. رجعت ودموعي تتدفق على فقد حبيبي، وما وصلت الكوخ حتى وجدت أبي جثة هامدة. (تبكي بحرقة) فوقفت جامدة أمام جسده الطاهر أندب سوء حظي. ولما رأيته بجانب طلبت منه المال لأدفعه عن أبي محافظة على وعده وشرفه، فرفض بدعوى أن الدين أصبح حقًا لي بعد موت أبي. فطار صوابي وصرخت، عندما رأيته، وكان ما كان من هروبه. ولم أسمع عنه شيئًا حتى الآن غير ما جاء بكتابك من أنه مات غريقًا.

جرفت: أبشري يا ابنتي، فإن هذا العقد باطل، والرجل الذي يخيفك قد هلك.

ليرا (بفرح): بالله، زدني إيضاحًا.

جرفت: إسمعي يا ابنتي: حدث بعد أن بعثت إليك بكتابي أن دجوفري بارل، ذلك الشيطان، حضر

يبتسم أخبارك، ظنًا منه أنك لا تزالين في عشك القديم.

ليرا (باستغراب): عجيب! إلى الكوخ؟ (باندهاش) وبعد؟

جرفث: أخذ يحوم حول المزرعة، فأبصرني، ففزع لرؤيتي.

ليرا: وبعد؟

جرفث: تناولت معولا من حديد وهممت أعدو وراءه فأخذ طريقه إلى النهر، فانطلقت أثب خلفه كالنمر يطلب فريسته.

ليرا (بتلهف): وبعد؟ وبعد؟

جرفث: قفز إلى قارب المزرعة، واتجه إلى الشاطئ الثاني، فصممت على اللحاق به سابقًا. وما كاد يصل إلى الشاطئ حتى ألقيت بنفسي في الماء، وما توسط النهر حتى أخذته رعدة وأقسم أنه ما أراد بك سوءًا، وأن زواجه منك ما كان إلا مهزلة أو ألعوبة، وأنه غير شرعي، لأن القس لم يكن سوى رجل بائس فقير كان يمثل دورًا مأجورًا عليه.

ليرا: هذا مذهش. (بسرور)، إنك أحببت ميت أمالي، وأعدت لي الحياة المطمئنة التي كنت قد بيئت من الحصول عليها.

جرفث: لم تؤثر في تلك الكلمات، بل استشاطتني غضبًا، لأنني كنت خالي الذهن من كل هذا، فألقيت بنفسي في الماء، وقد أخذتني رعدة هائلة، فلما أبصرني قذف بنفسه إلى الماء طلبًا للفرار سابقًا إلى الشاطئ الثاني. ولما كان لا يحسن السباحة ساعده حسن الحظ بأن رآه أحد الصيادين وهو يستغيث فأغاثة بقاربه.

ليرا (باهتمام عظيم): يا إلهي! وبعد؟

جرفث: بينما كان يعصر ثيابه على الشاطئ الثاني وكنت أنا في قارب المزرعة، أعالج تحويله عن كومة الرمل لا تزال به، قرعت أذني صرخة مفزعة، فسرحت نظري ناحية الصوت، فرأيت جمعا محتشداً تتقدمه امرأة عارية الرأس مبعثرة الشعر، وهي تصيح: هو هو بعينه!

ليرا (بخوف): ويلاه! إني أرتعد.

جرفث: وما كدت أصل إلى الشاطئ، حتى كانت المرأة قد انقضت عليه، واندفعت به إلى الماء مطوقة إياه بذراعيها، وما هي إلا لحظة حتى غاصا معًا تحت الماء في النهر. حاول الكثير من

الحضور إنقاذهما فلم يفلحوا.. كانت المرأة قابضة على عنقه فاستحال عليها الخلاص، وهلكا تحت الماء ...

ليرا (بذهول): إذا لقد مات دجوفري بارل؟ وافرحته!

داين (يدخل وسانت أوبن وفانشو): شكرًا لله، لقد هلك الخائن.

ليرا (تقف وجرفت. تنظر إلى الأرض بخجل. بارتجاف): داين؟

داين (بانسراح): نعم، إنه أنا (ينظر إلى جرفت) لقد شرفت قصرنا، وأدخلت علينا السرور، وجلبت لنا الهدايا بتشريفك ستار منستر اليوم.

جرفت (ينحني): شكرًا لك، يا مولاي.

ليرا (مشيرة إلى جرفت): إنه مربى الذي أرضعني لبن الفضيحة.

داين: نعم الرجل. لقد عرفت كل شيء. (ينظر جرفت إلى ليرا اختلاسًا) لا تنتظر إليها، فإني أرى قلبها يرقص فرحًا. (يبتسم) لا تعجبا من هذا فإني سمعت كل كلمة دارت بينكما، ووعيت الحديث من أوله إلى آخره.

ليرا (بخجل): أسمعت كل شيء؟ (تنتهد).

داين: وأعلم عنك أكبر مما تعلمين. (يلتفت إلى فانشو وسانت أوبن) أقدم إليك صديقنا فانشو مارتن، الأب المحترم، ولورد سانت أوبن.

ليرا (تتحني): لي عظيم الشرف.

داين (إلى صديقه): إني أشرف بأن أقدم لصديقي المخلصين ليدي ليلا ارميتايدج.

سانت أوبن (بسرور): إني أهنئكما من كل قلبي بهذا الإتصال الدائم.

جرفت: وأنا الآن لا يسعني شيء من الفرح الذي هز قلبي من أعماقه، ذلك القلب الذي لم يدخله السرور منذ عهد الشباب إلا هذه اللحظة فقط. (يمسح عينه) هذه دموع الفرح تجلج شعري الأبيض، فليبارككما الله يا ولدي.

داين: اسمعي يا عزيزتي، فسأزيدك ثقة بأني ملم بالموضوع أكثر من إمامك به. لقد حضرنا، أنا وصديقي، اليوم اعتراف محتضر. ولم يكن هذا المحتضر سوى اللص روبرت رودن الذي كان

يرافق ابن عمي تشاندس ارمتايدج، الذي تعرفينه باسم دجوفري بارل.

ليرا (بأسف ورعدة): ابن عمك؟ هذا عجيب.

جرفث (بصوت خافت): ابن عمه؟ باللداهية!

داين: لا تأسف، فإني غير آسف، لأن سلوكه كان مشيناً، وستعلمان عنه أشياء كثيرة. لقد شرح روبرت كل ما حصل في كنيسة القديس مرقص القديمة. وها هو ذا اعترافه مع صديقي المحترم (مشيراً إلى فانشو). سأطلعكما عليه فيما بعد، إن روبرت لم يكن راضياً عن ذلك وقال إنه كان دوراً هزلياً وأن هذا العقد لا شك باطل. واعترف بأنه عطف عليك لأنك كنت ملاك الطهارة، وكنت غير راضية عنه، مسوقة إليه بدافع قوي لا يعلمه، وختم كلامه بطلب العفو منك فأسألك الصبح عنه.

جرفث: حقيقة إن مولاي يعرف أكثر مما تعرف والآن، وقد وضح كل شيء، لا يسعنا إلا أن نشكر الله على هذه النتيجة.

داين: وأثر من هذا أن أبناء غرق تشاندس وصلت إلينا على لسان البرق وفي صحف لندن ولم يعلم والدي الإيرل بذلك بعد.

فانشو: إنا نقابل هذا الخبر بمزيد الأسف.

سانت أوبن: وأنا أشارك صديقنا فانشو في هذا الأسف.

داين: بارك الله فيكما، هذا مصير كل حي. والآن أسألكما ألا تطلعا والدي الإيرل على شيء من هذا الحادث، لأنه سريع التأثير، وصحته تهمني. ألا توافقان على ذلك؟

سانت أوبن: أصبت. وإني سأتناسى منذ هذه اللحظة كل ما علمته عنه.

فانشو: الحق معك، يا عزيزي داين، وأنا أشارك اللورد (مشيراً إلى سانت أوبن) في عواطفه السامية.

داين: أشكركما على هذا الإخلاص. (إلى ليرا) بقي علي أن أسمع من فمك الطاهر الحلو الجميل كلمة القبول، فهل أنت راضية؟

ليرا (بابتهاج): نعم راضية؟، ومن كل قلبي.

سأنت أوبن (بسرور): أهنتك، ياعززي، بهذه الةرة الةتمة. (بصافه).

فانشو: إن ملائكة الرحمة تحرس هذا الهيكل الشريف (مشيرًا إلى ليرا)، وإني أتمنى لك عمرًا طويلًا، و حياة طيبة سعيدة.

جرفت: أما الآن فلا يسعني، أنا الشيخ الذي لعب به الدهر زمنًا طويلًا إلا أن أتقدم بقدم ثابتة وحنان قوي إلى أنسة ليس لي في الدنيا غيرها (يأتي من الخلف فيمسك يد داين بيمينه ويد ليرا بشماله ويضعهما معًا. ينظر إلى داين) هذه هديتي إليك، وأمانتي عندك، فاحتفظ بها إنها كنز ثمين. (ثم يضع يديه على رأسيهما وينظر إلى السماء) اللهم باركهما، وهب لهما العمر والهناء!

جدول المحتويات

الجزء الأول: الكونيات

النونية الكبرى

الهمزية الكبرى

مرآة الزمن

رحلة

الجزء الثاني: قصائد اجتماعية ووجدانية

حرب طرابلس

إلى الأمير

تشريف الأمير

تهنئة

في تهنئة محمود وهبي

وداع

في قطار

تقريظ

يا عظيما

فقيد الطيران

علي أبو الفتوح

رثاء

إلى زوجة راحلة

فيدورا

المنصورة

وردة

ناظك

إليها

هي أشعر

مطارحة

وصف الحبيبة

تطريز

متناثرات في الهجاء

رسالة

عاشق

للصباح

مصر
رثاء
غزل (١)
غزل (٢)
صدودك
سلام ...
استنهاض
تحية
تكريم
مصر

الجزء الثالث: غزل الأغاني

ستريس
هو القدر!
العاشق
عيون و عيون
حيرة
لواعج
إليها
وهبتك قلبي
راقبوها
سحر الجمال
شكوى
يا عيوناً
إليك وفائي
حرب!
القلب القاسي
أين العهود
جفون
دولة الحسن
معلتي
متى اللقاء
فدى لك روحي
جوابها
ملكك الفؤاد
عن غادة
سؤال

وفاء
هو الحب!
رجاء
يوم الوداع
لمن أشتكى؟
قسم!
استسلام
لقاء خيال
هبيني لحظة
سلي الليل
سأصون العهد
عهد
كم تحملت
الحقيقة
لولا الهوى
إليها
ليلة
لحظ العيون
ربة الحسن
حبيبة القلب
مناجاة
يا حياتي
قسما بنغر ...
إلى قلب
غيرت حالي
لقاء
نداءات عاشق
خبرها
قصة لقاء
عنها
متى يكون التداني؟
رفقا بحالي
أغنية حب
حقيقة الحب
الضاحك الباكي
تغريدة

دلال
بالله رفقا
كيف أصنع؟
فاتنتي ارحمي
إلى رقيب!
أنت بدر
يا ليل
دمعي يخفف كربني
تمنيت شهدك
لقاء على كأس
الجزء الرابع: أوبريت وأناشيد مدرسية

حنين الأرواح
الموسيقى والعليل
القطع الغنائية بقلم شجرة الدر
صحوة العلم ونشوة المال
مجد مصر
صوت الضمير
أناشيد مدرسية
نشيد مدرسة خليل أغا
نشيد مدرسة محمد على
نشيد مدرسة عابدين
نشيد مدرسة القربية
نشيد مدرسة الشيخ صالح
نشيد مدرسة مصر الجديدة

الجزء الخامس: ربيبة الكوخ

الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع
الفصل الخامس